

شَهِجٌ مَّقَامَاتِ الْحَرِيِّ

لِلْأَبِي الْعَبَّاسِ أَحْمَدَ بْنِ عَبْدِ الْمُؤْمِنِ الْقِيسِيِّ الشَّيْبَانِيِّ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قال الشيخ الأستاذ اللغوي النحوي أبو العباس أحمد بن عبد المؤمن
ابن عيسى بن موسى بن عبد المؤمن القيسي الشريشي، تفعله الله برحمته
ورضوانه، وأسكنه فسيح جناته بمنه وكرمه آمين :

الحمد لله الذي اختص هذه الأمة بأفصح الألسنة وأفسح الأذهان، وشرف
علماءها بالافتنان في أفانين البلاغة والبيان، وميزنا بين سائر الأمم بالنثر المتفق
الفقر والنظم المعتدل الأوزان.

نحمده على أفئدة هداها، وألسنة أطال في شأو البلاغة مداها، ونصلي على
سيد المرسلين، وخيرة العالمين، الذي ختمت بنبوته العامة النبوة، ونسخت بشرعته
التامة الكتب المتلوة، محمد سيد هذا العالم والخصوص بعلو المكانة، وعموم
الديانة في ولد آدم، وعلى آله وصحبه الذين عزروه ووقروه، وآووه إيواء
الموفين بالعهود ونصروه، ونقلوا شرع الكريم قل التواتر وآثروه، وسلم
تسليماً، وآتاهم من لدنه رحمة وأجرأ عظيماً.

ورضى الله عن الإمام المعصوم، المهدي المعلوم، مجدد معالم الديانة، والمليء
بأداء الأمانة، والمشهور على تعاقب العصور بالزمان والمكان والمكانة، وعن
خلفائه الراشدين المرشدين أئمة الهدى، والتالين له في شرف ذلك المدى، والقائمين
بأعباء أمره الموعود أنه يبقى أبداً.

ونسأل الله تعالى لسيدنا الخليفة الإمام أمير المؤمنين ابن الخلفاء الأئمة الراشدين،
سعداً يُعْلَى أعلامه، ونصراً يصحب قلمه وحسامه، وتأيداً يُظهر أمره وينصر
اعتزاه، حتى ينتظم شذآن^(١) الأمصار في سلك ملكه، وتزدحم وفود الأمم

(١) الشذآن، بالضم والفتح: الفرق، وأصله في الحصى والإبل.

على غفر برّه ، وتنطوى ضمائر القلوب ومحبات الغيوب على إخلاص طاعته والثناء لأمره .

أما بعد ؛ فإن العلم أربع للكاسب ، وأرجح المناصب ، وأرفع المراتب ، وأنصع المناقب ، وحرقة أهل الهمم من الأمم ، ونحلة أهل الشرف من السلف ، لم يتقلد سلكه إلا جيدٌ ماجد ، ولم يتوشح برؤده إلا عطف جاد في طالب الكمال . جاهد ، ولم يستحق اسمه إلا الواحد الذي بعد الواحد ، وهو وإن تشعبت أفانيته ، وتنوعت دواوينه ؛ فعمل الأدب علمه ، والأس الذي يبني عليه كلمه ، والروح الذي يخب في ميدان الطروس قلبه ؛ ولذلك كان أولى ما تفرحه الترائع ، وأعلى ما تنجح إليه الجوانح ؛ فذوو الأخطار في سائر الأقطار يتنافسون في اقتنائه ، ويتصافنون في عافى إنائه^(١) ، ويرتاحون لأوضاعه وتأليفه ، ويستريحون إلى أعبائه المكدودة وتكاليفه ، فإنه زمام المنظوم والمنثور ، وقوام^(٢) نطق الألسنة وفكر الصدور ، ومنشط المقال من عقال النهابة ، ومميز الأقدار بالمهابة والنباهة .

ولم يزل في كل عصر من حملته بدر طالع ، وزهر غصن يانع ، وعلم ترنو إليه أبصار وتوهم إليه أصابع ، وصناعة البراعة بينهم تتمكن وتتأصل ، وتنوع البديع ينضبط ويتحصّل ، والآخر يكّد ذهنه في تميم ما غادره الأول ؛ إلى أن اعتدلت كفتاه ، وامتلاّت ضفّته ، وراق مجتلاه ومجتناه ، وتناهى في الحسن والإحسان لفظه ومعناه .

وكان آخر البلغاء وخاتمة الأدباء ، أولهم بالاستحقاق ، وأولاهم بسمّة السباق ، والقد الذي قد عمقت عن توءمه فتية العراق ، وفارس ميدان البراعة ،

(١) يقال : تصافن القوم الماء ؛ إذا قسموه بالحصص . والعاق : ما فضل في القدر ؛ والكلام على الاستعارة .

(٢) قوام الأمر بالكسر : نظامه وعماده .

ومالك زمام القرطاس والبراعة ، والملمّي عند استدعاء دُرر النثر بالسمع والطاعة ،
 أبو محمد القاسم بن عليّ الحريريّ - سقى الله ثراه صَوْبَ رحماه ، وكافاً إحسانه
 في الثناء عايه بحسنه - فبسط لسان الإحسان ، ومدّ أفنان الافتنان ، ومهد جادة
 الإجادة ، وقوى مادة الإنادة ، ولم يُبق في البلاغة متعباً ، ولا للريادة مترقياً ،
 لاسيّما في المقامات التي ابتدعها ، والحكايات التي نوّعها وفرّعها ، والمُلح التي
 وشّحها بدُرر الفِرّ ورصّعها ؛ فإنه برّز فيها سابقاً ، وبرّز البلاغاء فائقاً ، وأتى بأعنى
 الدقيق للنظ الرقيق مطابقاً ، وخلّدها تاجاً على هامة الأدب وتِقْصَراً^(١) في جيد لغة
 العرب ، وروضة تحوم أنفاس الهم عليها ، ولا تصل أيدى المطامع إليها .

ولما كانت من البراعة بهذا الحلّ الشهير ، وسارت مسير النّيرين بين
 مشاهير الجماهير ؛ جعلتُ الاعتناء بها سهم نهمي ، والعكوفَ عليها حرز عزمي ،
 والدّوب في حفظ لغاتها وفكّ مخبّآتها أهمّ همّي ، وصيرت تحفّظها فرض عيني ،
 والفكر الذي لا يحول وسني يده ويدي . فبدأت بروايتها عن الشيوخ والثقات ،
 وتقييد ألقاظها عن أعلام هذه الجهات ؛ حتى لا أثقل لفظاً إلا عن تحقيق ، ولا أثبت
 ضبطاً إلا من طريق .

فكان أوّل من أخذت عنه روايتها ، وتلقّيت منه درايتها ، ببليدى ،
 الشيخ الفقيه المقرئ أبو بكر بن أزهر الحجريّ ، حدّثنى بها عن صهره
 الفقيه المحدث الراوية أبي القاسم بن عبد ربه القيسى المعروف بابن جهور ،
 عن منشئها أبي محمد الحريريّ . وحدّثنى بها أيضاً ببليدى الشيخ الفقيه الراوية
 أبو بكر بن مالك الفهريّ عن ابن جهور المذكور ، وعن الشيخ الفقيه
 أبي الحجاج الأبتديّ القضاعيّ ، كلاهما عن أبي محمد الحريريّ . وحدّثنى بها
 أيضاً إجازة الشيخ الفقيه المحدث أبو محمد عبد الله بن محمد بن عبد الله الحجريّ

(١) التقصار والتقصارة ، بالكسر : الفلادة ؛ سميت بذلك لزومها قصرة النقص .

عن القُضاعيّ. وحدثني بها أيضاً الكاتب الزاهد أبو الحسين بن جبير عن الشيخ الجليل بركات بن إبراهيم بن طاهر بن بركات القرشي المعروف بالخشوعيّ عن الحريريّ. وحدثني بها أيضاً الشيخ الفقيه الأستاذ أبو ذرّ مُصعب بن محمد بن مسعود الخُشنيّ بسنده ، بعد وقوفه رحمه الله على هذا الشرح وأمره لي بتكميله . وتلقيت بها جماعة من جلةُ الأشياخ أكثرَ في العدد من ذكرت ؛ لا يعدمني واحد منهم إفادةً ضبطيّةً أو لفظيّةً ، ولا يفقدني زيادةً هزليةً أو وعظيّةً ، فأخذتها أخذ متثبت ، عن واعي منكّت .

ثم لم أدع كتاباً ألف في شرح ألفاظها وإيضاح أغراضها ، وتبيين الإنصاف بين انفصالها واعتراضها إلا وبعيته^(١) نظراً ، وتحقيقته معتبراً ومختبراً ، وتردّدت في تفهمه ورِداً وصدراً ، وعكفت على استيفائه بسيطاً كان أو مختصراً ؛ حتى أتيت على جميع ما انتهى إليه وسعى ممّن فسرّها ، واستوعبت عامة فوائده الممكنة بأسرها ؛ ولم أترك في كتاب منها فائدة إلا استخرجتها ، ولا فريدة إلا استدرجتها ، ولا نكتة إلا علقتها ، ولا غريبة إلا استاحقتها ، ولا غادرت في موضع منها مستحسنًا يشدّ عن جمعي ، ولا مستجادا ينبو عنه بصرى أو سمى . فاجتمع من ذلك حفظاً وخطأً أعلاقُ جمةً ، وفوائد لم تهتمّ بها قبلي همّة ، ثم لم أقنع بتبيين الدواوين ، ولا اقتصرتُ على توقيف التصانيف ؛ حتى لقيت بها صدور الأمصار ، وعلماء هذه الأعصار ، فباحثُ وناقشت ، وتأولت وتداولت ، وطالبت المتحفّظ بالأداء ، والمتيقّظ بالإبداء ؛ حتى لم أبق في قاذحة زنديلاً إلا اقتدحته ، ولا مُتَقَلّاً إلا افتتحتّه ، فتنحّصل لي من ذلك أيضاً عيون صائبة النواظر ، وفنون قلّما توجد في مخبّات الدفاتر .

وأنا في خلال ذلك ألتبس مزيداً ، ولا أسأم بحثاً وتقييداً ، إلى أن عثرتُ على

(١) ط ب : «أوعيته » ، وأوعى الشيء : حفظه ؛ مثل وعى .

شرح الفَنجَدِيهِي^(١) للمقامات - والفنجديهِي هو الشيخ الحافظ أبو سعد محمد ابن عبدالرحمن بن محمد المسعودي ، من قرية فنجديه من عمل خراسان - فرأيت في شرحه الغاية المطلوبة ، والبغية المرغوبة ، والضالة التي كانت عني إلى هذا الأوان مطوية محجوبة ؛ فاستأنفت النَّظَرَ ثانياً ، وشمرت عن ساعد الجدِّ لا متكاسلاً ولا وانياً ، وعانيت نور المعنى في نور اللفظ فأصبحت مجتانياً جانبياً ، فاستوعبته أيضاً أبلغ استيعاب ، وقيدت من فوائده ما لم أجد قبله في كتاب ، وأخذت منه أحاديث مسندةً أوردتها ، وآثاراً مرفوعةً قيدها تليق بالباب الذي أوردت فيه ، وتورد مصححةً إما لألفاظه وإما لمعانيه ، وحذفت أسانيد - وإن كان قد أوردتها - تخفيفاً عمن يريد المتن ويبتغيه ؛ فتم لي بهذا الغرض استيفاء مقاصده ، واستيعاب فوائده . وتركته مستلب المعاني ، مطروق المعاني ، كالروض ركدت ريعه ، والجسم قبض رُوحه ؛ فانضاف من فوائده هذا التأليف البديع - إلى الفوائد الملتقطة من الألسنة والمأخوذة من التصانيف المستحسنة - روضٌ كله زهر ، وسلكٌ كله دُرر ، وأدبٌ إن لم يجمعه التصنيف فهو بعد عين أثر .

فاستخرت الله تعالى في ضمِّ ما انتشر من فوائدها ، ونظم ما انتثر من فرائدها ، والاعتناء بتأليفٍ في المقامات يُغني عن كلِّ شرح تقدّم فيها ، ولا يحوج

(١) الفنجديهِي ؛ منسوب إلى فنجديه ، قال ياقوت : « فنجديه ، بالفتح ثم السكون ثم فتح الجيم وكسر الدال ويا . ثم هاء خالصة ، وينسب إليها فنجديه . بلدة فيها خمس قرى ؛ قد اتصلت عمارة بعضها ببعض ، قرب مرو الروذ » . وهو أبو سعيد محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن مسعود المسعودي ، المتوفى سنة ٥٨٤ ، ذكره صاحب كشف الظنون ، ووصفه العماد في حذرات الذهب بالرحال الأريب وقال : مات عن اثنتين وعشرين سنة بدمشق ، وسمع من أبي الوقت وطبقه ، وأملى بمصر مجالس ، وعنى بهذا الشأن ، وكتب وسعى ، وجمع فأوعى ، وصنف شرحاً طويلاً للمقامات ، قال يوسف بن الخليل الحافظ : لم يكن في نقله بثقة ، وقال ابن النجار : كان من الفضلاء في كل فن ، في الفقه والحديث والأدب ، وكان من أطرف المشايخ وأجلهم » .

إلى سواء في لفظ من ألفاظها ولا معنى من معانيها ، فتم من ذلك مجموع جامع ، وموضوع بارع^(١) ، أودعته من اللغات أصحها وأوضحها ، وأسلسها قياد لفظ وأسمحها ؛ وأولاها بالصواب في مظان الاختلاف وأرجحها ؛ ونسبت المشكل منها إلى قائله من جهابذة العلماء ، وجمعت بين مشهور اللغات ومشهور الأسماء ، وسبكت العبارة عن المعاني سبكاً يدل على الإلقاء والإصغاء . وهذا الفصل وإن سبقني إليه من تقدمني من الشارحين قبلي ، فلي فيه مزية إيراد اللفظ البعيد عن الإشكال ، والمطابقة بين الأقوال وأرباب الأقوال .

ثم زدت في فوائد هذا التأليف التعريف بالأمصار المذكورة في المقامات على أوفى ما يمكنني ؛ من ذكر مواضعها وأقذارها واختطاطها ، ومن عقد صلاحها ، أو تولّى فتحها ؛ وهذه فوائد لا يخفى مكانها ، ولا ينكر استحسانها ، فالحاجة إلى التعريف بالمكان ، تتلو الحاجة إلى غوامض اللسان .

ثم استوعبت شرح الأمثال ونسبتها ، جمعاً بين القائلين والأقوال ، ولم أغفل منها الكثير الدور ولا القليل الاستعمال ، وهذا الفن لم يتبعه أحد على الكمال ، وإن ذكره فإنما يذكره استطراداً بحسب الحال .

ثم استوفيت أيضاً ذكر من وقع فيه من الرجال والنساء أتم استيفاء ، وعرفت المشتهرين من الآباء والأبناء ، وبيّنت أنسابهم وأمكتهم ، وأخبارهم وجرقتهم ، وآثارهم ومدتهم ، زيادة في التهم^(٢) والاعتناء . وهذا الفن أيضاً لم يورده الشارحون حق إirاده ؛ ولا اعتمدوه بالتبليغ حق اعتماده ، وهو مهم في الإفادة ، وعلى مغفله في الوقت وبعده الإعادة .

ثم زدت فيه فصلين مفيدين لم أر من اعتنى بهما ، ولا من قصد قصدهما ، سوى أبي سعيد المنجديهي في بعض المواضع ، فإنه ألمح وألمع ، وأورد اليسير فما شفى ولا أقنع :

(١) ١ : « فصار ذلك مجموعاً جامعاً ، وموضوعاً بارعاً » .

(٢) ط : « التهم » ، تحريف ، صوابه من ١ .

أحدهما: تبين مأخذ الحريرى في الكلام ، وإخراج الإحالات المودعة فيه من حيز الإبهام ، والرد إلى المنشأ في آية أو أثر ، أو خطبة أو خبر ، أو حكمة فائقة ، أو لفظة رائقة ، أو بيت نادر ، أو مثل سائر ؛ وهذا تتميم بين ، وتكميل متعين .

والفصل الثاني : التنبيه على صناعة البديع ، وتوفية أسمائه ؛ كالتجنيس والتتيم والترصيع ، والإتيان بهذا النوع من التبيين والتنبيه على الجميع ، وبسط أنواع الأدب واقتنائه ، والإكثار من الشعر في مظانه من الجد والهزل في المواضع اللائقة باستحسانه ، ومقابلة كل باب بما يزيد في حسنه وبيانه ، والجرى مع أبي محمد حسب اتساع خطوه وامتداد ميدانه .

ومن تمام التصنيف ردّ الفرع إلى أصله ، والجمع في الترتيب بين الشكل وشكله ، فأتبع المواعظ بما يزيدها أثراً في القلوب ، وأردفت المسليات بما يُعَمِّقُهَا في إجلاء الكروب ، وسلكت هذه المسالك في سائر الأساليب وأنواع الضروب ؛ فإن وُجِدَ في هذا الكتاب لفظ ظاهره الهزل ، أو معنى ينسب فيه إلى العذل ؛ من وصف نور وثر ، وذكر نديم وخر ، أو نعت حُسنٍ وحسن ، أو مدح سماع وأذن ، فلا نَّ أباً محمد بدأ بأمر فتم ، وخصّ نوعاً فعم ، مع أن صنعة الأدب مبنية على المُلَح ، وخواطر الأدباء جائشة بما سَنَح . فجاء من هذا الترتيب الغريب ، ما يضرب في الإجابة بسهم مصيب ، ويثبت لى في الجد والدعوب أو فَرَ نصيب .

ثم رأيت الشارحين لها من أولى البصر كالفنحديهي وابن ظفر^(١)

(١) هو محمد بن أبي محمد بن محمد بن ظفر ؛ صاحب التصانيف المتنوعة السائرة ، ذكره القفلى في الإنباه ٣ : ٧٥ ، وقال : « ورأيت له شرح المقامات ، قد صنفا لأهل المغرب ، وقد نقل ألفاظها من نسخة سقيمة فصحف وشرح التصحيح ؛ وسمعت أنه كان يعتز من ذلك إذا قيل له ، ويقول : هذا أمر أحدثته العجلة وبعد الدار . وذكر صاحب كنف الظنون هنا الشرح وسماه : « التنقيب على ما في المقامات من الغريب » .

قد جردوا من شروحهم مختصرات وجيزة ، اقتصروا فيها على إيراد اللغات ،
 فخذوتُ حذوهم في مختصرٍ أوردتها فيه على الكمال ، ووفيتها حقها من رفع
 الفاظ وكشف الإشكال ، ولم أخلّ في تصريفها واشتقاقها بوجه من الوجوه
 ولا حال من الأحوال ، فجاء غاية في هذا الباب ، مغنيا في اللغات الغريبة عن
 كل كتاب ؛ فإن فاته هذا الأصل بضروب من الإفادات وأنواع من الزيادات ،
 فلذلك الفرع شُوف الاستيعاب في اللغات ، ومزية الاشتقاق والتصريف
 والشاهد من الشعر والآيات .

وكلّ ذلك بلطف الله تعالى ، وبسعد مَنْ شَرَفَتْ كتابي بخدمته ،
 وبنيتُ تأليفي على أداء شكر نعمته ، ونصبت نفسي لأقف ببابه الأعلى ، وأتزيّن
 بلمّ تربته فأنا العبد وهو المولى ؛ عماد الأنام ، والظلّ الممدود على المسلمين
 والإسلام ، ونعمة الله التي هي من أفضل النعم الجسام ؛ منفق سوق المعارف ،
 ومفجّر بحور المنّ والعوارف ، الجير بفضلّه وعدله من المفاقر الفادحة والخواف ،
 سيّدنا الخليفة الإمام أمير المؤمنين أبو عبد الله ابن إمام الأئمة الراشدين ووليّ
 عهده سيّدنا الأمير الأجلّ أبو يعقوب ، أيد الله سلطانهم ، وأيد بيضتهم
 وحزبهم ، وجمع القلوب على الانقياد لهم ، والوجوه على التوجه قباهم .

وهذا الكتاب وإن كان المعبر عن حسنه ، والغاية الملتزمة في فنّه ، والجامع
 لما افترق في سواه ، والبرز بما وشّحه من الزيادات وحلّاه ، فإنه لم يتم جماله ،
 ولا استوفى احتواءه على الفوائد واشتماله ، إلا ببركة مولانا الخليفة ، واقتران اسمه
 الكريم باسم وليّ عهده المستحق للتقديم في هذه الصحيفة . فالحمد لله على التوفيق
 لخدمتهم ، والمؤنة على شكر نعمتهم ، والتعرض لخيري الدنيا والآخرة في ظلّ حرمتهم .
 وقد بذلتُ في الخدمة جَهدي ، وأبرزت من فوائد هذا التأليف أنفس
 ما عندي ، ولم أتعاط قياماً بكل الواجب ، ولا وفاء بجميع الحقّ الراتب ؛ فالقول
 يقتصر عن التحصيل ، وليس إلى مطاولة الطود ومكاثرة اليمّ من سبيل .

وقد كنت حين أتممتُ هذا التأليف ، وألقيت عن كاهلي الأعباء التي
له والتكليف ، وجلوته كالحسناء أَلقت في المنصّة النّصيف ، كثرت خطابه
إلى من البلدان ، وتواردت عليه رغبات الاستجادة والاستحسان ، فقلت : حتّى
يقشّر بلمّ اليمين العليا ، ويتخصّص بقبول إمام الدين والدنيا ، فمن بابه الأسمى
يُلْتَقَط درّه المنظوم ، ويبركاته يسطع مسكه العَبِق^(١) المختوم .

وها أنا أشرع ببركة الله وبركة خليفته المبارك الأهدى ، وبنجله المتقلّد منه
صفة وعهداً ، في شرح الخطبة كلمة كلمة ، وإيضاحها حتّى لا أدع لفظة مبهمه ،
ثم أشرح المقامات على الولاء ، وأسلك الجمع بين الإيجاز والاستيفاء ، ولا حول
ولا قوة إلا بالله العلي العظيم ، وصلى الله على سيدنا محمد خاتم النبيين وآله وسلم
أفضل التسليم .

(١) ط : « العَبِق » تصحيف ، صوابه من ا .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الصِّدْرُ

اللَّهُمَّ إِنَّا نَحْمَدُكَ عَلَى مَا عَلَّمْتَ مِنَ الْبَيَانِ ، وَآلَهَمْتَ مِنَ
التَّبْيَانِ ، كَمَا نَحْمَدُكَ عَلَى مَا أَسْبَغْتَ مِنَ الْعَطَاءِ ، وَأَسْبَلْتَ
مِنَ الْغَطَاءِ .

* * *

اللهم إنا نحمدك ؛ اللهم اسم خصصته الميم المشددة في آخره ببناء الباري
سبحانه ، والتزم معها حذف حرف النداء لوقوع الميم خلفاً عنه ، ولحلّ اللام في
أوله ، لأنه لا يلي حرف النداء لام التعريف إلا في قولهم : « يا الله » ؛ لتكون
اللام الزائدة نائبة عن حرف أصلي ، وهي همزة « إله » ، فصارت كالأصلي ،
وفي غير هذا الاسم تتجرد اللام للزيادة في أول الاسم . و « يا » زائدة في أوله
كذلك ، وهما جميعاً لتخصيص الاسم وإزالة إشباع التنكير عنه ، فلما تقاربا في المعنى ،
وتشابهتا في الزيادة ، وطلب كل واحد منهما أن يلى الاسم دون صاحبه ، ترك
استعمال الجمع بينهما في أول الاسم إلا في ضرورة الشاعر لإقامة الوزن . وأما اللام
في قولهم : « يا الله » فلما كانت نائبة عن حرف أصلي خفيت زيادتها ، فلما زادوا
الميم في آخره فضحت اللام وشهرت معنى الزيادة ، فامتنعت « يا » من أوله
إلا عند الضرورة كامتناعها في الرجل والغلام ؛ فلما كانت الميم هي الموجبة لمنع
« يا » حمل الاسم معها معنى « يا » فصار مختصاً بالنداء ممتنعاً من غيره .
ونحمدك ، معناه شئى عليك بآتم وجوه الثناء كلها ، فيدخل تحته الشكر ،

والشكر ثناء يقابل به معروف ، وفي الحديث : « الحمد رأس الشكر فمن لم يحمد الله لم يشكره »^(١) ، والحمد ذكر الرجل بما فيه من صفات جليلة . والشكر ذكره بما له من أفعال جزيلة ، من قولهم : دابة شكور ، إذا ظهر بهامن السمن فوق مائنا كل من العاف . ويقال : أشكر من برّوة^(٢) ، وهى شجرة معروفة تخصب بأذى مطر ؛ ويؤكد الفرق بينهما أن الحمد فى مقابلة الذم والشكر فى مقابلة الكفر ، فاختلاف تقيضهما دليل على اختلافهما فى أنفسهما .

البيان : وضوح المعنى وظهوره ، والتبيان : تفهم المعنى وتبينه . والبيان منك لغيرك ، والتبيان منك لنفسك ، مثل التبيين تقول : بينت الشيء لغيرى بياناً وتبينته أنا تبياناً ؛ وقد يقع التبيان بمعنى البيان ؛ حكى أبو منصور الأزهري رحمه الله : بينت الشيء تبيناً وتبياناً ، قال تعالى ﴿ تَبَيَّنَا لَكُلِّ شَيْءٍ ﴾^(٣) أى يبين لك فيه كل ما تحتاج إليه أنت وأمتك من أمر الدين ، فهو لفظ عام أريد به الخاص . وقد يقع البيان لكثرة الكلام ، ويُعدّ ذلك من النفاق ؛ قال النبي صلى الله عليه وسلم : « الحياء والعى شعبتان من الإيمان ، والبذاء والبيان شعبتان من النفاق » أخرجه الترمذى^(٤) . وقال : « العى قلة الكلام والبذاء الفحش ، والبيان كثرة الكلام » . ألهمت : تهبت عليه وفهمته . وأسبغت : أتممت وكثرت . وأسبلت : أطلت . والغطاء ، أراد به ستر الله على عبده .

* * *

وَنَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّهِ اللِّسَنِ ، وَفُضُولِ الْهَذَرِ ، كَمَا نَعُوذُ بِكَ مِنْ مَعْرِةِ اللَّكَنِ ، وَفُضُوحِ الْحَصْرِ . وَلَنَسْتَكْفِي بِكَ الْاِفْتِنَانَ بِإِطْرَاءِ

(١) الجامع الصغير ١ : ٢٦٠

(٢) الميداني ١ : ٣٨٨ ، قال فى شرحه : « هى شجرة تخضر من غير مطر ، بل تلبث بالسحاب إذا نثأ - فيما يقال » .

(٣) سورة النحل ٨٩ .

(٤) نقله فى الجامع الصغير ١ : ٢٦١ عن الترمذى وأحمد والحاكم .

الْمَاتَرِجِ، وَإِغْضَاءِ الْمُسَامِيحِ؛ كَمَا نَسْتَكْفِي بِكَ الْإِتْصَابَ لِإِزْوَاءِ
الْقَادِحِ، وَهَتَاكِ الْفَاضِحِ.

* * *

نعوذ، أى نستجير . شرّة: حدة، واللسن: حدة اللسان وإدلاله على الكلام.
فضول: زوائد. المذر: إكثار الكلام بغير فائدة. معرّة: شدة وصعوبة، والمعرّة:
العيب والعار . وقيل: هى كل ما يؤذيك، وفلان يعرّقومه، أى يدخل عليهم
مكروها يلطّخهم به؛ وأصله من العرّة وهى الفعلة القبيحة، أو من العرّ وهو
الجرب . واللكن: احتباس اللسان عند الكلام. فضوح: شهرة وفضيحة. الحصر:
العِىّ، وحصر حصراً إذا أعيا واستحيا أو ضاق صدره. واستعاذ من شرّة اللسان
لأنه من اقتدر على الكلام أدّاه إلى المطاولة فى الجدل وتصوير الباطل فى صورة
الحق، وفيه إثم على فاعله، وأصل الشرّة التلقى والانتشار، ومنه الشرّ؛ وقد شرّ
يشرّ، ومنه شرّر النار. ثم استعاذ من ضدها وهى المعرّة، لأن صاحبها لا يتم لفظه
فيشين بذلك نفسه، ويقصر عن مراده من البيان. ثم قرن بها الحصر لأن من
يعتريه يتوالى عليه الوهل والجل؛ فلا يستطيع الكلام، فيفتضح ويشهر عيبه.
وهذا الفن من الكلام يسمّى فى صنعة البديع المقابلة، وأول من صدرّ به كتاباً
عمرو بن بحر الجاحظ فى كتاب البيان^(١)، فقال: اللهم إنا نعوذ بك من فتنة القول،
كما نعوذ بك من فتنة العمل، ونعوذ بك من التكلف لما لا نحسن، كما نعوذ بك
من العجب بما نحسن، ونعوذ بك من السلاطة والتهذر^(٢)، كما نعوذ بك من العِىّ
والحصر؛ وقد يما تعوذوا بالله من شرهما، ورغبوا إليه فى السلامة منهما؛ وقد قال
النمر بن تولب:

(١) البيان والتبيين ١: ٣، مع اختصار وحذف .

(٢) السلاطة: حدة اللسان والصخب؛ والتهذر: كثرة الكلام فى خطأ .

أَعَذَّنِي رَبٌّ مِنْ حَصَرٍ وَعِيٍّ وَمِنْ نَفْسٍ أَعْلَجَهَا عِلَاجًا
وَقَالَ مُحَمَّدُ بْنُ عُلُقَمَةَ^(١):

لَقَدْ وَارَى الْمَقَابِرُ مِنْ شَرِّكَ كَثِيرَ تَحْلُمٍ وَقَلِيلَ عَابٍ
صُمُوتًا فِي الْحَافِلِ غَيْرِ عَيٍّ جَدِيرًا حِينَ يَنْطِقُ بِالصَوَابِ

ثم استرسل في ذكر العيِّ والبيان إلى غاية بعيدة ، واستشهد على النوعين بآيتين ؛ بقوله تعالى : ﴿سَلَقُواكُمْ بِالْسِّنَةِ حَدَادٍ﴾^(٢) ، وفي الضدِّ بقوله تعالى : ﴿أَوْ مِنْ يُشَاقُّ فِي الْحِلْيَةِ وَهُوَ فِي الْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ﴾^(٣) ؛ فاحتذى الحريري هذا الخذو ، فجاءت تشبيهاته أطبع وأصنع ، وزاد عليه بأن ابتداء بحمد الله على نعمة البيان ، ثم استعاذ مما استعاذ منه الجاحظ ، وبيان المقابلة في كلامه أنه قابل شرِّة بعمرة واللسن باللسن ، والهذر بالحصر ؛ فإذا تفهمت مواقعها في كلامه قست عليها ما يشبهها في النظم والنثر . وسئل قدامة الكاتب عن المقابلة ، فقال : هي أن يضع الشاعر أناطًا يعتمد التوافق بين بعضها وبعض في المخالفة ، فيأتي في الموافق بما يوافق ، وفي المخالف بما يخالف ، وأنشد في ذلك :

فِيَا عَجَبًا كَيْفَ اتَّفَقْنَا فَنَاصَحٌ وَفِي وَمَطْوًى عَلَى الْفِشِّ غَادِرٌ^(٤) !
فَجَلَّ يَلِيزَاءُ « نَاصَحٌ » ، « وَفِي » ، « غَاشَا : غَادِرًا » . ومثله :
فَتَى تَمَّ فِيهِ مَا يَسُرُّ صَدِيقَهُ عَلَى أَنَّ فِيهِ مَا يَسُوءُ الْأَعَادِيَا^(٥)

نستكفي : معناه نسألك ونطلب منك أن تكفينا الافتتان ؛ وذلك أن تصاب بفتنة الإعجاب ، وأصل الفتنة اختبار النضة بالنار ، قال تعالى في الاختبار : ﴿وَفَتَنَّاكَ فُتُونًا﴾^(٦) ، أي اختبرناك . والفتن : النضة المحرقة ، والفتن أيضا : الحجارة المحرقة ، وهي الحجارة تدلّك بها الأقدام في الحما . والإطراء : الاسترسال في مدح

(١) في البيان والبيان : محرز بن علقمة .

(٢) الأحزاب ١٩ .

(٣) الزخرف ١٨ .

(٤) تحرير الصغير ١٨١ — قال : وأحسبه لكثير . وانظر العمدة ٢ : ١٤ .

(٥) للناطقة الحمدي ، ديوانه ١٧٤ .

(٦) سورة طه ٤٠ .

الإنسان بحضرة ، وفي الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «لا تطروني كما أطرت النصارى عيسى بن مريم ، فإنما أنا عبد الله ورسوله » .
 إغضاء: تجاوز ومساحة ، وأصله أن يبدلَ الشئ فتدني جفنيك وتقصُر
 نظرك كأنك لم تره . والإغضاء: الإغماض وأغضيت عنه وأغمضت ، إذا تغافلت
 عنه . السامح : الموافق لفرضك ، المتجاوز عن عيبك . الانتصاب : الظهور
 والاعتراض أمام الشئ . إزراء : تقصير وتنقيص . القادح: العائب ، وقدحت
 الدود في الأسنان والشجر : أكلتها ، فكانَ فعل هذا العائب في أعراض الناس
 فعل الدود في الشجر . والقادح أيضا: الذي يضرب الزند بالحجر ليورى . هتك: شق ،
 وهتك الستر: خرقتة . الفاضح: الذي يشهر عيوبك، وفضحت الشئ: كشفته .

* * *

وَنَسْتَغْفِرُكَ مِنْ سَوْقِ الشَّهَوَاتِ إِلَى سَوْقِ الشُّبُهَاتِ ؛ كَمَا نَسْتَغْفِرُكَ
 مِنْ نَقْلِ الْخَطَوَاتِ إِلَى خَطَطِ الْخَطِيئَاتِ . وَنَسْتَوْهِبُ مِنْكَ تَوْفِيقًا
 قَائِدًا إِلَى الرُّشِيدِ ، وَقَلْبًا مُتَقَلِّبًا مَعَ الْحَقِّ ، وَلِسَانًا مُتَحَلِّيًا
 بِالصِّدْقِ ، وَنُطْقًا مُؤَيَّدًا بِالْحُجَّةِ ، وَإِصَابَةً ذَائِدَةً عَنِ
 الزَّيْغِ ، وَعَزِيمَةً قَاهِرَةً هَوَى النَّفْسِ ، وَبَصِيرَةً نُذِرُكَ بِهَا
 عِرْفَانَ الْقَدْرِ .

* * *

نستغفرك : نسألك المغفرة ، وهي من غفرتُ الشئ سترته . الشبهات: جمع شبهة
 وهي ما يشبه عليك أمره . والخطوات : جمع خطوة؛ وهي ما بين القدمين . الخطط:
 جمع خطة وهي الطريق يخطه الرجل في الأرض يجعله حدًّا للشئ يحوزه ويعتمده .
 والخطّة، بالضم: المنزلة والمزية . والخطيئات : الذنوب، وهي من الخطأ، وجعل ماساقه

في المقامات كأنه شهوة اشتهى عملها ، ثم اشتبه عليه : هل في ذلك رضا الله أم سخطه ! فكأنه ساق شهوة إلى سوقٍ يجهل التبائع فيها فلعلة فيها خاسر الصفة ، فلهذا استغفر الله منها. الرُّشد : الهداية يرشده الله يرشدا وأرشده : هَدَاه . ورشدهو رُشدًا ورشادا : اهتدى . متحلِّيًا : متصفا ومتزينا . مؤيدا : مُعَانًا . وأصابني كلامه إصابة : إذا نطق بالصواب ، ورمى فأصاب لم يخطئ ؛ وقوله تعالى : ﴿ رُخَاءٌ حَيْثُ أَصَابَ ﴾^(١) ، أى حيث أراد ، قال القراء : اختلفتُ أنا وعيسى النخوى في الآية قلت : ما أحدٌ أعلم بهذا من رؤية ، قال : فسرنا إليه فلقيناه يتوكأ على اثنين ، فقال : أين تصيبان ؟ أى أين تريدان ؟ ، قلت لصاحبي : كُفَيْتَ السُّؤال^(٢) . ذائدة : دافعة . الزبغ : الليل ، وزاغ عن الحق : مال عنه إلى الباطل . العزيمة : الجد ، وعزم على الشيء : جدَّ فيه . قاهرة : غالبه . وهوى النفس : ما تحبّه وتميل إليه . بصيرةٌ : يقيا ، والبصيرة للقلب ، والبصر للعين . عِرفان القدر ، أى معرفة أقدارنا .

* * *

وَأَنْ تَسْعِدَنَا بِالْهِدَايَةِ إِلَى الدَّرَايَةِ ، وَتَعْضِدَنَا بِالْإِعَانَةِ عَلَى الْإِبَانَةِ ، وَتَعْصِمَنَا مِنَ الْغَوَايَةِ فِي الرَّوَايَةِ ، وَتَصْرِفَنَا عَنِ السَّقَاةِ فِي الْفُسْكَاهَةِ ؛ حَتَّى نَأْمَنَ حَصَائِدَ الْأَلْسِنَةِ ، وَنُكْفَى غَوَائِلَ الزَّخْرَفَةِ ؛ فَلَا نَرَدَ مَوْرَدَ مَأْنَمَةٍ ، وَلَا نَقِفَ مَوْقِفَ مَنْدَمَةٍ ، وَلَا نُرْهَقَ بِتَبِيعَةٍ وَلَا مَعْتَبَةٍ ، وَلَا نُلْجَأَ إِلَى مَعْدِرَةٍ عَنْ بَادِرَةٍ .

* * *

(١) سورة ص ٣٦ .

(٢) الخبر في الكشاف ٤ : ٧٤ ، وروايته : « عن رؤية ، أن رجلين من أهل اللغة قصدها لبسألاه عن هذه الكلمة ، فخرج إليهما ، فقال : أين تصيبان ؟ فقالا : هذه طلبتنا ؛ ورجعا » .

الدَّرَايَة: مصدر دَرَيْتُ الشَّيْءَ دَرَايَةً وَدَرَيًّا، عَلِمْتَهُ. تَعَضَّدْنَا تَعَوُّدًا، وَعَصَّدَهُ: أَعَانَهُ وَكَانَ لَهُ عَصْدًا. الْإِبَانَةُ: مصدرُ أَبْنَتِ الشَّيْءَ، أَيْ بَيَّنْتَهُ. تَعَصَّمْنَا مِنَ الْغَوَايَةِ، أَيْ تَمَنَعْنَا مِنَ الضَّلَالَةِ وَالنَّسَادِ، وَالْغَوَايَةِ: مصدرُ غَوَى غَوًى وَغَوَايَةً وَغَوًى أَيْضًا غَوَايَةً، وَهِيَ ضِدُّ رَشَدٍ رُشْدًا. الرِّوَايَةُ: نقلُ الْحَدِيثِ مِنْ صَاحِبِهِ إِلَى طَالِبِهِ. تَصَرَّفْنَا: تَزَيَّلْنَا. السَّفَاهَةُ: الْجَهْلُ، وَالْفِكَاهَةُ: الْمُزَاحُ وَمَا تَسْتَرِيحُ بِهِ النَّفْسُ وَهِيَ فِي الْكَلَامِ كَالْفَاكِهِةِ فِي الطَّعَامِ. حَصَائِدُ الْأَلْسِنَةِ: شَرٌّ كَلَامِهَا وَقَطْعُهَا فِي أَعْرَاضِ النَّاسِ، وَأَرَادَ مَا جَاءَ فِي حَدِيثِ مَعَاذِ بْنِ جَبَلٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّا لَنَتَوَاضَعُ بِمَا نَتَكَلَّمُ؟ قَالَ: «تَكَلَّمْتُكَ أُمِّكَ يَا مَعَاذُ! هَلْ يَكُفُّ النَّاسُ فِي النَّارِ عَلَى رِءُوسِهِمْ إِلَّا حَصَائِدُ أَلْسِنَتِهِمْ!» فِدَعَا اللَّهُ أَنْ يَتِمَّ سَعْدُهُ بِأَنْ يُؤْمِنَهُ عَادِيَةُ الْأَلْسِنَةِ. وَالْحَصَائِدُ فِي الْأَصْلِ: جَمْعُ حَصِيدَةٍ وَهِيَ الْحُزْمَةُ مِنَ الزَّرْعِ الْمَحْصُودِ فَهِيَ فَعِيلَةٌ بِمَعْنَى مَفْعُولَةٍ، وَالْحَصِيدُ: الشَّيْءُ الْمَحْصُودُ.

نَكْفَى: نَمْنَعُ. غَوَائِلُ: قَوَاتِلُ وَمَهْلَكَاتُ، وَاحِدُهَا غَائِلَةٌ؛ وَغَالَتِ الْمَنِيَّةُ أَهْلَكَتِ. الزَّخْرَفَةُ: تَزْيِينُ الْبَاطِلِ، وَأَصْلُهَا تَزْيِينُ الشَّيْءِ بِالزُّخْرَفِ وَهُوَ الذَّهَبُ. تَرَدَّدَ: تَقَصَّدَ. مُورِدٌ مَائِمَةٌ: مَوْضِعُ إِثْمٍ، وَالْمُورِدُ أَصْلُهُ الْمَوْضِعُ يُشْرَبُ مِنْهُ الْمَاءُ. مَنْدَمَةٌ: نَدَمٌ. نَرَهَقُ: تُتَهَّمُ وَنَعَابُ: وَالزَّهْقُ: الْعَيْبُ، وَتَبَعَةٌ: خَطِيئَةٌ يَتَّبِعُهَا ضَرُّهَا بَعْدَ الْمَوْتِ. مَعْتَبَةٌ: سَخَطٌ، وَهِيَ مِنَ الْعِتَابِ، وَهُوَ تَقْبِيحُ الْقَوْلِ عَلَى جِهَةِ الْإِشْفَاقِ، وَأَصْلُهُ مِنْ عَتَبْتُ الْأَدِيمَ، أَيْ رَدَدْتُهُ إِلَى الدِّبَاحِ لِيُصْلَحَ، وَمِنْهُ: إِنَّمَا يِعَاتِبُ الْأَدِيمُ ذُو الْبَشَرَةِ^(١). وَيُقَالُ: عَتَبْتُ عَلَى فُلَانٍ كَذَا عَتَبًا فَأَعْتَبْتُهُ، أَيْ رَجَعْتُ إِلَى مَا يَرِيدُ وَأَرْضِيْتُهُ. وَبَاءُ «تَبَعَةٌ» وَتَاءُ «مَعْتَبَةٌ» يَكْسِرَانِ وَيَفْتَحَانِ. نَلَجَأُ: نُجَوِّجُ. مَعْزَرَةٌ: اعْتِذَارٌ. بَادِرَةٌ: سَقَطَةٌ وَزَلَّةٌ، وَقَدْ بَدَرَتِ الْكَلِمَةُ وَالْفَعْلَةُ:

(١) المِيدَانِيُّ ١: ٤٠ قال: «والمعابة: المعاودة، وبشرة الأديم: ظاهره الذي عليه الشعر، أى أن ما يعاد إلى الدِّبَاحِ مِنَ الْأَدِيمِ، مَا سَلِمَتْ بَشَرَتُهُ».

خرجت من غير أن يدبر موقعها ، وفلان تخشى بوارده ، أى فلتاته .

* * *

اللَّهُمَّ فَحَقِّقْ لَنَا هَذِهِ الْمُنِيَّةَ ، وَأَنْلِنَا هَذِهِ الْبُغْيَةَ ، وَلَا تَضْحِنَا عَنْ ظِلِّكَ السَّابِغِ ، وَلَا تَجْعَلْنَا مُضْغَةً لِلْمَاضِغِ ؛ فَقَدْ مَدَدْنَا إِلَيْكَ يَدَ الْمَسْأَلَةِ ، وَبَحَعْنَا بِالِاسْتِكَانَةِ لَكَ وَالْمَسْكَنَةِ ، وَاسْتَنْزَلْنَا كَرَمَكَ الْجَمِّ ، وَفَضْلَكَ الَّذِي عَمَّ ، بِضِرَاعَةِ الطَّلَبِ ، وَبِضَاعَةِ الْأَمَلِ . ثُمَّ بِالتَّوَسُّلِ بِمُحَمَّدٍ سَيِّدِ الْبَشَرِ ، وَالشَّفِيعِ الْمَشْفَعِ فِي الْمَحْشَرِ ، الَّذِي خَتَمَتْ بِهِ النَّبِيِّينَ ، وَأَعْلَيْتَ دَرَجَتَهُ فِي عِلِّيِّينَ . وَوَصَفْتَهُ فِي كِتَابِكَ الْمُبِينِ ، فَقُلْتَ وَأَنْتَ أَصْدَقُ الْقَائِلِينَ : ﴿ إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ * ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ * مُطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ ﴾ ^(١) . اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ الْهَادِينَ ، وَأَصْحَابِهِ الَّذِينَ شَادُوا الدِّينَ ، وَاجْعَلْنَا لِهَدْيِهِ وَهَدْيِهِمْ مُتَّبِعِينَ ، وَانْفَعْنَا بِمَحَبَّتِهِ وَمَحَبَّتِهِمْ أَجْمَعِينَ ، إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ، وَبِالْإِجَابَةِ جَدِيرٌ .

* * *

الْمُنِيَّةُ : مَا يُتَمَنَّى . وَالْبُغْيَةُ : مَا يُطْلَبُ . أَنْلَيْنَا : أَعْطَيْنَا . تَضْحِنَا : تَكْشِفُنَا . ظِلُّكَ السَّابِغُ : سَتْرُكَ الْمَدِيدِ ، وَأَصْلُ الظِّلِّ السَّتْرُ ، وَالْمَوْضِعُ الَّذِي لَا تَبْلُغُهُ الشَّمْسُ ، وَفِي الْحَدِيثِ « ضَحَا ظِلُّهُ » ، أَيْ عَدَمُ فَانْكَشَفَ مَوْضِعُهُ لِلشَّمْسِ . مُضْغَةٌ : لُقْمَةٌ ، وَكُلُّ مَا يَمِضُغُ لُقْمَةً ، وَالْمَاضِغُ هُنَا : الْعَائِبُ الْآكِلُ أَمْرَاضَ النَّاسِ ، وَجَعَلَ الْعَرَضَ حِينَ يَعْيبُهُ مُضْغَةً لَهُ ، قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « لَمَّا عُرِجَ

بى سدتُ بأقوامٍ لهم أظفار من نحاس يخمشون وجوههم وصدورهم ، فقالت : مَنْ هؤلاء يا جبريل ؟ فقال : « هؤلاء الذين يأكلون لحوم الناس ويقعون فى أعراضهم » . المسألة : الحاجة والفقر . نخعنا : أقررنا ، ونجع له بحقه أقرب به ، ونجع نفسه : قتلها غيظا ، ومنه : ﴿ فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسَكَ ﴾ ^(١) فالتمعية بالبلاء غير المتعدية بنفسها . الاستكانة : الخضوع . والمسكنة : الفقر والذلة . استنزلنا : طلبنا أن تُنزل علينا ، والاستنزال السؤال بتلطّف . والجَمّ : الكثير . فضلك : إحسانك . عَمَّ : شَمَلَ . ضراعة : ذلة . البضاعة : المال يُتجر به . الأمل : الرجاء ؛ يقول إن تجارتنا التى نحصل بها منك إحسانك ، رجاؤنا توكلنا عليك . التوسّل : التقرب . البشر : الخلق ، وهو فى الأصل جمع بشرة ، وهى ظاهرة الجلد ، وسثوا بشرا ، لظهور أبقارهم خلافا لغيرهم من الحيوان . الشفيع : الطالب لغيره . والمشفّع : الذى أُعطيَ الشفاعة ، قال النبي صلى الله عليه وسلم : « خُيرت بين الشفاعة وبين أن يدخل شطر أمتى الجنة فاخترت الشفاعة لأنها أعم وأكفى ، أترونها للمؤمنين المُنقّين ! لا ولكنها للمذنبين المتلويّين الخطائين » ^(٢) .

الحشر : موضع اجتماع الناس يوم القيامة ، والحشر أيضا : الحشر وهو الأشبه باليوم . ختمت : جعلته خاتمهم ، أى آخرهم . درجته : منزلته . عليّين : أعلى الجنة وكأنه جمع عليّة . المبين : المبين . رسول كريم ، قيل : هو جبريل ، وقيل هو محمد صلى الله عليه وسلم . مكين : رفيع المنزلة . ثمّ : معناه هناك ، قال الزّجاجي : هى إشارة إلى ما كان متراميا من الأماكن ، والأشهر أن المراد به فى الآية جبريل ؛ ولذا رجع الحريرى آخرأ فالزال الآية من كتابه ، واستشهد بما اتفق مشاهير المفسرين على أن المراد به نبينا صلى الله عليه وسلم ، وهو قوله تعالى : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴾ ^(٣) ، وليس رجوعه عن القول

(١) الكهف ٦ .

(٢) نقله فى الجامع الصغير ١ : ١٨ .

(٣) سورة الأنبياء ١٠٢ .

اليعيب ، بل هو حسن ، إذ كان الرجوع عن الخطأ إلى الصواب واجباً ، إلا أن
 الثابت عند ابن جهور (إنه لقول رسول كريم) ؛ قال ابن عباس رضى الله
 عنهما : هو جبريل وهو الرسول لحمد بالقرآن . ذى قُوَّة ؛ لأنه قلع بأحد جناحيه
 أربع مدائن لقوم لوط ؛ وهى سدُوم ودامورا وصابورا وعمُورا ؛ فى كل
 مدينة مائة ألف إنسان سوى ما فيها من الدواب والأنعام . آله ، أى أهله وأصله
 «أأل» فأبدلت الهمزة ألفاً ، وأكثر ما تضاف إلى الظاهر ، وقد سُمِعَ إضافتها إلى
 المضمَر فى الشعر والكلام الفصيح ، خلافاً لأبى جعفر النحاس وأبى بكر
 الزُّبيدى ، فإنهما منعا من إضافتها إلى المضمَر ، وأكثرهم على أن هزتها مبدلة من
 هاء «أهل» وصوابه أنها أصل فى بابها ، من آل ينول إذا رجع لأنهم يرجعون إليه
 ويُرجع إليهم . الهادين : المرشدين إلى طريق الخير ، وقد هديته الطريق ، إذا
 أرشدته . شادوا : رفعوا وبنوا . هديه وهديهم : طريقته وطريقتهم ، وقال النبى
 صلى الله عليه وسلم «الله الله فى أصحابى ، لا تتخذوهم غرَضاً بعدى ، فمن أحبهم
 فبحبى أحبهم ، ومن أبغضهم فببغضى أبغضهم ، ومن آذاهم فقد آذانى ، ومن
 آذانى فقد آذى الله ، ومن آذى الله يوشك أن يأخذه » . جدير له تحقيق .

وَبَعْدُ ، فَإِنَّهُ قَدْ جَرَى بَيْنَهُمُ الْبَغْضُ الْأَدْبِ الَّذِي رَكَدَتْ فِي
 هَذَا الْمَضَرِّ رِيحُهُ ، وَخَبَتْ مَصَائِيحُهُ ، ذِكْرُ الْمَقَامَاتِ الَّتِي ابْتَدَعَهَا
 بَدِيعُ الزَّمَانِ ، وَعَلَامَةُ هَمْدَانِ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى . وَعَزَا إِلَى أَبِي الْفَتْحِ
 «إِسْكَندَرِى نَشَأَتْهَا ، وَإِلَى عَيْسَى بْنِ هِشَامٍ رَوَايَتُهَا ، وَكِلَاهُمَا مُجْهُولٌ
 لَا يُعْرَفُ ، وَنَكِيرَةٌ لَا تَعْرَفُ .

أندية : مجالس واحدها ندى ، والندى والنادى والمنتدى : مجلس القوم

فبالله ما يدرى

للحديث ، وقيل هو من الندى وهو الكرم ، لأنهم يُقصدون فيه فيعطون .
 وقيل : هو من النداء الذى هو الصوت لأنه ينادى فيه بعضهم بعضاً ليجتمعوا .
 وقيل : هو من الندى وهو العرق لأن الداخل فيه يحتشم فيعرق . والأدب : معرفة
 الأخبار والأشعار ، وفلان أديب ، إذا كان متفناً مشاركاً . ركدت : سكنت ،
 والمقامات : المجالس ، واحداً مقاماً ، والحديث يُجتمع له ويجلس لاستماعه يسمى مقامة
 ومجلساً ، لأن المستمعين للحدث ما بين قائم وجالس ، ولأن الحدث يقوم ببعضه
 تارةً ، ويجلس ببعضه أخرى ؛ قال الأعمى : المقامة المجلس يقوم فيه الخطيب يحض
 على فعل الخير .

[بديع الزمان الهمداني]

ذكر البديع أبو منصور الثعالبي في تذييله ، فقال : « بديع الزمان هو أبو الفضل
 أحمد بن الحسين الهمداني ، مفخر همدان ، ونادرة الفلك وبكر عطار ، وفريد
 الدهر ، وغرة العصر ؛ وهن لم يلف نظيره في ذكاء التريجة وسرعة الخاطر
 وشرف الطبع وصفاء الذهن وقوة النفس ، ولم يدرك قرينه في ظرف النثر ومآحه
 وغرر النظم ونكته ، ولم يروا أن أحداً بلغ مبلغه من لب الأدب وسرّه ، أوجاء
 بمثل إعجازه وسحره ، فإنه كان صاحب عجائب ، وبدائع وغرائب ، فمنها
 أنه كان يُنشد القصيدة لم يسمعها قط ، وهى أكثر من خمسين بيتاً ، فيحفظها
 كلها ، ويوردها إلى آخرها ، لا ينخرم حرف منها . وينظر في الأربع والخمس الأوراق
 من كتاب لم يعرفه ولم يره نظرة واحدة خفيفة ، ثم يعيدها عن ظهر قلبه هذا
 ويسردها سرداً . وكان يُقترح عليه عمل قصيدة أو إنشاء رسالة في معنى غريب
 وباب بديع ، فيفرغ منها في الوقت والساعة والجواب عما فيها ، وكان ربما يكتب
 الكتاب المقترح عليه فيبتدىء بآخر سطورهِ ، ثم هلمَّ جراً إلى الأول ، ويخرجه
 كأحسن شيء وأماحه ، ويوشح القصيدة الفريدة من قبله بالرسالة الشريفة من
 إنشائه ، فيقرأ من النظم النثر ، ومن النثر النظم ، ويعطى التوافى الكثيرة ، فيصل

بها الأبيات الرشيقة . ويُقترَح عليه كلَّ عروض من النظم والنثر فيرتجاه في أسرع من الطرف ، على ريق لا يباعه ، وَنَفْسٍ لَا يَقْطَعُهُ ؛ وكلامه كله عفو الساعة وفيض اليد ومسارقة القلم ومجازاة الخاطر . وكان مع هذا مقبول الصورة . خفيف الروح ، حسن العشرة ناصع الظَّرف ، عظيم الخلق ، شريف النفس ، كريم العهد ، خالص الود ، حلو الصداقة ، مرَّ العداوة . فارقَ همدان سنة ثمانين وثلاثمائة وهو مقتبلاً الشيبية ، غَضَّ الحداثة . وقد درس على أبي الحسين بن فارس ، وأخذ عنه جميع عنده واستنفذَ علمه^(١) . وورد حضرة صاحب أبي القاسم بن عباد ، فتزوَّد من ثمارها ، وحسن آثارها . وورد نيسابور في سنة اثنتين وثمانين وثلاثمائة^(٢) ، فنشر بها بَزَّه ، وأظهر طرزَه ، وأملَى أربعمئة مقامة نحها أبا الفتح الإسكندريَّ في السُّكْدِيَّة وغيرها ، وضمَّها ما تشتهي الأنفس ؛ من لفظٍ أنيق قريب المأخذ بعيد المرام ، وسجع رشيق المطالع والمقطع كسجع الحمام . وَجِدَّ يروق في ملك القلوب ، وهزل يشوق فيسحر العقول ...^(٣) ثم ألقى عصاه بهرَّاة ، فعاش فيها عيشة راضية وحين بلغ أشده ، وأرَبى على أربعين سنة ؛ ناداه الله فلباه ، وفارق دنياه في سنة ثلاث وتسعين وثلاثمائة ؛ فقامت نوادب الأدب ، واثلم حدَّ القلم ، وبكاه الفضائل مع الأفاضل ، وورثاه الأكارم مع المكارم ؛ على أنه مامات من لم يمت ذكره ، ولقد خلد مَنْ بَقِيَ على الأيام نظامه ونثره ؛ والله عزَّ وجل يتولاه بعفوه وغفرانه ، ويحييه بروحه وريحانه^(٤) .

(١) اليقظة : « واستنفذ علمه ، واستنزف بحره » .

(٢) في ط : « وولى » ، تحريف ، والعبارة في اليقظة : « ثم قدم جرجان ، وأقام بها مدة على مداخلة الإسماعيلية والتعميش في أكثافهم ، والاعتباس من أنوارهم ، واختص بالدهخذا أبي سعد محمد بن منصور أيده الله تعالى ، ونفقت بضاعه لديه ، وتفرَّحَ به من عادته المعروفة في إسداء المعروف ، والإفضال على الأفاضل . ولما استقرت عزيمته على قصد نيسابور أعانته على حركته ، وأزاح عنه في سفرته فوافها في سنة اثنتين وثمانين وثلاثمائة . . . » .

(٣) حذف المؤلف هنا من كلام التتالي ما يزيد عن صفحة .

(٤) يقيمة الدهر ٤ : ٢٤٠ - ٢٤٢ .

وذكر الحصري رحمه الله في كتاب الزهر أن الذي سبب البديع رحمه الله تأليف مقاماته، هو أنه رأى أبا بكر بن الحسين بن دريد قد أغرب بأربعين حديثاً، ذكر أنه استنبطها من يتابع صدره، وانتخبها من معادن فكره، على طبع العرب الجاهلية، بألفاظ بعيدة حوشية، فعارضه البديع بأربعمئة مقامة، لطيفة الأغراض والمقاصد، بديغة المصادر والموارد^(١). انتهى كلامه.

والذي جاء بها، فيه قلة الإمتاع للسامع من حديثها، وفيها مقامات لا تبلغ عشرة أسطر، فجاءت مقامات الحريري أحفل، وأجزل وأكمل؛ فلذلك فضلت البديعية. وقد صرح علماء الأدب في كتبهم بتفضيل البديع على نظرائه من أهل زمانه، ولقبه بالبديع يدل على قدره الرفيع، قال:

وَقَلَّمَا أَبْصَرْتُ عَيْنَاكَ مِنْ رَجُلٍ إِلَّا وَمَعْنَاهُ إِنْ فَتَّشْتُ فِي لَقَبِهِ

وسئل بعض علماء الأدب من أهل عصرنا عن الحريري والبديع، فقال: لم يبلغ الحريري أن يسمى «بديع يوم»؛ فكيف يقارن بديع زمان! وجرى ذكر مقاماته في مجلس بعض أسياننا، وكان حافظاً أديباً، فقال: مقامات البديع يحكى أنها ارتجال، وأن البديع كان يقول لأصحابه في آخر مجلسه: اقترحوا غرضاً نبني عليه مقامة، فيقترحون ما شاءوا، فيعمل عليهم المقامة ارتجالاً في الغرض الذي اقترحوه؛ وهذا أقوى دليل إن صح على فضل البديع. قوله علامة: أي كثير العلم، وهي بذية للمبالغة.

[ذكر همدان]

وهمدان، بفتح الهمزة وقطع الذال: بلد بخراسان. وقيل: همدان من كور الجبل. وبلد همدان واسع جليل القدر كثير الأقاليم والكور، افتتح سنة ثلاث وعشرين، ويشرب أهلها من عيون وأودية. وقال اليعقوبي: من أراد السير من الدينور إلى همدان سار متنزهاً إلى موضع، يقال له: أسد آباز مرحلتين -

هو من أسد آباد إلى مدينة همدان مرحلتان - وهي كثيرة البرد . وقال فيها ابن خالويه - وهو همداني ، واستوطن حلب عند بني حمدان :

إذا همدانُ اعترَّها البردُ وانقضى برغمك أيلولُ وأنت مقيمُ
فعميناك عَمَشَاوَانِ وَأَنْفُكَ سَائِلُ ووجهك مسودَّ البياض بهيمُ
بلادٌ - إذا ما الصيفُ أقبلَ - جنةٌ ولكنها عند الشتاء جحيمُ

ولبعضهم :

همْدَانٌ متلفَةٌ النفوسَ ببردِهَا والزَّمَّهْرِيرُ ، وَحَرُّهَا مَأْمُونُ^(١)
غَلَبَ الشتاءُ مصيفَهَا وخريفَهَا فكأنَّما تَمْوِزُهَا كَأَنُونُ

وكل الرواة يروونها « همدان » بفتح الهمزة ونقط الذال ، إلا ابن اللبابة فإنه رأى في شرحه : همدان بسكون الهمزة ودال غير معجمة ، وهي قبيلة يمانية ، قال فيها علي بن أبي طالب رضي الله عنه وكرم وجهه :

ولو كنت بواباً على باب جنةٍ لقلتَ لَهُمْدَانِ ادْخُلُوا بِسَلَامٍ^(٢)

والرواية الأولى أثبت . قوله : « عزا » أي نسب يقال : عزيتك عزياً ، وعزوتك عزواً : نسبته ، واعتزى إلى بني فلان : انتسب إليهم ، وأبو الفتح في البديعية بمنزلة أبي زيد في الحمرية ، وعيسى بمنزلة الحارث . نشأتها : صنعتها . روايتها : إسناد أحاديثها . والتكرة التي لا تتعرف ، هي في غير الأسماء .

فأشار مَنْ إشارَتُهُ حُكْمٌ ، وَطَاعَتُهُ غُصْمٌ ، إِلَى أَنْ أَنْشِئَ
مَقَامَاتٍ أَتْلُو فِيهَا تِلْوُ الْبَيْدِيعِ ، وَإِنْ لَمْ يُدْرِكِ الظَّالِعُ شَأْوَ
الضَّلِيلِ ، فَذَا كَرَّتُهُ بِمَا قِيلَ فِيمَنْ أَلْفَ بَيْنَ كَلِمَتَيْنِ ، وَنَظَمَ

(١) معجم البلدان ٨ : ٤٧٦ ، ونسبها إلى كاتب بكر .

(٢) من مقطوعة له ، أوردها ابن رشيق في المدة ١ : ٣٤

بَيْنَا أَوْ بَيْنَيْنِ ، وَاسْتَقْلْتُ مِنْ هَذَا الْمَقَامِ الَّذِي فِيهِ يَحَارُ الْفَهْمُ ،
وَيَفْرُطُ الْوَهْمُ ، وَيُسَبِّرُ غَوْرُ الْعَقْلِ ، وَتَبِينُ قِيَمَةُ الْمَرْءِ فِي الْفَضْلِ ،
وَيُضْطَرُّ صَاحِبُهُ إِلَى أَنْ يَكُونَ كَعَاطِبٍ لَيْلٍ ، أَوْ جَابِبِ رَجُلٍ
وَخَيْلٍ ، وَقَلَمًا سَلِمَ مِكْثَارُ ، أَوْ أَقِيلَ لَهُ عِثَارُ .

[السبب في إنشاء الحريري للمقامات]

غُثْمٌ : غنيمَةٌ . وحكى الفنجديهي في شرحه للمقامات : أن الذي أشار عليه بها
هو شرف الدين أنوشروان بن خالد وزير الخليفة ، أمره بإنشاء المقامات وحكم عليه
بها . وقيل : أمره بها صاحب البصرة ووالدها . وقال : سمعت الشيخ الثقة أبا بكر
عبد الله بن محمد بن أحمد بن النُّقُور البزَّار ببغداد يقول : سمعت الشيخ الرئيس
أبا محمد الحريري يقول : أبو زيد السَّروجي كان شَجَاذًا بليغًا ، ومكديًا
فصيحًا ، ورد علينا البصرة ، فوقف يومًا في مسجد بني حَرَام يتسكَّم ، ويسأل
شيئًا ، وكان بعضُ الولاة حاضراً ، والمسجد غاصُّ بالفضلاء ، فأعجبهم بفصاحته ،
وحسن صناعته وملاحظته ، وذكر أسر الروم ابنته ، كما ذكرنا في المقامة الحرامية
وهي الثامنة والأربعون ، قال : فاجتمع عندي عشية ذلك اليوم جماعة من معارف
فضلاء البصرة وعلمائها ، فحكيتُ لهم ما شاهدتُ من ذلك السائل ، وسمعت من
لطافة عبارته في تحصيل مُرَادِهِ ، وطرافة إشارته في تسهيل إيرادِهِ ؛ فحكى كلُّ
واحد من جاسائي أنه شاهد من هذا السائل في مسجده مثل ما شاهدت ، وأنه
سمع منه في معنى آخر فصلاً أحسن مما سمعت . وكان يغير في كل مسجد زِيَّةً
وشكله ، ويظهر في فنون احتياله ، فعجبوا من جريانه في ميدانه ، وافتنانه في
إحسانه ؛ قال الحريري : فابتدأت في إنشاء المقامة الحرامية تلك الليلة ، حاذياً حَدْوَهُ ،
فلما فرغتُ منها أقرأتها جماعة من الأعيان ، فاستحسنوها غاية الاستحسان ،

وأنهوا ذلك إلى وزير السلطان ، واقترحوا على أخواتها ، والله المستعان .
وهذا الذى ذكر الفنجديهي قد حدثني بنحوه من يوثق به من الطلبة ،
بسندٍ يتصل بأبي محمد الحريري ، وأن الحريري وند مع أهل البصرة بغداد ،
فوجدوا بواسط أبا زيد السروجي^(١) ، فقال : يا أهل البصرة ، أنتم تزعمون أنكم
لا تُكادون ولا تُخدعون ، وقد والله مشيت على مساجدكم ومحاضركم ، فما تعذر
على فيها موضع لم أجب منافع أهله بضروب من السكر . فلما بلغوا بغداد
أخبروا بالقصة وزير السلطان ، فأمر الحريري بجمع المقامات ،
لكن الذى ثبت عندنا ، هو ما حدثني به الشيخ الفقيه أبو بكر بن أزهري
أن الفقيه الراوية أبا القاسم بن جهور ، حدثه أن الحريري حدثه أن قصة المقامه
الثامنة والأربعين حق ، وأن رجلا قام بمسجد بنى حرام ، فأظهر التوبة من
ذنبه ، وسأل عن الوجه في كفارته ، فقام رجل من بين الناس ، فذكر أسر
انته ، فنظم الحريري القصه وجعلها مقامة ، وأنها أول مقامة أثبتت في الكتاب ،
وكان ابن جهور يقول : إن الذى أشار إليه بها في قوله : « فأشار من إشارته
حكم » هو المستظهر بالله العباسي ، وكان لهذا المستظهر رغبة في الطلب ، وحظ
من الأدب ، وعناية بأهل العلم .

وحدث ابن جهور أنه دخل بغداد في أيامه وبها ألف رجل وخمسمائة رجل
حامل علم ، وكلهم قد أثبت أسماءهم السلطان في الديوان ، وأجرى على كل واحد
من المال بقدر حفظه من العلم . وكان ابن جهور يحدث أن الحريري ألف
المقامات كلها على الركب ، وذلك أن المستظهر بالله لما أمره بصنعها ، أخرج
كالحفاظ على العمال ، فكان يخرج في الأبردين يتمشي في ضفتي دجلة والفرات ،
ويصل خاطره بنظر الخضرة والمياه ، فلم ينقض فصل العمل إلا وقد اجتمع له

(١) السروجي ، بفتح السين : منسوب إلى سروج : بلدة قريبة من حران واسم أبي
زيد السروجي المطهر بن سلال القنوي ، وأحد من اشتغل بالبحوث البصرة ، ذكره القنطري
في إنباه الرواة ٣ : ٢٧٦ .

مائتا مقامة ، فخلص منها خمسين وأتلف البواقى ، وصدر الكتاب ، ورفعهُ إلى السلطان ، فبلغ عنده أسنى المراتب .

قوله : « فذا كرتَه بما قيل فيمن ألف بين كلمتين ونظم بيتاً أو بيتين » ، قال أبو عمرو بن العلاء : الإنسان فى فسحة مِنْ عقله ، وفى سلامة من أفواه الناس ، مالم يضع كتاباً أو يقلُّ شعراً .

وقال العتاتى : مَنْ صنع كتاباً فقد استشرف للمدح والذم ، فإن أحسن فقد استهدف للحسد والغيبة ، وإن أساء فقد تعرّض للشتم بكل لسان .

غيره : من صَنَفَ فقد جعل عقله على طبق يعرضه على الناس . وقال حسان :
وإنما الشُّعْرُ عقلُ المرءِ يَعْرِضُهُ على البريةِ إن كَيْسًا وإنْ حُمْقًا^(١)
وإنَّ أحسنَ بيتٍ أنتَ قائِلُهُ بيتٌ يقالُ إذا أنشدته صدَقًا

واستقلت : طالبت الإقالة . المقام : موضع القدمين وأنت قائم . يحار : تحير : يَفْرُطُ : يسبق . الوهم : الفلط . يُسَبِّرُ غور العتل ، يختبر قدره ومنتهاه ، وأصله فى الجراحات يُخْتَبَرُ غَوْرها ، أى بعد قعرها . والمسبار : الحديدة التى يقاس بها مقدار غور الجراحة ، وسبَرها : قاسها به ، يفعل ذلك الطيب للقصاص أو للدواء ، ويقال لحديدته : السِّبَارُ والمِسْبَارُ والمِسْبَرُ والمكحل والميل والمِرود والجراف . تبين : تتبين . يضطر : يُلْجَأ . حاطب ليل : جامع الخطب بالظلام ، وهذا مثل لأكرم بن صيفى حكيم العرب ، ذكره أبو عبيد فى الأمثال^(٢) ، وقال : إنما شبهه بحاطب الليل لأنه ربما نهشته الحية أو لسعته القرب فى احتطابه ليلاً ، فكذلك المهذار ربما أصابه فى إكثاره بعض ما يكره ، قال الفرزدق :

كمحتطبٍ ليلاً أساودَ هضبةً أتاه بها فى ظلمة الليل حاطِبُهُ^(٣)

وأبين من تفسيره أن حاطب الليل لا يبصر ما تحتطب ، فهو يؤلف بين الخطب الكبير والصغير ، القوى والضعيف ، والجيد والردى ، فكذلك المكثار

(١) ديوانه ٢٩٢ . (٢) فصل المقال ٢٥ ، ولفظ التل فيه : « المكثار كحاطب الليل » .

(٣) ديوانه ٥١

يأتى بالضعيف من الكلام والتقوى والجيد والردى، فشبهه لذلك بالحاطب، وأراد: بـ «جالب رجل وخيل» ما أراد بحاطب الليل، لأن الرجل ضعيف والفارس قوى. والمكثار: الكثير الكلام، قال النبي صلى الله عليه وسلم: «مَنْ كَثُرَ كَلَامُهُ كَثُرَ سَقَطُهُ، وَمَنْ كَثُرَتْ ذُنُوبُهُ، وَمَنْ كَثُرَتْ ذُنُوبُهُ، كَانَتْ النَّارُ أَوْلَى بِهِ، أَلَا وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيَقُلْ خَيْرًا أَوْ لَيْسَكَ»^(١). أقيل: أقيم ورفع. عثار: انكباب وسقوط، وإقالة العاثر أن ترفعه من سَقَطَتِهِ، ومنه الإقالة في البيع ونحوه.

فَلَمَّا لَمْ يُسْعِفْ بِالْإِقَالَةِ، وَلَا أَعْفَى مِنَ الْمَقَالَةِ، لَبَّيْتُ دَعْوَتَهُ تَلْبِيَةَ الْمُطِيعِ، وَبَذَلْتُ فِي مُطَاوَعَتِهِ جُهْدَ الْمُسْتَطِيعِ، وَأَنْشَأْتُ - عَلَى مَا أَعَانِيهِ مِنْ قَرِيحَةٍ جَامِدَةٍ، وَفُطْنَةٍ خَامِدَةٍ، وَرَوِيَّةٍ نَاصِبَةٍ، وَهُمُومٍ نَاصِبَةٍ - خَمْسِينَ مَقَامَةً، تَحْتَوِي عَلَى جِدِّ الْقَوْلِ وَهَزْلِهِ، وَرَقِيقِ اللَّفْظِ وَجَزْلِهِ، وَغَرَرِ الْبَيَانِ وَدُرَرِهِ، وَمُلْحِ الْآدَبِ وَنَوَادِرِهِ، إِلَى مَا وَشَّحَتْهَا بِهِ مِنَ الْآيَاتِ، وَمَحَاسِنِ الْكِنَايَاتِ، وَرَصَعَتُهُ فِيهَا مِنَ الْأَمْثَالِ الْعَرَبِيَّةِ، وَاللَّطَائِفِ الْأَدَبِيَّةِ، وَالْأَحَاجِي النَّحْوِيَّةِ، وَالْفَتَاوَى اللَّغَوِيَّةِ، وَالرَّسَائِلِ الْمُبْتَكِرَةِ، وَالْخُطَبِ الْمُحَبَّرَةِ، وَالْمَوَاعِظِ الْمُبْكِيَّةِ، وَالْأَصَاحِيكِ الْمُملِيَّةِ، بِمَا أُمْنِيتُ جَمِيعَهُ عَلَى لِسَانِ أَبِي زَيْدٍ السَّرُوجِيِّ، وَأُسْنَدْتُ رِوَايَتَهُ إِلَى الْحَارِثِ بْنِ هَمَّامٍ الْبَصْرِيِّ.

يُسْعِفُ: يُوَاقِي وَيُنِيلُ الرِّغْبَةَ، وَأَسْعَفَتِ الرَّجُلَ بِمَطْلَبِهِ: سَاعَدَتْهُ عَلَيْهِ.

والإسفاف المصدر ، وساعفته مساعفة : قضيت إرادته . ولا أعفى من النقالة ، أى لم يُعفى من كلامه وإلحاحه ، وأعفيت : الرجل وعافيته : أزلت عنه ما يشق عليه ، وأصله التَّرك ، ومنه إعفاء اللحية . وهو أن يتركها على حالها ، ومنه : عفا الله عنك . لبنت : أجبت وقلت : لبيك . أنشأت : ابتدأت وأخذت أفعّل . أعانيه : أعالجه ، وأصلها من القناء وهو النعب . قريحة : ذهن ، وأصلها ماء البئر النابع عند حفرها ، ومنه القُرحة للجراحة ، لأن أصلها مادة وشبهه الذهن بذلك لما يتولد عنه من المعاني . فطنة : ذكاء ، والفطن : الذكي . خادمة : ساكنة ، وخدت النار : سكن لها بها . روية تدبر ، وروأت الأمر ، تدبرت كيف تصنعه ، وأصل الروية الهمز واستعملت بغير همز . ناضبة : جافة ، ونضب الماء : غار في الأرض . ناضبة : متعبة ، وهم ناصب على معنى النسب ، أى ذو نصب ، ولو جاء على انقياس ل قيل : منصّب ، لأن فعله أنصبه الهمم ، وقال بشر :

تَعَنَّكَ هُمٌّ مِنْ أُمِيمَةٍ مُنْصِبُ وجاء من الأخبار ما لا يكذب^(١)
وَنَصَبٌ نَصَبًا : أعيا من التعب . جزلة : غليظة ومتينة . غُرر : جمع غُرّة وهي خيار الشيء ومنه غُرّة الفرس وهو البياض في جبهته فجعلها للبيان مجازاً . دُرّره : جمع دُرّة ، وهي الجوهرة العظيمة ، والكلام الحسن يشبه بالدرر والجواهر . مُلح : جمع مُلحة ، وهي مليح الكلام . نوادره : غرائب . وشحّتها : زينتها . الكنايات : ضرب من الألفاظ ، وأصل الكناية أن تذكر الشيء بغير لفظه ، إما لإبهام على جليسك أو لتعظيم أو لتحقير ، فالإبهام أن تذكر لفظاً يُفهم من ظاهره غير مرادك ، مثل قوله تعالى حاكياً عن هود عليه السلام ، حين قال له قومه : ﴿ إِنَّا لَنَرَاكَ فِي سَفَاهَةٍ ... ﴾ قال ياقوم لَيْسَ بِي سَفَاهَةٌ^(٢) ، فليس في اللفظ زيادة على في

(١) مطلع قصيدة في ديوانه ٧ - ١٢ ، ورواية الشطر الثاني فيه :

* كَذِي الشُّوقِ لَمَّا يَسْأَلُهُ وَسَيَذْهَبُ *

(٢) سورة الأعراف ٦٦ ، ٦٧ .

السفاهة ، وقد تضمن الكلام التكذيب لهم والتعظيم ، مثل كناية الرجل بأبي فلان ، ترك اسمه وعدل إلى كنيته تعظيماً له . والتحقير : أن يكون الشيء خسيئاً فتأنف من ذكره فتذكره بغير اسمه ، مثل قوله تعالى : ﴿ كَانَا يَا كِلَانِ الطَّعَامِ ﴾ ^(١) فكنى عن الحدث بالأكل لما كان يتولد عنه . رصعته : نظمته ، وألصقت بعضه ببعض ، وتاج مرصع : مزين بخرز وجوهر يُنظم فيه . اللطائف : الرقائق والكلمة اللطيفة ، أى الرقيقة المعنى التى تحلّ فى القلب فتلطّفه . الأحاجى : ضرب من الأغايز واحدها أحجية ، وهى قولك لصاحبك : أخرج مافى يدي ولك كذا ، تقول العرب : أحاجيك مافى يدي ؟ وحُجَيَّاك مافى يدي ؟ وهى من الحِجَى ، وهو العقل .

الفتاوى اللغوية ، أَراد بها المسائل المائة التى فى الثانية والثلاثين ، والفتيا : إظهار الشيء المستول عنه عند السؤال . المبتكرة : التى لم يُسبق إليها ، وبكر وابتكر خرج بُكْرَة ، ومنه الباكور وهو المبكر من كل شيء فى الإدراك ، وبكر كل شيء : أوّلُه . الحَبْرَة : المزينة ، وحَبَرَتِ الشيءَ تَحْيِيراً زِينَةً ، وأصلها من الخبر ، وهى ثياب تصنع باليمن فيها رقوم وتزيين . أُمليت : أُلقيت ، وأُمليت على الصَّبَى : أُلقيت عليه ما يُكتب . أسندت : رفعت .

* * *

وَمَا قَصَدْتُ بِالْإِتْمَاضِ فِيهِ ، إِلَّا تَنْشِيطَ قَارِئِهِ ، وَتَكْثِيرَ سَوَادِ طَالِبِيهِ . وَلَمْ أُودِعْهُ مِنَ الْأَشْعَارِ الْأَجْنَبِيَّةِ إِلَّا يَتَيْنِ فَذَيْنِ ، أَسَسْتُ عَلَيْهِمَ بَنِيَّةَ الْمَقَامَةِ الْخُلُوعِيَّةِ وَآخَرِينَ تَوَآمِينَ ضَمَّتْهُمَا الْمَقَامَةُ الْكَرْجِيَّةُ ^(٢) ، وَمَا عَدَا ذَلِكَ فَخَاطِرِي أَبُو عَذْرِهِ ، وَمُقْتَضِبِ خُلُوعِهِ وَمُرِّهِ .

(١) سورة المائدة ٧٥ .

(٢) ١ ، ط : «خواتم المقامة الكرجية» ، وما أتبعه من ج .

هَذَا مَعَ اعْتِرَافِي بِأَنَّ الْبَدِيعَ رَحِمَهُ اللَّهُ مَبَاقُ غَايَاتٍ ، وَصَاحِبُ
آيَاتٍ ، وَأَنَّ الْمُتَصَدِّقَ بَعْدَهُ لِإِنْشَاءِ مَقَامَةٍ ؛ وَلَوْ أُوتِيَ بِإِلَاقَةٍ
قُدَامَةٍ ، لَا يَمْتَرِفُ إِلَّا مِنْ فُضَالَتِهِ ، وَلَا يَسْرِي ذَلِكَ الْمَسْرَى
إِلَّا بَدَلَالَتِهِ .

الإحماض : الانتقال من شيء إلى شيء ، وأصله في الإبل ترعى الخُلَّةَ ، وهي
حُلُو المرعى فتملأه فتنقل إلى الحِمَضِ تَأْكُلُ مِنْهُ فَيُذْهِبُ الْحِمَضُ عَنْ قَلْبِهَا اسْتِيلَاءً ؛
الخلوة ، فتنشط بذلك على الرعى فيقال : أحضض الرجل إحماضاً ، والعرب تقول :
الخُلَّةُ خَبَزَ الْإِبِلَ ، والحمض فأكتهها ، فأراد به تنقله في المقامات ، من حكاية فائقة ،
إلى قضية رائقة ، ومن موعظة تُبْكِي إلى ماهية تُسَلِّي ، وفي ذلك تَلْشِيطٌ وترغيبٌ .
في قراءتها ، وَنَفْيٌ لِلْمَلَلِ وَالْكُسَلِ عَنْ قَارِئِهَا . سواد : أشخاص ، ويسمى الشخص
سواداً ، لأنه يسود الأرض بظله . أودعه : أضمنه . الأجنبيَّة : التي ليست من شعره ،
والأجنبي : من ليس بينك وبينه قرابة ، من الجنابة وهي البعد . فذَيْن : منفردين .
هذا من شعر وهذا من آخر . توأمين : أخوين من شِعْرِ واحد . أسست :
أصلت ؛ والأساس أصل الحائط . الخلوانية والكَرَجِيَّة : منسوبتان إلى خلوان
والكَرَج ، وهما بلدان . ماعدا : ماجاوز . خاطري : ذهني . أبو عُذْرَه ، أى
أول صانع له ، يقال للمرأة : فلان أبو عُذْرَها ، أى أول زوج تزوجها فوجد لها عذراء .
فافتضها وأزال عُذْرَها ، أى ما بها من صعوبة . مقتضب . مقتطع . حُلُوهُ ومُرَّه :
جيدٌ وورديته .

غَايَاتٍ : جمع غاية وهي طَلَقُ^(١) الخليل ، والسَّابِقُ منها الذى يحىء أبداً سابقاً .

(١) الطلق : الشوط الواحد في جرى الخيل .

التصدّي : المتعرّض . بلاغة : فصاحة ، وأصلها أن يبلغ الإنسان من الكلام والحجة ما أراد .

[ذكر قدامة بن جعفر]

قُدّامة ، هو أبو الوليد^(١) بن جعفر ، كان بليغاً مجيداً عالماً بأسرار صنعة الكتابة ولوازمها ، وله كتاب يعرف بسرّ البلاغة في الكتابة ، وترجمته تدلّ على متضمّنه ، وله تحقيق في صنع البديع يميّز به عن نظرائه ، وتدقيق في كلام العرب يُرَبِّي فيه على أ كفائه ، وتحذيق في علوم التعليم أضرم فيها شعلة ذكائه ؛ فلذلك سار المثل ببلاغته ، واتفق المتقدم والمتأخر على فضل براعته . الفضالة : البقية من الماء وغيره ، وهي ما فضل عن الحاجة . واغترفها : أخذها بيده . يَسْرِى ذلك السرى : يقصد ذلك المقصد ، وأصل يسرى ، يسير بالليل . دلالته : تقدّمه وهدايته ، وتفتح دالها وتكسر ، والفتح أكثر . والدليل بالفلاة : الذي يهدى القوم قصدهم .

وَلِلَّهِ دَرُّ الْقَائِلِ :

فَلَوْ قَبْلَ مَبْكَاهَا بَكَيْتُ صَبَابَةً

بِسُعْدَى شَقِيتُ النَّفْسَ قَبْلَ التَّتَدُّمِ

وَلَاكِنْ بَكَتْ قَبْلِي فَهَيَّجَ لِي الْبُسْكَ

مُبْكَاهَا ، فَقُلْتُ : الْفَضْلُ لِلْمُتَقَدِّمِ

(١) كنيته في معجم الأدباء ١٨ : ١٢ : « أبو الفرج » ، واسمه قدامة بن جعفر بن قدامة الكاتب . قال : « كان أحد البلغاء الفصحاء والفلاسفة الفضلاء ؛ ومن يشار إليه في علم المنطق » - (٣ - شرح مقامات الحريري)

مبكاها : بكاءها . صَبَابَة : شوقاً هَيَّج : حَرَكَ ، والبيتان لعدى بن الرقاع ، وقبلهما :

وتما شجاني أنتى كنت نائماً أعلل من فرط الكرى بالتنشيم^(١)
إلى أن دعت ورقاء في غصن أيكَةٍ تُردّد مبكاها بحسن الترنيم
فلو قبل مبكاها . . .

[عدى بن الرقاع]

وعدى هو أبو زيد بن مالك ، ينتمى إلى معاوية بن الحارث ، وينسب إلى الرقاع وهو جدُّ جدّه . وكان شاعراً مقدّماً عند بني أمية ، مداحاً لهم ، خاصّاً بالوليد بن عبد الملك ، ومنزله بدمشق ، وهو من حاضرة الشعراء لا من باديتهم ، وكان من أوصاف الناس للمطّية ، وكذا ذكره صاحب الأغاني^(٢) في ترجمته . وقال نوح بن جرير لأبيه : مَنْ أنسب الناس^(٣) ؟ قال : ابن الرقاع في قوله :
لولا الحيل وأنّ رأسى قد عَسَا فيه المشيبُ لزرتُ أمّ القاسم^(٤)
وكانها بين النساء أعارها عينيه أحورُ من جاذر جاسم
وسنّانُ أقصده التّعاس فرنّقتُ في عينه سِنَّةٌ وليسَ بنائم

أقرّ الحريريّ هنا للبديع بالفضل ، وجعله سبّاقاً للغايات ، وما أحسن هذا الأدب منه ، مع علمه بفضل مقاماته على مقامات البديع ، ومن أدلّ دليل على ذلك أنه منذ ظهرت مقامات الحريريّ لم تُستعمل مقامات البديع ، ثم إنه طبق استعمالها آفاق الأرض ، إلا أنه أسرّ هنا شيئاً ، لأنه ختم كلامه ، بأن البديع فضله بالتقدّم ؛ وهذا منه مذهب مستحسن ، ألا تراه كيف بدأ بتجريد الفضل للبديع وحده ،

(١) الكامل للمبرد ٣ : ١٢٥ ؛ قال أبو الحسن الأخفش : الصحيح أن الشعر لنصيب .

(٢) الأغاني ٩ : ٣١٠ « الشعراء »

(٣) الأغاني ٩ : ٣١٣ ، وعسى ، أى اشتد وانتشر .

ثم لم ير لنفسه قدراً في قوله : « وإن لم يدرك الظّالِعُ شأوَ الضّليع » ؛ فجعل نفسه كالفرس الأعرج الذى جريُهُ إذا اجتهد دون مشى الصحيح ، وجعل البديع كالفرس العتيق الكامل القوّة . ثمّ لمّا بلغ إلى هذا الموضع بعد أسطار صرّح فى الظاهر للسامع بأنّ البديع سبّاق غايات ، وصاحب آيات ، وأومى لمن فطن ، أنه إنّما فضله بتقدّم الزمان . ثمّ خلط الكلام فى الخفاء بين المتقدّمين والمتأخرين ، ثمّ تناسى ذلك إلى آخر الكتاب فى السابعة والأربعين ، وصرّح هناك بتفضيل المتأخر على المتقدّم وتفضيله نفسه على البديع ، حيث يقول :

إِنْ يَكُنِ الإسْكَندَرِيُّ قَبْلِي فَالطَّلَّ قَدْ يَبْدُو أَمَامَ الْوَبْلِ
* وَالْفَضْلُ لِلْوَابِلِ لَا لِلطَّلَّ *^(١)

ولو كان غيره من العلماء المنسوبين إلى سوء الأدب، ورأى فضل مقاماته ، لذمّ البديع ونقص كتابه فكان ينعكس الذمّ عليه ؛ وكذا رأينا فى الغالب من ادّعى لنفسه فضلاً ، وازدرى غيره ، أنه قلماً يكون إلا ممقوتاً ، فلما أظهر الحريرى مدح البديع ، ووفاه قسطه من التفضيل والترفع ، ولم ينظر إلى نفسه إلا بطرف خفى قلّ من يتفطن له ، ستر الله عليه ورفع صيته ، ووضع لكتابه القبول عند الخاصة والعامة . فشرّق حتى لم يجد ذكر مشرقٍ وغرب حتى لم يجد ذكر مغربٍ^(٢) فلا يذمّ كتابه إلا أحد الرجلين فدين ذكرهما ؛ إمّا جاهل ، أو حاسد .

[القديم والحديث فى الأدب]

ومذهب الناس فى تفضيل الحديث على القديم ؛ وأكثرهم على تفضيل القديم ، وقد أحسن حبيب حيث يقول :

نَقْلُ فَوَادِكَ حَيْثُ شَتَّتَ مِنَ الْهَوَى مَا الْحَبِّ إِلَّا لِلْحَبِيبِ الْأَوَّلِ^(٣)

(١) ط : د مغرب ... مشرق ، والوجه ما أثبتته من ا ، ب .

(٢) ديوانه ٤٥٧ .

كم منزلٍ في الأرض يأنفه التي وحينئذٍ أبداً لأول منزلٍ
وقال :

لَا زِلَّةَ مِنْ شَكْرِي فِي حُلَّةٍ لَا بُسْمَا ذُو سَلْبٍ فَآخِرٍ^(١)
يقول من تفرع أسماعه : ما ترك الأول للآخر
وذكر ابن شرف علة ذلك فقال :

أولع الناس بامتداح القديم وبذم الحديث غير الدميم-
ليس إلا لأنهم حسدوا الحي ومالوا إلى العظام الرميم-^(٢)
وللتأخرين شعر كثير في تفضيلهم أنفسهم على المتقدمين ؛ من أحسنه
قول العري :

وإني وإن كنتُ الأخيرَ زمانهُ لآتيَ بآلمٍ تُستطعمه الأوائلُ^(٣)
وقال ابن عمار :

أنا ابنُ عمارٍ لا أخفي على أحدٍ إلا على جاهلٍ بالشمس والقمر
إن كان آخرني دهرى فلا عجبٌ فوائداً للكتبِ يُستلحقن في الطُرُرِ
والذي ذكر أبو العباس في الكامل هو الحق ، قال : وليس لقدم العهد
يفضل القائل ، ولا لحدائثة العهد يهضم المصيب ، ولكن يعطى كلُّ ما يستحقُّ^(٤)

[القول في الحمام]

وأما بيت عدى في الحمام ، فالحمام قد كثر ذكر العرب لها في أشعارها ، ونلم
هنا بفصل منها ؛ يروى عن علي رضي الله عنه أنه اشتكى إلى رسول الله صلى الله
عليه وسلم الوحشة فقال له : « اتخذ حمامةً تؤنسك وتصيب من فراخها ، وتوقظك
للصلاة بتغريدها » .

(١) ديوانه ١٤٣ .

(٢) ألف باء ١ : ٥٩ ، ٦٠ .

(٣) سقط الزند ٥٢٥ .

(٤) الكامل ١ : ٢٩ .

ابن عباس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « اتخذوا الحمام قناها قلهى الجن عن صبيانكم »^(١) .

وروى جابر رضى الله عنه أنه صلى الله عليه وسلم كان يعجبه النظر إلى الحمام الأحمر وإلى الأترج .

وكان إبراهيم بن سيار يعجب بالحمام ، وكان إذا ذكرها يقول : إن الله جمع فيها حسن النظر ، وكريم الخبر ؛ تكفيك مؤنتها ، وتكثرليك معونتها ؛ فهي للطارق عُدَّة ، وللمستوطن لذة ، تطعم في الصحراء ، وتمود عليك بالسَّراء ، ويأنس الوحيد بحركاتها ، وتغنيه عن الأوتار بنغماتها ؛ وغيرها من الطير يستعجم وهي ناطقة ، وينفر عنك وهي داجنة ، وفي طباعها سكون إلى الناس واستئناس بهم ، وهي طير عفيف ، يبقى الذَّكر بعد الأنثى مفرداً ، والأنثى مثل ذلك ، مع شدة اتفاقهما على المحبة ، إن طارا طارا معاً ، وإن وقعا وقعا معاً ، لها سرعة طيران ، لا تكاد تصيدها سباع الطير إلا بحيلة .

ولم تزل العرب تستحسن تسجيع الحمام وتفريد البلبل والورشان ، وقد ذكرت العرب من رقة تسجيعة ما يبعث التذَّكر ، ويولد الشجون ، ويهيج الأسى ، ويجدد رقة القلب ؛ حتى يجعل البكاء فرضاً معها ، والتصابي لازماً لأجلها ، وأعراب وادى القرى إذا ظفروا بشراب الطائف ، أتوا حوائط النخل عند استعلاء الظهيرة ، إذا صارت الوراشين والفواخت إلى تلك الظلال ، فيشربون ويأنسون بتفريدهن ، وقيمون ترجيع أصواتهن مقام المزامير والأوتار . وأنا أسوق من المنظوم ما يوافق هذا النثر ، كقول أبي صخر الهذلي :

ولم تادعتْ غُورِيَّةُ الأيِّكْ سَجَّعَتْ فسَجَّعَ دَمْعِي يَسْتَهْلُ وَيَسْتَشْرِى^(٢)

(١) الجامع الصغير ١ : ٩ ، ولفظه : « اتخذوا هذه الحمام المقاصيص » .

(٢) زيادات شرح أشعار الهذليين ١٣٣١ ، عن الشريشو .

يذكرني شجوى دعاه حمامة وبيعت لوعات الصبابة في صدرى
بكت حزناً رزء الهديل وشفني فراق حبيب ضاق عن فقد صبرى
وأنشد الأصمعي فقال :

أيها الببل المغرد في النَّخْل غريباً عن أهله حيراناً
أفراقاً تشكوه أم ظلت تدعو فوق أفنان نخلة ورشانا !
هاج لي صوتك المغرد شجواً رب صوت يهيج الأحزاناً
وقال آخر :

أحنّ إلى حوائط ذات عرق لتغريد الفواخيت والحمام^(١)
ألم بها بكل فتى كريم من الفتيان مخلوع الزمام
وقال آخر :

إذا غنت على الأغصان ورق أجبنأها بإعمال المدام
وقال آخر :

سيفنيك عن مزمار آل محرق ومربعهم تغريد تلك الحمام
بأىكة أطيّار تجاوبن بالضجى على باسقات مائلات نواعم
وأنشد أبو علي عفا الله تعالى عنه :

ومن بستان إبراهيم غنت حمامٌ بينها فتى رطيب^(٢)
فقلت لها وقيت سهام رام ورقط الريش مطعماً الجبوب
كما هيّجت ذا حزن معني على أشجانهِ فبكى الغريب
وقال نصيب :

لقد هفت في جُنح ليل حمامة تبكي على إلفٍ وإني لنائم^(٣)

(١) ذات عرق : مهل أهل العراق . وهو الحد بين نجد وتهامة - ياقوت .

(٢) البيت الأول في معجم البلدان ٢ : ١٧٠ ، وقال : « وأنشد الأبيوردي لبعضهم »
وبستان إبراهيم في بلاد أسد .

(٣) من أبيات أربعة في ديوان المجنون . وكذا نسبها صاحب نثار الأزهار ٧٥ .

كذبتُ وبيت الله لو كنتُ عاشقاً كما سبقتني بالبكاء الحاممُ
 وأنشد أبو العباس لمجد بن ثور :
 وما هاجَ هذا الشوقَ إلاَّ حمامةٌ دعت ساق حراً ترحه وترنماً^(١)
 مُجَلَّاةٌ طوقٍ لم يكن من تميمه ولا ضربَ صَوَاحٍ بكفيه درهما
 تَفَنَّتْ على غصنٍ عِشاءٍ فلم تَدَعْ لناحيةً في نوحها متلوماً
 إذا حَرَكَته الريح أو مال ميلةً تَفَنَّتْ عليه مائلاً ومُقوماً
 عجبت لها أنى يكون غناؤها فصيحاً ولم تَفَرَّ بمنطقها قماً
 فلم أرَ مثلي شاقه صوتُ مثيلها ولا عَرَبياً شاقه صوتُ أعجما
 وقال حبيب :

لتضمضت عبراتُ عينك أن دَعَتْ ورقاه حين تضعض الإظلام^(٢)
 لا تشجَّينَ لها فإن بكاءها ضحك وإن بكاءك استغرامُ
 هنَّ الحمام ، فإن كسرت عِيافةً من حائهن فإيهنَّ حمامُ
 وسمع حبيب بخراسان غناءً بالفارسية ، فلم يدر ما هو ، غير أنه شوقه فقال :
 حِدَّتْكَ ليلةٌ شَرُفَتْ وطالتُ أقام سهادها ومضى كراها^(٣)
 سمعتُ بها غناءً كان أولى بأن يقتاد نَفْسِي مِنْ عَنَّاها
 ومسممةٌ يحارُّ السمعُ فيها ولم تصممه لا يصممُ صداها

(١) السكامل ٣ : ١٢٤ ، قال : « أما قول حميد : دعت ساق حراً ؛ فإنما حكى صوته » . وفي شرح الديوان : هو ذكر القارى . وبعده في السكامل :

إذا شئتُ غَنَّتْني بأجزاء ييشةٍ أو النَّخل من تثايلث أو بيلها
 مطوقة خَطْبَاهُ تَسْجَعُ كَلَمًا دَنَا الصَّيْفُ وانجاب الربيعُ فأنجما

انجال : أقلع . وانظر ديوان حميد ٢٤ - ٢٧ .

(٢) ديوانه ٢٧٩ وروايته « انحدرت » .

(٣) ديوانه ٤٦٧ ، وروايته :

شَكَرْتُكَ ليلةً حسنتُ وطلبتُ أقام سرورها ومضى كراها

ولم أفهم معانيها ولكن ورت كبدى فلم أجهل شجّاه
وظلّت كأنتى أعمى معى يحبّ الغانيات ولا يراها
يعنى بهذا الأعمى بشاراً حيث يقول :

يا قوم أذنى لبعضِ الحىّ عاشقةً والأذن تعشق قبل العين أحياناً^(١)
قالوا بمن لا ترى تهذى! قللت لهم: الأذن كالعين تُوفى القلب ما كانا^(٢)

* * *

وَأَرْجُو أَلَّا أَكُونَ فِي هَذَا الْهَذَرِ الَّذِي أَوْرَدْتُهُ ، وَالْمَوْرِدِ
الَّذِي تَوَرَّدْتُهُ ، كَالْبَاحِثِ عَنْ حَتْفِهِ بِظَلْفِهِ ، وَالْجَادِعِ مَارِنَ
أَنْفِهِ بِكَفِّهِ ، فَأَلْحَقَ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالاً الَّذِينَ ضَلَّ سَبِيلُهُمْ فِي
الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يُحْسِبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا .

* * *

قوله : « الهذر الذى أوردته » ، أى الإكثار الذى أتيت به ، وقد تقدّم
المورد^(٣) . وتورّدته : اقتحمته . الباحث : المفتش ، والظلف : للبقروالغنم كالخافر
للخيل والحير . وهذا مثل للعرب : وذلك أن ماعزة كانت لقوم ، فأرادوا ذبحها
فلم يجدوا شفرةً ، فنبشت بظلفها فى الأرض ، فاستخرجت منها شفرة ، فذبحوها
بها ، وقالوا : بحثت عن حتفها بظلفها ، فسارت مثلاً . وقال الشاعر :
وكانت كعنز السوء قامت بظلفها إلى مُدْيَةٍ تحت الثرى تستثيرها^(٤)

(١) الأغاني ٣ : ٢٣٨ .

(٢) توفى ، أى تبلغ . (٣) صفحة ١٨ من هذا الجزء .

(٤) للفرزدق ، ديوانه ٧١ ، وروى أبو عبيد قبله :

وكان يُحِيرُ النَّاسَ مِنْ سَيْفِ مَالِكٍ فَأَصْبَحَ يَبْنِي نَفْسَهُ مَنْ يُحِيرُهَا

وقال أبو الأسود :

فلا تكُ مثل التي استخرجت بأطلافيها مُدِيَّةً أو بِفِيها^(١)
 فقامَ إليها بها ذابحٌ وَمَنْ يَدْعُ يوماً شعوباً يَجِيها^(٢)
 ولفظ المثل عند أبي عبيد « كالعنز تبحث عن اللدية »^(٣) والجادع : القاطع
 الأنف . وللمارن : طَرَفَ الأنف ، وأراد به قصيراً مولى جذيمة الأبرش . وقد ذكرنا
 قصته في شرح الرابعة والعشرين . ورجا المصنف ألا يدركه من الضرر ما أدركا^(٤)
 من الضرر حين جنياً على أنفسهما وانتفع غيرهما . ضلَّ سعيهم : خابت أعمالهم ،
 وأصل ضلَّ ، تحيّر فلم يدر أين يتوجه ، وأصل السعى المشى بسرعة . سمع أعرابي
 رجلاً يقرأ ﴿ قُلْ هَلْ أَنْبَأُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالاً ﴾ ، فقال : أنا أعرفهم ، قيل له :
 ومن هم ؟ قال : الذين يبرّدون ويأكل غيرهم .

* * *

عَلَى أَنِّي وَإِنْ أَعْمَصَ لِي الْفَطْنُ الْمُتَغَابِي ، وَنَضَحَ عَنِّي
 الْمُحِبُّ الْمُحَابِي ، لَا أَكَادُ أَخْلَصُ مِنْ غَمْرِ جَاهِلٍ ،
 أَوْ ذِي غَمْرِ مُتَجَاهِلٍ ، يَضَعُ مِنِّي لِهَذَا الْوَضْعِ ، وَيَنْدُدُ بَأَنَّهُ
 مِنْ مَنَاهِي الشَّرْعِ .

وَمَنْ نَقَدَ الْأَشْيَاءَ بِعَيْنِ الْمَعْقُولِ ، وَأَنْعَمَ النَّظَرَ فِي مَبَانِي
 الْأَصُولِ ، نَظَّمَ هَذِهِ الْمَقَامَاتِ ، فِي سِلَكَ الْإِفَادَاتِ ، وَسَلَكَهَا
 مَسَلَكَ الْمَوْصُوعَاتِ ، عَنِ الْعَجْمَاوَاتِ وَالْجَمَادَاتِ .

* * *

(١) ديوانه ٢٢ (ضمن مجموعة نقائس المخطوطات) .

(٢) رواية الديوان : « ومن يدع يوماً شعوباً » ، والشعوب : علم على النية .

(٣) فصل المقلل ٢٨٨ . (٤) كذا في الأولى ط : « أدركهما » .

أغمض : سامح وسدّ عينيه عمّال يرض . والفطن : الذكي . المتغابي : المتجاهل
عن الشيء وهو عارف به ، وهو مما يُحمد به الرجل ، قال حبيب :
ليس الغبيّ بسيد في قومه لكنّ سيد قومه المتغابي^(١)

ونَضَحَ بالماء : غسل . الحماي : الذي يفضّلني على غيري ، وحباي : اختصّني
بالعطية ، وأصل حاباه أن تعطيّه ويعطيك ، وقد يكون في معنى « حباه » . الغمر :
الجاهل ذي غمر : صاحب عداوة . متجاهل : مستعمل للجهل وهو على خلافه ؛
يقول : إن سدّ عينيه عن عيبي فطن ذو عقل ، أو تغابي حين يبصر لي خطأ ، أو رأى
لي ذلك العيب محبّ ، فجعل يفسله عني لمحبه لسلامي ؛ فلا أخلص مع ذلك ،
إمّا من جاهل يعيب ما لا يفهم ، أو من عارف يُظهر لي عداوة وحسداً ، فيردّ حسني
قبيحاً ، وهو عارف بحسني ؛ فيشيع في الناس أن المقامات أكاذيب ، وهو
عارف بنصائها وما قصد بها .

[من أقوالهم في الحقد مدحا وذمّا]

والغمر : الحقد ، وصاحبه مذموم ، ولا أعرف من تعرّض من الفصحاء
لمدح حامله سوى ما يحكى أن عبد الملك بن صالح جيء به إلى الرشيد في
قيوده ، فقال له ابن خالد - وأراد أن يبيّته : بلغني أنك حقود ، فقال عبد الملك :
أيها الوزير ، إن كان الحقد هو بقاء الخير والشر ؛ إنهما لباقيان في صدرى -
وفي رواية أخرى : إنما صدرى خزانة تحفظ ما استودعت من خير أو شر -
فقال الرشيد : والله ما رأيت أحدا احتجّ للحقد بمثل ما احتجّ به عبد الملك ،
ففتح الباب لابن الروميّ ، فقال يخاطب بعض من عابه بالحقد :
لئن كنتُ في حفظي لما أنا مودّع من الخير والشر انتحيت على عرضي

لَمَّا عِبْتَنِي إِلَّا بِفَضْلِ أَمَانَةٍ وَرَبِّ أَمْرِي يُزْرِي عَلَى خُلُقِي مُحْضٍ^(١)
 وَلَوْلَا الْحُقُودُ الْمُسْتَكْنَاتُ لَمْ يَكُنْ
 لِيَنْقُضَ وَتَرَا آخِرَ الدَّهْرِ ذُو نَقْصٍ
 وَمَا الْحَقْدُ إِلَّا تَوْعَمُ الشُّكْرِ فِي الْفَتَى
 وَبَعْضُ السَّجَايَا يَنْتَسِبُنْ إِلَى بَعْضٍ
 فَيْتُ تَرَى حِقْدًا عَلَى ذِي إِسَاءَةٍ
 فَتَمَّ تَرَى شُكْرًا عَلَى حَسَنِ الْعَوْضِ
 ثُمَّ رَجَعَ إِلَى الطَّرِيقَةِ الْمَثَلِي، فَاتَّحَلَ الْمَذْهَبُ الْأَعْلَى، وَقَالَ يَعْيبُهُ، ضَارِبًا بِسَهْمِهِ
 الْبَلَاغَةَ فِي الْوَجْهِينِ :

يَا مَادِحَ الْحَقْدِ مَحْتَالًا لَهُ شُبُهَاءٌ لَقَدْ سَلَكَتْ إِلَيْهِ مَسْلَكَ وَاعْنًا^(٢)
 يَادَا فَنَ الْحَقْدِ فِي ضِغْنِي جَوَانِحِهِ سَاءَ الدَّافِينَ الَّذِي أَضْحَتْ لَهُ جَدَثًا
 الْحَقْدُ دَاءٌ دَوِيٌّ لَا دَوَاءَ لَهُ يَرَى الصُّدُورَ إِذَا مَا جَمَّرَهُ حُرْنًا
 فَاسْتَشْفَيْنَهُ بَصْفَحٍ أَوْ مُحَادَثَةٍ فَإِنَّمَا يُبْرَأُ الْمَصْدُورُ مَا نَفَثَا
 إِنَّ الْقَبِيحَ إِذَا أَصْلَحَتْ ظَاهِرُهُ يَعُودُ مَا لَمْ مِنْهُ مَرَّةً شَعْنًا
 كَمْ زَخَرَفَ الْقَوْلَ ذُو زُورٍ وَلَبَّسَهُ عَلَى الْعُقُولِ وَلَكِنْ قَلَمًا لَيْثًا

قوله: « يضع مني » أي يحط من منزلتي . الوضع : الكتاب . يندد : يشهر
 العيب، وندد به ، إذا أسمعته المكروه . قد الأشياء : فُتِّشَ وبحث عاينها . العقول :
 العقل . أنعم : بالغ . وأصل النظم جعل حبات الجوهر في خيطها وضمها فيه لغيرها :
 ثم سُمِّيَ يَتُّ الشعر نظاما ، لأن الكلام فيه ملتصق ببعضه ببعض كحبات الجوهر .

(١) الديوان : « إلا بما ليس عاني . . . وكم حاهل يزري » .

(٢) ديوانه الورقة ٤٥ ، مخطوطة دار الكتب ١٢٩ - أدب .

والبيت يضمه كالخيط ، والسلك : خيط الجوهر . والإفادات : الفوائد . سلك : قصد . الموضوعات : الكتب المؤلفة ، أى أدخلها مدخل هذه الكتب . المعجوات : البهائم ، وسميت واحدها عجماء لأن صوتها لا يفهم منه معنى . والمجادات : ما عدا الحيوان ، وأراد ما أُلّفَ من الكتب مما لا حقيقة له فى الظاهر ، وقد صُمِنَ الحكم الشافية فى الباطن ، مثل كتاب كليله ودمنة وغيره مما أُلّفَ على السنة مالا عقل له ولا روح . وكذلك المقامات ، وإن كان ظاهرها كذبا فالقصد بها تمرين الطالب وتهذيبه وتذكية عقله ، وأن يكتسب تجارب الدنيا من حكايات السروحي ، فيكون متنبها لما يطرأ عليه من النوازل ، فتؤمن على عقله الغفلة والخديعة ، إلى ما ينضاف إليه من تعليم صنعة الكتابة والشعر ، فإنها أعون شئ عليها .

[مما روى من الحكم على السنة البهائم وغيرها]

ومما يحكى على السنة البهائم ما جاء فى صحيح مسلم من حديث أبى هريرة رضى الله عنه قال : سمعتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : بينا راع فى غنمٍ إدا عدا عليها الذئب ، فأخذ شاة منها ، فطلبه الراعى منه حتى استنقذها ، فالتفت إليه الذئب وقال : من لها يوم السَّبع ، يوم ليس لها راع غيرى ! « (١) .

بينما رجل يسوق بقرة له قد حمل عليها ، فالتفت إليه البقرة فكلَّمته فقالت : أنا لم أخلق لهذا ، وإنما خلقت للحرث ، فقال الناس : سبحان الله ! تعجبا وفرعا ؛ أبقرة تتكلم ! فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إناي مؤمن بذلك أنا وأبو بكر وعمر » (١) .

السَّبع ، بسكون الباء : أرض الحشر والسبع : الفزع .

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا تقوم الساعة حتى تقاتلوا اليهود وحتى يختبئ اليهودى وراء الحجر فيمتول الحجر : يا عبد الله ، يا مسلم هذا يهودى . وورأى فاقته » (٢) .

قالوا. خرج أسد وذئب و ثعلب يتصيدون، فاصطادوا حمار وحش وغزالا وأرنباء، فقال الأسد للذئب : اقسم بيننا هذا ، فقال : الحمار للملك ، والغزال لى ، والأرنب للثعلب؛ فرفع الأسد يده فصر به ضربة ، فإذا هو مجدّل بين يديه . ثم قال للثعلب : اقسمها ، فقال : الحمار يتغدّى به الملك ، والغزال يتعشى به ، والأرنب بين ذلك ، فقال الأسد : ويحك ما أقضاك ! مَنْ عَلمَكَ هذا القضاء ؟ قال : رأس هذا الذئب . وحدث الشعبي ، قال : صادر جل قُبْرَةً ، فقالت : ما تريد أن تصنع بى ؟ قال : أذبحك وأكلك ، فقالت : والله ما أشبع من جوع ، وخير لك من أكلى أن أعلمك ثلاث خصال : واحدة وأنا فى يدك ، والثانية وأنا على الشجرة ، والثالثة وأنا على الجبل ؛ قال : هاتى : قالت : لا تلهفنّ على مافات ، نخلى سبيلها ، فلما صارت على الشجرة قالت : لا تصدقنّ بما لا يكون أنه سيكون ، فلما صارت على الجبل قالت له : يا شقى لو ذبحتنى أخرجت من حوصلى درّتين ، كلّ واحدة عشرون مثقالاً ، قال : فعصّ الرجل على شفته تلهفًا ، ثم قال : هاتى : الثالثة ، فقالت : أنت قد نسيت ثنتين فكيف أخبرك بالثالثة ! ألم أقل لك : لا تلهفنّ على مافات ، ولا تصدقنّ بما لا يكون أنه سيكون ! أنا ولحى ودمى وريشى لا يكون فى عشرون مثقالاً ، فكيف يكون فى حوصلى درّتان كلّ واحدة عشرون مثقالاً ! ثم طارت وذهبت . وأمثال هذه الملاح أكثر من أن تحصى .

* * *

وَلَمْ يُسْمَعْ بِمَنْ نَبَأَ سَمْعُهُ عَنْ تِلْكَ الْحِكَايَاتِ ، أَوْ أَتَمَّ رُؤَايَاهَا فِي وَقْتٍ مِنَ الْأَوْقَاتِ .

ثُمَّ إِذَا كَانَتِ الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ ، وَبِهَا انْفِقَادُ الْمُقَوِّدِ الدِّيْنِيَّاتِ ، فَأَيُّ حَرْجٍ عَلَى مَنْ أَنْشَأَ مُلَحًا لِلتَّنْذِيرِ ، لَا لِلتَّمْوِيهِ ، وَنَحَا بِهَا مَنَحَى التَّهْذِيبِ ، لَا الْأَكْذِيبِ ! وَهَلْ هُوَ فِي ذَلِكَ إِلَّا بِمَنْزِلَةِ مَنْ

اَتَدَبَ لِتَعْلِيمٍ ، أَوْ هَدَى إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ !
 عَلَى أَنِّي رَاضٍ بِأَنْ أُجِلَ الْهَوَى وَأَخْلَصَ مِنْهُ ، لَا عَلَى وَلَا لِيَا
 قوله : « نَبَا سَمِعُهُ » أى ارتفع ، وأصله فى السَّيْفِ إِذَا ارْتَفَعَ فلم يَمُضْ فى الضَّرْبَةِ .
 أَثَمَ : جعلهم أصحابِ إِثْمٍ . انعقاد العقود ، أى ارتباط العقائد . حرج : إِثْمٌ ، وأصل
 التحريج التصديق . للتنبيه ، أى لينبه به الغافل الذهن فيجعله حاضر الخاطر . نحا
 منحى : قصد مقصد . التهذيب : التاخيص ، وهذَّبَ الْمَالِبُ : أَخْرَجْتَهُ وَخَلَصْتَهُ ،
 ورجل مهذَّبٌ : مُخْلَصٌ مِنَ الْعُيُوبِ . ويروى : ندب وانتدب ، فندب دعا ، وانتدب
 أجاز . وهدى : أرشد . صراط مستقيم : طريق معتدل ، وَمَنْ فَعَلَ مَا ذُكِرَ
 مَا جُورَ غَيْرِ أَثَمٍ ، لَكِنَّهُ مَعَ هَذَا رَضِيَ أَنْ يَخْلَصَ مَنْ يَتَكَلَّمُ فى كِتَابِهِ بِتَعْيِيبٍ ،
 وَأَنْ يَخْرُجَ مِنْ هَذَا الْكِتَابِ كِفَافًا لَا أَجْرَ وَلَا وَزَرَ ؛ بَلْ نَرْجُو لَهُ الْأَجْرَ عَلَى نِيَّةِ
 الْإِفَادَةِ وَالتَّعْلِيمِ ، إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .

وَبِاللَّهِ اعْتَصِدْ ، فِيمَا اعْتَمَدُ ، وَأَعْتَصِمُ بِمَا يَصِمُ .
 وَأَسْتَرْشِدُ ، إِلَى مَا يُرْشِدُ ؛ فَتَا الْمَفْزَعُ إِلَّا إِلَيْهِ ، وَلَا
 الْإِسْتِمَانَةَ إِلَّا بِهِ ، وَلَا التَّوْفِيقُ إِلَّا مِنْهُ ، وَلَا الْمَوْئِلُ
 إِلَّا هُوَ ؛ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ، وَبِهِ نَسْتَعِينُ ، وَهُوَ
 نِعَمَ الْمُعِينُ !

أعتصد : أستعين . أعتد : اقتصد . أعتصم : أمتنع . يصم ، يعيب . أسترشد :
أستهدى . يرشد : يهدى ويدلّ على الخير . والمفرع : الملجأ ، وكذلك الموثل .
وتقول : فرعتُ إلى فلان ، إذا لجأتُ إليه واستعنتَ به ليحميكَ ويمنعك ، وفرعت
منه : خفته ، والمفرع الذي ذكره مصدر بمعنى الفرع . وتقول : وألت من ذلك ،
إذا نجوتَ منه ، وأنت موثلي منه ، أى الذى تنجيني منه . والمفرع : الموثل
والحصن ، تفرع إليه فينجيك من طالبك . أنيب : أرجع . والإنباء : الرجوع
إلى الله تعالى والتوبة إليه .

المقامة الأولى وهي الصنعانية

حدث الحارث بن همام قال : لما افتتحت غارب الاغتراب ،
وأناتني المتربة عن الأتراب ، طوحت بي طوائح الزمن ، إلى
صنماء اليمن ، فدخلتها خاوي الوفاض ، بأدى الإنفاض ؛ لأملك
بلغة ، ولأجد في جراي مضغة .

* * *

إن قيل : لأي معنى اختار الحريري حارثاً وهاماً وأبازيد ، دون غيرهم من
الأسماء ؟ فالجواب أنه إنما قصدهم لأنهم أصدق الأسماء ، قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم في الحديث المرفوع : « تَسَمَّوْا بِأَسْمَاءِ الْأَنْبِيَاءِ ، وَأَحِبُّ الْأَسْمَاءِ إِلَى اللَّهِ
عبد الله وعبد الرحمن ، وأصدقها حارث وهمام ، وأقبحها حرب ومرة » (١) .
وصدقهما أنه ليس أحداً إلا وهو يحرث ، أى يحاول النكسب أو يهجم بحاجته .

وأما أبو زيد ، فإن صدق أنه إنسان بعينه كما تقدم في الصدر وقع الاكتفاء
به ، وإن لم يصدق فقد حكى أهل اللغة أنه كنية الكبير ، وأنشد ابن قتيبة :
أعار أبو زيد يميني سلاحه وحدُّ سلاح الدهر للمرء كالم (٢)
وكنت إذا ما الكلب أنكر أهله أفدى ، وحين الكلب جذلان نائم
سلاحه : العصا . وإنكار الكلب أهله ، إذا لبسوا السلاح . وجذلان نائم ، في
الجذب إذا ماتت المواشى فيشبع من لحومها وينام . وقال ابن الأعرابي : يقال للشيخ
الكبير : أبو زيد وأبو سعيد . والمروحي في الغالب إنما يصفه بالكبر والهرم .

(١) نقله في الجامع في الصغير ١ : ٢٢٤ .

(٢) ما يعول عليه ، مصورة مكتبة المجمع القوي الورقة ٢٠١ .

فوقعت التسمية لغوية، وإنما عني بالحارث بن همام نفسه، لأنه يصفه بأشياء لاتليق إلا بالدهر، مثل قوله :

وكل سرح فيه ذنبي عاثُ حتى كأني للأُنام وارثُ

* ساممهم وحامهم وياثُ *

ومثل قوله :

ووترت أزيابَ الأرا نك والدّرانك والسّجوف

وهي كثيرة، وفي المحسن له كلام لا يليق إلا بالدهر، فجعل أخذ الحارث من أبي زيد، كناية عن علم الحريري بما جرب من صروف الدهر.

قوله : «اقتعدت» أي ركبت، وأصله اتخذت قعدة أو قعوداً، وهما اسمان للبعير يقعد عليه راكبه . والفارب : مقدّم سنام البعير . والاغتراب والغربة : التحول في البلدان والبعد عن الأوطان، وسيأتي ما أصلهما، وأراد : لما اتخذت ظهر الغربة قعوداً. أنانتي : أبعدتني . المتربة : الفقر . الأتراب : الأصحاب على سنن واحد . طوّحت : رمت .

وطوايح : نوايب ؛ تقول : طوّحتُ بالرجل ، إذا رميت به إلى الهلاك ، وقياس الطوايح للطوايح لأنك تقول : طوّحت فهي مطوّحة والجمع مطوّحات ومطوايح . قال أبو عبيد : جاءت الطوايح على حذف الزيادة ، وردّ الفعل إلى أصله ، فإنه من طاحت فهي طائحة ، والجمع طوايح ، قال أبو عمرو الشيباني : جاءت على النسب ، مثل لابن وتامر ، أي ذو لبن وذو تمر وذات تطويح ، قال الشاعر :

لَيْبِكَ يَزِيدُ ضَارِعٌ لَخْصُومَةٍ وَخَتِيطٌ مَّمَّا تُطِيحُ الطَّوَائِحُ^(١)

ومثله ﴿وَأَرْسَلْنَا الرِّيَّاحَ لَوَاقِحَ﴾^(٢) : تقديره ملاقح ، لأنك تقول :
أَلَقَحَتِ الرِّيحُ السَّحَابَ إِذَا جَمَعَتْهُ وَأَلَقَتْهُ . وضارع مرتفع بمضمر تقديره : يبكيه
ضارع ، وهو الدليل .

* * *

[مدينة صنعاء]

صنعاء ، بلد اليمن ، وأضافها إلى اليمن ، لأنَّ مَمَّ صنعاء أخرى ، وهي قرية
بدمشق . وكان اسم صنعاء في القديم « أزال » ، قال ابن الكلبي والشرقي^(٣) :
ولما واقتها الحبشة قالوا : نعم ، فسمي جبلها نعم^(٤) أى انظر ، فلما نظروا إلى
مدينتها ورأوها حصينة مبنية بالحجارة قالوا : هذه صنعاء ، وتفسيرها هنيئة ،
فسميت صنعاء^(٥) .

وحكى الهمداني قال : وأهل صنعاء يقولون في الإسلام : إنها القرية
الحفوظة ، وأنهم سمعوا هاتناً يقول في بعض أيام من حاربهم : كلُّ عليكِ
يا أزال ، وأنا أتمحن عليك !

وأقدم قصور اليمن وأنبها ذكرأ ، وأبعدها صيتاً عُمدان وقصر أزال ، وهي
صنعاء .

(١) انهشل بن حري ؛ في مرثية له ؛ وهو من شواهد الكتاب على أن الفعل المستند
إلى ضارع « حذف جوازاً ، أى يبكيه ضارع . خزنة الأدب لابن دادي ١ : ١٤٧ .

(٢) سورة الحجر ١٥ .

(٣) هو الشرقي بن الفطامي ، واسمه الوليد والشرقي لقب له .

(٤) في ياقوت : « نعم ، أحد حصون اليمن » .

(٥) في ياقوت : « قالوا : هذه صنعة ، ومعناها حصينة » .

والذى أسس عُمدان وابتدأ بنيانه، واحتفر بئرَه الذى هو اليوم سِقاية لمسجد جامع صنعاء، سَامُ بن نوح عاياه السلام، على ما يذكركه علماء صنعاء واليمن، وذلك أَنَّهُ لما مات نوح اجتوى بعده السكنى فى الأرض الشماليَّة، فأقبل طالعاً فى الجنوب يطلب أطيب البلاد، حتى صار إلى الإقليم الأوَّل، فوجد اليمن أطيبه مسكناً، وصنعاء أطيبَ اليمن، فوضع مقراته — وهى المحيط الذى يقدر به البناء ويبنى على حدّه — فوضع الأساس فى ناحية فجَّ عُمدان فى غربىَّ الجبل، وهو اليوم معروف بصنعاء، فلما ارتفع بعث الله طائراً، فاخطف المقرة فطار بها، وتبعه سام، لينظر أين يقع؛ فأَمَّ بها جنوب النعم من سفح نعم، فوقع بها، فلما اتبعه طار بها، وطرحها على حَرَّة عُمدان، فلما قَرَّت، علم سام أَنَّهُ قد أَمَرَ بالبناء هنالك؛ فأسس عُمدان، واحتفر بيده بئرَه المسَمَّى كرامة، ويُسَمَّى منها إلى اليوم لكنها أجاج^(١).

خاوى الوفاض: فارغ المزاد، ويقال: خَوَّى الرَّجُل، إذا سجد فترك بين جسده وبين الأرض خواء، وخَوَّى البعير: بَرَّكَ على هذه الحال. والوافاض: جمع وَفْضة وهى شِبْه الجراب، وهى أيضاً كنانة السهام إذا كانت من جلد لا من خشب، فإن كانت من خشب مجلّد أو غير مجلّد فهى كنانة أو جُعْبَة.

ابن سيده فى المحكم: الوفضة خريطة يحْمِل فيها الراعى أدياته وزاده. والوفضة: جُعْبَة السهام. قال أبو منصور الأزهريّ معنى قول النبي صلى الله عليه وسلم « أَنَّهُ أمر بصدقة [أَن] توضع فى الأوافاض »:^(٢) إِنْهُمْ أَخْلَطَ النَّاسَ. قال الفراء: هم أَهْل الصُّفَّة. أبو عبيد: هذا كُلُّهُ عندنا واحد؛ لأنَّ أَهْل الصُّفَّة أَخْلَطَ مِنْ قِبَائِلَ شَيْءٍ، ويمكن أَن يكون مع كُلِّ واحد منهم وَفْضة، فعلى هذا مَن قُضِرَ الوفضة

(١) معجم البلدان ٤ : ٣٨٦ .

(٢) النهاية لابن الأثير ٥ : ٢١٠ ، قال فى شرحه : « هم الفرق والأخلاق من الناس » .

على الجُعْبَة ، وخطأ الحريرى بأن الزاد لا يكون فى الجُعْبَة ، فهو الخطئى والجاهل باتساع اللغة . بَادَى الإِنْقَاض : ظاهر الفقر ، وقد أَتَفَض ، إذا فنى زاده . وَأَتَفَضَ الجراب إذا انتفض وسقط ما فيه من بقية الزاد ، ومنه قولهم : التَّفَاض يَقْطَرُ الجَلَب^(١) ، أى فناء زادهم يحمل إبلهم قماراً ، أى مربوطة بعضها خلف بعض ، تساق إلى السوق فتباع ، فيأكلون ثمنها ، قال الهذلى :

لَه ظَبِيَّةٌ وَلَهُ عُكَّةٌ إِذَا أَتَفَضَ الْقَوْمُ لَمْ يَنْفَضِ^(٢)

ظَبِيَّة : جَرَب صغير من جلد ظبي . بُلَغَة : زاد للمسافر يبلغ به من يومه إلى غده . الجراب : وعاء من جلد يصنع للزاد . مُضَغَّة : لقمة .

* * *

فَطَفَقْتُ أَجُوبُ طُرْقَاتِيَا مِثْلَ الْهَائِمِ ، وَأَجُولُ فِي حَوَامَاتِيَا
جَوْلَانَ الْخَائِمِ ، وَأَرُودُ فِي مَسَارِحِ لَمَحَاتِي ، وَمَسَايِعِ غَدَوَاتِي
وَرَوْحَاتِي ، كَرِيماً أَخْلَقُ لَهُ دِيْبَاجَتِي ، وَأَبُوحُ إِلَيْهِ بِحَاجَتِي ،
أَوْ أَدِيْبًا تَفَرِّجُ رُؤْيَتَهُ غُمَّتِي ، وَتُرْوِي رِوَايَتَهُ غُلَّتِي ؛ حَتَّى
أَدْتِنِي خَاتِمَةَ الْمَطَافِ . وَهَدْتَنِي فَاتِحَةَ الْإِلَاطِافِ^(٣) ، إِلَى نَادٍ رَحِيْبٍ ،
مُخْتَوٍ عَلَى زَحَامٍ وَنَحِيْبٍ ، فَوَلَجْتُ غَايَةَ الْجَمْعِ ، لِأَسْبُرَ مَجْلَبَةَ
الدَّمْعِ ، فَرَأَيْتُ فِي بُهْرَةِ الْخَلْقَةِ ، شَخْصًا شَخَّتْ الْخَلْقَةُ ، عَلَيْهِ

(١) مثل ، ذكره صاحب اللسان ، وقال فى شرحه : « يقول : إذا ذهب طعام القوم أو هربتهم قطاروا لإبلهم التى كانوا يضمنون بها ، فجليبوها للبيع فباعوها واشتروا بثمنها ميرة » .
(٢) لأبى المثلم المزاعى . شرح ديوان الهذليين ٣٠٥ . العكَّة : النعى الصغير .
وَأَتَفَضُوا : ذهب ما عندهم .
(٣) متن المقامات : « الألفاظ » ، بفتح الهمزة .

أَهْبَةُ السَّيَّاحَةِ ، وَلَهُ رَنَّةُ النِّيَّاحَةِ ، وَهُوَ يَطْبَعُ الْأَسْجَاعَ بِجَوَاهِرِ
لَفْظِهِ ، وَيَتَرَعُّ الْأَسْمَاعَ بِزَوَاجِرِ وَعْظِهِ ، وَقَدْ أَحَاطَتْ بِهِ أَخْلَاطُ
الزُّمَرِ ، إِحَاطَةَ الْهَالَةِ بِالْقَمَرِ ، وَالْأَكْمَامَ بِالشَّمَرِ ، فَدَلَفَتْ إِلَيْهِ لِأَقْتَبَسَ
مِنْ فَوَائِدِهِ ، وَالتَّقِطَ بَعْضَ فَرَائِدِهِ ، فَسَمِعْتَهُ يَقُولُ حِينَ خَبَّ فِي
مَجَالِهِ ، وَهَدَرَتْ شَقَاشِقُ ارْتِمَالِهِ :

* * *

طُفْتُ : أَخَذْتُ وَجَعَلْتُ ، وَمَعْنَاهَا ابْتِدَاءُ الْفِعْلِ وَالِدْخُولِ فِيهِ . أَجُوبُ :
أَقْطَعُ وَأُخْرِقُ ، وَجَوَّبُ الْأَرْضَ : قَطَعَهَا بِالْمَشْيِ . الْهَائِمُ : الْحَيْرَانُ . أَجُولُ : أَنْتَصِرِفُ .
حَوْمَاتُهَا : جِهَاتُهَا . الْحَائِمُ : الطَّائِرُ الْعَاطِشُ يَحُومُ حَوْلَ الْمَاءِ ، أَيْ يَدُورُ بِهِ . أُرُودُ :
أَتَمَسُّ الْمَسَارِحَ : مِرَاعِيَ الْبَهَائِمِ . لَمْ حَاتِي : نَظَرَاتِي ، يَرِيدُ الْمَوَاضِعَ الَّتِي يَسْرُحُ عَيْنُهُ
فِيهَا بِالنَّظَرِ . مَسَايِحُ : مَسَالِكُ ، أَرَادَ طُرُقَهُ الَّتِي يَسِيرُ فِيهَا بِالْمَشْيِ بِالْفِدْوَةِ وَالْعَشِيِّ ،
وَالسَّيِّحِ : الْمَاءُ الْجَارِي عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ ، وَتَكُونُ الْمَسَايِحُ أَيْضًا جَمْعَ مَسِيحَةٍ أَوْ
مَسْحَةٍ ، وَهِيَ الطَّوْفَةُ ، مِمَّنْ قَوْلُكَ : مَسَحْتُ الْبَيْتَ ، أَيْ طُفْتُ بِهِ ، فَيَكُونُ عَلَى هَذَا
«فَعَائِلٌ» مِثْمَا أَصْلِيَّةٌ ، وَعَلَى الْأَوَّلِ «مَفَاعِلٌ» . أَخْلَقُ : أَهْيُنُ . دِيْبَاجَتِي : جِلْدَةٌ وَجْهِي ،
بَرِيدٌ أَنَّهُ يَخْلُقُ وَجْهَهُ بِالمَسْأَلَةِ كَمَا يَخْلُقُ الثَّوْبَ ، وَهَذَا مِنْ قَوْلِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ : «المَسْأَلَةُ كَدُوحٌ وَخُدُوشٌ فِي وَجْهِ صَاحِبِهَا» ، وَقَوْلُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : «لَا تَزَالُ
المَسْأَلَةُ بِالرَّجُلِ حَتَّى يَلْقَى اللَّهَ عِزَّ وَجَلَّ ، وَمَا عَلَى وَجْهِهِ مَرْعَةُ لَحْمٍ» ، أَيْ قِطَاعَةٌ . أَبُوحُ :
أَذْكَرُ . حَاجَتِي : قَهْرِي . تَفَرَّجَ : تَزِيلُ . غُمَّتِي : غَمِّي وَمَا يَضِيقُ نَفْسِي . غُلَّتِي :
عَطَشِي . أَدْتَنِي : أَوْصَلْتَنِي . خَاتِمَةُ الْمَطَافِ : آخِرُ الْمَشْيِ . هَدَتَنِي : دَلَّتَنِي . وَالْإِلَاطَافُ :
حَسَنُ السُّؤَالِ وَفَاتِحَتُهُ ، أَرَادَ بِهِ سَوْأَلَكَ مَنْ تَلَقَّيْتُ فِي الطَّرِيقِ إِذَا دَخَلْتَ بِلَدًا غَرِيبًا ،
فَإِذَا سَأَلْتَ بِتَلَطُّفٍ أَرَشِدْتُ بِسُرْعَةٍ ، فَسَوْأَلَكَ هُوَ الَّذِي فَتَحَ لَكَ الطَّرِيقَ . وَيُقَالُ :

لَطْف سؤال الرّجل ، إذا رَقَّ لفظه ولم يكن فيه جفاء ، فتقبله القلوب ، وألطف
الرجل سؤاله، إذا سألك بخنان وتلطّف، واللطف الرفق، وألطفك أيضاً: برّرتك
وأكرمك، فالإطاف مصدر ألطف، ويروى: «الأطاف» جمع لُطف وهو الرفق،
يقال: لطف الله بالعباد لُطفاً، رَفَقَ بهم رفقاً، وهو راجع إلى الأوّل. نادٍ: مجلس.
رحيب: واسع. محتو: مشتمل. نحيب: بكاء. ولجت: دخلت. غابة الجمع:
وسط الناس، وأصل الغابة الشجر الملتف يغيب فيه مَنْ يدخله. لأسبر: لأفقس،
وأراد دخلت بين الناس لأجرب وأعرف ما الذى أبكاهم وجلب دموعهم.
ويروى، «مَحْلَبَة» بالحاء، وهى من الحلب، يقال: انحلبت عينه، إذا سالت بالدمع.
بُهْرَة: وسط. شَخَتْ: دقيق ورقيق، والشَّخَتْ: الحطب الرقيق. أهبة
السياحة: آلة العبادة، وهى مثل العصا وركوة الماء وثياب الصوف وغير ذلك.
يطبع الأسجاع، أى يرتبها ويصنعها، تقول: طبعت الدرهم والسيف إذا صنعتها،
وطبعت الكتاب إذا ختمته، وكانت الملوك تكتب فى فصوص خواتمها «لا إله
إلا الله» و«الملك لله» وتطبع بذلك كتبها، وهذا المعنى ألقى بطبع الأسجاع، أى يزيناها
ويختتمها بجواهر كلامه، ومن روى «لجواهر» باللام فعلى «يصنعها» لا غير،
والتفسير على الروایتين أخذته عن أبى ذرّ. والأسجاع الكلام المنقّر، له قافية.
كقافية الشعر، وكان من كلام الكهان، وهذه الموعظة التى فى المقامة من الأسجاع،
وسجعت الحمامة، إذا غنّت على طريقة واحدة. يقرع: يضرب. الأسماع: الأذان.
زواجر: نواهٍ، وزجره: نهاه وانتهره. أحاطت: حلقت: أخلاط: أصناف.
مختلطون. الزُّمَر: الجماعات. الهالة: الدارة حول القمر من نوره، والطفافة: الدارة
حول الشمس، والساهور: هو غلاف القمر الذى يستتر فيه ما نقص منه. الأكمام:
جمع كَمٍّ، وهو الغلاف الذى ينشق عن الثمر ويحيط به. وُسْمَى كَمًّا لأنه يستر ماتحته،
والأكمام: جمع قایل، والكثير كمام. والثمر حمل الأشجار. دلفت: قربت،
ودلف الشيخ فى مشيته، إذا أسرع من ضعف فقارب خطوه. اقتبس من فوائده:

التمس وطلب أخذها واكتسابها . والفرائد : شذور الذهب تفصيل ما بين الجوهر .
 خبّ في مجاله : أخدق كلامه ، والخبّ عدو سهل ، وهو الذى تسميه العامة السير ،
 وفرس مسيار . والمجال للخيل : موضع نصرتها وجريها . هدرت : صوتت .
 شقاشق : جمع شقشقة ، وهى التفاخة يخرجها خلّ الإبل من حلقه عند هياجه ورغائه ،
 ويرجع فيها هديره ؛ شبه صوت الواعظ حين يرفعه ويزجر به الناس بصوت البعير
 يهيج ويتابع الهدير ، قال الأخطل :

إِذَا هَدَرَتْ شَقَاشِقُهُ وَنَشَبَتْ لَهُ الْأُظْفَارُ تُرِكَ لَهُ الْهُدَارُ^(١)
 أراد: نَشَبَتْ وَتُرِكَ ، فَخَفَفَ .

أَيُّهَا السَّادِرُ فِي غُلَوَائِهِ ، السَّادِلُ ثَوْبَ خَيْلَائِهِ ، الْجَامِيعُ
 فِي جَهَائِيهِ ، الْجَانِيعُ إِلَى خَزَائِمَائِهِ . . . إِلَامَ تَسْتَعِيرُ عَلَى غَيْكَ ،
 وَتَسْتَمْرِى مَرْعَى بَغِيكَ ! وَحَتَامَ تَتَنَاهَى فِي زَهْوِكَ ، وَلَا تَنْتَهَى
 عَنْ لَهْوِكَ !

المقّار : الراكب هواه ، لا يردّه شيء استطالةً وبغياً ، ويقال للذى يطيل
 الجلوس فى الشمس حتى يتحير بصره : قد سدر فهو سادر . فى غلوائه : فى ارتفاعه
 للشرّ ولجأه فيه ، وهو من غلا يغلو فى الأمر ، إذا جاز الحدّ ؛ فيقول : يأيُّها الأعْمى
 الكثير اللّجاج فى ركوب المعاصى ؛ هلّا نظرت بعين البصيرة ، ورجعت عمّا أنت
 عليه من الضلال ! السّادل : المرخى . خيلائه : كبره . الجامع : الجارى إلى غير

(١) ملحق ديوانه ٣٥٨ مما نقله عن الشريشنى .

غاية ، وقد جمع الفرس إذا أكب رأسه ، وجرى في غير قصد ، فيريد أنه أكثر الفساد حتى جرى منه في غير طريق . الجانح : المائل . الخزعبلات : الأباطيل ، وهو ما يتراءى للإنسان في نومه من الخيال . تستمر : تدوم في زورك . غييك : ضلالك . تستمرى : تستعيب من المرء ، وهو ما يلتذبه من الطعام . بغيك : ظلمك . تتناهى : تبلغ النهاية ، ونهاية الشيء ، آخره . زهوك : كبرك وعجبك .
اللهو : ما يشغل عن الخير من أنواع الطرب .

[نبذ من أقوال الشعراء في ذم الكبر]

وقال القاضي أبو جعفر^(١) بن عمر في ذم الكبر وما يتعلق به :
وَلَا تُنْسَبْ إِلَى كِبَرٍ فَهَذَا أَبُوكَ التُّرْبَ يَخْفِضُكَ انْتِسَابًا
وَلَا تَصْحَبْ أَخَا كِبَرٍ وَقَدِّمْ عَلَى النَّفْسِ الْأَعَادِي وَالصُّحَابَا
وَلَا تَحِبَّ مَحَابَّةَ بَمْدَحٍ كُنْ بِالْمَرْءِ حُوبًا أَنْ يُحَابَى
وَحَازِرْ أَنْ تُرَى فِي الْقَوْمِ رَأْسًا وَلَا تَنْسِ الذُّنُوبَ وَكُنْ ذُنَانِي^(٢)
تَرَابًا كُنْ هُنَا فَمَسَاكٌ أَلَّا تَعْنَى أَنْ تَكُونَ غَدًا تَرَابًا
وقال أبو نواس :

حَذَرْتُكَ الْكِبَرَ لَا يَفْشَاكَ مَيْسَمُهُ فَإِنَّهُ مَلْبَسٌ نَازَعَتْهُ اللَّهُ^(٢)
يَابُوسَ جَلَدٍ عَلَى جَوْفٍ مُجَوِّفُهُ يَحْوِي مَقَازِيرَ إِنْ كَلِمَتُهُ تَاهَا^(٣)
يَرَى عَلَيْكَ لَهُ فَضْلًا بَيِّنَ بِهِ إِنْ نَالَ فِي الْعَاجِلِ السُّلْطَانَ وَالْجَاهَا
إِنِّي لَأُمَقْتُ نَفْسِي عِنْدَ نَحْوَتِهَا فَكَيْفَ آمَنُ مُقْتَ اللَّهِ إِيَّاهَا

(١) ط : « أبو حفص » ، وما أثبتته من ١ . (٢) الدنانى : أذنان الناس .

(٣) رواية الديوان ١٩٧ :

يَابُوسَ جَلَدٍ عَلَى عَظْمٍ مُحَرَّقُهُ فِيهِ الْخُرُوقُ إِذَا سَكَمَتْهُ تَاهَا

وقال أبو العتاهية :

عجبتُ للإنسان في فخره وهو غداً في قبره يُقبرُ^١
ما بالُ مَنْ أوَّلُهُ نُفْطَةً وجِيفَةً آخِرُهُ يَفْخَرُ !
أصبح لا يملكُ تقدِيمَ ما يرجو ولا تأخيرَ ما يحذرُ

* * *

تبارزُ بِمَصِيدِكَ ، مالكَ نَاصِيَتِكَ ، وَتَجْتَرِي بِقُبْحِ
سِيرَتِكَ ، على عالمِ سِرِّيرَتِكَ ، وتتوارى عَنْ قَرِيبِكَ ، وَأَنْتَ بِمَرَأَى
رَقِيبِكَ ، وَتَسْتَخْفِي مِنْ تَمْلُوكِكَ ، وَمَا تَخْفَى خَافِيَةٌ عَلَى مَلِيكَكَ .
أَتَظُنُّ أَنْ سَتَنْفُكَ حَالُكَ إِذَا آنَ أَرْتِحَالُكَ ! أَوْ يُنْقِذُكَ مَالُكَ ،
حِينَ تَوْبُقُكَ أَعْمَالُكَ ! أَوْ يُغْنِي عَنْكَ نَدْمُكَ ، إِذَا زَلَّتْ قَدَمُكَ !
أَوْ يَعْطِفُ عَلَيْكَ مَشْرُكَ ، يَوْمَ يَضُمُّكَ مَحْشَرُكَ !

* * *

قوله: « تبارز »، أى تكاشف وتقابل. والبارز: الظاهر المنكشف. والناصية: شِعْرُ مقدم الرأس. تجتري: تقدم وتشجع. والجرى: الشجاع المقدام. سيرتك: عادتكَ ، وجمعها سير وهى ما يعامل به الناس من خير أو شر ، وتقول : سرت سيرةً من خير أو شر ، إذا أحدثتها فعمل بها الناس بعدك ، فصارت عادةً لهم ، ولذلك نُسِرْنَا السيرة بالعادة حيث وقعت ، وأصل السيرة هيئة عمل السَّير ، وذلك أنك تقول : جلس فلان جلسةً بالفتح ، وهى المرة الواحدة من جلوسه ، فإذا

(١) ديوانه ١٠٣ ، ورواية صورته فيه : « ما احق الإنسان في فخره » .

كسرت الجيم فهي هيئة جلوسه، ومثله ركب ركبة، والركبة هيئة ركوبه، وتقول: سار هذا الفعل سيرة، والسيرة بالكسر: هيئة سيره في الناس من حسن أو قبح أو صواب أو خطأ، وسيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم: هيئة أفعاله حيث كانت. تتوارى: تستتر. بمراى من رقيبك، أى بمنظر ربك أو بحيث يراك، ورقب الشيء: حافظه وحارسه. مليكك: مالكك، وأراد أن الإنسان إذا خلا بريبة، استتر بها عن أخيه وعبدته حياء منهما، ولا يستحي من ربه الذى يطالع على معاصيه، ولا يخفى عليه خافية، وأشار إلى قوله تعالى: ﴿يَسْتَخْفُونَ مِنَ النَّاسِ وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ اللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ...﴾ الآية، وقال عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه:

إن كنت تعلم أن الله ياعمرُ يرى ويسمع ما يأتى وما تذرُ وأنت فى غفلةٍ من ذاك تركب ما تُجاهر الله إقداماً عليه، ومن

وقال نابعة بنى شيبان:

إن من يركب الفواحش سراً حين يخلو بسرّه غير خال^(١) كيف يخلو وعنده كاتباه شاهداه وربّه ذو الجلال!^(٢)

وقال أبو نواس:

إذا ما خلوت الدهر يوماً فلا تقلُ خلوتُ، ولكن قل على رقيب^(٣) ولا تحسبن الله يغفل ساعةً لهونا لعمر الله حتى تراكمتم^(٤) ذنوبٌ على آثارهن ذنوبٌ

(١) ديوانه ٦٤ .

(٢) الديوان: « ذو المحال » .

(٣) ديوانه ٢٠١ .

(٤) رواية الديوان: « لهونا بعمر طال حتى ترادفت » .

حالك : عزّتك ومالك . آن : حان وقرب . ارتحالك : انتقالك . توبُّك : تهلكك ، يقال : أُوْبَقْتَهُ الذنوب ، أهلكته فوبق ، أى هلك ووبق أيضاً - وقال أعشى همدان :

أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ أَعْمَالِي الَّتِي سَلَفَتْ مِنْ عَثْرَةٍ إِنْ يَعَاقِبْنِي بِهَا أَبِقَ
زَلَّتْ : زلقت . معشرك : قومك . محشرك : موضعك الذى تُحشَرُ إليه -

* * *

هَلَّا انْتَهَجْتَ حَجَّةَ اهْتِدَائِكَ ، وَعَجَلْتَ مُعَالَجَةَ دَائِكَ ،
وَقَلَّتْ شِبَاهُ اعْتِدَائِكَ ، وَقَدَعْتَ نَفْسَكَ فِيهِ أَكْبَرُ
أَعْدَائِكَ !

أَمَّا الْحَمَامُ مِيعَادُكَ فَمَا إِعْدَادُكَ أَوْ بِالْأَشْيَبِ إِنْذَارُكَ ، فَمَا
أَعْدَارُكَ ، وَفِي اللَّعْدِ مَقِيلُكَ ، فَمَا قِيلُكَ ! وَإِلَى اللَّهِ مَصِيرُكَ
فَمَنْ نَصِيرُكَ ! طَالَمَا أَتَقَطَّكَ الدَّهْرُ فَتَنَاعَسْتَ ، وَجَذَبَكَ
الْوَعْظُ فَتَقَاعَسْتَ ، وَتَجَلَّتْ لَكَ الْعِبَرُ فَتَعَامَيْتَ ، وَحَصَّصَ
لَكَ الْحَقُّ فَتَمَارَيْتَ ، وَأَذْكَرَكَ الْمَوْتُ فَتَنَاسَيْتَ ، وَأَمَكَّنَكَ
أَنْ تُوَاسِيَ فَمَا آسَيْتَ .

* * *

انتهجت : ركبت . والنهج المنهج والمنهاج : الطريق الواضح . حجة : طريق ،
من حَجَّه يُحِجُّهُ ، إذا قصده . اهتدائك : استقامتك . معالجة : مداواة . قلَّتْ :
كسرت . شِبة : حد . اعتدائك : جورك وظلمك . قدَعْتَ : كفت

قال النبي صلى الله عليه وسلم : « ليس عدوك الذى إن قتلتَه كان لك نوراً ، وإن قتلك دخلت الجنة ، ولكن أعدى عدوك نفسك التى بين جنبيك » . قال الأصمى : كنّا بطريق مكة فى بعض المنازل ، إذ وقت علينا أعرابية فقالت : أطعمونا ثمّا أطعمكم الله ، فناولها بعض التوم شيئاً فقالت له : كَبَتَ اللهُ لك كل عدو لك إلا نفسك .

قوله : « أما » : حرف إخبار^(١) واستفتاح كالأ . الحام : الموت ، من حمّ الأمر ، قضى . اليعاد : الموعد . ما إعداك : ما استعددت له ، والإعداد مصدر أعدّ للأمر إذا هيأ له ما يحتاج إليه من عُدّة ، يقول : الموت هو الذى وُعِدْتُ به أن يأتيك ولا بدّ ، فاستعدّ له من أفعال البر .

وللفقيه الزاهد أبى عمران موسى بن عمران :

يا صاح فى الموتِ لنا حكمةٌ بالغةٌ لو أننا ننتفعُ
فاعملْ له قبل مفاجاتهِ ويخصد الزارعُ ما قد زرعُ
لا حيلةً تُنجيك منه ولا ذو وزرٍ عنه به يمتنعُ
كم أممٌ أنفأهم قبلنا وشمل قومٍ شتّه فانصدعُ

ولحبيب :

تقد أيقنّت بالموت نفسى لأننى رأيتُ المنايا يخترمن حياتيا^(٢)
فيا ليت أنى بعد موتى ومبعى أكون رفاتاً لا على ولا ليا
المشيب : الشيب ، يقال : شاب رأسه شيباً أو مشيباً . إنذارك : إعلامك ، هو أنذرك : أعلمك بما تحذر وخوفك منه ، وأراد قوله تعالى : ﴿ وَجَاءَ كُمُ التَّذِيرُ ﴾^(٣) ،
هو انظر هذا المعنى فى الحادية والأربعين مستوفى نظماً ونثراً .

(١) قوله : « أما » : حرف إخبار . . . الظاهر أن هذا استفهام تقريرى — حاشية ط .

(٢) سورة فاطر ٣٧ .

(٣) ديوانه ٤٨٤ .

أَعْذَارُكَ: جمع عذر ، والإعذار بكسر الهمزة مصدر أعذر في طلب الحاجة إذا بالغ فيها . قال ابن السَّبْتي وجنس قواني :

الشَّيْبُ في مفرَّقٍ حَلَاً وَعَقْدَ عَهْدِ المِلاحِ حَلَاً
وكانَ كالأَبْنُسِ رَأْسِي فَاحْتَلَّهُ عَاجُهُ حَلَاً
وَحَرَمَتِ وَصَلِي الفَواني وَقُلْنَ قَتْلُ العَميدِ حَلَاً

اللحد : حفرة في جانب القبر ، وليحد الميت وألحده : شق له في جانب القبر .
وأصل اللفظة الميل . ومقيلك : مقامك ، وأصله النوم في القائلة . قيلك : حديثك
المُقول وحجتك الواضحة ، والقول مصدر كالطحن والذبح ، والقيل : اسم للمقول
كالطحن بالكسر : اسم للقيق المطحون ، والذبح اسم للمذبح . يعقوب : قال
والقيل اسمان لا مصدران . ابن سيده : القيل في الأصل مصدر ، وحكى الفارسي
قاله قولاً وقيلاً ، مثل ذكره ذكرراً ، والقال يجوز أن يكون مصدراً ، فإن سيويوه
حكي : ذامه ذاماً وعابه عاباً ، إلا أنه لم ينص على القول . مصيرك : رجوعك . نصير :
معدول عن ناصر للمبالغة . تناعست ، أى أظهرت أنك ناعس . جذبك :
قادك بعنف ، ويقال : جذب ، وجبذوهى أقل من الأولى ، وصحفت العامة هذه الثانية
وقالوا : « جبذ » بدال غير منقوطة . تقاعست : تأخرت وتصبعت وتشبهت بالأنفاس ؛
وهو الذى دخل ظهره وخرج صدره ، أى قادك الوعظ إلى الخير فلم تنقذ له ،
والعرب تقول : عزة قعساء كأنها تنقعس عن الذلة . تجلت : ظهرت . والعبر :
ما يُتَخَوَّفُ ويُتَظَّبه عند رؤيته . حصحص : تبين ، من الحص وهو ذهاب الشعر
فيبتين ما تحته ، والحاء الثانية مبدلة من صاد ثالثة ، وإذا اجتمع الأمثال في مثل
هذا ، أبدلت العرب من الحرف الأوسط حرفاً من جنس الحرف السابق ، ومثله
حشحت ورقرقت ، أصلها حشئت ورقرقت ؛ هذا قول الكوفيين ، وقال البصريون :

هما لغتان تقاربتا ، إذ لا يبدل الحرف إلا من مثله أو من مقاربه في الخروج ، وهذه الحروف متباعدة لا يصح إبدالها . ماريت : شككت : تؤاسى : تعطى .

* * *

تُؤَثِّرُ فَلَسًا تُوعِيهِ ، عَلَى ذِكْرِ تَعِيهِ ، وَتَخْتَارُ قَصْرًا تُعْلِيهِ ،
عَلَى بَرٍّ تُؤْلِيهِ ، وَتَرْغَبُ عَنْ هَادٍ تَسْتَهْدِيهِ ، إِلَى زَادٍ تَسْتَهْدِيهِ ،
وَتُعَلِّبُ حُبَّ ثَوْبٍ تَشْتَهِيهِ ، عَلَى ثَوَابٍ تَشْتَرِيهِ .
يُوَاقِيتُ الصَّلَاتِ ، أَعْلَقُ بِقَلْبِكَ مِنْ مَوَاقِيتِ الصَّلَاةِ ، وَمُعَالَاةِ
الصَّدَقَاتِ ، آمُرُ عِنْدَكَ مِنْ مَوَالَاةِ الصَّدَقَاتِ ، وَصِحَافِ الْأُلْوَانِ ،
أُشْهِى إِلَيْكَ مِنْ صَحَائِفِ الْأَذْيَانِ ، وَدُعَابَةِ الْأَقْرَانِ ، آنَسُ لَكَ
مِنْ تِلَاوَةِ الْقُرْآنِ .

* * *

تؤثر : تفضل . توعيه : تجعله في وعاء . برٍّ : إحسان . تؤليه : تعطيه
وتلصقه بمن تبرّه . هادٍ : مرشد لطريق الخير . ترغب عنه ، أى تتركه .
تستهديه ، أى تسترشده وتسأله أن يهديك إلى الخير ، وتستهديه الثانية : تطلب
أن يهدى لك هدية . يقول : تترك مَنْ يهديك إلى طريق الخير ، فلا تسأله
المهداية ، وتقصد أعراض الدنيا من الأطعمة وغيرها ، وترغب أن تعطى منها
هدية ، قال الزاهد ابن عمران :

توقّ وحاذِرْ من قبُولِ هَدِيَّةٍ	وإن جاءكَ فيها الحديثُ المرغَبُ
فقد حدثتْ بعد الرّسولِ حوادثٌ	تحذّرنا منها ، وعنْها ترغَّبُ
وكانتْ هَدِيَّاتُ الأوائلِ قبلنا	تؤلّفُ فيما بينهم وتُحِبُّ
فَعَادَتْ بِلايا يُسرِعُ المُنُّ نحوها	تفـرق فيما بيننا وتُجَنِّبُ

وله في مثله :

احذَرْ هَدَايَا النَّاسِ تَأْمِنَ الْمَنَ بِهَا أَوْ قَوْلَ وَائِشٍ يَشِي
قَلَّ مَنْ يَهْدِيكَ إِلَّا امْرُؤٌ مِنْ رَغْبَةٍ أَوْ رَهْبَةٍ قَدْ حُشِيَ
التَّبَسُّ الْأَمْرَ فَلَا تَقْدَمَنَّ وَأَخْشَ مَقَامَ اللَّهِ فَيَمْنُ خَشِيَ
كَانَتْ هَدَايَا ثُمَّ عَادَتْ رِشَا وَفِي الرِّشَا الْهَلَكُ إِنَّمَا يَرْتَشِي
حَذَرْنَا مِنْهَا نَبِيَّ الْهُدَى إِذْ لَعَنَ الرَّائِيَّ وَالْمُرْتَشِيَّ

الثواب : المكافأة على الفعل ، وأراد به ما يجازى الله به عباده على إحسانه
من الأجر ، وهو من ثاب يثوب إذا رجع ، وأثبت الرجل : أعطيته الثواب ،
وهو المكافأة على فعله . قوله « يواقيت » : أى جواهر . الصَّلَات : العطايا .
أعلق : ألقى . مواقيت : أوقات ، وهى جمع ميقات .

* * *

[من لطائف التجنيس]

ومما يستحسن من تجنيس الصَّلَات والصَّلَاة ، حكاية أحمد بن المذَّبر - وكان
إذا مدحه شاعر ولم يرض شعره ، قال لعلامه : امض به إلى المسجد فلا تفارقه حتى
يصلّى مائة ركعة ، ثم خلّه ، فتحاماه الشعراء إلا الأفراد المجيدين - فجاء الحسين بن
عبد الرحمن البصرى المعروف بالجلل ، فاستأذنه في النشيد ، فقال : أعرفت الشرط ؟
قال : نعم ، وأنشد :

أرَدْنَا فِي أَبِي حَسَنٍ مَدِيحًا كَمَا بِالْمَدْحِ تُتَجَجَعُ أَوْلَاةُ
فَقَلْنَا أَكْرَمُ الثَّقَلَيْنِ طُرًّا وَمِنْ كَفَاهِ دِجْلَةٌ وَالْفُرَاتُ
فَقَالُوا يَقْبَلُ الْمَدْحَ لَكِنْ جَوَائِزُهُ عَلَى الْمَدْحِ الصَّلَاةُ
فَقُلْتُ لَهُمْ : وَمَا تَغْنِي صَلَاتِي عِيَالِي ، إِنَّمَا تُغْنِي الزَّكَاةُ !

كهنه

فَأَمَّا إِذْ أَبَى إِلَّا صَّلَاتِي وَعَاقَتْنِي الِهْمُومُ الشَّاعِلَاتُ
فِيَأْمُرُ لِي بِكَسْرِ الصَّدَادِ مِنْهَا لَعَلِّي أَنْ تَنْشُطَنِي الصَّلَاتُ
فِيَصْلَحُ لِي عَلَى هَذِي حَيَاتِي وَيَصْلَحُ لِي عَلَى هَذِي الْمَاتُ

فضحك واستظرفه ، وأمر له بمائة دينار ، وقال : من أين أخذت هذا ؟ قال :
من قول أبي تمام :

هِنَّ الْحِمَامُ فَإِنْ كَسَرْتَ عِيَاظَهُ مِنْ حَائِثٍ فَلَيْسَ مِنْ حِمَامٍ ^(١)

* * *

قوله : «مغلاة الصدقات» ، أى الزيادة فى المهور ، وغاليت : زدت فى ثمن
السَّلعة ووردتها غالية ، والصدقات واحدها صدقة وهى الصَّدَاق ، قال النبى صلى الله
عليه وسلم : «من يُؤمِّنُ المرأةَ تيسرَ صداقها وخِطبتها» ، قال عروة : وأنا أقول :
من أول شوئها أن يكثر صداقها . آثر : أفضل وأكثر أثرًا . موالاة : متابعة .
صحائف : جمع صحيفة ، وهى الورقة يُكتب فيها من الرِّقِّ والقرطاس . دُعابة : مزاح ،
وفى فلان دُعابة ، وتداعب الرِّجلان : تمازحًا ، وفى الحديث : «كانت فيه صلى الله عليه
وسلم دُعابة» ، وفى حديث جابر رضى الله عنه : «هَلَّا بَكَرًا تَدَاعِبُهَا وَتَدَاعِبُكَ !» .
الآقران : الأصحاب والأمثال . تلاوة : قراءة ، وتلوته : قرأته ، واختلفوا فى
اشتقاق القرآن ، فقال أبو عبيدة : سُمِّيَ قرآنًا لأنه يجمع السور ويضمُّها ، قال الله تعالى :
﴿إِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ﴾ ^(٢) أى إذا جئنا لك شيئًا فضمه وامل به ، وقال قطرب :
سُمِّيَ قرآنًا لأن القارئ يُظهره ويبينه ويلقيه من فيه ، من قول العرب : ما قرأت
الناقة سلاقط ، أى مارمت به . وقال النبى صلى الله عليه وسلم : «إن القلوب لتصدأ
كما يصدأ الحديد» ، قالوا : يا رسول الله . ما جلاؤها ؟ قال : «قراءة القرآن» .

(٢) نقله فى النهاية لابن الأثير ٢ : ١١٨ .

(١) دهرانه ٢٧٩ .

(٣) سورة القيامة ١٨ .

تَأْمُرُ بِالْعُرْفِ وَتَنْتَهِكُ حِمَاهُ ، وَتَخْشَى عَنِ النُّكْرِ وَلَا تَتَحَامَاهُ ،
وَتُزْخِرُ عَنِ الظُّلْمِ ثُمَّ تَغْشَاهُ ، وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ
تَخْشَاهُ . ثُمَّ أَنْشَدَ :

تَبَا لِطَالِبِ دُنْيَا نَفَى إِلَيْهَا انْصِبَابُهُ
مَا يَسْتَفِيقُ غَرَامَا بِهَا وَفَرَطَ صَبَابُهُ
وَلَوْ دَرَى لَكِفَاهُ مِمَّا يَرُومُ صُبَابُهُ

* * *

العرف ، أى المعروف . تنتهك : تتأوله بما لا يجوز . حماء :
ماحى منه ، ومنع ، وأصل الحى موضع العشب يحميه الرجل لإبله . وانهاكه :
استنصل عشبها بالرعى ، ونهكت الجلد وانتهكته ، إذا أخذته بشفرة حتى يرق ويضعف .
النكر : المنكر . تتحاماه : تتباعد عنه . تُزْخِرُ عَنِ الظلم : تُدَجِّى عنه غيرك
وتزله . وتغشاه : تأتبه وتبشره . تخشى : تخاف . وقال ذو الرمة فى هذا المعنى ،
وهو أحسن شعر قاله :

يَارِبِّ قَدْ أَسْرَفْتُ نَفْسِي وَقَدْ عَلِمْتُ عِلْمًا يَقِينًا لَقَدْ أَحْصَيْتَ آثَارِي
يَا مَخْرَجَ الرُّوحِ مِنْ نَفْسِي إِذَا احْتَضَرْتُ وَفَارَجَ الْكَرْبِ زُخْرَحِي عَنِ النَّارِ^(١)
دعا لنفسه أن يكون من الفائزين ، لقوله تعالى : ﴿ فَمَنْ زُخْرِحَ عَنِ النَّارِ
وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ ﴾^(٢) .

قوله : « تَبَا » ، أى خسراناً وهلاكاً ، وتبّت يده : خسرت . قال تعالى :
﴿ وَمَا زَادُوهُمْ غَيْرَ تَتْنِيبٍ ﴾^(٣) ، أى غير خسار وهلاك ، قال الشاعر :

(١) ملحق ديوانه ص ٦٦٧ .

(٢) سورة آل عمران ١٨٥ .

(٣) سورة هود ص ١٠١ .

عَرَادَةٌ مِنْ بَقِيَّةِ قَوْمٍ لَوْطٍ أَلَا تَبًّا لِمَا عَمَلُوا تَبًّا! (١)

ثَنَى : عطف وردّ . انصبابه : جريه . يستفيق : يستريح ، وأفاق من المرض : استراح . غراماً : شدة حبّ لازم له غير مفارق ، ومنه سُمِّيَ الغريم ملازمته التقاضى وإلحاحه فيه ؛ قال تعالى : ﴿ إِنِّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا ﴾ (٢) أى مُلِحًّا دائماً ، ومنه ﴿ إِنَّا لَنَعْرِضُوكَ ﴾ (٣) ، وفلان مغرم بالنساء : يحبهن ويلازمهن ، وقال حاتم :
فَمَا أَكَلْتُ إِنْ نَلَّتْهَا بَغْنِيمَةٌ وَلَا جُوعَةٌ إِنْ جَعَتْهَا بَغْرَامٌ
أى بهلاك وملازمة .

فرط صباية : شدة شوق ومجاورة حدّ في ذلك . يروم : يطلب . صباية .
جفّة الماء .

[نبذ من الأشعار في ذمّ الدنيا]

وهذا الشعر مستحسن القوافي ، ومثله في ذلك قول الزاهد ابن عمران (٤) ،
وكثيراً ما كان يستمدّ في شعره من أدب المقامات :

تَبًّا لِذِي جَهْلٍ دَعَا لِمَبْرَةٍ وَأَجَبْتُهُ بِرًّا بِهِ فَأَذَاعَهَا
مَنَا وَقَدْ كَأَفَأْتُهُ بِهَبَاتِهِ وَذَخَرْتُهَا عِنْدِي لَهُ ، فَأَضَاعَهَا
فَأَقْلَّ النَّامُ مِنَ الرِّجَالِ وَلَا تَجِبُ مَهْمًا دَعَوْكَ وَجَنَّبْتَ عَنْهُ أَوْ ضَاعَهَا
وقال آخر :

(١) لجرير ، ٨٣ ؛ وهو عرادة النخعي راوية الراعي ، وقبله :

أَتَانِي عَنْ عَرَادَةٍ قَوْلُ سَوْءٍ فَلَا وَأَبَى عَرَادَةَ مَا أَصَابَا

(٢) سورة الفرقان ٦٥ .

(٣) سورة الواقعة ٦٦ .

(٤) هو أبو عمران موسى بن عمران المارظي الإشبيلي ، ذكره ابن سعيد في المغرب

١ : ٤٠٦ ، وأورد بعض شعره .

يامن يضئ عُمره متادياً في اللّهُو أمسك
واعلم بأنك لا محالة ذاهب كذهاب أمسك
والمصور الفقيه في الشعر المردف (١) :

إذا كنت تزعم أن الفراق فراق الحياة قريب قريب
وأنّ المقدّم ما لا يفوت على ما يفوت مصيب مصيب
وأنت على ذلك لا ترعوى فأمرك عندي عجيب عجيب

وقال القاضي أبو حفص عمر في معنى شعر الحريري في ذم الدنيا :

ياراكِضاً في طلابِ دنيا ليس لمن تصرع انتعاش
لم تحش نار هوى لظاها بمن له نحوها انحياس
أعذر منك الفراش حالاً علمت ما يجمل الفراش
نطلبها لا تنام عين عنها ولا يستقر جاش
من لك بالرّي من شراب يشتد من شربه العطاش
دعها فطلابها رعاغ طاشت بألبابهم فطاشوا
لم يرِدوها فهم رواء وواردوها هم العطاش
فاظماً لتروى ، وكن كقوم سقوا بها غبّة فعاشوا (٢)
كانّ آملنا ظباء ونحن من حيرة خدّاش
إن لآملنا انبساطاً به لأعمارنا انكماش
كانّ آجالنا صقور ونحن من تحتها خشاش

ولابن الرومي رحمه الله :

لعمرك ما الدنيا بدار إقامة إذا زال عن عين اللبيب غطاؤها

(١) الردف في الشعر: حرف ما كن من حروف المد . واللين يقع قبل حرف الروي ، ليس بينهما شيء ، فإن كان ألماً لم يمين معها غيرها ، وإن كان واواً جازمه الياء . وانظر اللسان .
(٢) ب : • ماتوا بها عفة فعاشوا • .

فكيف بقاء النَّاس فيها وإنما يُنال بأسباب الفناء بقاءها !
وقال آخر :

ومن يحمد الدنيا لعيش يسره فسوف لعمري عن قريب يلومها
إذا أدبرت كانت على المرء حسرة وإن أقبلت كانت كثيراً همومها
ولا بن سارة رحمه الله تعالى :

بنو الدنيا يجهل عظموها فجلت عندهم وهي الحقيرة^(١)
يهارش بعضهم بعضاً عليها مهارشة الكلاب على القيرة

ثم إنه لبَدَّ عَجَاجَتَهُ ، وَغَيَّضَ مُجَاجَتَهُ ، وَاعْتَضَدَ شَكْوَتَهُ ، وَتَأَبَّطَ
هِرَاوَتَهُ . فَلَمَّا رَأَتْ الْجَمَاعَةُ إِلَى تَحْفُزِهِ ، وَرَأَتْ تَأَهُبَهُ لِمَزَايِلِهِ مَرْكَزِهِ ،
أَدْخَلَ كُلٌّ مِنْهُمْ يَدَهُ فِي جَيْبِهِ ، فَأَفْعَمَ لَهُ سَجَلًا مِنْ سَيْبِهِ ، وَقَالَ :
اضْرِفْ هَذَا فِي نَفْقَتِكَ ، أَوْ فَرِّقْهُ عَلَى رَفَقَتِكَ . فَقَبِلَهُ مِنْهُمْ مُغْضِيًا ،
وَأَنْتَنَى عَنْهُمْ مُثْنِيًا ، وَجَمَلَ يُوَدِّعُ مَنْ يُشِيمُهُ ، لِيَخْفَى عَلَيْهِ مَهْمُهُ ،
وَيُسَرِّبُ مَنْ يَنْبُهُ ، لِكَيْ يُجْهَلَ مَرْبُهُ .

قوله : « ثم إنه لبَدَّ عَجَاجَتَهُ » ، أى سَكَّنَ غَبْرَتَهُ المرتفعة حتى لصقت بالأرض .
غَيَّضَ : جَفَفَ . الْمُجَاجَةُ : مَا يُلْقَى مِنْ فِيهِ . وَقَدْ مَجَّ الرَّجُلُ رِيقَهُ ، إِذَا سَالَ مِنْ
حَقِّ أَوْ كِبَرٍ . وَأَرَادَ بَلْبَدَ عَجَاجَتِهِ ، قَطَعَ كَلَامَهُ الَّذِي كَانَ قَدْ اسْتَرْسَلَ ، وَأَخَذَهُ
مِنْ قَوْلِ سَلْيَانَ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ ، وَقَدْ تَكَلَّمَ وَفَدَّ بَيْنَ يَدَيْهِ ، فَلَمْ يَصْنَعُوا شَيْئًا ،

وتكلم بعدهم رجل قبيح المنظر فأبلغ ، فقال سليمان : كأن كلامه بعد كلامهم سحابة لبدت عجاجا .

وأراد بـ « قَيْضُ مُجَاجَتِهِ » ما كان يسيل من عينيه وأنفه عند البكاء .
اعْتَضَدَهَا : جعلها تحت عَضْدِهِ . والشُّكُوةُ : ركوة الماء تُصْنَعُ من جلد الثور أو الخروف . وتأبَّطُها : جعلها تحت إبطه . هراوته : عصاه . رنت : نظرت . تحفزه : تهَيَّؤُه وعجلته للانصراف ، وتحفَّزَ وانحفز ، إذا كان جالسا على عقيبه متهيئا للقيام . تأهبه : استعداده . مزاييله : مفارقه . مركزه : موضعه الذي قام به . أفعم : ملأ ، ونعمت الشيء فعمّا : ملأته . سجلا : دلوا . سيبه : عطاؤه ، معناه وهب له نصيبا من عطائه . رققك : أصحابك . مفضيا : مستحييا ، وأصل « أغضى » كفت بصره وضمّ جفنيه . اثنى : رجع وانعطف عن طريقه . مهيمه : طريقه البين . يسرب : يفرق ، فكأنه « تفعل » من السَّرب وهو الطريق ، كأنه يردّهم عن تشبيعه في طرق مختلفة ، أو يكون من لفظ السَّرب ، وهو الحجر ، فكأنه يغيّبهم عنه حيث يقصد تعمية طريقه عليهم ، أو يكون من لفظ السارب وهو الذاهب في الأرض ، وقد سرب سروباً ، فكأنه يذهبهم في كل ناحية ليجهل مكانه . مربعه : منزله في الزَّبيع خاصة . والمربع : المنزل في كل وقت ؛ من ربت بالمكان ، أقت به .

قال الحارث بن همام : فاتبعتهُ مُوَارِياً عَنْهُ عِيَانِي ، وَقَفَوْتُ
إِثْرَهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَرَانِي ؛ حَتَّى انْتَهَى إِلَى مَعَارَةِ ، فَأَنْسَابَ فِيهَا
عَلَى غَرَارَةٍ ، فَأَمَّهَلْتُهُ زَيْشَا خَلَعَ تَمْلِيهِ ، وَغَسَلَ رِجْلَيْهِ ، ثُمَّ هَجَمْتُ
عَلَيْهِ ، فَوَجَدْتُهُ مُحَازِياً لِلتَّمْيِذِ ، عَلَى خُبْرِ سَمِيدٍ ، وَجَدِي حَنِيدٍ ،

وَقَبَّالَتَهُمَا خَايِيَّةٌ نَبِيذٌ ، فَقُلْتُ لَهُ : يَا هَذَا ، أَيْكُونُ ذَلِكَ خَبْرَكَ ،
وَهَذَا مَخْبَرَكَ !

مواريًا : سائرًا . عياني : شخصي ، أى تبعته مستخفياً بحيث لا يرانى .
قفوته : اتبعته من جهة قفاه . انساب : دخل ، وأصل الانسياب ، جَرَمِي الحَيَّة على
وجه الأرض ، أو جَرَى الماء كذلك ، ولا يكون الانسياب إلا على وجه الأرض ،
لا يقال : انساب فى البحر ؛ حدثنى به بعض مَنْ لقيت من أصحابنا ، وكان
أَضْبَطَ النَّاسَ للسان العرب ، قال : وقول الحريري : « انساب فيها » وهم منه ، ولو قال :
« انشام فيها » لكان أمثل ، يشبهه بالسيف إذا وُضِعَ فى غمده . غرارة : غفلة .
رَيْث : قدر . هجمت عليه : دخلت عليه فجأة ، ومنه هجم عليه الحر ، وهجمت
عينه : دخلت فى رأسه . محاذيًا : ملاصقًا أو جالسًا بجذائه . تلميذ : متعلِّم الصنعة .
حَنِيزٌ : مشوى ، وحند اللحم حَنْدًا : شواه . بحجارة محمَّاة . نبذ ، أراد به
خبرًا . خبرك ، أراد به أمرك الذى أنت عليه . مخبرك ، أى باطنك وما يختبر
منك .

[أبو نواس فى مجالس الوعظ]

ومما ينتظم فى هذا النمط حكاية أئى نواس حين رُئِيَ فى مجلس منصور
ابن عمار يبكى ، فظنَّ الناس أنه قد نَسَكَ ، فجعلوا يهشونهُ ، ويقولون : نرجو لك
من الله الخير ، فقال : أنا أهون على الله من ذلك ؛ وليس كما تظنون ، ولكن
أبكى لبكاء ذلك الغزال - و غلام بالمجلس يبكى من وعظ منصور - ثم قال :
لم أبك فى مجلس منصورٍ شوقًا إلى الجنة والخورِ

لكن بكأني لبكا شادين تقيه نفسي كلَّ محذورٍ
تنسب الألسن في وصفه إلى مدى عجزٍ وتقصيرٍ

وحضراً أيضاً مجلس بعض القصاص ، فقالوا له : لعل الله قد أقبل بك ! فقال :
إنما حضرت لأجل هذا الغزال ، ثم قال :

خلياني والمعاصي ودعا ذكر القصاص
واسقياني الخمر صرفاً في أباريق الرصاص
وعلى وجه غزال طائع ليس بعاصي
بين فتیان كرام قد تواصوا بالمعاصي
وعلى الله - وإن أف - سرط في الذنب خلاصي

* * *

فزفر زفرة القيظ ، وكاد يتميز من الغيظ ؛ ولم يزل يحملق
إليّ ، حتى خفت أن يسطو عليّ . فلما أن خبت ناره ، وتوارى
أوارُه ، أنشد :

لبست الحبيصة أبني الحبيصة
وأنشبت شصّي في كل شيصه
وصيرت وعظي أحبُّ—ولة
أريغ القنيص بها والقنيصه
والجأني الدهر حتى ولجـ
ت بلطف احتيالي على الآيث عيصه

عَلَى أَنِّي لَمْ أَهَبْ صَرْفَهُ
وَلَا تَبَيَّضْتُ لِي مِنْهُ فَرِيصَةً
وَلَا شَرَعْتُ بِي عَلَى مُورِدٍ
يُدْنِسُ عَرَضِي نَفْسُ حَرِيصَةٍ
وَلَوْ أَنصَفَ الدَّهْرُ فِي حُكْمِهِ
لَمَا مَلَكَ الْحُكْمُ أَهْلَ التَّقِيصَةِ

قوله: « فزفر زفرة القيظ »، الزفرة: تنفّس المهموم أو المفتاظ، والقيظ: شدة الحرّ، شبه ما أبداه من شدة الغيظ بوهج الحرّ. يتميز: يتقطع ويتفرّق. يحملق: يحدّ النظر، والمحلقة: نظر الغضب، والحلاق: باطن الجفن. يسطو: يصول ويتناولني بالمكره، يقال: سطا عليه وبه، يسطو سَطَوًا وسطوة، إذا قهره وأذله. خبت ناره: سكنت حدة غيظه. توارى: تغطى واستتر. أواره: لهبه ونار غيظه. والأوار: وهج النار. الخبيصة: كساء فيه خطوط. وقال يعقوب وأبو عبيد: الخبيصة: كساء مربع أسودله علان. الخبيصة: نوع من الحلواء، وتسميه عامتنا الخبيز، بالزاي، وكبي به عن لذة العيش. الشّصّ: حديدة معوجة يصاد بها الخوت، وتسمى الصنارة. شيصة: ثمرة رديئة؛ ومنّ ملح قصاص البلدان، أن أبا عبد الله الخواص كان يقول في قصصه: إنما الناس مثل التمر، فيهم الشيص والأبرني، يارب اجعلنا برّثيًا ولا تجعلنا شيصًا. وقال قاصّ آخر: إن في الجنة لخم جدى ولحم خروف، ولحم كل شيء بلا عظم مثل الشيص في بلادنا بلا نوى، يريد أنه لا يحترق شيئًا؛ فكل ما اتخذ له أخذه. أحبولة: آلة يصاد بها. أريغ: أطلب ما يصعب أخذه، كأنه يروغ من كذا، وأصل راغ من كذا، أي عدل عنه ورجع، وهو يخفى رجوعه. قلل الفراء: لا يقال للذي يرجع: راغ يروغ، إلا أن يكون مخفياً

لرجوعه ، قال الله تعالى : ﴿فَرَاغَ عَلَيْهِمْ ضَرْبُ الْبَايَمِينَ﴾^(١) ، أى رجع إليهم يضرهم مَخْفِيًا لرجوعه ، ومعنى «البايمن» أى يمينه الذى حلف فى قوله تعالى : ﴿وَتَاَلَّهِ لَآ كِيدَنَّ أَصْنَامَكُمْ﴾^(٢) ، أو يريد باليمن القوة ، وقال تعالى : ﴿فَرَاغَ إِلَى أَهْلِهِ فَجَاءَ بِعِجْلٍ﴾^(٣) ، أى رجع إليهم فى إخفاء منه لرجوعه . القنيص والقنيصة : الذكر والأنثى مما يصاد من الوحش ، وهذا مثل ، وإنما أراد ما يأخذه من الناس بالحيل . الجأنى : أحوجنى . ولجت : دخلت . لطف : رقة وتلطّف . عيصه : بيته ، وأصله الشجر الملتفّ . والليث : الأسد . أهب : أخفّ . صرفه : تقلّبه . نبضت : تحركت . فريصة : بَضْعَةٌ فى آخر الكتف تتحرك عند الفزع . شرعت : دخلت . وعلى : بمعنى « فى » نحو قولك : كان ذلك على عهد فلان ، أى فى عهده . مورد : موضع الماء . يدنس : يوسخ ويعيب . عَرَضَى : ذكرى . نفس حريصة : كثيرة الرغبة والطمع . النقيصة : الخصلة القبيحة يفعأها الرجل فينقص بها .

وقال بعضهم :

غَضَى عِيونَكَ يَا عِيُونَ النَّرَجِسِ	مِنْكَ اسْتَحْيَتْ بِأَنْ أُقْبَلَ مُؤْنِسِي
نَامَ الْحَبِيبُ تَدَبَّلَتْ أَجْفَانُهُ	وَعِيُونُكَ شَوَاحِصٌ لَمْ تَنْفَسِ
فَأُجَابَنِ تَفْلَحَ صَفْعَةٍ خَدَهُ	بِفَصَاحَةٍ مِنْ أَلْسِنٍ لَمْ تُخْرَسِ
قَبْلَ حَبِيبِكَ مَا اشْتَهَيْتَ فَإِنَّ مِنْ	عَادَاتِنَا كِتْمَانَ سِرِّ الْجُلَاسِ
يَا رَبِّ إِنِّ قَدَّرْتَهُ لِمُقْبَلٍ	غَيْرِي فَلِلْمَسْوَكِ أَوْ لِلْأَكْوَسِ
وَلَنْ قَضَيْتَ لَنَا بِصَحْبَةِ ثَالِثٍ	يَا رَبِّ فَلَمَّا شَمَعْتُ فِي الْجُلَاسِ

ومن أحسن ما قيل فى الدهر ، قول تميم بن المعز :

(١) - سورة الصافات ٩٣

(٢) - سورة الصافات ٩٣

(٣) - سورة الأنبياء ٥٧

يا دهرُ ما أقساكَ من متلون
أترُوح للنكس الجهول ممهداً
وإذا صفوت كدرت شيمة باخلٍ
لا أرتضيك وإن كرمت لأنتي
زمنٌ إذا أعطى استردَّ عطاءه
ما قام خيرُك يا زمان بشره
في حالتِكَ وما أقلَّك مُنصفاً^(١)
وعلى اللَّبيب الحرسيفاً مرهفاً^(٢)
وإذا وفيت نقضت أسباب الوفا
أدرى بأنك لا تدوم على الصفا
وإذا استقام بدا له فتحرّفاً
أولى بنا ما قلَّ منك وما كفى
إدريس بن اليمان^(٣) :

ماذا أقول لدنيا لو ظفرتُ بها
شجّام من أقدية الأيام برّح بي
أدبها غضباً للعلم والأدب
بل بالعوالى وبالهندية القضب

* * *

ثم قال لي : اذنُ فكلُ ، وإن شئت فقمُ وقلُ .
فالتفتُ إلى تلميذه وقلتُ : عزمتُ عليكِ بعنُ تستدفعُ به
الأذى ، لتخبرني مَنْ ذا ؟ فقال : هذا أبو زيد السروجي ، سراجُ
العرباء ، وتاجُ الأدباء .

فانصرفتُ مِنْ حيثُ أتيتُ ، وقضيتُ العجبَ ممّا رأيتُ !

* * *

قوله : « اذن » ، أى اقرب . قل ، أى قل ماشئت . التلميذ : الخادم ، والجمع

(١) ديوانه ٢٧٤

(٢) النكس : الرجل الضعيف القصر عن غاية النجدة والكرم .

(٣) هو أبو علي إدريس بن اليمان العبدي الأندلسي ، صاحب الأمصاح الكثيرة

للكوك الطوائف ، ذكره صاحب المغرب في ١ : ٤٠٠ .

التلاميذ ، قال لبيد^(١) :

* يَجْلُو التَّلَامِيذُ لَوْلَا قَشِبَا *

أى يجلو التلاميذ لَوْلَا جديداً ، وطالبة العلم : تلاميذ شيخهم . الأذى : الضرر . سراج : مصباح ، يريد أنه للغرباء مصباح يفخرون به ويهتدون بحيلته ، وللأدباء تاج يزيّنون به ويضعونه فوق رؤسهم . انصرفت : رجعت . قضيت العجب ؛ أى أتمته ، كأنه قال : قضيت حاجتى مما رأيت . ويقال : قضى نحبّه من كذا ، أى بلغ مراده ، وقضى عليه القاضى ، أى قطع عليه ، والقاضى : القاطع للأمور المحكم لها ، وقوله تعالى : ﴿ فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ ﴾^(٢) ، أى قطعهنّ وأحكم خلقهنّ ، ويكون « قضى » بمعنى « عمل » .

(١) ديوانه ٣١ و صدره :

* فإلما يَجْلُو مُتُونَهُنَّ كَمَا *

(٢) سورة فصّات ١٢ .

المقامة الثانية وهى الخلوانية

حكى الحارث بن همام قال : كلفتُ مُذْ مِيطَتْ عَنِّي
التَّمَائِمُ ، وَنِيطَتْ بِي أَمَمَائِمُ ، بَأَنْ أَغْشَى مَعَانَ الْأَدَبِ ، وَأَنْضَى
إِلَيْهِ رِكَابَ الطَّلَبِ ، لِأَعْلَقَ مِنْهُ بِمَا يَكُونُ لِي زِينَةً بَيْنَ الْأَنَامِ ،
وَمُزْنَةً عِنْدَ الْأَوَامِ . وَكُنْتُ لِفِرْطِ اللَّهْجِ بِاقْتِبَاسِهِ ، وَالطَّمَعِ فِي
تَقْمِصِ لِبَاسِهِ ، أَبَاحِثُ كُلِّ مَنْ جَلَّ وَقَلَّ ، وَأَسْتَسْقِي الْوَبْلَ
وَالطَّلَّ ، وَأَتَعَلَّلُ بِعَمَى وَلَعَلَّ .

* * *

كلفتُ ، أى اشتدَّ حُبِّي ، والكلفُ : شدة الحبِّ والمبالغة فيه ، وفلان كلفُ
بفلان ، أى مبالغ فى محبته . ومِيطَتْ وأَمِيطَتْ : أزيلت . التَّمَائِمُ : الأحرار .
نِيطَتْ : عُلِّقَتْ ، وإذا بلغ الصبى الحلم عند العرب أزلوا الأحرار عن عنقه ، وألبس
العمامة والإزار ، وقُلْدَ السيف ، فأراد : أُحِبِّتْ مَذْبَلْتُ الْحِلْمِ مَجَالِسِ الْأَدْبَاءِ . أَغْشَى :
أَقْصَدَ وَأَدْخَلَ .

المعان : المنزل . أبو عبيد ، يقال : البصرة مَعَانٌ مَنَا ، أى منزل منا ،
يقال المعرى :

معانٌ من أُحِبَّتْنَا مَعَانُ^(١)

فالأول اسم موضع معلوم جنس به ، وجعله منزل أحبابه . وقال بعضهم :

(١) - قط الزند ١٧٢ ، والبيت مطلع قصيدة له ، وبقية :

* تُجِيبُ الصَّاهِلَاتِ بِهِ الْقِيَانُ *

سُمِّيَ معاناً لمعاينة الناس فيه بعضهم بعضاً ، أو لأن فيه أعيانا . أنضى : أهزل
الركاب : الإبل ، وجعل للطلب إبلا مجازا ، وإنما يريد : أتعبت نفسي فرحلت
إلى طلبه على الإبل . لأعاق منه : لأحصل منه على فائدة أتعلق بها . الأنام : الخلق .
مُرْنة : سحابة . الأوام : شدة العطش ؛ يريد أنه يتعب نفسه في طلب الأدب ليتزين
به بين الناس ، ويعيش به إذا احتاج إليه . فرط اللَهج : شدة الحب ، يقال : قد
لَهج بالشئ ، إذا أكثر الحديث به لخبه فيه ؛ وحرصه عليه . ولَهج الفصيل بالرضاع ،
إذا لَجَّ فيه . اقتباسه : اكتسابه . التَقَمص : لبس التميمص . لباسه : ثيابه ،
أى أطمع أن ألبس من ثيابه قميصاً . أباحت : أسائل . جلّ : عظم . قلّ :
حقر . أَسْتَسْقَى الوَبْلَ والَطْلَ ، أى أطلب منه السقى ، والوبل : أشدّ المطر والطلّ :
أضعفه ، ويقال : الرُّكْ أضعف من الطلّ ، ومنه قيل للدنى : ركيك . أتعَلّ :
أشغل نفسي وأطعمها . والعلالة : الشئ اليسير . وعسى ولعلّ : معناهما الرجاء
والطمع ؛ يريد أنه يسأل الجليل في العلم والخير ، ومن أكثر علمه وكان كالوبلّ ،
أو قلّ وكان كالطلّ ، وإذا قد من يؤخذ عنه العلم رجا نفسه بوجوده وأطعمها .
والتعَلّ : قطع الزمان بالعيش اليسير ، وقد تعَلّ بشربه ، إذا أخذ منه قليلا قليلا ؛
فعنى «أتعَلّ بعسى ولعلّ» ، أذهب علة وجدي بالرجاء والطمع .

فَلَمَّا حَلَمْتُ حُلُومَانَ ، وَقَدْ بَلَوْتُ الْإِخْوَانَ ، وَمَسَبَرْتُ
الْأَوْزَانَ ؛ وَخَبَرْتُ مَا شَانَ وَزَانَ ، أَلْفَيْتُ بِهَا أَبَا زَيْدٍ السَّرُوجِيَّ
يَتَقَلَّبُ فِي قَوَالِبِ الْإِنْسَابِ ، وَيَخْطُبُ فِي أَسَالِيِبِ الْاِكْتِسَابِ ؛
فَيَدْعِي تَارَةً أَنَّهُ مِنْ آلِ سَأَسَانَ ، وَيَعْتَرِي مَرَّةً إِلَى أَقْيَالِ غَسَّانَ ،
وَيَبْرُزُ طَوْرًا فِي شِعَارِ الشُّعْرَاءِ ، وَيَلْبَسُ حِينَئِذٍ كِبَرَهُ الْكِبَرَاءِ .

[ذكر حلوان]

حلت : نزلت . وحلوان : بلدة بينها وبين مدينة بغداد أربع مراحل ، وهي من كُور الجبل ، وسميت باسم بانيها ، وهو حلوان بن علي بن الحاف بن قضاة ، وهي مدينتان بينهما نهر عظيم مقداره فرسخ ، وهي مقابلة لطبرستان . وهي جبلية سهلية بحرية لها زيتون ونخيل ، وبها قصب السكر وافتتحت في زمن عمر .

* * *

بلوت : جرّبت . الإخوان : الأصحاب . سبرت : فتشت . الأوزان : أقدار الناس . خبرت : جرّبت وعرفت . شان : عاب ، وزان : زُنِّي ؛ يريد أنه دخاها وهو مجرّب عارف بالناس . ألفيت : وجدت . يتقلب : يتنوع . قوالب : جمع قالب ، وقالب كل شيء : قياسه وما يُصنع عليه . يخبط : يمشى ، والخبط : المشى في الأرض على غير قصد كمشي الأعمى . أساليب : طرقى ، واحداها أسلوب . آل ساسان : ملوك الفرس . يعتزى : ينتسب . أقيال : ملوك . غسان : قبيلة باليمن كان منها ملوك . وغسان : ماء كان شرباً لولد مازن بن الأزد بن العوث فسُموا به . يبرز : يظهر . طورا : حيناً . شعار : ثياب ، والشعار ثوب يلي الجسد . كبر : تكبر ، يريد أنه لقي أبا زيد بحلوان يتنوع بذلك في أحوال المكدين ، ويحجى بذلك في طرق اكتساب المعيشة فيدعى أنه من آل ساسان .

[شعار السكديّة]

وأصل هذا أن الفرس كان فيهم الملوك ، وكانت العرب تحت حكم ملوكهم ، فلما بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم للمكهم بكتابه يدعوهم به إلى الإسلام ، مزقوه ، فدعا الله عليهم أن يُمزقوا كل مُمزّق ، فأوقع بهم المسلمون في خلافة عمر بن الخطاب رضى الله عنه بعد حروب شديدة معظمها بالقادسية ، فلم يبق لهم في الملك رسم ، وصاروا في خلافة عثمان رضى الله عنه تحت حكم المسلمين ، وكانوا أهل دهاء وجراءة وحروب

ورماية، فسكن من بقى منهم الأمصار، واستعربوا وتثقفوا، فكان منهم من نزع الله به المسلمين، وكان منهم أهل أهواء وبدع، ونشأت منهم هذه الطائفة الخسيسة، أهل الكدئية، فكانوا يطوفون على البلدان، ويقولون: نحن من بنى ساسان، فينتسبون إلى ملوكهم، ثم يتذللون في السؤال، ويذكرون تلاعب الدهر وانقلاب حال الملوك إلى السؤال، فيقع الإشفاق عليهم، والميل بالرزق لهم، حتى شعر الناس بمكرهم وخديعتهم، فطردوا، وصار الناس إذا رأوا سائلاً متمسكاً قالوا: ساسانى. وقيل: إن ساسان اسم رجل معين، وهو أول من أسس الكدئية، فَنسبوا إليه، كما أن الطنبليّ منسوب إلى رجل اسمه طفيل وهو أول من تطفل. فأراد أن أبا زيد كان يتنوع في أحواله، فيتمسكن تارة ويدعى أنه من ساسان، ويتعاطم أخرى فينتسب إلى غسان، ويبرز مرة في أحلاس الشعراء المكدين، ويظهر ثانية في ثياب فاخرة، لباس الكبراء المثرين.

* * *

يَبْدَأُ أَنَّهُ مَعَ تَلَوْنِ حَالِهِ، وَتَبَيَّنِ مُحَالِهِ، يَتَحَلَّى بِرِوَاءِ وَرِوَايَةٍ، وَمُدَارَاةٍ وَدِرَايَةٍ، وَبَلَاغَةٍ رَائِعَةٍ، وَبِدِيهَةٍ مُطَاوِعَةٍ، وَآدَابٍ بَارِعَةٍ، وَقَدَمٍ لِأَعْلَامِ الْعُلُومِ فَارِعَةٍ، فَكَانَ لِمَحَاسِنِ آلَاتِهِ، يُبَلِّسُ عَلَى عِلَاتِهِ، وَلِسَعَةِ رِوَايَتِهِ، يُصَيِّ إِلَى رِوَايَتِهِ، وَلِخِلَافَةِ عَارِضَتِهِ، يُرَغَبُ عَنْ مُعَارَضَتِهِ، وَلِإِعْذُوبَةِ إِيْرَادِهِ، يُسَعَفُ بِمِرَادِهِ، فَتَعَلَّقَتْ بِأَهْدَابِهِ، لِإِخْصَائِهِ آدَابِهِ، وَنَافَسَتْ فِي مُصَافَاتِهِ، لِنَفَائِسِ صِفَاتِهِ.

فَكُنْتُ بِهِ أَجْلُو مُهْمُوِي وَأَجْتَلِي
زَمَانِي طَلَقَ الْوَجْهَ مُلْتَمِعِ الضِّيَا

أَرَى قُرْبَهُ قُرْبَى وَمَمْنَاهُ غَنِيَّةٌ وَرُؤْيَاهُ رِيًّا ، وَمَحْيَاهُ لِي حَيًّا

قوله : « بَيِّدْ أَنَّهُ » ، أى غير . مُحَاله : باطله ، والمحال ما لا يمكن أن يُتصوَّر ، وهو « مفعول » من حال الشيء ، إذا تغير ، كأنه زال عن وجهه . يتحلَّى : يتزين . رواء : نظافة وحسن منظر . مداراة : حسن سياسة في صُحْبَتِهِ ، وأصلها المخادعة . دراية ودَرْيَة : مصدر دَرَيْت . بلاغة : فصاحة . رائعة : معجبة ، ومن شاهدتها ارتاع وتعجَّب . والبدية والبداهة : الأخذ في الكلام من غير فكرة ، وهى الارتجال . مطاوعة : مُتَقَادَة . بارعة : فائقة تفضل غيرها . أعلام : جبال . فارعة : طائلة قد علتها ، واللام فى قوله : « لأعلام » زائدة ، وزيادتها إذا تقدّمت أحسن منها إذا تأخرت ، مثل ضربت زيداً ولزيد ضربت . آلاته : عدده ، وأراد به هذه الأنواع التى قدّمها التى تحلّى بها . يلبس : يصاحب ويخالط . عِلَّاتِهِ : عيوبه التى ذكر من أنواع الغربة . سَعَة روايته : كثرة علمه وما يرويه . يُصْبَى : يمال . خلابة : خداع ، وقد خلبه خلباً وخلابة : خدعه . عارضته : قوة كلامه . معارضته : مقابلاته ومناقضته كلامه ، وتقول : رغبت عن الشيء تركته وتزهدت فيه ، ورغبت فيه ، إذا أحببته ، فيريد أنه لقوة كلامه وصلابته لا يعترض أحد لجِدَالِهِ ، فهو يخادع به الناس حتى لا يعترض له فيما يقول ، وقيل : معنى فلان شديد العارضة ، إذا أفحش وأسمع المكروه ، ورجل شديد العارضة ، أى لا تُقَرَّب ناحيته . إirاده : أخذه فى الكلام . يسهف : يساعد . أهدا به : أطراف ثوبه . وخصائص الشيء : ما يختص به ، أى ينفرد . نافت : زادت وغاليت . مصائنه : مصاحبته . نئاس : جمع نفيس ، وهو الرفيع من كل شيء يسقى نيساً ، من النفس وهى العين ، حتى كأنه لرفعته تتعلق به العين ، وقد قال العرّى : فالعين يُسلم منها ما رأت فتبت عنه وتلحق ما تهوى من الصُّور^(١) قوله : « أجلو » ، أى أكشف . أجتلى : أظلم . طلق الوجه : مستبشراً ، والطاق :

آلة يمزج بها المشروب الصعب الامتزاج . الإملاق : الفقر من المَلَقَة وهي الصخرة
الملساء ، فأملق ، كأنه صادف مَلَقَة لا تنبت شيئاً ، ولم يصادف خصباً بعد أن كان
في ترفهٍ وغنى . أغراه : حرضه .

والعراق ، اختلفوا فيه ، فقال صاحب العين : العراق : العظم بلا لحم ، فإن
كان عليه لحم فهو عَرَق .

ابن قتيبة ، يقال للعظم الذي عليه اللحم عُرَاق ، وللخالي من اللحم عَرَق .
أبو عبيد ، العراق : الجماعة من اللحم . أبو زيد ، قول العامة : ثريده العراق
خطأ ؛ إذ كان العراق العِظام ، وأنشد لرجل يطرد الطير عن زَرَعه في
عام جذب :

عَجِبْتُ مِنْ نَفْسِي وَمِنْ إِشْفَاقِهَا وَمِنْ طَرَادِي الطَّيْرَ عَنْ أَرْزَاقِهَا
فِي سَنَةٍ قَدْ كَشَفَتْ عَنْ سَاقِهَا حَمْرَاءَ تَبْرِى اللَّحْمَ عَنْ عُرَاقِهَا
ابن الأنباري ، قول أبي عبيد هو الصواب ؛ لأن العرب تقول : أكلت
العراق ولا تقول : أكلت العظم ، وفي حديث أم إسحاق العنزيّة^(١) : فجعلت
لا آكل العراق ولا أضعه ، فقولها : « لا آكل » يدل على أن العراق لحم مفرد
أو لحم على عظم .

الأصمعي ، قيل لأعرابي : أي الطعام أطيب ؟ قال : ثريده دَكْنَاءَ من
الفلفل ، رَقْطَاءَ من الحمض ، ذات حفاين من البضع ، لها جناحان من العراق ، قيل :
كيف أكلك لها ؟ قال : أصدع بهاتين — يعني السبابة والوسطى — وأسند بهذين —
يعني الإبهام والخنصر — وأجمع ما شذ منها بهذه — يعني البنصر — وأضرب
فيها ضرب ولئى السوء فى مال اليتيم . فهذا يدل على أن العراق قطع اللحم إذ كانت
العرب لاتصف الثريد والأطعمة بكثرة العظام .

والعراق فى البيت : الأكل ، تقول : عرقت العظم عراقاً ، أكلت ما عليه
من اللحم ، والعظم معروق ، وهو بمنزلة سكت سكاتاً .

العراق : قال صاحب العين : هو شاطئ البحر ، وبه سُميت العراق ، لأنها على شاطئ دجلة . ابن الأعرابي ، سمي عراقاً لأنه سفل عن نجد ، ودنا من البحر ، أخذ من عراق القربة ، وهو الخرز في أسفلها . قطرب ، سُمي عراقاً لأنه دنا من البحر ، وبه يُنَاخ وينجد .

ويقال : استعرت إبلهم ، إذا أتت ذلك الموضع . لَفَظَتْه ، أى زمته . ومعاوز : جمع مَعَوَز ، والمعوز هو العوز نفسه ، والمعوز بالكسر : الثوب الخلق وجمعه معاوز . الإرفاق ؛ مصدر أرفقته ، إذا أوصلت إليه نفعاً يَرْتَفِقُ به ، ورقيقته بمنه ، فأراد بمعاوز الإرفاق فَقَدْ ما يُرْتَفِقُ به . والمفاوز : جمع مفازة وهى الصحراء ، سُميت مفازة على التفاؤل ، لأنَّ الرجل إذا قطعها فاز ونجا . والآفاق : نواحي الأرض . نظمه : ضمه وجمعه . سلك : خيط . الرفاق : جمع رُفْقة ، وعنى بسلك الرفاق الطريق الذى ينتظمون فيه إذا أخذوا فى السير ، لأنهم يمشون فيه واحداً بعد واحد ، فنظمهم الطريق ، وصار لهم كالسلك . خنوق : اضطراب ، وقد خفق خَفَقاً وخُفُوقاً ، والإخفاق : الخيبة ، ويقال : غدا فأخفق ، إذا خاب ، ومثله فى الصائد : صاد فأروق . شحذ : حدّ وسنّ ، وشحذ الرجل سيفه ، إذا ألحّ عليه بالتحديد ، ومنه قولهم للملحّ فى المسألة : شحاذ ، والعامّة تصحّفه فتقول : شحات ، بالتاء . غرّار : حدّ . وأراد أنه لما عزم على الارتحال حدّ عزمته ، أى عوّل على السفر بجدّ . والعزيمة : مصدر عزم إذا جدّ ، وجعل لها حدّاً ، مبالغة فى تعجيل السفر . ظعن : ذهب وارتحل . أزمّة : جمع زمام ، وهو حبل من جلود يشدّ به فى حلقة بمجموعة فى وتد أنف البعير ، لجعل تعلق قلوب أصحابه به عند فراقه ، وحَيْنَهم إليه ؛ كأنه قد ربطها بأزمّة وقادها معه ، فمن روى « القلوب » عادت الهاء من « أزمته » على السروجيّ ، ومن روى « القلب » عادت على القلب أو على السروجيّ ، والقلب لابن همام .

قوله : « راقنى » ، أى أعجبني ، وقد راق الشيء يَرُوق رَوْقاً فهو رائق ، إذا أعجب . لاقنى : لصق بى وصحبني .

شاقنى : شوقنى . ساقنى لوصاله : دعانى لصحبته . لاح : ظهر . ندّ : فرّ وشرد .
 ندّ : مثل ، والجمع أُنْدَاد . خِلَال : جمع خُلّة بالضم ؛ وهى الصداقة ، خِلاله :
 جمع خُلّة بالضم أيضاً ، وهى الخصلة . وهذا النَّمط فى وصف الصديق وغيبته بارع .
 ولابن عمران فى ذلك :

يَا مَرْحَبًا بِصَدِيقٍ لَسْتُ أَبْصِرُهُ إِلَّا تَجَدَّدَ لِي أَنَسٌ بِمِرَّاهُ
 وَإِنْ تَغَيَّبَ عَنِ عَيْنِي فَلَمْ أَرَهُ فَلَى فَوَادٍ بظَهْرِ الْغَيْبِ يَرَعَاهُ

وَاسْتَسْرَّ عَنِّي حِينًا ، لَا أَعْرِفُ لَهُ عَرِينًا ، وَلَا أَجِدُ عَنْهُ مَبِينًا .
 فَلَمَّا أَتَيْتُ مِنْ غُرَبَتِي ، إِلَى مَنْبِتِ شُعْبَتِي ، حَضَرَتْ دَارَ كُتُبِهَا الَّتِي
 هِيَ مُنْتَدَى الْمُتَادِّينَ ، وَمُلْتَقَى الْقَاطِنِينَ مِنْهُمْ وَالْمُتَغَرِّبِينَ ، فَدَخَلَ
 ذُو إِحْيَاءٍ كَثَّةً ، وَهَيْئَةً زَمَّةً ، فَسَلَّمَ عَلَى الْجُلَاسِ ، وَجَلَسَ فِي
 أَخْرِيَّاتِ النَّاسِ .

استسّر : غاب واختفى ، وأصله من سِرّار الهلال فى آخر الشهر ، وهو
 يستسرّ ليلة لا يظهر أو ليلتين . والعرين : بيت الأسد ومأواه . مبيّنًا : معلماً به
 يبين لى أين استقرّ . أتت : رجعت . منبت شعبتى ، أى بلدة قرابتى التى نبتوا
 فيها ، يريد البصرة . والشعبة : القرابة . دار كتبها : مدرسة العلم . منتدى : مجتمع .
 القاطنين : الساكنين ، وقطن بالمكان : أقام فيه . كثّة : كثيرة الأصول من
 غير طول .

[مما قيل فى اللحية]

ويقال للحية إذا قصر شعرها وكثر : إنها لكثّة ، وقد كثت تكث كثائّة
 وكثوثة ، ورجل كثر اللحية ، ولحية كُثْمَةٌ ، إذا كثفت وقصرت وجعّدت ،

ورجل كُنْجُمُ اللحية. وإذا عظمت وكثر شعرها قيل: إنه لذو عُثْنُون، وإنه لَهْلُوف، فإذا كانت اللحية قليلة في الذقن ولم تكن في العارضين فذلك السَّنُوط والسَّنَاط، ورجل سُنَاط: بَيْنَ السَّنَط، فإذا لم يكن في وجهه كثير شعر، فذلك السَّنَط ورجل نَطَّ، ورجال نِطَاط. والسَّيْلَة: مقدَّم اللحية، ورجل مسِيل، وفلان خفيف العذارين، وهما ما اتصل من شعر اللحية بالصدغ، وهما العارضان، وهما ما نبت في الخدين من الشعر على عوارض الأسنان، قال رؤبة في حية حرب بن قَطَن:

هَيَّوْفَةٌ كَأَنَّهَا جُوالِقُ نَكَدَاءُ لَا بَارِكُ فِيهَا الْخَالِقُ
لَهَا فَضُولٌ وَلَهَا بِنَائِقُ إِذَا الرِّيحُ الْعَصْفُ السَّوَابِقُ
طَيَّرَهَا طَارَتْ لَهَا عَقَائِقُ إِنْ الَّذِي يَحْمِلُهَا لَمَائِقُ
وَأَنشَدَ أَبُو عَلِيٍّ:

وَأَنْتَ امْرُؤٌ قَدْ كَثَّتْ لَكَ لَحْيَةٌ كَأَنَّكَ مِنْهَا قَاعِدٌ فِي جُوالِقِ
وقال النبي صلى الله عليه وسلم: «من سعادة المرء خفة لحيته». وكانت عائشة رضي الله عنها تقسم فتقول: «لا والذي زين الرجال بالاحيى»، تقول: إنه قَسَمَ للملائكة.

قال الأحدب الصوفي: سمعت مطيار بن أحمد يقول: رأيت النبي صلى الله عليه وسلم في المنام، فقلت: يا رسول الله، أشتبهى لحيه كبيرة، فقال لى: «لحيتك جيدة، وأنت محتاج إلى عقل تام».

وقال صلى الله عليه وسلم: «اعتبر واعقل الرَّجُلُ في ثلاث: في طول لحيته، ونقش خاتمه، وكنيته».

أنى رجلٌ طويلُ اللحية معاوية فقال له: أَمَا اللحية فلا نسأل عنها، فما نقش خاتمك؟ فقال: ﴿وَتَقَدَّ الطَّيْرَ فَقَالَ مَالِي لَا أَرَى الْهَدُودَ أَمْ كَانَ مِنَ النَّعَائِبِينَ﴾^(١)، قال: فما كنيته؟ فقال: أبو الكوكب الدرئى، قال: كَمَلِ الرجل.

وكان صلى الله عليه وسلم يأخذ من لحيته من طولها وعرضها بالسواء .
 وكان عبد الله بن عمر يقبض على لحيته ، ويأخذ ما زاد منها على قبضته .
 الحسن بن المثنى : إذا رأيت رجلاً له حية طويلة ، ولم يتخذ حية بين لحيته ،
 كان في عقله شيء .

وكان المأمون جالساً مع ندمائه ببغداد ، مشرفاً على دجلة وهم يتذاكرون
 أخبار الناس ، فقال المأمون : ما طالت حية إنسان قط إلا وقص من عقله بمقدار
 ما طال من لحيته ، وما رأيت عاقلاً قط طويلاً اللحية . فقال له بعض جلسائه ، ولا
 يردّ على أمير المؤمنين : قد يكون في طول الحى أيضاً عقل ؛ فبينما هم يتذاكرون في
 هذا ، إذ أقبل رجل كبير اللحية ، حسن الهيئة ، فاخر الثياب ، فقال المأمون :
 ما تقولون في هذا الرجل ؟ فقال بعضهم : رجل عاقل ، وقال آخر : يجب أن
 يكون هذا قاضياً ، فقال المأمون لبعض الخدم : على بالرجل ، فلم يلبث أن أضعده
 إليه ووقف بين يديه ، فسلم فأجاده السلام ، فأجلسه المأمون ، واستنطقه فأحسن النطق ،
 فقال المأمون : ما اسمك ؟ فقال : علوية ، قال : فما الكنية ؟ قال : أبو حذويه ،
 فضحك المأمون ، وغمز جلساءه ثم قال : ما صنعتك ؟ قال : قفيه أجيد الشرع
 في المسائل ، فقال له : نسألك مسألة ! فقال الرجل : سل عما بدا لك ، فقال له
 المأمون : ما تقول في رجل اشترى شاة من رجل ، فلما تسلمها المشتري ، وقضى
 الثمن ، ضرطت ، ونخرج من استها بعة ففقت عين رجل ؛ على من تجب دية
 العين ؟ قال : فنكت بإصبعه في الأرض طويلاً ، ثم قال : تجب على البائع دون
 المشتري ، فقال المأمون : وما العلة التي أوجبت الدية عليه دون المشتري ؟ قال :
 إنه لما باعها لم يشترط أن في استها منجنيقاً ، قال : فضحك المأمون حتى استلقى على
 قفاه ، وضحك كل من حضره من الندماء . وأنشد المأمون يقول :

ما أحدٌ طال له لِحْيَةٌ فزادت اللّحْيَةُ في حِلْيَتِهِ

إلا وما ينقص من عقله أكثر مما زاد في لحيته
وقال آخر :

إذا عظمت للفتى إحيية فطالت فصارت إلى سرته
فنقصان عقل الفتى عندنا بمقدار ما زاد في إحييته
وأنشد أبو علي :

لا تفخرن بالحيية كثرت منابتها طويله^(١)
يهوى تفرقها الريا ح كأنها ذنب الحسيلة
قد يدرك الشرف الفتى يوماً ، ولحيته قليله
وقال : الحسيلة العجلة .

وأنشد أبو العباس رحمه الله :
كل امرئ ذى لحية عثولية يقوم عليها ظن أنه له فضلاً
وما الفضل في طول السبال وعرضه إذا الله لم يجعل لصاحبه عقلاً
عثولية : كبيرة .

نظر يزيد بن مزيد الشيباني رحمه الله إلى رجل ذى لحية عظيمة ، وقد
تلففت على صدره ، وإذا هو خاضب ، فقال له : إنك من لحيتك في مئونة ، فقال :
أجل ، ولذلك أقول :

لعمرك لو يعطى الأمير على الآحى لأصبحت قد أيسرت منذ زمان^(٢)
إذا لشفتنى لحتى من عصاية لهم عنده ألف ولى مائتان
لها درهم للدُّهن في كل جمعة وآخر للحناء يتدّران
ولولا نوال من يزيد بن مزيد لصوت في حافات الجلمان

(١) الأبيات في اللسان (حسل) من غير نسبة .

(٢) الكامل للمبرد ٢ : ١٢٨

فأمر له بعشرة آلاف درهم . والجلّمان : المتصّ ، ويسمى الجالِم .

وقال إسحاق بن خلف يصف رجلاً بالقصر وطول اللحية :

ما سرّني أنّني في طولِ داوُدِ	وأنّني علّم في البأسِ والجود ^(١)
ماشيتُ داوداً فاستضحكتُ من عجبِ	كأنّني والدّ يمشي بمولودِ
ما طولُ داودَ إلا طولُ لحيتِه	يظلُّ داوُدُ فيها غيرَ موجودِ
تكنّه خصلة منها إذا نفعت	ريح الشمالِ ، وجفّ الماء في العودِ
أجدى وأغنى من الخزّ الصفيق ومن	بيض القطائف يوم القرّ والسودِ

وأشدّ إفراطاً منه قول ابن الرومي :

ولحيةٍ يحملها مائتُ	مثل الشرايين إذا شرعاً
تقوده الرّيح بها طائفاً	قوداً عنيفاً تبع الأخذعاً
وإن عدا والريح في وجهه	لم ينبعث في مشيه إصبعاً
لو غاص في اليمّ بها غوصةً	صاد بها حيتانه أجمعاً

وأشدّ إفراطاً منه قول الآخر :

يا لحيةَ الشّيخ الأزب تميم	أهديت للأقوام عرف الثوم
لو أنها دون السماء غمامةً	ضاقَتْ مسالكُ دعوة المظلومِ
أو صبّها في الماء ثم سَمّا بها	قامتْ مقام العارضِ المَرَكُومِ

ولابن سارة :

ولحيةٍ لست أدري كيف أنعتها	فضول أشعارها أودّت بأشعاري
كأنها ويمينُ الرّيح تنشرها	مذبّةٌ وقعت في عود بيطار

وقال آخر :

أبصرتُ شيخاً ذاهباً جائياً ذا لحيةٍ قد كبرتُ في اتساعِ
عرضاً وطولاً وهو من خلفها كأنه ناشرُ ثوبٍ يُباعِ
وقال آخر :

لقد كانتُ مجالسُنَا فِصاحاً فضيَّعَها بلحيَّتِهِ رَبَّاحُ
مُقلَّبةُ الأسافل والأعالي لها في كلِّ زاويةٍ جَنَاحُ
وقال آخر :

يأتيها الناسُ خذوا حذرَكم قد برزتُ إحييةً مُبهلُولِ
فطوّلُها الفرسخُ في فرسخٍ وعرضها ميلٌ إلى ميلِ
لو ضمَّ ما يقطر من دُهنِها أسرج منه ألفُ قنديلِ
ولو سها الحجام عن قصِّها لحالطت ما في السراويلِ

ذكر هنا أبو محمد لحية السروجي أنها كتته، وكل صفة يصف بها السروجي في المقامات، فتلك كانت صفة الحريري. وذكر ابن جهور أن الحريري كان قليل اللحية لا خلقه، وإنما كان مولماً بنتفها، كانت يده رحمه الله لا تفارق لحيته. وهذا على كثرته قليل فيما قيل في اللحية.

قوله «رئة»، أي خلقة بالية. أخريات: أطراف، وهي جمع أخرى.

ثم أخذَ يُبدى ما في وطابه، ويُعجبُ الحاضرين بفصل خطابه، فقال لمن يليه: ما الكتاب الذي تنظر فيه؟ فقال: ديوان أبي عبادة، المشهود له بالإجادة.

أتى طاحه رضى الله عنه مجلس قوم، فجعلوا ينادونه من كل جانب: هاهنا

يا صاحب رسول الله! قال: فجلس في أدنى المجلس، ثم قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «إِنَّ من التواضع لله الرضا بالذون من شرف المجلس».

وطابه: زقاق لبنيه، أراد أنه يظهر ما عنده. يجب: يجعاهم يتعجبون. بفصل خطابه: يريد بفصل كلامه وجودة بلاغته، وقوله تعالى: ﴿وَفَصَّلَ الْخِطَابَ﴾^(١) هو قول الخطيب: «أما بعد». يليه: يلصق به.

[البحترى وبعض أخباره وشعره]

أبي عبادة. قال البكري: هو الوليد بن عبيد بن يحيى بن عبيد، من بني بختر بن عتود بن عُنَيْن ابن سَلَامان بن ثعل بن عمرو بن القوْث بن جلهمة، وهى طيء. شاعر مقدّم لا يُعدّل به أحد، يفصّل على حبيب، والناس فى تفضيلهما على اختلاف.

قال أبو الفرج الأصبهاني: كان البحتريّ شاعراً فصيحاً، حسن المذهب نقيّ الكلام، خُتم به الشعراء المحدثون، وله تصرف فى ضروب الشعر، سوى الهجاء، وإن بضاعته فيه نَزْرَة.

قال البحتريّ: وكان أول أمرى أنى سرت إلى أبي عامر بِحِمَص، فعرضت عليه شعري - والشعراء يعرضون عليه أشعارهم - فترك من حضر وأقبل علىّ، فقال لى حين تفرّقوا: أنت أشعر من أنشدنى، فكيف حالك؟ فشكوت خلة، فكتب إلى أهل معرّة النعمان، وشهد لى بالحدق فى الشعر، وشفع لى إليهم، وقال: امتدحهم. فسرت إليهم، فأكرموني بكتابته، ووظّفوا لى أربعة آلاف درهم، فكانت أول مالٍ أصبته^(٢).

وحدث أبو الفرج، قال: حدثنى أبو القوْث البحتريّ، عن أبيه، قال: أول

(١) سورة ص ٢٠.

(٢) الأغاني ١٨ : ١٦٧ ، ١٦٩ .

أمرى أُنّي دخلت على أبي سعيد محمد بن يوسف الثغري ، فأنشدته قصيدة أولها :

* أأفاق صبُّ من هوى فأفياً *

فسرّ أبو يوسف بها ، وقال : أحسنت والله يا فتى وأجدت - وفي مجلسه رجل رفيع نبيل قريب المجلس منه ، فوق كل من حضر ، تكاد تمسّ ركبته ركبته ، فأقبل علىّ ، ثم قال : أما تستعجى مني ! هذا شعري تنتعله وتنشده بحضرتي ! فقال له أبو سعيد : أحقّ ما تقول ؟ قال : نعم ، وإنما علقه مني وسبق به إليك ، وزاد فيه . ثم اندفع فأنشد أكثر القصيدة ، حتى شككتني - علم الله - في نفسي ، وبقيت متحيراً ، فقال لي أبو سعيد : يا فتى ، قد كان لك في قرابتك مني ما يغنيك عن هذا ! فجعلت أحلف بكل محرّجة من الأيمان أن الشعر لي ، ماسمعه منه ، ولا انتحلته . فلم ينفع ذلك شيئاً ، وأطرق أبو سعيد ، وقطع بي حتى تمنيت أن يساخ بي في الأرض ، فقامت منكسف^(١) البال ، أجزّ رجلي ، فما بلغت باب الدار حتى ردّني الغلام ، فأقبل علىّ الرجل وقال : الشعر لك يا بني ، والله ما قلته قط ، ولا سمعته إلا منك ؛ ولكنني كنت ظننت أنك تهانوت بموضعي ، فأقدمت على الإنشاد بحضرتي ، تريد مضاهاتي ، حتى عرفني الأمير نسبك ، ولوددت ألا تلد طائفة إلا مثلك ، ودعاني وضمّني إليه ، وعانقني ، وأبو سعيد يضحك ، فلزمته بعد ذلك وأخذت عنه ، واحتذيت فنه^(٢) .

وعن أبي الغوث عن أبيه قال : قال لي أبو تمام : بلغني أن بني حميد أعطوك مالا جليلاً ، فبهم مدحتهم ؟ فأنشدني شيئاً منه ، فأنشدته ، فقال لي : كم أعطوك ؟ قلت : كذا ، فقال لي : ظلموك ، والله ما وفّوك حقك ، فلم استكثرت ما أعطوك ! والله ليبت منها خير مما أخذت . ثم أطرق قليلاً وقال : لعمرى لقد استكثرت ذلك لما مات الكرام ، وذهب الناس ، وغاضت المكارم ، وكسدت

(١) الأغاني : « منكسر » .

(٢) الأغاني ١٨ : ١٦٩ .

أسواق الأدب ، أنت الله يابني أميرُ الشعراء غداً بعدى ، فعمت قَبَلت رأسه ويديه
ورجليه ، وقلت : والله لهذا التول أسرُّ لي مما وصل إلى منهم .

قال البحتري : أنشدت أبا تمام يوماً شيئاً من شعري ، فأنشدني
بيت أوُس :

وإن مُقَرَّمٌ منَّا ذَرَّاحِدٌ نَابِهٍ تَمْخُطُ فِينَا نَابُ آخِرِ مُقَرَّمٍ^(١)

ثم قال : يابني ، نَعَيْتَ إِلَى نَفْسِي : فقلت : أَعِيذُكَ بِاللَّهِ مِنْ هَذَا ! فقال لي :
إن عمري ليس يطول ، وقد نشأ مثلك لَطِيئٌ ، أما علمت أن خالد بن صفوان
الْمِنْقَرِي رأى شَيْبَ بْنَ شَبَّةَ ، وهو من رهطه يتكلم ، فقال . يابني ، نَعَى نَفْسِي
إِلَى إِحْسَانِكَ فِي كَلَامِكَ ؛ لَأَنَا أَهْلُ بَيْتٍ ، مَا نَشَأُ فِينَا قَطُّ خَطِيبٌ إِلَّا مَاتَ مِنْ قَبْلِهِ .
قال : فمات أبو تمام بعد سنة من قوله هذا ، ومات البحتري سنة ثلاث
وثمانين ومائتين .

المبرد : ذكرت للمتوكل المنازعة الَّتِي جَرَتْ بَيْنِي وَبَيْنَ أَبِي الْفَتْحِ فِي
تَأْوِيلَاتٍ ،^(٢) فبعث إلى عامله بالبصرة أن يحملني إليه مكرهاً ، فوردتُ سرّاً من
رأى ، فَأَدْخَلْتُ عَلَى الْمُتَوَكِّلِ ، وَفِي الْمَجْلِسِ الْبَحْتَرِيُّ وَأَبُو الْعَنْبَسِ الصِّيمَرِيُّ ،
فأنشده البحتري قصيدة أولها :

عَنْ أَيِّ فَرَقٍ تَبْتَسِمُ وَبِأَيِّ طَرْفٍ تَحْتَكِمُ^(٣)
حَسَنٌ يَضَنُّ بِحُسْنِهِ وَالْحُسْنُ أَشْبَهُ بِالكَرَمِ

حتى بلغ :

قُلْ لِلْخَلِيفَةِ جَعْفَرِ الْمُتَوَكِّلِ بْنِ الْمُعْتَصِمِ

(١) وذرا حد نابه : انكسر ؛ كذا فسره صاحب اللسان ، واستشهد بالبيت .

(٢) ج : « تأويلاته » ومى ساقطة من السعوى وإنباه الرواة .

(٣) ديوانه ١٩٩٨ .

المرتضى ابن المجتبى والمنعم ابن المنتقم
أما الرعية فهي من أمنات عدلك في حرم
يابانى الجدى الذى قد كان قووض فانهدم
اسلم لدين محمد فإذا سالت فقد سلم
نلنا الهدى بعد العمى بل والغنى بعد العدم^(١)

ثم مشى القهقرى للانصراف ، فوثب أبو العنبر ، وقال : يا سيدى «
تأمر برده ! فقد والله عارضته ، فأخذ ينشد فى ذلك :

فى أى سلعٍ تنتظم وبأى كفٍ تلتقم
أدخلت رأس البحتريّ أبى عبادة فى الرحم

ووصله بما يشبهه من الشعر . فضحك المتوكل حتى استأق ، وقال : يُدفع
إلى أبى العنبر عشرة آلاف درهم ، فقال أبو الفتح : بأمر المؤمنين ، والبحتريّ
الذى هجى وأسمع المكروه ينصرف خائباً ؟ قال : ويُدفع إلى البحتريّ
عشرة آلاف درهم ، قال : يا سيدى ، وهذا البصريّ الذى أشخصناه من بلده ،
ألا يشركهم فيما حصلوه ؟ قال : ويُدفع له عشرة آلاف : قال : وانصرفنا كلنا
فى شفاعة الهدى ، ولم ينفع البحتريّ جدّه وحذقه .^(٢)

وأما أبو الفرج ، فقال : حدثنى جحظة عن أبى العنبر الصيمريّ ، قال :
كنت عند المتوكل والبحتريّ ينشده :

* عن أى نفرٍ تبتسم *

وكان البحتريّ من أبغض الناس إنشاداً ، يتشادق ويتزاور فى مشيه مرةً
جانباً ، ومرةً القهقرى ، ويهزّ رأسه مرةً ومنكبيه أخرى ، ويشير بكفيه ، ويقف
عند كل بيت ، ويقول : أحسنتُ والله ! ثم يقبل على المستمعين ، ويقول لهم :
مالكُم لا تقولون : أحسنت ! هذا والله ما لا يحسن أحدٌ أن يقول مثله ، فضجر

(١) الديوان : « بك والغنى » .

(٢) الخبر برواية البرد فى مروج الذهب ٢ : ٣٧٢ ، ٣٧٣ وإنباه الرواة ٣ : ٤٤٤ .

للتوكل من ذلك ، وأقبل على فقال : أما تسمح يا صيمري ما يقول ؟ قلت :
يلي ياسيدي ، فمر فيه بما أحببت ، فقال : بحياي اهجه على هذا الروي ،
خفقت على البديهة :

أدخلت رأسك في الرّحِمِ	وعلمت أنك تنهزم ^(١)
يا بحترى حذارٍ ونح	لك من قضاقة ضغم
فلقد أسلت بواديي	لك من الهجاسيل العرم
فبأى عرض تعتصم	وبهتكه جفت القلم
والله حلفه صادق	وبقبر أحمد والحرم
ووحق جعفر الإمام	م بن الإمام المعتصم
لأصيرنك شهرة	بين المسيل إلى العلم
يا بن الثقيلة والثقب	ل على قلوب ذوي النعم
وعلى الصغير مع الكب	ير من الموالى والحشم

وبعد هذا ما يقبح ذكره ؛ فغضب البحتري ، وخرج يعدو ، وجعلت
أصيح به :

أدخلت رأسك في الرّحِمِ وعلمت أنك تنهزم
والتوكل يضحك ، ويصفق حتى غاب عنه .^(١)

ومدح البحتري بعض الولاة ، فتوانى في حقه ، فأنشده :

إن الأمير أطل الله مدته يُعطى من العرف ما لم يُعطه أحد^(٢)
ينسى الذي كان من معروفه أبداً إلى العباد ، ولا ينسى الذي يعد
فأعطاه خمسين ألف درهم ، وقال : البيتان خير من القصيدة .

وقال الهذلي : قيل للبحتري : أيما أشعر ؟ أنت أو أبو تمام ؟ قال : جيده خير
من جيدي ، وردبني خير من رديته . وصدق ، أبو تمام لا يتعاقب به أحد في .

(١) الأغاني ١٨ : ١٨٣ ، وأخبار البحتري للصولي ٨٧

(٢) مالحق ديوانه ٢٥٤٥ .

في جيده ، وربما اختل لفظه لامعناه ، والبحترى لا يختل لفظه .

وقيل له : قد عثرت باحثائك أبا تمام في شعرك ! فقال : أيعاب علي أن أتبع أبا تمام ، وما علمت بيتاً قط حتى أخطر شعره ببالى !
وذكروا معي تعاوره البحرى وأبو تمام ، فقال المبرد للبحترى : أنت في هذا أشعر من أبي تمام ، فقال : لا والله ، ذلك الرئيس الأستاذ ، والله ما أكلت الخبز إلا به .

وقال عبد الله بن الحسن : سألت المبرد عن أبي تمام والبحترى أيهما أشعر ؟ فقال : لأبي تمام استخراجات لطيفة ، ومعانٍ ظريفة ، وجيّد أجود من شعر البحرى ومن تقدّمه من الحداثين ، وشعر البحرى أحسن استواء من شعره ، لأنّ البحرى يقول القصيدة كلّها ، فتكون سليمة من طعن طاعن ، وأبو تمام يقول البيت النادر والبارد ؛ وهذا المعنى كان أعجب إلى الأصمعيّ ، وما أشبهه إلا بفائض يُخرج الدرّة المَخْشَلَة - وهي زجاجة توضع مكان الدرّة - ثم قال : لأبي تمام والبحترى من الحاسن ما لو قيس بأكثر شعر الأوائل ما وجدوا فيه مثله ، ثم قال : والبحترى ختم الشعر ، وله بيتان لو وضعنا إلى شعر زهير لجازا فيه ، وهما :

فاسفه السفيه وإن تعدّى بأنجم فيك من حلم الحليم^(١)
متى أحفظت ذا كرم تخطى إليك ببعض أفعال اللئيم
وذكر المبرد في هذا المجلس شعراً له ، وقدمه على نظرائه :

وإذا ذكرت محاسن ابني صاعدٍ أدت إليك مخائل ابني مُخلدٍ^(٢)
كالفرقدين إذا تأمل ناظرٌ لم يعلُ موضعُ فرقدٍ عن فرقدٍ
وقوله :

من شاكر عني الخليفة لأذى أولاه من فضلي ومن إحسانٍ^(٣)

حَتَّى لَقَدْ أَفْضَلْتُ مِنْ إِفْضَالِهِ وَرَأَيْتُ نَهْجَ الْجُودِ حُبُّ رَأْيِي
وبعدهما :

أَغْنَتْ يَدَاهُ يَدِي وَشَرَّدَ جُودُهُ بُخْلِي ، فَأَقْرَنِي كَمَا أَغْنَانِي
وله أيضاً في الفتح بن خاقان ، وقد نزل إلى الأسد فقتله :

حَمَلْتُ عَلَيْهِ السَّيْفَ عَطْفَكَ مَا انْتَنَى ، وَلَا يَدُكَ ارْتَدَّتْ وَلَا حَدَّهُ نَبَأُ (١)
فَأَحْجَمَ لَمَّا لَمْ يَجِدْ فِيكَ مَطْعَمًا وَصَتَّمَ لَمَّا لَمْ يَجِدْ عَنْكَ مَهْرَبًا
وله فيه :

وَمَا مَنَعَ الْفَتْحُ بَنَ خَاقَانَ نَيْلَهُ وَلَكِنَهَا الْأَيَّامُ تُعْطَى وَتَحْرِمُ (٢)
سَخَابُ خَطَائِي جُودُهُ وَهُوَ مَسْبِلٌ وَبَحْرٌ عَدَائِي فَيْضُهُ وَهُوَ مَنْعَمٌ
وَبَدْرُ أَضَاءِ الْأَرْضِ شَرْقًا وَمَغْرِبًا وَمَوْضِعُ رَجُلِي مِنْهُ أَسْوَدُ مُظْلَمٌ
أَأَشْكُو نَدَاهُ بَعْدَ أَنْ وَسَّعَ الْوَرَى وَمَنْ ذَا يَذِمُّ الْغَيْثَ إِلَّا مَذَمَّمٌ !

وله أيضاً في انتقاض صلح بين عشيرته :

إِذَا مَا الْجَرْحُ رَمَى عَلَى فَسَادٍ تَبَيَّنَ فِيهِ تَفْرِيطُ الطَّيِّبِ (٣)
وَلَسَّاهُمُ السَّدِيدُ أَشَدَّ حُبًّا إِلَى الرَّامِي مِنَ السَّهْمِ الْمُصِيبِ
ومن جيد شعره :

وَلَمَّا التَّقِينَا وَاللَّوَى مَوْعِدُ لَنَا تَبَيَّنَ رَأْيِي الدَّرَّ حَسَنًا وَلَا قَطْعُهُ (٤)
فَمَنْ لَوْلُو تَجْلَوْهُ عِنْدَ ابْتِسَامِهَا وَمَنْ لَوْلُو عِنْدَ الْحَدِيثِ تَسَاوِطُهُ
والبحتري أكثر جداً ، وديوان شعره نسخ مختلفة بالزيادة والنقص ؛ لأنَّ
شعره لا ينضبط لكثيرته .

(٢) ديوانه ١٩٨٠

(١) ديوانه ٢٠٠ ، ٢٠١ .

(٣) ديوانه ١٩٠ .

(٤) ديوانه ١٢٣٠ .

[وصية أبي تمام للبحترى]

قال البحتري : كنت أروم الشعر في حدائق ، وكنت أرجع فيه إلى الطبع ، ولم أكن أقف على تسهيل مأخذه ووجوه اقتضائه ، حتى قصدت أبا تمام ، وانقضت فيه إليه ، واتكلت في تعريفه عليه ، فكان أول ما قال لي : يا أبا عبادة ، تخير الأوقات وأنت قليل الموم ، صفر من الغوم . واعلم أن العادة جرت في الأوقات أن يقصدها الإنسان لتأليف الشيء ، أو حفظه في وقت السحر ، وذلك أن النفس تكون قد أخذت بحفظها في الراحة ، وقسطها من النوم ، فإن أردت التثيب ، فاجعل اللفظ رقيقاً ، والمعنى رقيقاً ، وأكثر فيه بيان الصبابة ، وتوَجُّع الكتابة ، وقلق الأشواق ، ولوعة الفراق ؛ فإذا أخذت في مدح سيد [ذى أباد] ^(١) ، فأشهر مناقبه ، وأظهر مناسبه ، وأبن معالنه ، وشرف مقامه ، ونصّد المعاني ، واحذر المحتمل ^(٢) منها . وإياك أن تشين شعرك بالألفاظ الهجينة ^(٣) ، وكن كأنك خياط تقطع الثياب على مقادير الأجسام ، وإذا عارضك الضجر فأرح نفسك ، ولا تعمل شعراً إلا وأنت فارغ القلب . واجعل شهوتك إلى قول الشعر الذريعة إلى حسن نظامه ، فإن الشهوة تجمع النفس ^(٤) . وجملة الحال أن تعتبر شعرك بما سبق من شعر الماضين ، فما استحسن العلماء فأقصده ، وما تركوه فاجتنبه ؛ ترشد إن شاء الله تعالى .

قال : فأعملت نفسي فيما قال ، فوقفت على السياسة ^(٥) .

* * *

فَقَالَ : هَلْ عَثَرْتَ لَهُ فِيهَا لَمَحَتَهُ ، عَلَى بَدِيعِ اسْتِمْلَاحَتِهِ ؟ قَالَ : نَعَمْ ، قَوْلُهُ :

- (١) من زهر الآداب (٢) زهر الآداب : « المحبول » .
(٣) زهر الآداب : « الرديئة » . (٤) زهر الآداب : « نعم العين » .
(٥) زهر الآداب ١١٠ ، ١١١ ، العمدة ٢ : ١١٤ .

كَأَنَّمَا يَنسِمُ عَنْ لَوْلُو مُتَضَدٍّ أَوْ بَرْدٍ أَوْ أَقَاحٍ
فَإِنَّهُ أَبَدَعَ فِي التَّشْبِيهِ ، الْمُوَدَّعِ فِيهِ .

* * *

قوله : « هل عثرت » ، معناه اطلعت . لحته : نظرته . بديع : معنى لم يسبق
غيره إليه من تشبيه أو تجنيس وشبههما كما ذكر من صنع البديع في [المقامة]
الثالثة والعشرين . والبِدْع : لإحداث الشيء قبل أن يكون أولاً ، والبِدْعَة : ما ابتدع
من الدين ، والبديع : الحدث العجيب ، وأبدع الرجل : أتى ببديع من قول أو فعل ،
وأبدع الله الأشياء وابتدعها : خلقها بلامثال . استملحته : وجدته مليحاً . ينسم :
يبيد بعض أسنانه عند الضحك . لَوْلُو : جوهر شبه به الأسنان . وهذا البيت
من شعره ، وقبله :

بَاتَ نَدِيمًا لِي حَتَّى الصَّبَاحِ أَغْيَدُ مَجْدُولُ مَكَانِ الْوِشَاحِ^(١)
فَبِتَ أَفْدِيهِ وَلَا أَرْعَوِي لَهْيَ نَاهٍ عَنْهُ أَوْ لَحْيَ لَاحِ
أَمْزُجُ كَأْسِي بِحَيِّ رَيْقِهِ وَإِنَّمَا أَمْزُجُ رَاحًا يَرَاخِ
كَأَنَّمَا يَنسِمُ الْبَيْت .

وبعده :

سِحْرُ الْعُبُونِ النَّجْلِ مُسْتَهْلِكٌ لَّبِّي ، وَتَوْرِيدِ الْخُدُودِ الْمِلَاحِ
قُلْ لِأَبِي نُوحٍ شَقِيقِ الْعَلَا وَمَعْدِنِ الْجُودِ ، وَتَرْبِ السَّمَاحِ^(٢)
أَعُوذُ بِالْفَضْلِ الْجَمِيلِ الَّذِي عَوَّدَتْنِي ، وَالنَّائِلِ الْمُسْتَمَاحِ
مَنْ أَنْ تَصُدَّ الطَّرْفُ عَنِّي وَأَنْ أَخِيبَ فِي جُدُوكَ بَعْدَ النَّجَاحِ
أَثَمْتَ حُسَادِي وَأَخْرَجْتَنِي عَنْ سَيْبِكَ الْمُغْدَى عَلَى الْمَرَاحِ
فَهَلْ لِأُنْسِي بَانَ مِنْ عَوْدَةٍ أَمْ هَلْ لِحَالٍ فَسَدَتْ مِنْ صَلَاحِ

(١) ديوانه ٤٣٥ .

(٢) هو أبو نوح عيسى بن موسى المدوح .

لَسْتُ عَلَى سَخَطِكَ جَلَدٌ التَّوَى وَلَا عَلَى هَجْرِكَ شَاكِي السَّلَاحِ
قوله : « المودع » : المضمن ، وأودع الشيء : صيره وديعة .

فَقَالَ لَهُ : يَا لَلْعَجَبِ ، وَلِضَيْمَةِ الْأَدَبِ ! لَقَدْ اسْتَسَمَنْتَ ذَا وَرَمٍ ،
وَنَفَخْتَ فِي غَيْرِ ضَرَمٍ ! أَيْنَ أَنْتَ مِنَ الْبَيْتِ النَّذِرِ ، الْجَامِعِ
مُشَبَّهَاتِ الثَّغْرِ ! وَأَنْشَدَ :

نَفْسِي الْفِدَاءُ لِغَيْرِ رَقٍّ مَبْسُومُهُ
وَزَانُهُ شَذَبٌ نَاهِيكَ مِنْ شَنْبٍ
يَفْتَرُّ عَنْ لَوْلُوٍ رَطْبٍ وَعَنْ بَرَدٍ
وَعَنْ أَقْلَحٍ وَعَنْ طَلْعٍ وَعَنْ حَبَبٍ

استسمنت : حسبته سميئاً وطلبت السمانه من هزيل . وَرَمٌ : دُمْلٌ ، والمعنى
أنه يرميه بسوء الفهم ، وقد بين هذا أبو الطيب المتنبي فقال :

أُعِيدُهَا نِظْرَاتٍ مِنْكَ صَادِقَةً أَنْ تَحْسِبَ الشَّجَمَ فِيمَنْ شَحْمُهُ وَرَمٌ^(١)
وَمَا انْتِفَاعُ أَخِي الدُّنْيَا بِنَظَرِهِ إِذَا اسْتَوَتْ عِنْدَهُ الْأَنْوَارُ وَالظُّلَمُ

ونفخت في غير ضرم ، مثل لطلب الشيء في غير موضعه ، ولفظ المثل^(٢) :
« نفخت » أو « تَذَنَخَ » ، والضَّرم : النار . النَّذِرُ ، والنادر : الغريب . الثَّغَرُ :
الأسنان ، مبسمه : موضع ابتسامه ، يعني الفم .

(١) ديوانه ٣ : ٣٦٦ ، ٣٦٧ .

(٢) لفظ المثل في جمهرة الأمثال ٢ : ٣٠٥ : « نفخت لوتنفخ في غم » ، والنعم :
الجر الطائي .

السَّنْب : الماء القليل الجارى على الأسنان . الجرمى : سمعت الأصمعى يقول : السَّنْب بَرْد الأسنان والفم ، قلت : أصحابنا يقولون : حدثها حين تطلع ، فيراد بذلك حدثها وطرائفها ، لأنها إذا أتت عليها السنون تغيرت ، فقال : ما هو إلا بَرْدُها . ابن سيده : قال الأصمعى : سألت رؤبة عن السَّنْب ما هو ؟ فأخذ حبة رمان فأومأ إلى بصيصها .

ناهيك : كافيك ، وتقول : ناهيك بفلان ! أى قد انتهى الأمر فيه إلى الغاية ونهى الرجل من اللحم وأنهى ، إذا شبع منه واكتفى ، والنهى : الغدير لأنه ينتهى إليه ماء الوادى . يفتّر : يكشف ويبسم . رطب ، أى طرى كما أخرج من أصدافه ، وفي اللؤلؤ إذا ذاك رطوبة وسطوع بياض ، فإذا أصابه الهوى ودام عليه صلب ، وإذا تداولته الأيدي باللمس وقدم تغيرت بياضه . الطامع : أول حمل النخلة ، وهو الفرخ فإذا انشق فهو الضحك ، وبه تشبه الأسنان فى بياضه ، ثم الإغريض إذا افترق حبه ، وإنما شبه الأسنان بالطلع ، وهو الفرخ ، لأنه إذا شق وجد ما فيه من حمل النخلة فى غاية البياض ، ويقال له : الوليع ، قال الشاعر :

وتبسم عن لؤلؤ كالوليع تشقق عنه الرقاة الجفوفاً^(١)

الجفوف جمع جُفٍّ وهو قشر الفرخ ، ويقال له القيقاء والببله ، وهو طيب الريح ، والرقاة : الراقون إلى أعلى النخل .

والحب : تنضد الأسنان ، وقيل : طرائق تظهر فى الحمر عند مزجها بالماء ، فأما الققاقع التى تلو الحمر عند المزج فهى الحباب ، بزيادة الألف ، قال المتلمس^(١) :
عقارمُ أعتقت فى الدنّ حتى كأنّ حبابها حدقُ الجراد^(٢)

(١) اللسان - ولع ، جفف ، من غير نسيبه .

(٢) شعراء النصرانية ٣٤٢ . والمقار : الحمر ؛ سميت عقاراً لأنها هافتت الدن .
والحمر العبيقة : القديمة .

وقال آخر :

حَمْرَاءُ قَانِيَةٌ إِذَا مَا شَمَعْتُ يَنْزُو إِلَى وَجْهِ النَّدِيمِ حَبَابُهَا

فَاسْتَجَادَهُ مَنْ حَضَرَ وَاسْتَحْلَاهُ ، وَاسْتَعَادَهُ مِنْهُ وَاسْتَمْلَاهُ ،
وَسُئِلَ لِمَنْ هَذَا الْبَيْتُ ، وَهَلْ حَتَّى قَاتِلُهُ أَوْ مَيِّتُهُ ؟ فَقَالَ : أَيْمُ اللَّهِ ،
لَلْحَقِّ أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ ، وَلَلصِّدْقِ حَقِيقٌ بَأَنْ يُسْتَمَعَ ؛ إِنَّهُ يَأْقَوْمُ ،
لِنَجْيِكُمْ مِنْذُ الْيَوْمِ . قَالَ : فَكَأَنَّ الْجَمَاعَةَ ارْتَابَتْ بِبِرْزَوْتِهِ ،
وَأَبَتْ تَصْدِيقَ دَعْوَتِهِ . فَتَوَجَّسَ مَا هَجَسَ فِي أَفْكَارِهِمْ ،
وَفَطَنَ لِمَا بَطَنَ مِنْ اسْتِنكَارِهِمْ ، وَحَازَرَ أَنْ يَفْرُطَ إِلَيْهِ ذِمٌّ ، أَوْ
يَلْحَقَهُ وَهْمٌ ، فَقَرَأَ ﴿ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ ﴾ . ثُمَّ قَالَ : يَا رِوَاةَ
الْقَرِيضِ ، وَأَسَاةَ الْقَوْلِ الْمَرِيضِ ، إِنَّ خُلَاصَةَ الْجَوْهَرِ تَظْهَرُ بِالسَّبْكِ ،
وَيَدُ الْحَقِّ تَصْدَعُ رِدَاءَ الشُّكِّ ، وَقَدْ قِيلَ فِيمَا غَبَرَ مِنَ الزَّمَانِ : عِنْدَ
الْامْتِحَانِ يُسَكَّرُ الْمَرْءُ أَوْ يُهَانُ ، وَهَا أَنَا قَدْ عَرَضْتُ خَبِيئَتِي ^(١)
لِلْاخْتِبَارِ ، وَعَرَضْتُ حَقِيقَتِي عَلَى الْاِعْتِبَارِ .

قوله : «استعاده» ، أى قال : أعده على . استملاه : طلب أن يكتبه . أيم الله :
يمين يخلف به . نجيتكم : محدثكم - يعنى نفسه . ارتابت : شككت والريب : الشك .
ببرزوته : بنسبته ، أى بنسبته إلى نفسه . دعوته : ادعاؤه أنه من قوله . والدعوة
بكسر الدال فى النسب ، وفتحها فى الطعام . فتوجس : أى أحسّ وسمع .
هجس : وقع وخطر . فطن : شعر . بطن : خفي ، يريد أنه فهم منهم أنهم لم

يصدّقوه في أنّ الشعر له ، وأنكروا أن يقول مثله . حاذر : خاف . . يفرط : يسبق . القريض : الشعر . أساة : أطباء ، واحدهم آسي . القول الرريض : الضعيف من قبل راويه . خلاصة : ما خلاص منه . وجواهر الأرض ، مثل الحديد والنحاس وغيرهما ، فإذا عرّض الجوهر على النار ، فما كان منه خالصاً زاد صفاء وجودة ، وما لم يكن خالصاً فضحتّه النار وأظهرت عيبه . السبك : الاختبار بالنار . تصدع : تشق . غبر : مضى هنا ، ويستعمل كثيراً بمعنى « بقي » وهو من الأضداد ؛ يقال : غبر الشيء غبوراً إذا بقي ، قال الله تعالى : ﴿إِلَّا أَمْرًا تَهُ كَانَتْ مِنْ الْغَابِرِينَ﴾^(١) ، أي الباقيين . الامتحان : الاختبار والبحث ، وهذا المثل من أمثال الفرس ، ولهذا أبعد مدّته حيث قال : غبر من الزمان . خبيتي : مكتومي ، وما خبأته من علمي ، وأصل « خبيتي » الهمز ، فقلبت همزته ياء وأدغمت فيها الياء ، كما قلت في « خاسية » . وتقول : عرّضت الشيء على البيع وعرضته للبيع ، إن أتيت بعلى خففت الراء ، وإن أتيت باللام شددتها . والحقيية : وعاء يجعله الرّاكب خلفه ، والاعتبار والاختبار واحد .

* * *

فَابْتَدَرَ أَحَدُ مَنْ حَضَرَ ، وَقَالَ : أَعْرِفُ سَيِّئًا لَمْ يُنْسَجْ عَلَى مِنْوَالِهِ ،
وَلَا مَمَحَتْ قَرِيحَةٌ بِمِثَالِهِ ، فَإِنْ آثَرْتَ اخْتِلَابَ الْقُلُوبِ ، فَانْظِمِ
عَلَى هَذَا الْأَسْلُوبِ :

فَأَمْطَرَتْ لَوْلَاؤًا مِنْ تَرْجِسٍ وَسَقَتْ
وَرَدًّا وَعَصَّتْ عَلَى الْمُنَابِ بِالْبَرْدِ

* * *

قوله : «ابتدر»، أى سبق بالكلام وبادر به . والمنوال : خشبة الحائك ؛ يريد أن البيت رفيع الصنعة فى الشعر لم يصنع بيت مثله ، لأن الثوب أنواع ، وصنعة الشعر تشبه نسج الثوب . سمحت : جادت . قريحة : ذهن . آثرت : فضلت . اختلاب القلوب : إِمالتها إليك بتصديقك وانخداعك بما تبديه ، وهو من الخَلْب وهو من غشاء القلب . وعن أبى عبيدة وغيره قال ثعلب : الخَلْب : الذى بين الزيادة والكبد^(١) ، يقال : خَلَبنى حبُّ فلان ، أى وصل حُبُّه إلى خَلْبى ، وفلان خَلَب نساء ، أى تخلبه النساء ، وخَلَّاب : يخلب الناس ، أى يذهب بقلوبهم ، وخَلَب جمعه خلبة ، وكله من الخَلْب ، قال أعرابي :

مَنْ كَانَ لَمْ يَدْرِ مَا حُبُّ جُمِعَتْ لَهُ أَوْ كَانَ فِي غَفْلَةٍ أَوْ كَانَ لَمْ يَجِدْ
فَالْحُبُّ أَوَّلُهُ رَوْعٌ وَآخِرُهُ مِثْلُ الْحَرَارَةِ بَيْنَ الْخَلْبِ وَالْكَبِدِ
[انظم : قل شعرا منظوما . والأسلوب : الطريقة]^(٢) .

لولؤاً : درأ . النرجس : نوار أصفر فى نوره انكسار وفتور لا يكاد يرى ، له ورقة قائمة ، تشبه به العينان إذا كان فى نظرهما فتور .

[ذكر النرجس وما قاله الشعراء فى تشبيه العيون به]

وقد تمادى إنكار أدباء وقتنا تشبيه العين بهذا النوار الأصفر المعروف عندنا بالنرجس ، فأكثرهم ينكر أن يكون يقع به تشبيه لأجل صفرته ، وإن ذكرته لأحد قال : وأى صفرة فى العين إلا أن يكون بصاحبها علة اليرقان ! ويستحسن موضع التشبيه جداً .

وقد سألت عنه بعض أشيخى فى صغرى ، وأنا أقرأ عليه كتاب «الجل» وكان أديباً شاعراً ، فأنكر وقوع التشبيه بهذا النور الأصفر ، وقال لى : النرجس عندهم

(١) من ج ٢ .

(٢) فى اللسان : الخلب ، بالكسر : حجاب الكبد ، وقيل : هو حجاب بين القلب والكبد

بالمشرق نور يشبه نوار الفول . وأكثر من لقيته يستبعد التشبيه بهذا الأصفر ، لأجل لونه ، وذلك لقلة تحصيلهم معرفة كلام العرب وتشبيهاتها ، والعرب توقع تشبيهاتها على الصورة دون المعنى ، وعلى المعنى دون الصورة ، وعليهما جميعاً ؛ وهو أكمل وجوه التشبيه . وانظر أقسام التشبيه في الثالثة والعشرين تقع على علم هذا وغيره بإذن الله تعالى .

وتشبيهه العيون بالسيوف والسهم ، إنما المراد به المضاء والقطع ، ولا يلتفت في ذلك إلى اللون ، وكذلك تشبيه العيون بالنرجس الأصفر إذا قصد ما فيه من الفتور واقع متمكن في التشبيه ، ألا ترى ابن المعتز التفت إلى الفتور وحده حين قال :

وَسَنَانٌ قَدْ خَدَعَ الثُّعَاسُ جُفُونَهُ فَحَكَى بِمَقْلَتِهِ ذُبُولَ النَّرْجِسِ^(١)

والنرجس الذي يشبه به أهل المشرق العيون ، هو نبات له قضبان خضر في رءوسها أقماع ، يخرج منها نور ينبسط منه على الأقاع ورق أبيض ، في وسط البياض دائرة قائمة من ورق صغير . هذه الصفة التي تقع في أشعارهم إذا ذكروا النرجس ، وبذلك وصفه كسرى أنوشروان ، فقال : النرجس ياقوت أصفر ، بين دُرٍّ أبيض على زمرد أخضر ، أخذه بعضهم فقال فيه :

وَيَا قُوتَ صَفْرَاءَ فِي رَأْسِ دُرٍّ مَرَكَبَةٌ فِي قَائِمٍ مِنْ زَبَرْجَدٍ
كَأَنَّ بَهِيَّ الدَّرِّ عَقْدَ نَظَامِهَا فَرِيدٌ أُنَيْقٌ قَدْ أَطَافَ بَعْسَجِدٍ

وأنشد أبو عون الكاتب في كتاب التشبيه له ، فقال : من جيد ما قيل في النرجس ما أنشده البرّدرج رحمه الله تعالى :

تَرْجِسَةُ لَاحِظِي طَرَفَهَا تَشْبَهُ دِينَارًا عَلَى دِرْهَمٍ^(١)

وقال عبيد الله بن عبد الله فيه :

تَرْنُو بِأَبْصَارِهَا إِلَيْكَ كَمَا تَرْنُو إِذَا خَافَتِ الْيَعَافِيرُ^(٢)

مثل اليواقيت قد نُظْمَنَ عَلَى زَمَرْدَ فَوْقَهُنَّ كَافُورُ

كَأَنَّهَا وَالْعَيُونَ تَرْمُقُهَا دِرَاهِمُ وَسَطَهَا دَنَانِيرُ

وقال أبو نواس :

لَدَى نَرْجِسٍ غَضُّ الْقَطَافِ كَأَنَّهُ إِذَا مَامِنْحَاهُ الْعَيُونَ عَيُونُ^(٣)

مُخَالَفَةٌ فِي شَكْلِهِنَّ وَصَفْرَةٌ مَكَانَ سَوَادٍ وَالْبَيَاضُ جُفُونُ

أَجَادَ التَّشْبِيهَ ، وَكَشَفَ بِذِكْرِ الْمُخَالَفَةِ قَنَاعَ الشَّبْهَةِ ، وَبَيَّنَ مَوَاقِعَ التَّشْبِيهِ

غَايَةَ الْبَيَانِ .

وقال أبو عبد الملك بن فرج في كتاب الحاسّ والحسوس ، له : وَأَحْسَنُ يَتِ

أُتَشَدَّنِيهِ أَبُو جَعْفَرٍ الْبَغْدَادِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ :

مَدَاهِنُ دَرِّ بَيْنِ أَوْرَاقِ فِضَّةٍ عَلَى تَيْسٍ شَبْرٍ أَخْضَرٍ كَالزَّبَرَجَدِ

وقال أبو الفرج البغفاء :

وَنَرْجِسٍ لَمْ يَعُدْ مُبَيِّضُهُ إِلَّا كَكَأْسٍ وَلَا أَصْفَرُهُ الرَّاحَا^(٤)

تَحَالُ أَحْقَاقُ لَجُئِينَ حَوَتْ مِنْ أَصْفَرِ الْعَسْجَدِ أَفْدَا حَا

كَأَنَّمَا يُهْدَى الْحَيَّى بِهِ لَطْفًا إِلَى الْأَرْوَاحِ أَرْوَاحَا

(١) كتابة التشبيه ١٩١ ، نهاية الأرب ١١ : ٢٣٥ .

(٢) كتاب التشبيه ١٩١ ، نهاية الأرب ١١ : ٢٣٥ ، واليعافير : جم بغفور ، وهو الظبي بلون التراب

(٣) نهاية الأرب ١١ : ٢٣

(٤) يتيمة الدهر ١ : ٢٢٨

يفنى عن الورد إذا مارنا ويخلف الورد إذا فاحا
وقال ابن المعتز :

كأنَّ عيونَ النرجسِ الغَضَّ بيننا مَداهُنُ درِّ يَينهنَّ عَقيقُ^(١)
إذا بَآهِنَ القطرُ خلت دموعه بكَاءَ عيون كحلهنَّ خَلُوقُ
وقال النَّاشئُ :

أخصَّ الصفات التي تناولها مَنْ كَتَبَ
عيونُ بلا أوجِهٍ لها حَدَقٌ من ذَهَبٍ
وقال ابن الرومي :

يانرجسَ الدنيا ترى أبداً للإفتراج ودائم النخب
ذهبُ العيون إذا مَثَلَنَ لنا درَّ الجفون زَبَرَجَدُ القَصَبِ
وهذه الصفة التي أثبتتها أهل المشرق للنرجس ، هي التي يصف بها أهل المغرب
البهار ، قال ابنُ أبي عامر في جارية اسمها بهار :

حَدَقُ الحسان تَقَرَّ لى وَتَفَارُ وتَظَلَّ في صفة البهار تَحَارُ
طلعتْ على قضبي عيون كَأَمِّي مثل العيون تحفها الأشفارُ
وأخصَّ شيءٍ بى إذا شَبَّهْتَنِي درَّ تَمَنَّقَ سَلَكُهُ دِينَارُ^(٢)
أهدى لنا قُضْبَ الزَّبَرَجَدِ سَاقُهُ وَجَبَاهُ أنفَسَ عطره العطارُ
أنا نرجسٌ حقاً بهرت عقولهم ببدیع ترکیبی فقیل بهارُ
يَبْنَ أن البهار عندنا ، هو الذى تسميه أهل المشرق نَرْجَسًا .

(١) نهاية الأرب ١١ : ٢٣٤ .

(٢) كذا في ج ، و فط : « سلكه ويسار » .

وقال أبو جعفر بن برد :

تأمل فقد شقَّ البهار مغاساً كماثمه عن نوره الخضيل الندي^(١)
مداهنٌ تبرُّ في أناملٍ فضيه على أذرع مخروطه من زبرجد
وقال القسطلي^(٢) :

بهارٌ يروقُ بمسكِ ذكيٍّ وصنعٌ بديعٍ وخلقٍ عجَب
غصون الزبرجد قد أورقت بها فضة نورَت بالذهب
وقال القاضي أبو الحسن بن لبّال :

وبهارٍ يحكي كنوسَ الجُينِ حملتها أناملٌ من زبرجد
سأمرتها الكواكب الزهرحتى سمّرتُ وسطها كواكبُ عسجد
وأنشدني بعض أشياخنا :

انظروا إلى حُسنِ البهارِ وغُنجه يرونو إليك بمقلتي وسنان
فكأنما هي راحةٌ من فضةٍ قد ضُمَّتْ كأساً من العقيان
وكانَ نشرَ نسيمه غبَّ الندى يأتيك بالأنفاسِ من بَغدان

والذي تسميه أهل المغرب نرجساً يسميه أهل الشرق بهاراً ، ولذلك قال
الحريري في العاشرة : « ووردتني بالبحار » ، دعا فيها على الغلام بالحمى ، وأن
ينعكس حمرة خذه صفرة ، وقال حبيب في ذلك :

إنَّ وجهَ الحمى لوجهٌ صفيقٌ حين تسطو به نهراً جَهَّاراً^(٣)
لم تشنْ وِردَ وجنتيه ولكن صيرتَ وِردَ وجنتيه بهاراً^(٤)

(١) الذخيرة ٢ : ٤٩

(٢) هو ابن دراج ، ديوانه ٣٨ .

(٣) ديوانه ٤٤١

(٤) الديوان : « لم تشن وجهه اللبيح » .

وبلون النرجس يشبه أهل الأندلس المريض .

وقال أبو بكر الأبيض :

ياشاكيا صدقي عن مسه ألى طال اشتياقي به ليلاً فلم أنم
تضائل الدهرُ إشفاقاً على قمرٍ رقيبه في سماء المجدِ والكرمِ
لم أرضَ قلبي مكاناً إذ حلت به حتى خلطتك في سوادئه برمي
أنت البهار ولا أدرى متى خلعتُ عليك أيدي الليالي نرجس السقمِ

ولابن الزقاق :

وغزال ذى اعتدالٍ شفه بعد ما شقّ هواه الأنفَسُ^١
جارت الحمى على وجنته فاستحال الوردُ منه نرجساً

فثبت بما قدمناه، أن نرجسهم بهارُنا، وأن بهارهم نرجسنا . وآكد ما يدلّ على صحته اشتراك البيت الذي أنشده أبو الفرج على النرجس مع بيت ابن بُرْد في لفظٍ واحدٍ ، أخذ ابن بُرْد منه صفة النرجس ، فقلبه لاسم البهار حين نظمه .

واعلم أن تشبيه العين برجسهم أبين لتعلقهم بالصورة ، وأن تشبيهها بنرجسنا أدون لتعلقه بالمعنى ، وهو مع ذلك متمكّن في باب التشبيه ، وأن اسم النرجس لا بد فيه من صفة .

وقد قال شاعر من المشرق ، وهو أحمد بن يونس الكاتب في مناقضة ابن الرومي في تفضيله النرجس على الورد :

إِنْ كُنْتَ تَنْكَرُ مَا ذَكَرْنَا بَعْدَ مَا قَامَتْ عَلَيْهِ دَلَالُ شَوَاهِدُ^(١)
 نَظَرَ إِلَى الْمَصْنَعِ لَوْنًا مِنْهُمَا وَافْطِنَ فَمَا يَصْفَرُ إِلَّا الْحَاسِدُ
 فَلَوْلَا مَا ذَكَرْنَا مِنْ أَشْعَارِهِمْ ، لَحَكَمْنَا بِهَذَا الْبَيْتِ ، عَلَى أَنْ تَرْجِسَهُمْ هُوَ
 تَرْجِسْنَا ، وَمَذْهَبُ ابْنِ الرُّومِيِّ^(١) تَفْضِيلُهُ عَلَى الْوَرْدِ ، وَهُوَ الْقَائِلُ :
 وَأَحْسَنُ مَا فِي الْوُجُوهِ الْعِيُونَ وَأَشْبَهُ شَيْءٍ بِهَا النَّرْجِسُ
 وَالذُّنُوسُ تَتَشَوَّقُ إِلَى رُؤْيَا تَرْجِسِهِمْ ، لِأَنَّا لَمْ نَعْلَمْ تَرْجِسْنَا غَيْرَ هَذَا الْأَصْفَرِ ،
 حَتَّى نَعْلَمْ بِمَا ذَكَرْنَاهُ أَنَّهُ هُوَ النُّوَّارُ الْمَعْرُوفُ ، وَهُمْ أَيْضًا يَتَشَوَّقُونَ
 لِنَظَرِ تَرْجِسْنَا .

وَيَدُلُّ عَلَى ذَلِكَ حِكَايَةُ الْقَاضِي الْفَقِيهِ أَبِي الْحَسَنِ بْنِ لُبَّالٍ ، قَالَ : خَرَجْتُ
 عَشِيَّةً خَارِجَ إِشْبِيلِيَّةِ أَيَّامِ حَدَاتِي وَقَرَأْتُ فِيهَا ، فَجَلَسْتُ فِي وَسْطِ وَاذِيهَا ، وَبِيَدِي
 كِتَابُ أَنْظَرِ فِيهِ ، وَإِذَا رَجُلٌ يُحْمَلُ حَوَالِيَّ ، فَإِذَا نَظَرْتُ فِي الْكِتَابِ يَأْخُذُ وَيَنْشُدُ
 لِلْأَشْعَارِ الَّتِي بَيْنَ أَيْدِينَا نَظَائِرَ مِنْ بَدِيعِ الشَّعْرِ ، فَذَا كَرْتَهُ فَوَجَدْتَهُ بِحَرِّ أَدَبٍ ،
 فَسَأَلْتُهُ عَنْ مَحْذُوظِهِ ، فَقَالَ : أَحْفَظُ خَمْسَةَ عَشَرَ أَلْفَ بَيْتٍ مِنَ الشَّعْرِ ، فَسَأَلْتُهُ : هَلْ
 تَنْظُمُ شَيْئًا ؟ فَأَنْشَدَنِي فِي وَصْفِ فَرَسٍ ، وَزَعَمَ أَنَّهُ الْقَائِلُ :

(١) أورد النويري في نهاية الأرب ١١ : ٢٣٤ من شعر ابن الرومي أبياتاً منها :

خَجَلْتُ خُدُودُ الْوَرْدِ مِنْ تَفْضِيلِهِ خَجَلًا تَوَرَّدُهَا عَلَيْهِ شَاهِدُ
 لَمْ يَخْجَلِ الْوَرْدُ الْمَوَرَّدُ لَوْنَهُ إِلَّا وَنَاحِلُهُ الْفَضِيلَةُ عَانِدُ
 لِلنَّجَسِ الْفَضْلُ الْمُبِينُ وَإِنْ أَبِي آبٍ ، وَحَادَ عَنِ الطَّرِيقِ حَائِدُ
 فَضْلُ الْقَضِيَّةِ أَنْ هَذَا قَائِدُ زَهْرُ الرَّبِيعِ ، وَأَنْ هَذَا طَارِدُ
 شَتَانٍ بَيْنَ اثْنَيْنِ : هَذَا مَوْعِدُ بَتْسَلْبِ الدُّنْيَا ، وَهَذَا وَاعِدُ

منع الخوافر أن تطين به الثرى فكأنه في جريه متملق
وكان أربعة توافق طرفه فتكاد تسبقه إلى ما يرمى

فاستعدت بيته ، وراجعت في قوله : « تأمين » ، فقلت له : إنما هو « تطآن » ، فلم يعرف اللفظ ، وإنما تسكلم بلاهر على لحن عامته ، فجزبته في غيره ، فوجدت شعره من جهة الطبع وكثرة الحفظ ، لا من جهة العلم ، فسألته عن بلاده ، فقال : أنا من العراق ، فقلت له : فما السبب الذي جاء بك إلى الأندلس ؟ فقال لي : لأرى الترجس الأصفر المذكور في أشعاركم عياناً . ودعاني إلى الإطالة في ذكر الترجس رغبةً أن أرفع عن غيري حيرة الشبهة التي أقت فيها زماناً طويلاً ، لا أجد من يرفعها عني .

[ذكر الوأواء الدمشقي وبعض شعره]

والبيت الذي اقتضى النظم على أسلوبه هو لأبي الفرج النسابي الدمشقي ، المعروف بالوأواء ، ذكره أبو منصور الثعالبي في يتيمة^(١) ، فقال : أبو الفرج من حسان الدهر ، وصاغة الكلام^(٢) .

ومن عجائب أمره أنه كان منادياً بدار البطيخ بدمشق ينادي على الزواكه ، وما زال يشعر حتى جاد شعره ، ووقع له ما يروق ، ويشوق ويفوق ، حتى تعلق بالعيق^(٣) .

وقال الفتح بن خاقان : إني انصرفت البارحة من مجلس أمير المؤمنين ، فلما

(١) يتيمة الدهر : ٢٣٦ وما بعدها .

(٢) اليقيمة : « من حسنات الشام ، وصاغة الكلام » .

(٣) اليقيمة : « حتى يعلو العيق » ، والعيق : نجم أحمر مضى في طرف الهجرة الأيمن أو الثريا لا يتقدمها .

دخلت مجلسي لقيت خلافة^(١) جاريقي ، فلم أتمالك أن ، قَبَّنتها ، فوجدت ما بين
شفتيها هواء ، لو رقد المحموم فيه لأفاق . وهذا مستظرف من كلام الفتح ، فقال
الوَأَوَاءَ مَلَأًا بِهِ^(٢) :

سَبَقَ اللَّهُ لَيْلًا طَابَ إِذْ زَارَ طَيْفُهُ فَأَنْفَيْتُهُ حَتَّى الصَّبَّاحِ عِنَاقًا^(٣)
بَطِيبٍ نَسِيمٍ مِنْهُ يُسْتَجْلَبُ الْكَرَى فَلَوْ رَقَدَ الْحُمُومُ فِيهِ أَقَا^(٤)
وَلَهُ أَيْضًا :

بِاللَّهِ رَبِّكَمَا عُوجًا عَلَى سَكَنِي وَعَاتِبَاهُ ، لَعَلَّ الْقَتْبَ يَعْطِفُ^(٥)
وَعَرَضًا بِي وَقَوْلًا فِي حَدِيثِكَمَا مَا بَالُ عَبْدِكَ بِالْهَجْرَانِ تُتْلَفُهُ !
فَإِنْ تَبَسَّمَ قَوْلًا فِي مِلَاطِفَةٍ^(٦) مَا ضَرَّ لَوْ بَوَصَالَ مِنْكَ تُسَعِّفُهُ !
وَإِنْ بَدَأَ لَكُمْ مِنْ سَيِّدِي غَضَبٌ فَعَالِطَاهُ ، وَقَوْلًا : لَيْسَ نَعْرِفُهُ
وَلَهُ فِي النُّحُولِ :

وَمَا أَبْقَى الْهَوَى وَالشَّوْقُ مَنِي سِوَى رُوحٍ تَرَدَّدُ فِي خِيَالِ^(٧)
خَفِيتُ عَنِ الْعَوَازِلِ أَنْ تَرَانِي^(٨) كَأَنَّ الرُّوحَ مَنِي فِي مُحَالٍ

(١) اليقظة : « استقبلتني فلانة — يعني جارية له — فلم أتمالك أن قبلتها » .

(٢) اليقظة : « فكان هذا مما يحسن ويستظرف من كلام الفتح » .

(٣) ديوانه ١٦٤

(٤) الديوان : « ولو رقد المحموم » ، وبعده هناك :

تَمَلَّكْنِي لَمَّا تَمَلَّكَ مُهْجَتِي وَفَارَقْنِي لَمَّا أَمِنْتُ فِرَاقًا
(٥) ديوانه ١٤٦ ، ١٤٧ .

(٦) الديوان : « في ملاطفة » .

(٧) ديوانه ١٨٩ .

(٨) الديوان : « عن النوايب » .

وله في الزرقة :

يَا مَنْ هُوَ الْمَاءُ فِي تَكْوِينِ خِلْقَتِهِ وَمَنْ هُوَ الْخَرُّ فِي أَعْمَالِ مُقْلَتِهِ ^(١)
وَمَنْ بَزُرْقَةُ سَيْفِ اللَّحْظِ طَلَّ دَمِي وَالسَيْفُ ، مَا فَخَرُّهُ إِلَّا بَزُرْقَتِهِ
عَلَّمَتْ إِنْسَانَ عَيْنِي أَنْ يَعُومَ فَقَدْ جَادَتْ سِبَاحَتِهِ فِي بَحْرِ دَمْعَتِهِ

وله أيضاً :

تَمَلَّكْتَ يَا مَهْجَتِي مَهْجَتِي وَأَسْهَرْتَ يَا نَاطِرِي نَاطِرِي ^(٢)
وَمَا بَكَانَ ذَا أَمَلِي يَا مَلُولُ ^(٣) وَلَا هَجَسَ الْهَجْرُ فِي خَاطِرِي ^(٤)
خِذْ بِالْوَصَالِ فَدَتِكَ الْنَفُوسُ فَلَسْتُ عَلَى الْهَجْرِ بِالْقَادِرِ
وَفِيكَ تَعَلَّمْتُ نَظْمَ الْقَرِيضِ فَلَقَّبَنِي النَّاسُ بِالشَّاعِرِ

وله من قصيدة :

يَقِمْ لَنَا بَرَقَ الشُّغُورِ أَدِلَّةً إِذَا مَاضِلِنَا فِي ظِلَامِ الدَّوَابِّ ^(٥)

قال : ومن بديع تشبيهاته قوله :

فَأَمْطَرَتْ لَوْلُؤًا مِنْ نَرَجِسٍ ... الْبَيْت ^(٦) .

(١) ديوانه ٦٥ ، وبعده :

وَمَنْ خَلَعْتُ عِذَارِي فِي هَوَايَ لَهُ وَمَنْ تَهَتَّكَ سِتْرِي فِي حَبَّتِهِ

(٢) ديوانه ٩٩ ، مع اختلاف في ترتيب الأبيات .

(٣) الديوان : « يا ظلوم »

(٤) الديوان : « ولا خطر الهجر » .

(٥) من قصيدة مدحها سيف الدولة ، وأولها :

قِفُوا مَا عَلَيْكُمْ مِنْ وَقُوفِ الرِّكَائِبِ لِنَبْذِلَ مَذْخُورَ الثُّمُوعِ السَّوَائِبِ

(٦) ديوانه ٨٤ .

ثم قال : هذا البيت ضمنه خمسة تشبيهات بغير أداة التشبيه ، وذكر المتنبي منها أربعة فأجاد ، وهي ما ضمنها قوله رحمه الله :

بَدَتْ قَرَأً ، وَمَالَتْ خُوطَ بَانٍ ، وَفَاحَتْ عُنْبَرَاءُ ، وَرَنْتُ غَزَا لَا (١)

وللفقيه أبي محمد بن حزم خمسة تشبيهات في بيت واحد ، ولا يقدر أحد على أكثر منه ، إذ لا يحتمل العروض ولا أبنية الأسماء أكثر من ذلك ، قال :

خَلَوْتُ بِهَا وَالْكَأْسُ ثَالِثَةٌ لَنَا وَجُنْحُ ظَلَامِ اللَّيْلِ قَدْ مَدَّ وَاتَّجَعَ (٢)
فَتَاةٌ عَدِمْتُ الْعَيْشَ إِلَّا بِقَرَبِهَا وَهَلْ فِي ابْتِغَاءِ الْعَيْشِ وَيَمْحَاكَ مِنْ حَرَجٍ !
كَأَنِّي وَهِيَ وَالْكَأْسُ وَالْخَمْرُ وَالذُّجَى تَرَى وَحْيًا وَالذَّرَّ وَالْتَبْرَ وَالسَّبَجَ
وقبل بيت الوأواء :

إِنْ سَيَّةٌ لَوْ بَدَتْ لِلشَّمْسِ مَا طَلَعَتْ لِلنَّاطِرِينَ وَلَمْ تَقْرُبْ عَلَى أَحَدٍ
قَالَتْ وَقَدْ فَتَكَتْ فِينَا لَوَاحِظُهَا : مَا إِنْ أَرَى لِقَتِيلِ الْحَبِّ مِنْ قَوْدٍ (٣)
فَأَمْطَرَتْ لَوْ لَوْأً مِنْ نَرْجَسٍ وَسَقَتْ وَرَدًّا وَعَضَّتْ عَلَى الْعُنَابِ بِالْبَرْدِ
ثم استمرت وقالت وهي ضاحكة :

قَوْمُوا انظُرُوا كَيْفَ فَعُلَ الطَّيْبِيُّ بِالْأَسَدِ ! (٤)

وأول القصيدة :

لَمَّا وَضَعْتُ عَلَى صَدْرِي يَدًا لَيْدٍ وَصَحْتُ فِي اللَّيْلَةِ الظُّلُمَا مَوْا كَبْدِي ! (٥)

(١) ديوانه ٣ : ٢٢٤ .

(٢) طوق الحمامة ١٥ .

(٣) الديوان : ٥ كم ذا أما .

(٤) سقط هذا البيت من رواية الديوان ، وموضعه هناك :

كأتما بين غابات الجفون لها أسد الحمام مقيما على الرصد

(٥) لم يرد هذا البيت في الديوان .

وقال أيضاً :

أَتَانِي زَائِرًا مَن كَانَ يُبْدِي لِي الْمَجَرَ الطَّوِيلَ وَلَا يَزُورُ^(١)
 قَالَتِ النَّاسُ لَمَّا أَبْصَرُوهُ لِيَمْنِكَ زَارَكَ الْقَمَرُ الْمُنِيرُ
 قُلْتُ لَهُمْ وَدَمْعُ الْعَيْنِ يَجْرِي عَلَى خَدِّي لَهُ دُرٌّ نَثِيرُ
 وَلَوْ نَصَبُوا رَحًا بِإِزَاءِ عَيْنِي لَكَانَتْ مِنْ مَدَامِعِهَا تَدُورُ^(٢)

* * *

فَلَمْ يَكُنْ إِلَّا كَلَمَحِ الْبَصْرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ ، حَتَّى أَنْشَدَ
 فَأَغْرَبَ :

سَأَلْتُهَا حِينَ زَارَتْ نَضُو بُرْقِعَهَا إِذَا
 قَانِي وَإِيدَاعَ تَمَعِي أَطِيبَ الْخَبْرِ
 فَزَحْزَحَتْ شَفَقًا غَشَى سَنَا قَرِ
 وَسَاقَطَتْ لَوْلَا مِنْ خَاتَمِ عَطْرِ

* * *

قوله: «لمح البصر» ، يعني نظر العين إلى الشيء بسرعة ثم تغيب عنه بسرعة،
 وأصل البصر الإدراك بالعين . أغرب : أتى بغريب . نضو : كشف . القاني :
 الأحمر . إيداع سمى : إعطاء أذن ، كأنه جعله ودعة عنده . زحزحت : أزلت .
 الشفق : حمرة الشمس بعد الغروب . غشى : غطى . سنا : ضوء . عطر : قوач
 طيب التنفس . ويدت الحريرى فى صنعة البديع فائق ، وإن لم يأت بعدد تشبيهات
 بيت أبى النرج ، وبيانه أن أبا الفرج يصف امرأة باكية ، فيقول : إنها نثرت
 دموعها على مَنْ قتل من عشاقها ، فسقطت على خدّها فبلّته ، وعصّت

على أصابعها المصبوغة بالحِناء بأسنانها، فجعل البيت كله استعارة ، قال : « فأمطرت لؤلؤاً » ، وهو يريد : بكت دمعاً ، وذكر نرجساً وورداً ، وهو يريد عينا وخداً ، وذكر عُناباً وبردًا ، وهو يريد أنامل وأسنانا ، فضمن تحت ألفاظه هذه المعاني ، وزاد فائدة التشبيه ؛ وهذا يفعله أهل القدرة على الشعر ، فقابل الحريري هذا بقوله : « نرحرحت شفقاً » ، وهو يرى نقاباً أحمر ، وذكر « سناقر » وهو يريد ضوء وجهها ، وذكر لؤلؤاً من خاتم ، وهو يريد كلاماً من فم . والبيت الثاني في مقابلة بيت أبي الفرج ، والأول توطئة له ، وهو يصف امرأة زارته متنقبة فسألها ، أن تكشف عن وجهها وتحديثه ، فأزالت نقابها ، وأسمعته كلاماً حسناً من فم عطر .

[مما ورد من تشبيه الأشياء باللؤلؤ]

واللؤلؤ تشبه به الأسنان في مثل قوله :

* كأنما يبسم عن لؤلؤ رطب *

وقوله :

* يفر عن لؤلؤ رطب وعن برد *

ويشبه به الكلام في مثل قول البحتري :

* ومن لؤلؤ عند الحديث تساقطه ^(١) *

وقول الحريري :

* وساقطت لؤلؤاً من خاتم عطر *

ويشبه به الدمع ، كقول الواواء : « فأمطرت لؤلؤاً » ، وهو كثير .

ومن أحسنه قول الشاعر :

مولنا وقفنا للوداع ودمعها ودمعي يُثيران الصبابة والوجد
بكت لؤلؤا رطباً فاقت مدامعي عقيقاً ، وصار الكل في نحرها عقداً

وقال ابن عبد ربه :

وكانما غاص الأسى بحفونها حتى أتاك بلؤلؤ منشور

(١) ديوانه ١٢٣٠ ، وصدره :

* فمن لؤلؤ تجلوه عند ابنسَامِها *

فأخذه الرمادي فحسّنه فقال :

ولم أرَ أحلى من تبسم أعين
غداة اللوى عن لؤلؤ كان كاميناً
قال : فوقعت استعارة التبسم للعين موقعاً لطيفاً ، وإنما هو لشعر بسبب
توسط اللؤلؤ . والحدّاق يتخيّلون في أخذ المعاني بترك القافية والوزن ، كقول
ابن شهيد :

ولما فشا من دمعنا بعض سِرِّنا إلى كاشحين والقلوب كواتم
أمرنا يمسك الدموع جفوننا ليشجى بما يطوى عذول ولائم
أبى دمعنا يجرى مخافة شامت فنظّمه بين الحاجر ناظم
وراق الهوى منّا عيون كريمة تلهجن حتى ما تروق المباسم

[من قولهم في الامتحان]

وقال ابن شهيد في الامتحان فأحسن :

ونُبئت أقواماً تجيش صدورهم على وأنى منهم فارغ الصدر
أصاخوا إلى قولي نأسمت صغهم وغاصوا على سري نأعيامهم أمرى
فقال فريق : ليس ذا الشعر شفره وقال فريق كئمن الله ما ندرى
فمن شاء فليخبر فإنى لحاضر ولا شيء أجلى للشكوك من الخبر

وينظر في هذا الامتحان ونسبة شعره فيه إلى الانتحال ، إلى قصة أبي بكر
ابن بقى^(١) حين استهدى بعض إخوانه أقلاماً ، فبعث إليه بثلاث من القصب ،
وكتب معها :

خذها إليك أبا بكر العلاء قصباً كأنما صاغها الصّواع من ورقه
يزهى بها الطرس حسناً ما ثرت به مسك المذار على الكافور من ورقه

(١) هو أبو بكر بن بقى ، ذكره أبو الفتح بن خافان في القلائد ٣٢٢ ضمن من ذكرهم
من الأدباء .

فأجابه أبو بكر بن بقيّ فقال :

أرسلت نحوى ثلاثاً من قنّا سلبٍ ميادة تطعن القِرطاسَ في وَرَقِهِ
فالخطُّ ينكرها والخطُّ يعرفها والرقّ يخدمها بالرقّ في عُنُقِهِ
فحسده عليها بعض مَنْ سمعها ، ونسبه إلى الانتحال ، فقال أبو بكر مخاطب
صاحبه الأول :

وجاهلٍ نسب الدّعوى إلى كلبى لما رماه بمنل التَّنبُلِ في حَدَقِهِ
فقلت من حَنَقِي لما تعرّضَ لي : مَنْ ذا الذى أخرج اليربوعَ من نَفَقِهِ !
ما ذمّ شعري وائِمْمُ الله لي قسمٌ إلا امرؤ وليست الأشعارُ من طَرُقِهِ
الشعر يشهد أئى في كواكبه بل الصّباح الذى ينشقّ في أَفُقِهِ

[بديهة السّلامى]

وخرج السّلامى^(١) إلى الموصل وهو صبى حين راهق البلوغ، فوجد بها أبا عثمان
الخالدى وأبا الفرج البغواء وأبا الحسن التّلعفريّ وشيوخ الشعراء ، فلما رأوه عجبوا
منه ، واتهموه في شعره ، فقال الخالدى : أنا أ كفيكم أمره . فاتخذ دعوة ، وجمع
الشعراء والسّلامى معهم ، فلما توسّطوا الشراب ، أخذ في التفتيش عن قَدْرِ
بضاعته ، ثم لم يلبثوا أن جاء مطرٌ شديد وثلج وبردٌ عمّ الأرض كثرة ، فالتقى
أبو عثمان الخالدى نارنجاً بين أيديهم على ذلك البرد ، وقال : يا أصحابنا ، هل لكم
في أن نصف ذلك ؟ فقال السّلامى ارتجالاً :

الله درّ الخالدى الأوحـد النذب الخطير
أهدى لاء المزن عنـد جد جموده نار السّعير
حتى إذا صدر العتـا ب إليه من حنق الصدور^(٢)

(١) هو محمد بن عبد الله بن محمد السّلامى ، نسبة إلى مدينة السلام ، أشهر أهل العراق في
عمره ، ومن ترجم لهم التّعالى في البيعة ٢ : ٣٦٤ - ٣٩٨ ، والمخبر في ترجمته في ابن
خلكان ١ : ٥٢٤ .

(٢) ابن خلكان : « من حر الصدور » .

بعثت إليه بذره من خاطري أوفى الشُّرورِ
لا تعذُّلوه فإنَّنا أهدى الحدود إلى الثُّغورِ

فأمسكوا عنه عند ذلك ، واعترفوا له بالفضل ، إلَّا التَّلعفريّ ، فإنه أقام على قوله فيه ، حتى قال السَّلاميّ فيه :

يا شاعراً بشعوره لم يشعُرِ ما كنتَ أوَّلَ طالبٍ لم يظفِرِ
لو كنتَ تعرفُ والدًا تسمو به لم تنسبْ صفةً إلى تلعفِرِ
تاه ابنُ فائقةِ الفسوقِ على الورى بقذالِ صَفَعانٍ ونكمةِ أبحرِ
وبلادةٍ في الشعرِ تعلمُ أنه تيسُّ ولو نصرتَ بطبعِ البحريّ

وقال فيه :

سما التلعفريّ إلى وصالي ونفس الكلب تكبر عن وصالي
ينافى خلقه خلقي وتأبى فعلى أن تضاف إلى نعاله
فصنعتي اللطيفة في لساني وصنعتُه الخسيسة في قذالة
فإن أشعرُ فما هو مِن رجالي وإن يُضعِفَ فما أنا من رجالي

[من نواذر صاعد بن الحسن الربيعي]

وكان المنصور بن أبي عامر قد أثبت عنده الحسدة ، أنَّ صاعداً^(١) اللغوي متَّهم في كل ما يورده من حديث أو شعر ، فأدخلت عليه يوماً با كورةُ ورْد لم تفتح أكامها ، فقال فيها صاعد ارتجالاً :

أتتك أبا عامرٍ وردةً يذكرك المسك أنفاسها
كعذراء أبصرها مبصرٌ ففطتْ بأكامها رائحتها

فسر بذلك المنصور . وكان ابن العريف حاضراً فحسده وقال : إن هذين

(١) هو صاعد بن الحسن بن عيسى الربيعي ، وفد على المنصور بن أبي عامر ببغداد . وله معه أخبار ونواذر مشهورة في الأدب والفاة ، ابن خلكان ١ : ٢٢٦ .

البيتين لغيره ، [وقد أنشدنيهما بعض البغداديين بمصر لنفسه ، وهما عندي على ظهر كتاب بخطه ، فقال له المنصور : أرنيه . فخرج ابن العريف ، وركب وجعل بحث ، حتى]^(١) أتى مجلس ابن برد - وكان أحسن أهل وقته بديهة - فوصف له ما جرى فقال :

عشوتُ إني قصر عباسيةً وقد صرعَ النومُ حرَّاسَهَا^(٢)
أبياتاً ضمنَ فيها البيتَينِ ، فكتبها ابن العريف بخطَ بصرى^(٣) ، وصار بها
إلى المنصور . فاشتدَّ غيظه ، وقال : غداً أمتحنه ، فإن فضحه الامتحان لم يبق في
موضع لي فيه سلطان .^(٤) ثم أخذ طبقاً فيه ضروب من الأنوار ، وعليه جوارٍ باسمين^(٥)
على بركة ماء حصباًؤها الدرّ والجوهر . ودعاه في مجلس حافل ، وقال له : هذا
طبق فيه شيء ما توهمت أنه قدّم بين يدي ملك قبلي ، فصفه فقال على البديهة :
أباعامرٍ هل غيرك جدواك واكفُ وأعجب ما يلقاه عندك واصف^(٥) !

(١) من الذخيرة . (٢) بعده كما في الذخيرة :

فألقيتها وهي في خدرها وقد صرع السكر أناسها
فقلت : أسارٍ على هجمة ؟ فقلت : بلى ، فرمت كاسها
ومدت يديها إلى وردة يحاكى لك الطيب أنفاسها
كمعدراء أبصرها مبصرة ففطت بأكتامها رأسها
وقالت : خف الله لا تفضحن في ابنة عمك عباسها
فوليت عنها على عفة وما خفت ناسي ولا ناسها

(٣) الذخيرة . « مصرى » .

(٤-٤) الذخيرة : « وقد أعد طبقاً فيه سقائف من ضروب النواوير ، ووضع على السقائف

جوارى باسمين » .

(٥) الذخيرة :

* وهل غير من عاداك في الأرض خائف *

وبعده :

يسوق إليك الدهر كل مجيبة وأعجب ما يلقاه عندك واصف

وشائعُ نَوْرٍ صاغها هامرُ الحيا حُلِيًّا فمنها عَبَقَرٌ ورفارفُ
ولما تنافى الحسن فيها تقابلتْ عليها بأنواع الملامى الوصائفُ
كقتلِ الأطباءِ المستكَنَّةِ كُنَسًا تظللُها بالياسمينِ السَّقايفُ
فلم ترعيني في البلادِ حديقةً تنقلُها في راحتينِ المناصِفُ^(١)
والحكاية بطولها في القسم الرابع من الذخيرة .^(٢)

وخرج معه إلى أرض الزاهرة^(٣)، فمد يده إلى شيء من الترنجان يعبث به ،
ورمى به إلى صاعد معرضاً بأن يصفه ، فقال :

(١) بعده في الذخيرة :

وأعجب منها أنهن نواظِرُ إلى بركة ضُمَّتْ إليها الظرائِفُ
حصاها اللآلى ، سابحٌ في عُبابِها من الرُّقشِ مسمومِ اللعابِ
ترى ما تشاء العينُ في جنباتها من الوحشِ حتَّى بَيْنَهُنَّ السَّلاحِفُ

قال في الذخيرة بعد هذا البيت :

فاستغربت له يومئذ تلك البديهة ، وكتبها النصور بخطه ، وكان إلى ناحية سقيفة فيها جارية
تجذف بمجذاف ذهب ، لم يرها صاعد ، فقال له النصور: أجدت إلا أنك لم تصف هذه الجارية ،
فقال :

وأعجبُ منها غادة في سفينةٍ مكلَّلة تصبو إليها المهايفُ
إذا راعها موجٌ من الماء تتَّقَى بسكَّانها ما أُنذرتُه العواصفُ
متى كانت الحسناء ربَّانِ مركبٍ تصرَّف في يميني يديها المجاذِفُ
فلم ترعيني في البلادِ حديقةً تنقلُها في راحتينِ المناصِفُ
إلى آخر الأبيات .

(٢) الذخيرة ٤ : ٨ - ١١ .

(٣) الذخيرة : « إلى رياض زاهرة » .

لم أذِرِ قبلَ ترنجابِ عبثتَ بهِ أنَ الزُّمردَ قضبانَ وأوراقُ^(١)
 من طيبه سَرَقَ الأُترجَ نكتهُ يا قومَ حتَّى منَ الأشجارِ سُراقُ!
 كأنما الحاجبَ النصورَ علَّه فعلَ الجليلِ فطابتَ منه أخلاقُ
 مَنْ ليسَ يقعدُه عن سُوددِ كرمٍ ولا يقومُ له في سوءةِ ساقُ
 وله أيضاً :

بعثتَ إليك من خيري داري محزّمة كالألوانِ العقيقي^(٢)
 تتوَكَّلُ بالكُوفِ على التَّصابي^(٣) وتصطاد الخليعَ من الطريقِ

* * *

فطار الحاضرون لبداهته ، واعترفوا بنزاهته . فلما آنسَ
 استثناسهم بكلامه ، وانصبأهم إلى شغبِ إكرامه ، أطرقَ كطرفه
 العين ، ثم قال : ودونكم يبتينِ آخريْن ، وأنشد :
 وأقبلتُ يومَ جدِّ البينِ في حُلَيْلٍ
 سُودٍ تَمَضُّ بنانَ النّادِمِ الحِصْرِ
 فَلَاحَ لَيْلٌ عَلَى صُبْعٍ أَقْلَمًا
 غُصْنٌ وَضَرَّستِ البُلُورَ بالدُّرِّ
 فحيثُ استثنى القومُ قيمته ، واستغزروا ديمته ، وأنجلوا
 عشرته ، وجملوا قشرته .

* * *

(٢) الذخيرة ٤ : ٤٨ .

(١) الذخيرة ٤ : ١٢ .

(٣) الذخيرة : « بالزوف عن التصابي » .

قوله: «لبداهته» ، أى لارتجاله وإنشاده من غير فكرة ، ويقال : بدهه بَدْهًا وبديهة وبْدَاهَةٌ ، إذا فجأهُ . وبده فى كلامه : إذا لم يتفكر فيه ، وفلان حسن البديهة والبْدَاهَةُ ، أى الارتجال .

[مما قيل فى البديهة الحاضرة]

والقول من غير تفكير وهو عندهم مما يمدح به ، وإن كانت الإصابة غالباً فى الروية وإطالة الفكرة ، كما قال عبدالله بن وهب الراسبي للخوارج حين عقدوا له : دَعُوا الرَّأْيَ حَتَّى يَخْتَمِرَ ، فلا خير فى الرَّأْيِ الْفَظَائِرَ ، والقول القصير . وقال المنصور لكتابه : لا تبرم أمراً حتى تفكر ، فإن فكرة العاقل مرآته تزيه حسنه من قبيحه . وقال أيضاً : الحكمة نور الفكرة ، والصواب فرع الروية ، والتدبير فرع المهمة .

قال ابن الرومي :

نَارُ الرُّوْيَةِ نَارٌ جَدَّةٌ مَنْصُجَةٌ وللبدية نَارٌ ذَاتُ تَلَوُّجٍ^(١)
وقد يفضِّلها قومٌ لمعاجلها لكنه عاجل يمضى مع الريح
وقال أشجع فى جعفر بن يحيى :

يُرِيدُ الْمُلُوكُ مَدَى جَعْفَرٍ ولا يصنعون كما يصنع^(٢)
وليس بأوسعهم فى الفنى ولكن معروفه أوسع
بداهته مثل تفكيره متى تلقه فهو مستجقع^(٣)

وقال فيه :

بديهته وفكرته سواء إذا التبتت على الناس الأمور

(١) بدائع البداهة ٦

(٢) من قصيدة له فى الأغاني ١٧ : ٣٧ .

(٣) الأغاني : « بديهته متى رمته » .

وقال إبراهيم بن العباس الصوليّ في الفضل بن سهل :

يقضى الأمور على بديهته وتريه فكرته عواقبه
فيظلّ يُوردها ويصدرها فلنعم حاضره وغائبه

ودخل المأمون يوماً بعض دواوينه، فرأى غلاماً جميل الصورة، على أذنه قلمٌ فقال: من أنت يا غلام؟ فقال: أنا يا أمير المؤمنين الناشئ في دولتك، والمتقلب في نعمتك، والمؤمل بخدمتك؛ الحسن بن رجاء خادمك. فقال المأمون: أحسنت يا غلام، وبالإحسان في البديهة تفاضلت العقول. ثم أمر أن تُرفع مرتبته في الديوان.

* * *

قوله : « بنزاهته » أى برفعته وبعده من التهمة بسرقه الشعر . آنس : أبصر . استثناسهم : أنسهم وتركهم الإنكار . طرفه : نظرة ، قد طُرف يطرف طرفاً ، إذا حرك جفنيه بعد النظر . دونكم : إغراء ، ومعناه خذوا حذرکم واسمعوا . جدّ : تحقق . البين : الفراق . بنان : أصابع . الحصر : المنقطع عن الكلام عيياً . ليل : أراد به نقاباً أسود . صبح : وجه . أقاهما : رفعهما . غصن : قدّ . ضرّست البلور : الأصابع . الدرر : الأسنان .

[نقد شعر الحريريّ]

والظاهر من سياق هذين البيتين أنه قصد أن يزيدهم استثناساً بأنه غير مدّع في الشعر ، ودلّ على هذا ظاهر الكلام قبل البيتين وبعدهما ، وهو قد أخرج معنى زائداً في البيت ولم يصرح به لما عليه في ذلك من التقصير عن درجة غيره، وذلك أنه لما لم يستوفِ مقابلة يد أبي الفرج مرةً ببيتيه المتقدمين، استوفاهما في هذا البيت الثاني، لأنه قابل «أمطرت» بساقطت، واللؤلؤ باللؤلؤ، والنجس بالنجس ، وهما العين والضم ، وحمرة الخلد بسنا القمر ، وبقي عليه زائد من قول أبي الفرج : «وعضت على العنّاب بالبرد»، فقابله في هذا البيت بقوله : «وضرّست

البلور بالدرر ، وجعلها تعضّ على أصابعها وهي بيض ، لانه يصف امرأة شعرت
بفراق أحبابها ، فتركت الزينة واستعمال الحنّاء ، فلهذا حان وقت فراقهم ، لبست
ثياب الحزن ، وأقبلت تودّعهم تاتّهاً وتندّمًا على فراقهم ، ووصف الأصابع
باللّين والصّبع ، وذلك مذكور في العاشرة ، وجعلها لابسة السواد ، لأنّ أهل
المشرق يلبسونه لحزنهم ، وأهل الأندلس يلبسون البياض لحزنهم ، قال الشاعر :

ألا يا أهل أندلسٍ فظنّتمْ بلطفكم إلى أمرٍ عجيبِ
لبستم في ما تمكم بياضاً وجئتم منه في زى غريبِ
صدقتم فالبياض لباسُ حزنٍ ولا حزنٌ أشدّ من المشيبِ

وأشدّ أبو عثمان الأشناداني في أبيات المعاني له :

أرعت مراتع مدرّاها على عجلٍ صنوين إن أفردا لم يرعيّا أبداً
واستبدلت من رياض الحزن موقفةً ثوبَ الأمير الذي في مُلكه قعداً

عنى بمراتع مدرّاها شعرها ، وبصنوين مقصداً حلقته به ، وبرياض الحزن
ثياباً ملوّنة ، وبثوب الأمير ثوباً أسود ، لأن ملوك بني العباس لباسهم السواد .

وعارض ابن لبّال^(١) الحريريّ في أبياته فقال :

ودّعتها ومسدّامعي تنهلّ بالدمع الطليقِ
فبكت نأذرت أدمعاً في صفحة الخلد الأنيقِ
ومضت تعضّ بناتها بين التلّف والشهيقِ
ورأيت مبيضّ اللّج بين يعضّ محرّ العقيقِ

وكما عارض بيت الحريريّ عارض قول البحرّيّ المتقدم :

(١) ابن لبّال ، واسمه على ابن أحمد بن علي ، من قضاة الأندلس وشعرائها وأدبانها ؛ وله

كتاب في شرح اللغات . المغرب ١ : ٣٠٣

يا بَابِي ظُبِّي إِذَا مَارَنَا أَنُحْنُ قَلْبِي وَفَوَادِي جِرَاحُ
يَفْتَرُّ عَنْ طَلْعٍ وَعَنْ جَوْهَرٍ وَفُضَّةٍ أَوْ حَبَبٍ أَوْ أَقَاحُ
فَزَادَ عَلَيْهِ بِوصَفَيْنِ .

من أقوالهم في الفراق

ومما يناظر ما تقدّم من البكاء عند الفراق قول محمد بن يوسف :

وَكَاثِمًا أَثَرُ الدَّمْعِ بِخَدَّهَا طُلٌّ تَسَاقُطُ فَوْقَ وَرْدٍ يَانِعِ
عَذْبُ الْفِرَاقِ لَنَا قَبِيلَ وَدَاعِنَا ثُمَّ اجْتَرَعْنَاهُ كَسْمٍ نَاقِعِ
وَقَالَ ابْنُ الرُّومِيِّ :

لَوْ كُنْتُ يَوْمَ الْوَدَاعِ شَاهِدَنَا وَهَنًا يُطْفِئُنْ غَلَّةَ الْوَجْدِ
لَمْ تَرَ إِلَّا دَمْعًا بَاكِئَةً تَسْفَحُ مِنْ مُثْقَلَةٍ عَلَى خَدِّ
كَأَنَّ تِلْكَ الدَّمْعُ قَطْرُ نَدَى يَقْطُرُ مِنْ نَرْجِسٍ عَلَى وَرْدِ

وَقَالَ النَّاشِي :

بَكَيْتُ الْفِرَاقَ وَقَدَّرَاعِي بَكَاهُ الْحَبِيبَ لِبَعْدِ الدِّيَارِ
كَأَنَّ الدَّمْعَ عَلَى خَدِّهَا بَقِيَّةَ طُلٍّ عَلَى جُلْنَازِ

وَقَالَ أَبُو نَوَاسٍ :

تَقُولُ غَدَاةُ الْبَيْنِ إِحْدَى نَسَائِهِمْ لِي الْكِيدُ الْحَرِيُّ فَمِيزْ وَلَكَ الصَّبْرُ^(١)
وَفَدَّ غَلَبَتَهَا عَبْرَةٌ فَدَمَّوعُهَا عَلَى خَدِّهَا جَمْرٌ وَفِي نَحْرِهَا صَفْرٌ

يقول: لون خدها أحمر، فتشككت الدمعة به جمرًا، ولون نحرها أصفر عاجي
كما قال ذو الرمة :

كَأَنَّهَا فِضَّةٌ قَدْ مَسَّهَا ذَهَبٌ فَصَارَ فِيهَا لَوْنُ الدَّمْعِ صُفْرَتُهُ
وقيل للعباس بن محمد : ما لونُ الماء ؟ فقال : لونُ إنائه .

ولما ذكر الحريريّ الحلل السود على الجارية ، تذكرت ما قال أبو عثمان
الناجم^(١) في جارية رأى عليها ثوبًا أزرق :

مَا تَعَدَّتْ قَبُولُ حِينَ جَلَتْ زِيًّا شَبِيهًا بِوَجْهٍ ذِي الضِّيَاءِ
لَبَسْتُ أَزْرَقًا فَجَاءَتْ بِوَجْهِ يَشْبُهُ الْبَدْرَ فِي أَدِيمِ السَّمَاءِ

ولأبي حفص بن برد في غلام بدا له في ثوب لازوردي ، فقال :

لَمَّا بَدَا فِي لَازُورٍ دِيَّ الْخَرِيرِ وَقَدْ بَهَّرَ^(٢)
كَبَّرْتُ مِنْ فِرطِ الْجَمَا لِي وَقُلْتُ مَا هَذَا بَشَرُ
فَأَجَابَنِي لَا تَنْكَرُ^٣ ثُوبَ السَّمَاءِ عَلَى الْقَمَرِ

وقال ابن المعتز في غلام عليه ديباج بنفسجي :

وَبِنَفْسَجَى الثُّوبِ قَدْ لِيَ مَحَبَّةٌ مِنْ حَالِهِ^(٤)
الآن صرت البدر إذ أُلبِستَ ثُوبَ جَمَالِهِ

قوله : «استسنى» ، أي استعظم ، وقد سنو الرجل ، وسنا : شرف وعظم . ديمته :
كلامه بالشعر وهو دائم غير منقطع ، أو يريد بها فطنته التي تمدّه بما شاء من

(١) هو سعد بن الحسن بن شداد المعروف بالناجم الشاعر الأديب ، صاحب ابن الرومي
ورواية شعره . معجم الأدباء ١١ : ١٩ .

(٢) الذخيرة ٢ : ٣٧

(٣) يرد البيان في ديوان المطبوع ، وما في الذخيرة ٢ : ٣٧ ، مع رواية مخالفة

الشعر، وأصل الديمة المطر الدائم . واستغزروها : استكثروها ووجدوها غزيرة .
أجلوا عشرته، أى أحسنوا صحبته وعاشروه بالجميل . جملوا قشرته ، أى حسنوها ،
من لفظ الجمال ، أو يكون معناه : جملوا من جملة الحساب وأجلته ، أى جمعته ،
فكانهم جمعوا له شيئاً وكسوه . وقشرته : ثوبه ، لأنه قدم أن هيئته كانت رثة ،
فاحتاجوا أن يكسوه .

* * *

قال المخبر بهذه الحكاية : فَلَمَّا رَأَيْتُ تَلَهَّبَ جَذْوَتِهِ ، وَتَأَلَّقَ
جَلْوَتِهِ ، أَمَعَنْتُ النَّظَرَ فِي تَوَشُّمِهِ ، وَسَرَّحْتُ الطَّرْفَ فِي مِدْسِمِهِ ،
فَإِذَا هُوَ شَيْخُنَا السَّرُوجِيُّ ، وَقَدْ أَقَمَرَ لَيْلُهُ الدَّجُوجِيَّ ، فَهَنَأْتُ نَفْسِي
نَمُورِدِهِ ، وَابْتَدَرْتُ اسْتِلاَمَ يَدِهِ ، وَقُلْتُ لَهُ : مَا الَّذِي أَحَالَ صِفَتَكَ ،
حَتَّى جَهِلْتُ مَمَرَفَتَكَ ، وَأَيُّ شَيْءٍ لِحَيْتِكَ ، حَتَّى أَنْكَرْتُ
حِلْيَتَكَ ! فَأَنْشَأَ يَقُولُ :

وَقَعُ الشَّوَابِبِ شَيْبٌ وَالذَّهْرُ بِالنَّاسِ قَلْبٌ
إِنْ دَانَ يَوْمًا لِشَخْصٍ فِي غَدٍ يَتَعَلَّبُ
فَلَا تَثْقُ يَوْمِيضٍ مِنْ بَرْقِهِ فَهُوَ خَلْبٌ
وَاصْبِرْ إِذَا هُوَ أَضْرَى بِكَ الْخُطُوبَ وَالْأَبْ
فَا عَلَى الثَّيْرِ عَارٌ فِي النَّارِ حِينَ يُقْلَبُ
ثُمَّ نَهَضَ مُفَارِقًا مَوْضِعَهُ ، وَمُسْتَصْحِبًا الْقُلُوبَ مَعَهُ .

* * *

تأهب جذوته : اشتعال جمرته و اتقادها ؛ وأراد حدة ذهنه ، والجذوة : النار في طرف العود . تألق : لمان . جلوته : ما جلاه وكشفه من وجهه ، وتقول : جلوت العروس جلوة ، إذا أزلت ثيابها ، وأظهرت وجهها ، والجلوة بالكسر : هيئة جلوه حين يحلّى ، وأراد بتألق جلوته بريق وجهه . أمعنت : بالغت وأدّمت النظر ، وأصله من أمعن في الأرض إذا أبعده الذهاب فيها . توسمه : نظر سماته ، وهي علامته التي يُعرف بها ، ويريد أنه أدام النظر في نعوته . سرّحت الطرف : أرسلت العين بالنظر ، وأصل العارف تحرك العين عند النظر ، تقول : طرفت العين طرفاً . والعين : الجارحة ، والبصر : ما تدركه بنظرها ، ثم سُميت العين طرفاً لذلك . وميسمه : علامته . أقر : ابيضّ ، فصار مثل لون القمر . الدجوجى : الشديد السواد ، وأراد نبات شعره الأسود .

قوله : « بمورده » ، أى بقدومه وإتيانه ، تقول : ورَدَ علينا فلان ، إذا قدم عليك من بلد آخر ، والمورد : مصدر ورَدَ ، وهو بمعنى الورد ، لأنه قدّم أنه غاب عنه مدة لا يعرف له موضعاً ، ولا يجد عنه مخبراً ؛ حيث قال : « واستتر عني حيناً » ، فلما رآه ببلده بالبصرة فرح بقدومه وهنأ نفسه على ذلك .

استلام : تتبّل اليد . ابن الأنبارى : استلم الحجر ، معناه أخذه ومسه بيده ، واستلم ، افتعل ، من المسألة . يريد أخذ الحجر وضّمه إليه ، أو يكون استفعل ، من اللأمة وهي السلاح ، يريد أنه حصّن نفسه بمسّ الحجر من العذاب ، لأن السلاح إنما يابس ليُمتنع به ويتحصّن . أحوال : غير . حليتك : صنتك ، ولذلك احتاج أن يمعن النظر لما تغيرت صفاته التي كان يعرفه بها من الفتوة والشبيبة ، فلما رآه قد شاب شعره ، وتغيرت صفاته لم يعرفه إلا بعد طول تأمل . وقال الحلوانى القيروانى :

ولربّ باكيةٍ رأت في مِيتي وخزّ الشيب تألّقت ضحكاته

قالت : أغضنا قد علاه فلا أرى زهر الرياض ونورت ورقائه
فأجبتها : قارعتُ في جنبِ الهوى صرف الزمان ، وهذه نكباته
ولا بن الجد :

نَكَرْتُ نُحُولِي وَهُوَ مِنْ فَرَطِ الْأَسَى لفراقِ إخوانِ عليّ كرامِ
وَتَعَجَّيْتُ لِلشَّيْبِ لَا تَتَعَجَّبِي هذا غبار وقائع الأيامِ
قوله : « فأنشأ يقول » أي ابتداء ، وأنشدوا :

أَنْشَأْتُ تَطْلُبُ مَا تَفِي رَقَدَ تَنَاشَبَتِ الْأَخَافُ

أي ابتدأت تطلب . الشوائب ، أصله ما يقع في الماء الصافي من الأفداء فيكذره ، فأراد أن أنكاد الدهر شيبته . وقلب : كثير التقلب ، فيحول من حال إلى حال . دان : طاع واثقاد . يتقلب : يتحول عن الطاعة . وميض : لمع خفي . خلب : خداع ، لا ماء فيه ، وأراد : لا تثق بالدهر ، إذا ما كسبت فيه شيئاً من المال فإنه يحول عنك ولا يترك لك منه شيئاً . أضرى : أغرى وألصقها بك ، وأصل « أضرى » من ضراوة الكلب ، تقول ضَرَى الكلب بالصيد ؛ إذا تعلم الصيد ، وأضرته أنا بمعنى عرّضته للصيد . والخطوب : الأمور الشداد . وألب : حشد ، أي اصبر للشدائد إذا أضرها الدهر بك وحشدها ، فما عليك في ذلك عيب ، كما أن الذهب يُسَبَّك بالنار وهو مع ذلك عزيز القدر . والتبر : الذهب قبل سبكه ، وانظر هذا المعنى عند قوله في السابعة والأربعين :

وَطَالَمَا أَصْلَى الْيَاقُوتَ جَمَرَ غَضَى ثم انطلقا الجمر والياقوتُ ياقوتُ

وزاد الآخر في المعنى فقال :

إني أنا الذهبُ المحمى ومخبرُهُ يزيد في السَّبَكِ للدينارِ ديناراً

وأنشدوا :

اضبرْ على نُوبِ الزَّما ن فكذّاً مضتِ الدُّهورُ
فرَحٌ وحُزنٌ تارةً لا الحزن دَامَ ولا الشُّرورُ

المقامة الثالثة وهي الدنيارية

رَوَى الْحَارِثُ بْنُ هَمَّامٍ قَالَ : نَظَمَنِي وَأَخْدَانَا لِي نَادٍ ، لَمْ يَخِبْ فِيهِ مَنَادٌ ، وَلَا كَبَا قَدَحُ زَنَادٍ ، وَلَا ذَكَتْ نَارُ عِنَادٍ ؛ فَبَيْنَا نَحْنُ نَتَجَادَبُ أَطْرَافَ الْأَنَاشِيدِ ، وَتَوَارِدُ طُرْفِ الْأَسَانِيدِ ، إِذْ وَقَفَ بِنَا شَخْصٌ عَلَيْهِ سَمَلٌ ، وَفِي مِشْبَتِهِ قَزَلٌ .

نَظَمَنِي ، أَيِ جَمْعِي . أَخْدَانَا ؛ أَيِ أَصْحَابِي . نَادٍ : مَجْلِسٌ . مَنَادٌ : مَتَكَلِّمٌ . كَبَا : شَحٌّ وَلَمْ يَبْدِ نَارًا . قَدَحٌ : ضَرْبٌ . زَنَادٌ : حَدِيدَةُ النَّارِ ، وَزَنَادُ الْعَرَبِ مِنْ خَشَبٍ ، وَأَكْثَرُ مَا يَكُونُ مِنَ الْمَرْخِ وَالْعَفَّارِ ؛ وَإِنَّمَا هُوَ أَنْ يُؤْخَذَ عُودٌ قَدْرُ شِبْرِ ، فَيُنْتَقَبُ فِي وَسْطِهِ ثَقْبٌ لَا يَنْفَذُ ، وَيُؤْخَذُ عُودٌ آخَرُ قَدْرُ ذِرَاعٍ ، فَيُحْدَقُ طَرَفُهُ ، وَيُجْعَلُ ذَلِكَ فِي الثَّقْبِ ، وَقَدْ وَضَعَهُ رَجُلٌ بَيْنَ رِجْلَيْهِ ، فَيُدِيرُهُ وَيَقْتُلُهُ ، فَيَبْدُو النَّارَ ، فَالْأَعْلَى زَنْدٌ وَالسُّفْلَى زَنْدَةٌ ، وَالزَّادُ نَادٍ جَمْعُ زَنْدٍ . قَوْلُهُ : « ذَكَتْ » ، أَيِ اسْتَعْلَتْ . عِنَادٌ : خِلَافٌ ، يَرِيدُ أَنْ هُوَ لَاءُ الْأَصْحَابِ الْحَسَنِ أَدْبَهُمْ وَمَنَاطِرَتَهُمْ لَيْسَ بَيْنَهُمْ خِلَافٌ ، وَهُمْ عُلَمَاءٌ لَا يَسْقُطُ مِنْ كَلَامِهِمْ شَيْءٌ ، وَلَيْسَ فِيهِمْ جَاهِلٌ ، فَيَكُونُ كَلَامُهُ قَلِيلَ الْإِصَابَةِ . وَالْأَنَاشِيدُ : مَا يَتَنَاشِدُونَهُ مِنَ الْأَشْعَارِ بَيْنَهُمْ ، كَأَنَّ وَاحِدَهَا أَنْشُودَةٌ . وَتَجَادَبُ أَطْرَافُهَا ، يَرِيدُ الْمَشَارَكَةَ فِي إِنْشَادِهَا ، أَيِ إِذَا أُنْشِدَ أَحَدُهُمْ شِعْرًا لِيُغْرِبَ بِهِ شَارِكُوهُ فِي إِنْشَادِهِ لِحَفْظِهِمُ الْأَشْعَارَ ، فَكَأَنَّهُمْ تَجَادَبَوْهُ كَمَا يُتَجَادَبُ بِأَطْرَافِ الثُّوبِ . وَالْأَسَانِيدُ : الْأَخْبَارُ الْمُسْنَدَةُ إِلَى أَهْلِهَا . وَأَصْلُ التَّوَارِدِ ، مَزَاحِمَةُ الْإِبِلِ عَلَى شَرْبِ الْمَاءِ ، فَجَعَلَ مَشَارَكَتَهُمْ فِي ضَبْطِ غَرَائِبِ الْأَخْبَارِ

كتوارد الإبل على الماء ، والطَّارِف : الغرائب ، والناثرة : الشيء العجيب من كل شيء ، الذى لا يوجد له نظير . سَمَل : ثوب خلق ، وأكثر ما تقول العرب : ثوب أَسْمال وأَخلاق ، فيوصف بالجمع لأنه قِطْعٌ متفرقة . وسَمَل : قليل ، وفي تبذل اللباس روى أبو هريرة رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم : « إن الله يحب المتبذل الذى لا يبالي بما لبس » . قَزَل : عرج .

* * *

فقال : يا أخاير الذخاير ، وبشارَ المشائِر ، عموا صباحاً ، وأنعموا اضطباحاً ، وانظروا إلى مَنْ كَانَ ذا ندى وَندى ، وجِدَّةٍ وجَدًا ، وعَقَارٍ وَقَرَى ، ومَقَارٍ وَقَرَى ، فما زال به قُطُوبُ الخُطُوبِ ، وحُرُوبُ الكُرُوبِ ، وشرَّ شرِّ الحُسُودِ ، وانتيابِ الثُوبِ السُّودِ ، حتَّى صَفِرَتِ الرَّاحَةُ ، وَقَرِعَتِ السَّاحَةُ ، وغارَ المنبعُ ، وَتَبَا المَرْبِيعُ ، وأَقْوَى المَجْمَعُ ، وَأَقْضَى المَضْجَعُ ، واستَحَالَتِ الحِمَالُ ، وَأَعْوَلَ العِيَالُ ، وَخَلَّتِ المَرَابِيطُ ، وَرَجِمَ الغَايِطُ ، وأودى الناطِقُ وَالصَّامِتُ ، وَرَثَى لَنَا الحَاسِدُ وَالشَّامِتُ .

* * *

قوله : « يا أخاير الذخاير » ، الأخاير : جمع أخير ، كما يقال : أكبر وأكابر ، والمستعمل خير وشر ، ولا يقال : أخير ولا أشر إلا شاذاً ، وإن كان هو الأصل ، لكنه رفض استعماله وجاء الجمع على الأصل ، لأنه يرد الشيء إلى أصله وقال رؤبه :

* بلال خيرُ النَّاسِ وابنُ الأخيرِ *

فَنُطْقُ الْمُسْتَعْمَلِ لَشَهْرَتِهِ ، وَبَاصِلُهُ وَهُوَ قَلِيلٌ ، فَإِذَا تَعَجَّبُوا مِنْ ذَلِكَ قَالُوا :
 مَا أَخِيرَ فَلَانًا ، وَمَا أَشْرَ فَلَانًا . وَالذَّخَائِرُ : جَمْعُ ذَخِيرَةٍ ؛ وَهِيَ الشَّيْءُ الْفَيْسُ الْعَالِي
 يَصُونُهُ الْإِنْسَانُ وَيَعْتَدُّهُ لِمَآئِنِهِ . الْبَشَائِرُ : جَمْعُ بَشِيرَةٍ ، وَقَدْ بَشَّرَتِ الرَّجُلَ بَشِيرَةٌ
 إِذَا أَدَخَلَتْ عَلَيْهِ السَّرُورَ . وَالْعَشَائِرُ : جَمْعُ عَشِيرَةٍ ، وَهِيَ قَرَابَةُ الرَّجُلِ مِنْ قَبِيلَتِهِ ،
 يَقُولُ : أَنْتُمْ أَرْفَعُ الذَّخَائِرِ ، وَخَيْرُهَا ، وَأَنْتُمْ يَسْتَبْشِرُونَ لِقَائِكُمْ بِرُؤْيَاكُمْ ، وَيَنْيَامُونَ
 بِلِقَائِكُمْ ، وَيَعْلَمُ أَنَّكُمْ تَصِلُونَهُ وَتَكْرُمُونَهُ ؛ لَيْسَتْ عَظْفُهُمْ بِهَذَا الْكَلَامِ . عَمُوا
 صَبَاحًا : دَعَاءُ لَهُمْ بِالتَّعَمُّدِ فِي الصَّبَاحِ ، أَيْ جَعَلَكُمْ اللَّهُ تَنَعُّمُونَ فِي صَبَاحِكُمْ .
 وَعَمُوا : أَمَرْتُمْ وَعَمَّ يَمُّ ، وَهِيَ فِي مَعْنَى نَعِمَ يَنْعَمُ . وَأَنْعَمُوا اصْطَبَاحًا ، أَيْ طَابَ
 شَرْبُكُمْ فِي الصَّبَاحِ وَتَنَعَّمْتُمْ بِهِ ، وَالْاصْطَبَاحُ : أَنْ يُصْبِحُوا وَهُمْ يَشْرَبُونَ . نَدَى :
 مَجْلِسُ اجْتِمَاعٍ ، أَيْ هُوَ شَرِيفٌ يُقْعَدُ وَيَجْتَمِعُ عِنْدَهُ . نَدَى : كَرَمٌ . جَدَى : عَطِيَّةٌ .
 التَّقَارُ : الْمَالُ الَّذِي لَا يَنْتَقِلُ كَالنَّخْلِ وَالذُّورِ وَالْأَرْضَيْنِ . قَرَى : جَمْعُ قَرِيَةٍ .
 مَقَارٍ : جَفَانٌ يُقَرَى فِيهَا الْأَضْيَافُ ، أَيْ يُطْعَمُونَ فِيهَا . وَالْقَرَى : طَعَامُ الضَّيْفِ .
 قَطُوبٌ . عُبُوسٌ . الْخَطُوبُ : الشَّدَائِدُ . الْحُرُوبُ : الْقِتَالُ . الْكَرُوبُ : الْهَمُومُ ،
 قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « مَا أَعْلَمُ أَنَّهُ لَا يَقُولُهُ مَكْرُوبٌ إِلَّا فَرَّجَ اللَّهُ عَنْهُ ، كَلِمَةً
 أَخَى يُونُسَ : ﴿ فَتَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ ... ﴾ الْآيَةُ » .

وَمِنْ كَلَامِ ابْنِ الْعَتَرِ : الْحَوَادِثُ الْمَحْضَةُ مَكْسَبَةٌ لِحُظُوظِ جَزِيلَةٍ ، وَثَوَابٌ مَدْخَرٌ ،
 وَتَطْهِيرٌ مِنْ ذَنْبٍ ، وَتَنْبِيهٌُ مِنْ غَفْلَةٍ ، وَتَعْرِيفٌ بِقَدْرِ النِّعْمَةِ ، وَمَرُورٌ عَلَى مُقَارَعَةِ
 الدَّهْرِ ، وَإِذَا اسْتَرَجَعَ اللَّهُ مَوَاهِبَ الدُّنْيَا كَانَتْ مَوَاهِبَ الْآخِرَةِ .

غَيْرِهِ : لَوْلَا حَوَادِثُ الْأَيَّامِ ، لَمْ يَعْرِفِ صَبْرُ الْكِرَامِ ، وَلَا جَزَعُ
 اللُّثَامِ .

وقال أبو تمام :

والحادثاتُ وإن أصابَكَ بُؤْسُهَا فهو الذى أُنْبَأَكَ كيفَ نعيمِهَا^(١)

الحسود : المتمنى إهلاك مالك ، وإذا رأى لك خيراً تمنى إزالته ، يريد أن
الحسود اتبع ماله بالعين حتى أهلكه ، وقلما يوجد الذى يرمى بالعين إلا حسودا .
انتياب : نزول وقصود . الثوب : التوازل . قوله ، « صفت » ، أى خلت من الدراهم
الراحة : باطن الكف . قرعت : خلت من المال وصارت قرعاء . والساحة :
فناء الدار ، والساحة عند العرب : الرحبة التى تُخلق بها البيوت ، وأراد أنها خلت
من الإبل والبقر والغنم وغير ذلك . غار المنبع : جف الماء النابع ، والمنبع : موضع
النبع . المريع : المنزل فى الربيع . ونبا : بأهله : وجد نبوة ، أى ارتفاعا غير وطفىء
فلم تمكن الإقامة فيه . أقوى : خلا . المجمع : موضع الاجتماع . أقض : خشن
وصار فيه القفض ، وهى الحجارة . المضجع : موضع رقاذه ، وأخذ من قول
أبى ذؤيب :

أَمْ ما لجنبِكَ لا يلائِمُ مَضْجَعًا إِلَّا أَقْضَى عَلَيْهِ ذَلِكَ المَضْجَعُ^(٢)

وكنى بهذه الألفاظ عن تغير الأحوال وذهاب المال .

وساق الكلام مساق حكايات الأعراب ؛ منها أن أعرابيا وقف بقوم ، فقال :
أشكو إليكم أيها الملا زمانا أناخ على بكل كلة بعد نعمة من البال ، وثروة من
المال ، وغبطة من الحال ، أضماني جديدها بقبل مصائبه ، عن قسبي نوائبه ، فاترك لي
راغية أجتدى ضرعها ، ولا ثاغية أرتجى نفعها ، فهل فيكم من معين على صرفه ،
أو مُعْذٍ على حتفه !

(١) ديوانه ٣١٠

(٢) ديوان الهذليين ٢ .

وقد ذكرنا منها جملة في الثالثة والثلاثين . وحكى أبو عليّ في نواته
حكاية عن أبي زيد اللغويّ على لسان أعرابيّ يشبه كلام الحريريّ هنا في سياقه
وكثير من الألفاظ ، فيقول : إنّ المنع الذي كنا نعيش به نحن وأموالنا قد
ذهب ، فهلكنا بذهابه . والمربع : وهو موضع الخصب ، صار نبوة لاينبت شيئاً ،
فلم تجد الإبل ما ترعاه فهلكت ، وإذا هلك المال هلك صاحبه ، والمجالس التي
كنا نجتمع فيها ، هلك أهلها فخلّت ، ومضجعنا الذي كان موطاً بالفرش أقصّ
فامتنع من الإضجاع عليه .

قوله : «استحالت ، تغيّرت» . وحال الرجل : ماهو عليه من خير أو شرّ
أو غنى أو فقر ، والحال أيضاً : المال . أعول : بكى ، وعيال الرجل : من يفتقر إليه
في مؤنته ونفقتة ، واحد هم عيّيل . الرابط : المواضع التي تربط فيها الخيل وتُخبَس .
الغابط : الذي يتمنى مثل مالك ولا ينقص منه شيء . أودى : هلك . الناطق :
المال من الحيوان مثل الإبل والبقر والغنم ، وكلّ ما يملك من ذي روح ؛ سميت
بذلك لأصواتها ، والناطق كل حيوان له صوت . والصامت : الذهب والفضة
والتناع . رثى : بكى . وأشفق الشامت : الذي يُسرّ بمصيبتك ، ومنه تسميت العاطس ،
وهو إدخال السرور عليه بالدعاء ، وقد شمت به شماتاً وشماتة ، فهو شامت إذا
سرّ ببلاء ينزل به . والحاسد ، هو الحسود .

[فصل في الحسد وما قيل فيه]

والحسد أولّ ذنب عصى الله به في السماء والأرض ، أما في السماء فحسد
إبليس آدم ، وأما في الأرض فحسد قاييل هابيل .

وقال بعض المفسرين في قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا أَرِنَا الَّذِينَ أُضَلَّانَا مِنَ الْجَنِّ وَالْإِنْسِ﴾^(١): إنهما قاييل وإبليس، فالحسد حمل إبليس على الكفر، وحمل قاييل على قتل أخيه.

وقال علي رضي الله عنه: لا راحة لحسود، ولا أخ للول، ولا محب لسيء الخلق.

وقال رجل لخالد بن صفوان: إني أحبك، قال: وما يمنعك، ولست لك بجارٍ ولا أخٍ ولا ابن عمٍ! يريد أن الحسد موكل بالأدنين.

الحسن البصري: ما رأيت ظالماً أشبه بمظلومٍ من حاسد بنفسٍ دائم، وحزن لازم، وغيره لا تنفذ.

معاوية: كل الناس أقدر على أن أرضيهم إلّا حاسد نعمة، فإنه لا يرضيه إلا زوالها.

المبرد: حدثنا الزياتي، قال: يقال: ستة لا تحطهم الكآبة: فقير حديث عهد بغي، ومكتر يخاف على ماله التلف، والحسود، والحقود، وطالب مرتبة فوق قدره، وخليط أهل الأدب وليس منهم.

قال الأصمعي: اجتمع ثلاثة حساد، فقال أحدهم لصاحبه: ما بلغ من حسدك؟ قال: ما اشتبهت أن يفعل بمسلم خير قط، فقال الثاني: أنت رجل صالح، ولكني ما اشتبهت أن يفعل بي خير قط، فقال الثالث: ما في الأوض خير منكما، ولكني ما اشتبهت أن يفعل أحد بأحد خيراً قط.

قال: وأنشد الشاعر:

كلّ العداوة قد ترجى مودتها إلاّ عداوة من عاداك من حسدٍ

وقال حبيب :

وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ نَشْرَ فَضِيلَةٍ طُوبِتْ أَتَاحَ لَهَا لِسَانَ حَسُودٍ^(١)
لَوْلَا اشْتِعَالُ النَّارِ فِيمَا جَاوَرْتُ مَا كَانَ يُعْرَفُ طِيبُ عُرْفِ الْعُودِ

وقال القاضي ابن عمر :

نَهَانِي حِلْمِي فَمَا أَظْلِمُ وَعَزَّ مَكَانِي فَمَا أَظْلَمُ
وَلَا بَدَّ مِنْ حَاسِدٍ قَلْبُهُ بَنُورَ مَا ثَرْنَا مُظْلَمُ
رَحِمْتَ حَسُودِي عَلَى أَنَّهُ يَعْذِبُ بِي ثُمَّ لَا يُرْحَمُ
أَتَانَا الْحُسُودَ وَلَسْنَا كَمَا يَقُولُ وَلَكِنْ كَمَا يَعْلَمُ

وقال البماني :

إِنِّي لَأَرْحَمُ حَاسِدِي لَفَرْطَ مَا ضَمَّتْ صُدُورُهُمْ مِنَ الْأَوْغَارِ
نَظَرُوا صَنِيعَ اللَّهِ بِي فَمَيُونَهُمْ فِي جَنَّةٍ وَقُلُوبُهُمْ فِي نَارِ
لَا ذَنْبَ لِي قَدْ رُمْتُ كَتَمَ فَوَاضِلِي فَكَأَنَّمَا بَرَقَتْهَا بَنَاهَارِ

قوله : « رثي لنا الحاسد والشامت » : قال النبي صلى الله عليه وسلم : « ارحموا
مُتَلَامًا : غنى قوم افتقر ، وعزير قوم ذل ، وقيها ياعب به الجهال » .

قال الشافعي : خمسة مرحومون : عزير ذل ، وغنى قل ، وحبيب مل ، وفصيح
كل ، وقيها ضل .

وقال الشافعي : ومن حديث وائلة ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :
« لَا تَظْهَرِ الشَّمَاتَةُ بِأَخِيكَ ، فَيَعَايِيهِ اللَّهُ وَيَتْلِيكَ » ، وأخذه الحريري من قول الآخر :

لَمْ يَبْقَ إِلَّا نَفْسٌ خَافَتْ وَمُقَلَّةٌ إِنْسَانَهَا بَاهَتْ
وَمَغْرَمٌ تَوَقَّدُ أَحْشَاوُهُ بِالنَّارِ إِلَّا أَنَّهُ سَاكِتٌ
رَقَّ فَمَا فِي جِسْمِهِ مَفْصَلٌ إِلَّا وَفِيهِ سَقَمٌ ثَابِتٌ

يرثي له الشَّامِتُ مِمَّا بِهِ يَؤَيِّحَ مَنْ يَرِثِي لَهُ الشَّامِتُ !

* * *

وَأَلَبْنَا الدَّهْرُ الْمَوْقِعُ ، وَالْفَقْرُ الْمَذْقِعُ ، إِلَى أَنْ اخْتَدَيْنَا الْوَجَى ،
وَأَعْتَدَيْنَا الشَّجَا ، وَاسْتَبَطْنَا الْجَوَى ، وَطَوَيْنَا الْأَخْشَاءَ عَلَى الطَّوَى ،
وَاصْتَبَطْنَا السُّهَادَ ، وَاسْتَوَطْنَا الْوَهَادَ ، وَاسْتَوَطْنَا الْقِتَادَ ، وَتَنَاسَبْنَا
الْأَقْتَادَ ، وَاسْتَبَطْنَا الْحَيْنَ الْمُجْتَاحَ ، وَاسْتَبَطْنَا الْيَوْمَ الْمُتَّاحَ ، فَهَلْ
مِنْ حُرٍّ آسٍ ، أَوْ سَمَحٍ مَوَاسٍ ! فَوَالَّذِي اسْتَخْرَجَنِي مِنْ قَيْلَةٍ ،
لَقَدْ أَمْسَيْتُ أَخَا عَيْلَةٍ ، لَا أَمْلِكُ بَيْتَ لَيْلَةٍ .

قال الحارث بن همام : فَأَوَيْتُ لِمَفْاقِرِهِ ، وَلَوَيْتُ إِلَى اسْتِنْبَاطِ
فَقِيرِهِ ، فَأَبْرَزْتُ دِينَارًا ، وَقُلْتُ لَهُ اخْتَبَارًا : إِنْ مَدَحَتْهُ نَظْمًا ، فَهُوَ
لَكَ حَتْمًا ، فَانْبِرِ يَنْشِدُ فِي الْحَالِ ، مِنْ غَيْرِ انْتِحَالِ .

* * *

قوله : « آل بنا » أى رجع بنا ، وقد آل يئيل ويثول ، أى رجع . الموضع :
المهلك ، من أوقع به ، ويحتمل أن يريد بالموقع الذى يحمله على الوقوع ، ورجل مُوقِع
إذا اشتكى ألم رجليه . المدقع : الملتصق بالدقاء ، أى التراب ، أى لم يترك للإنسان
شيئًا يبسطه غير التراب . احتدينا : انتعلنا . الوجى : توجع باطن القدمين من الحفا ،
يريد أنه لبس مكان النعال الحفا حتى توجعت قدماء . الشجى : ما يعرض في
الحلق ، وكفى بهذا عن سوء الحال ، لأن الشجى ليس بفداء إنما هو مشقة وتعب .
ولكن بالغ في وصف سوء حاله ، فقال : إنه يَنْتَعِلُ مَالًا يَنْتَعِلُ ، ويفتدى مالىس .

بفداء ، أى ليس تَمَّ انتعال ولا غذاء . استبطنا ، أى جعلناه فى بطوننا . الجوى : فساد الجوف . والأحشاء : مافى الجوف وماحشى به . الطوى : الجوع ، وقد طوى يطوى ؛ لأن الأحشاء إذا امتلأت من الطعام انتشرت ، وإذا فرغت منه انحوى بعضها على بعض . والشهاد : امتناع النوم ، من قول الشاعر :

ما لعيني كُحِلَتْ بالشَّهادِ ولجني نابياً عن سادى

استوطنا : سكننا واتخذناه وطننا . الوهاد : ما انخفض من الأرض . استوطنا : وجدناه وطينا . القناد : شجر له شوك شديد يسمى عندنا حمض الأمير . الأقتاد : خشب الرِّحال ، يريد أنهم نسوا ركوب المطايا بعد عهدهم بها ورجعوا الآن يمشون على الشوك فيجدونه وطينا . الحين : الموت . المحتاح : من لفظ الجوائح ، يريد به المستأصل للأموال . استبطنا : وجدناه بطىء الحىء . المتاح . المقدَّر ، يريد أن يوم موتهم تمنوه لشدة ما قاسوا ، وأبطأ عليهم . آسٍ : طيب يطب علة الفقر والجمع الأساة . سمح : كريم . والمواسى : المعين . وذكر عاصم فى شرح قوله : « يواسى فى كريهته أخاه » ، أن معناه ، جعله أسوة نفسه ، فواسٍ من الأسوة ، كأنه يشاكه فى ماله . ويقال : آسيته ، والأصل الهمز .

المفضل : معنى فلان يواسى فلانا ، يشاركه ، والمواساة المشاركة ، وآساه : شاركه فيما هو فيه .

مؤرَّج : ما يواسيه ، أى ما يصيبه بخير أصلا .

غيره : معناه يعوضه من مودته وقربته شيئا ، من الأوس وهو العوض . قال الشاعر :

فلا رَمَيْتَكَ مِسْقَصًا أَوْ سَأِ أُوَيْسُ مِنَ الْهَبَالَةِ^(١)

(١) اللسان-هبل ، ونسب إلى أسماء بن خارجة؛ وفيه أن الهبالة اسم ناقة أسماء بن خارجة . ورواية اللسان : « لأحسانك » .

والهباله: اسم ناقة، أى أرميك بسهم يكون عَوْصًا عن الناقة. وكأن أصله يؤاوسه، فقدموا السين وهى لام الفعل، وأخروا الواو وهى عينه، فصار «يؤاوسه» فقلبت الواو ياء لانكسار ما قبلها، فهو من المقلوب، وإن جعلته من أسوت الجرح، إذا أصاحته فلا قلب فيه.

قوله: «فوالذى استخرجنى من قيلة»، قيلة هى أم الأوس والخزرج، وهى بنت الأرقم النسبانية، وانتسابه لها كانتسابه قبل إلى أقيال غسان. أخا عيلة: صاحب فقر، قال تعالى: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً﴾^(١)، أى فقراً، وقال صلى الله عليه وسلم: «أعوذ بك من القسوة والغفلة والعيلة والمسكنة». بيت ليلة: قوت يبيت عليه ليلة.

أويت: أشفت وحننت. مفقره: جمع فقر على غير قياس - ومثله هذا كبير الرجل جمع ذكّر: محاسنه ومساويه. لويت: انعطفت. استنباط: استخراج. الفقر فى النثر: فواصله، وهى مثل القوافى فى النظم، والفقر: ما تقدّم فى المقامة من الكلام المفقر. أبرزت: أظهرت. حتماً: واجباً، يريد أنه قصد إلى أن يحقق ما تقدّم من الفصاحة فى فقره إن كانت له أو انتحلها، فقال ليختبره: امتدح هذا الدينار بشعر. فأنبرى، أى اعترض وتقدّم. انتحال: ادّعاء منه فى شعر غيره، يقال: انتحل كذا، أى ألزمه نفسه، وجعله كالملك، من النحلة، وهى الهبة والعطية.

أَكْرَمَ بِهِ أَضْفَرَ رَأَتْ صُفْرَتَهُ	جَوَّابَ آفَاقٍ تَرَامَتْ سَفَرَتَهُ
مَأْثُورَةً سَمِعْتُهُ وَشَهَرَتُهُ	قَدْ أَوْدَعَتْ سِرَّ الْغِنَى أَسْرَتَهُ
وَفَارَنْتُ نُجْجَ الْمَسَاعِي خَطَرَتُهُ	وَحُبِّبْتُ إِلَى الْأَنَامِ غَرَّتُهُ
كَأَنَّمَا مِنَ الْقُلُوبِ نَقَرَتُهُ	بِهِ يَصُولُ مَنْ حَوَتْهُ صُرَّتُهُ

وَإِنْ تَفَانَتْ أَوْ تَوَانَتْ عِزَّتُهُ يَا حَبِّدَا نُضَارُهُ وَنُقِرَّتُهُ
وَحَبِّدَا مَغْنَاَتُهُ وَنُضِرَّتُهُ كَمْ أَمْرٍ بِهِ اسْتَبَّتْ إِمْرَتُهُ
وَمُتَرَفٍ لَوْلَاهُ دَامَتْ حَسْرَتُهُ وَجَيْشٍ هَمٍّ هَزَمَتْهُ كَرَّتُهُ
وَبَذَرٍ تِمٍّ أَنْزَلَتْهُ بَذَرَتُهُ وَمُسْتَشِيطٍ تَتَلَطَّى جَحْرَتُهُ
أَسْرَ نَجْوَاهُ فَلَانَتْ شِرَّتُهُ وَكَمْ أَسِيرٍ أَسْلَمَتْهُ أَسْرَتُهُ
أَقْذَهُ حَتَّى صَفَتْ مَسْرَتُهُ وَحَقُّ مَوْلَى أَبْدَعَتْهُ فِطْرَتُهُ
* لَوْلَا التَّقَى لَقُلْتُ جَلَّتْ قُدْرَتُهُ *

قوله: « اكرِّم به »، معناه مأكرمه . راق . أعجبت . جواب آفاق :
قطاع بلاد . ترامت سفرته : بعدت غيبته، وسمى السفر سفراً ، لأنه يسفر عن
أخلاق الرجال ، أى يكشفها ويوضحها ، أخذ من قولهم : سَفَرَتِ المرأة عن
وجهها ، إذا كشفتها وأظهرته ، ويقال للمكنسة : مِسْفَرَةٌ ، لأنها تُسْفِرُ التراب
عن الموضع ، وسفر بينته ، كنسه . مأثورة : محدث بها . سمعته : ذكره المسموع .
أودعت : ضُمَّتْ . أَسْرَتُهُ : خطوط وجهه ، أراد نقشه ، وأن بين أسطاره سر-
الغنى ، فمن ملكه ملك الغنى . فارنت : ساوت : النجح : ضد الخيبة . المساعى :
المشى فى طلب الحوائج . الأنام : الخلق . غُرَّتُهُ : وجهه ؛ قيل لأبى الزناد : مالك
تحب الدرهم وهى تدنيك من الدنيا ! قال : إنها وإن أدنيتنى من الدنيا ، فقد
صانفتنى عنها . والنقرة : القطعة المسبوكة من الذهب والفضة ، قبل أن يطبع منها
الدرهم والدنانير ، وأراد : كأنما قطعت نقرته من قلوب الناس لشدة حبهم
فيه . والنقرة ، إنما تستعمل من الفضة ، واستعملها فى الذهب لقرب ما بينهما ،
وأخذه من قول البحترى :

فكلَّ قلبٍ إليه منصرفٌ كأنَّه من جميعها خُلِقَا (١)
أو من قول ابن الرومي :

به أُمست الأهواء يجمعها هوى كأنَّ نفوسَ النَّاسِ في حبِّه نفسُ
أو من قول المتنبي :

في خطِّه من كلِّ قلبٍ شهوةٌ حتَّى كأنَّ مداده الأهواء (٢)

بصول : يقهر ويفلب ، وصال الشجاع على قرنه ، والفحل على إبله ، والجمار
على أثنه صولاً ، إذا قهر وعلا وصاحبها الصرة : الخرقه تصرُّ فيها الدراهم . حوته :
خَصَمَتَه ، يريد أن مَلَكَ الدينار صال به على زمانه . تفانت : هلكت . توانت :
أبطأت وضعفت عن نصرته . عترته : قرابته الأدنون . نضاره : ذهبه . نصرته :
حسنه . مغناته : منابه ، يقال فلان يغني مغناتك ، أى ينوب منابك ، ويقوم مقامك ،
يريد أنه ينوب عن الإنسان في المضايق وينصره . استتبَّت : تمت واستقامت ،
والمستتب : الطريق البين ، قال الشاعر :

* على مستتب كالجرّة تعمل *

إمرته : ولايته . مُتَرَف : منعم . حسرته : تفجّعه ، وحزنه . كرتّه : رجعته ،
وبدرتم : القمر ليلة الكمال ؛ ويريد به شخصاً يشبه البدر في حسنه ورفعته ، فإذا
بعثت في طلبه الدينار أنزلته عن مرتبته وتمسكته ، والبدر : عشرة آلاف درهم .
مستشيط : غضبان : تتلطّى : تتاهب . جمرته : شدة غيظه . أسرّ : أخفى . نجواه :
حديثه سرّاً . شرّته : حدّته وغضبه ، يقول : كم من غضبان شديد الغيظ ، مثل

(١) فلحق ديوانه ٢٦١٥ .

(٢) ديوانه ١ : ٢٠ ، والأهواء : جمع هوى ، مقصور ، وهو المحبة .

حاكم يَصُولُ بصاحب جنابة ويهدده ، فإذا رُشِيَ بالدينار وبُعث إليه سرّاً أزال غضبه ، وسكنت حِدَّتُهُ . أسلمته ، تركته . أسرته : قومه . مسرّته : فرحه . أبذعته : أوجدته قبل أن يكون . فطرته : خلقته . التقى : الخوف . جلّت : عظمت .

* * *

ثُمَّ بَسَطَ يَدَهُ ، بَعْدَ مَا أُنْشِدَهُ ، وَقَالَ : أَنْجَزَ حُرٌّ مَا وَعَدَ ، وَسَحَّ خَالٌ إِذَا رَعَدَ . فَنَبَذْتُ الدِّينَارَ إِلَيْهِ ، وَقُلْتُ : خُذْهُ غَيْرَ مَأْسُوفٍ عَلَيْهِ ، فَوَضَعَهُ فِي فِيهِ ، وَقَالَ : بَارِكِ اللَّهُمَّ فِيهِ ، ثُمَّ شَمَرَ اللَّائِنَاءَ ، بَعْدَ تَوْفِيَةِ الثَّنَاءِ .

* * *

[قصة المثل : أنجز حرٌّ ما وعد]

قوله : «أنجز حرٌّ ما وعد» ، هذا مثل ، قاله الحارث آكل المرار - وهو جدّ امرئ القيس - لصخر بن نهشل بن دارم ؛ وذلك أن الحارث قال : يا صخر ، هل أدلك على غنيمة على أن لي خمسها ؟ قال نعم ، فدلّه على قوم من العرب ، فأغار عليهم صخر بقومه فظفروا وغنموا ، فحملهم صخر على أن يعطوا الحارث الخمس ، فأبوا ؛ وكان طريقهم على شجعات - وهى ثنية متضايقة - فلما دنوا منها صار إليهم صخر حتى قعد على رأسها ، ومنعهم الجواز وأعطوا الحارث الخمس ، فقال حمزة اليربوعي : والله لا نعطيه من غنيمتنا شيئاً ؛ ومضى في الثنية ، فحمل عليه صخر فقتله . فلما رأى ذلك الجيش أعطوه الخمس ، ففى ذلك يقول نهشل بن حرّ بن منجز ابن نهشل بن دارم :

ونحن منعنا الجيش أن يتأوَّبوا على شجعاتٍ والجياذ بنا تجرئ
حبسناهم حتى أقرّوا لحكنا وأدّى أنقال الخيس إلى صخر

فمعنى «أنجز حرَّ ما وعد»^(١) أحضر وهياً. وقد نجز الشيء إذا حضر، ولفظه لفظ الخبر، ومعناه الأمر، أراد لينجز حرَّ ما وعد.

* * *

سَحَّ: صبَّ وأماز. خال: سحاب يخيل لك أن المطر فيه. رَعَد: صَوَّتْ يَقُول لابن همام: إِنَّ السحاب إذا سمع الرعد سَحَّ بالمطر، وأنت قد أسمعني ذكر الدينار، ووعدتني به، فَأَنْجِزْ لِي وَعْدِي.

نبذت: رميت. مأسوف: محزون. بَارِك: أى ضع البركة فيه، وقولهم: تبارك الله، أى تقدَّس وتطهر، وقيل: هو «تفاعل» من البركة، أى البركة تنال بذكر اسمك. الاثناء: الرجوع. توفية الثناء: كمال الشكر والمدح.

[مما قيل في وصف الدينار]

ومما قيل في وصف الدينار ومدحه :

وَمُقَسَّمُ الْوَجَنَاتِ يَبْرِقُ وَجْهُهُ بَادٍ عَلَى وَجَنَاتِهِ عِبَادُ
جُبِلَ الْأَنَامُ عَلَى مَحَبَّةِ حَسَنِهِ فَكَأَنَّهُ رَبٌّ وَهُمْ عِبَادُ
وفي مقامات البديع في وصفه .

يَاحْسَنَهَا فَاقْعَةُ صَفَرَاءِ مَشْرَقَةٌ مَنقُوشَةٌ قَوَارِءُ^(٢)
يَكَادُ أَنْ يَقْطَرَ مِنْهَا الْمَاءُ قَدْ أَثْمَرَتْهَا هَمَّةٌ عَلِيَاءُ
يَاذَا الَّذِي بَغِيَّتْهُ الثَّنَاءُ مَا يَنْقُضِي بِقَدْرِكَ الْإِطْرَاءُ

* امض عَلَى اللَّهِ لَكَ الْجَزَاءُ *

* * *

(١) جبهة الأمثال ١ : ٣٠ ، فصل المقال ٧٩ ، الفاخر ٦١ .

(٢) مقامات البديع ٩٢ ، وفيها : « ممشوقة » بدل « مفرقة » .

[فصل في الوعد ومذاهب الناس فيه]

وإذ قد فرغت من شرح ألفاظه في إنجاز الوعد في المثل ، وما اتصل به ،
فلنذكر مذاهبهم في ذلك .

فأكثرهم على إنجاز الوعد ، وقد ذكر فيما هو مستقبل :

* وبيع أجلاً منك بالعاجِلِ *

وقال : وإذا خُيرتَ بين ذرّة منقودة ، وذرّة موعودة فَمِلْ إلى النقد .
وقال جرير :

إِنِّي لأرجو منك خيراً عاجلاً والنَّفسُ مولعةٌ بحبِّ العاجِلِ ^(١)
قال آخر :

ولا شكَّ أنَّ الخيرَ منك سَجِيَّةٌ ولكنَّ خيرَ الخيرِ عندي المَعْجَلُ
وقال آخر :

أَتَى زائراً من غير وعدٍ وقال لي : أَجَلْتُكَ عَنْ تَعْذِيبِ قَلْبِكَ بِالْوَعْدِ
وبعضهم يرى أن يكون بين الوعد والإنجاز مهلة ؛ ومنه أن منصور بن زياد
كَلَّمَ يحيى بن خالد في حاجة رجل ، فقال له : عدّه عني قضاءها ، فقال منصور بن زياد :
وما يدعوك إلى العِدَّة مع القدرة ! فقال : هذا قول مَنْ لا يعرف موقع الصنائع
من القلوب ، إنَّ الحاجة إذا لم يتقدّمها وعد يُنتظر به نجحها ، لم تتحدث النفس
بسرورها ؛ إنَّ الوعد مطعم والإنجاز طعام ، وليس من فاجأه طعام كمن وجد
رائحته وتطعمه ثم طعمه ، فدفع الحاجة تختم بالوعد ، ليكون لها عند المصطنع
حسن موقع ولطف محل .

(١) ديوانه ٤٩٥ ، من قصيدة له في مدح عمر بن عبد العزيز .

(١٠ - شرح مقامات الحريري)

قال ابن الكلبي لهشام بن عبد الملك : يا أمير المؤمنين ، لا تصنع إلى معروفًا حتى تعدني به ، فإنه لم يأتني منك سبب على غير وعد إلا هان على قدره ، وقل مني شكره ، فقال له : لِمَ قلت ذلك ، وقد قال سيّد قومك أبو مسلم الخولاني : إن أنجح المعروف في القلوب ، وأبرده على الأكباد معروف غير منتظر بوعده لا يكدره مطّل .

ووعده المهدي^(١) عيسى بن دأب جارية ثم وهبها له ، فأنشده عبد الله بن مصعب الزبيري [قول مضرس الأسدي]^(٢) :

ولا تيأسن من صالح أب تنالهُ وإن كان قدماً بين أيدي تبادرهُ
فقال : يُدفع لعبد الله جارية أخرى ، فقال الزبيري :
وأنجز خير الناس من قبل وعده أراحك من مطّل ومن طول كده
فقال له عيسى بن دأب : ما صنعت شيئاً ! هلاً قلت :
حلاوة الفضل بوعده ينجزُ لا خير في العرف كنهب يُنهزُ
فقال المهدي :

الوعد أحسن ما يكو ن إذا تقدّمه ضمان
وقال بعض البلغاء : دع الوعد يركض ثلاثاً ، فإن كثير العطاء قبل الوعد قليل ، وجليله حقير .

وقال يحيى بن خالد : من لم يبت مسروراً بوعده ، لم يجد للصنيعة مطعماً
وفيه بقول أبو قابوس النصراني :

رأيت يحيى أتمّ الله نعمته عليه يأتي الذي لم يأتِه أحد
ينسى الذي كان من معروفة أبداً إلى الرجال ولا ينسى الذي يعدُّ

(١) ط : « المستهدى » تحريف .

(٢) من معجم الأدباء .

(٣) الخير في معجم الأدباء ١٦ : ١٥٤

وقال الحارثي :

حوما رَوْضَةٌ دَارِيَّةٌ أَسَدِيَّةٌ مَنَمَمَةٌ زَهْرَاءُ ذَاتُ ثَرِيٍّ صَعْدِ
يَاحْسَنَ مِنْ حُرٍّ تَضْمَنَ حَاجَةً لَحْرٌ ، فَأَوْفَى بِالنَّجَاحِ مَعَ الْوَعْدِ

وقال ابن رشيقي :

أَحْسَنَتْ فِي تَأْخِيرِهَا مِنَّةً لَوْلَمْ تُؤَخِّرْ لَمْ تَكُنْ كَامِلَةً^(١)
وَكَيْفَ لَا يَحْسُنُ تَأْخِيرُهَا بَعْدَ يَقِينِي أَنَّهَا حَاصِلَةٌ!
وَجَنَّةُ الْفَرْدَوْسِ يَدْعَى بِهَا آجَلَةٌ لِلْمَرْءِ ، لَا عَاجِلُهُ

وقال رجل لأبي عمرو بن العلاء: وعدتني بأمر فلم تنجزه! فقال أبو عمرو: من أولى منا بالعتب؟ أنا وإلا أنت! قال: أنا؛ قال أبو عمرو: لا والله بل أنا، قال: وكيف؟ قال: لأنني وعدتك وعداً فأنت تفرح بالوعد، فبت ليلتك جذلان مسروراً وبت أنا بهم الإنجاز، فبت ليلتي منكراً مغموماً بما عاق الدهر من بلوغ الإرادة فيه، فلقيتني مدلاً ولقيتك مستعجلاً.

واعتذر بعض الرؤساء لأبي عليّ البصري من تأخر وعد، فقال: في شكر ما تقدم من إحسانك شاغل عن استبطاء ما تأخر منه.

فَنَشَأْتُ لِي مِنْ مُكَاهَمَتِهِ نَشْوَةٌ غَرَامٍ ، سَهَلْتُ عَلَى اثْتِنَافِ
اغْتِرَامِ ، فَجَرَدْتُ دِينَارًا آخَرَ وَقُلْتُ لَهُ : هَلْ لَكَ فِي أَنْ تَذُمَّهُ ، ثُمَّ
تَضُمَّهُ ؟ فَأَنْشَدَ مُرْتَجِلًا ، وَشَدَّ عَجَلًا :

قوله : «قنشات» ، أى ظهرت وبدت . فكاهة : مزاح . نشوة غرام : سكرة شوق ، والغرام : الحب الممدّب للقلب . ائتناف : استقبال . اغترام : غرّم . ثم ذكر أن يذمه ثم يضمّه ، وقد نظمهما الزاهد بن عمران فى قوله :

إنّ المؤنة والحسابَ كلاهما قرنا بهذا الدرهم للذمومـ
كَلِفِ الأنام بذمه وبضمّه فتعجبوا للذمّم مضمومـ

وقال ابن شرف فى الدينار والدرهم :

ألا ربّ شىء فيه من أحرف اسمه نواه لنا عنه وزجرٌ وإنذارُ
فُتِنّا بدينارٍ وهَمَّنا بدرهمٍ وآخر ذاهمٌ ، وآخر ذا نارُ

وقال ابن رشيق :

صَحَّفْتُ دالين من دينه اِرِّ يلوح ودرهم
نَقَالَ لى ذلکم «ذى» نار» وذاقال : «ذَرهم»

وابن رشيق وابن شَرَف أديبا القَيروان ، يَجْمَعُهما البلد والزَّمان ، وكانا
مرّة يتصاحبان ، ومرّة يتباغضان .

وقال ابن رشيق فى مدح الدينار والدرهم :

صديقُ المرء كالدينارٍ طبعاً وكيف يفارق المرء الطباعاً !
تراه إذا أقام يقيمُ جاهاً وإن فارقتَه أجدى انتفاعاً
أخفه من قول كُشاجم :

ومريدٍ من أباه ومهينٍ من أجدله^(١)
فهو كالدينار لا يُكـ -رُم إلا من أذله

وقال آخر :

النَّارُ آخِرُ دِينَارٍ نَطَقَتْ بِهِ وَالْهَمُّ آخِرُ هَذَا الدَّرْهِمِ الْجَارِي
وَالْمَرْءُ مَا لَمْ يَفِدْ مِنْ غَيْرِهِ وَرِعًا مَقْسَمُ الْقَلْبِ بَيْنَ الْهَمِّ وَالنَّارِ

قوله : «مرتجلا» ، أى من غير تفكير . شدا : ابتدأ الفناء وطرِبَ بنشيدِهِ

* * *

تَبًّا لَهُ مِنْ خَادِعٍ مُمَادِقٍ أَصْفَرَ ذِي وَجْهَيْنِ كَأَلْمَنَاقِقِ
يَبْدُو بِوَصْفَيْنِ لِعَيْنِ الرَّامِقِ زِينَةُ مَعْشُوقٍ وَلَوْنُ عَاشِقِ
وَحُبُّهُ عِنْدَ ذَوِي الْحَقَائِقِ يَدْعُو إِلَى أَرْكَابِ سُخْطِ الْخَالِقِ
لَوْلَاهُ لَمْ تُقَطَّعْ يَمِينُ سَارِقٍ وَلَا بَدَتْ مَظْلَمَةٌ مِنْ فَاسِقِ
وَلَا اشْمَازٌ بِاخِلٍ مِنْ طَارِقٍ وَلَا شَكَا الْمَطُولِ مَطْلَ الْعَانِقِ
وَلَا اسْتَعِيدَ مِنْ حُسُودٍ رَاشِقٍ وَشَرُّ مَا فِيهِ مِنَ الْخَلَائِقِ
أَنْ لَيْسَ يُغْنِيَ عَنْكَ فِي الْمَضَائِقِ إِلَّا إِذَا فَرَّ قِرَارَ الْآبِقِ
وَاهَا لَيْنٌ يَقْذِفُهُ مِنْ حَالِقٍ وَمَنْ إِذَا نَاجَاهُ نَجْوَى الْوَامِقِ
قَالَ لَهُ قَوْلَ الْحَقِّ الصَّادِقِ : لَا رَأَى فِي وَصْلِكَ لِي فَفَارِقِ

* * *

تَبًّا : أى خسرًا . مُمَادِقٍ : لا يصفو ودّه لصاحبه ، وقد مذقَ ودّه ، إذا لم
يُخْلَصْه ، ومذقَ اللبن : خلطه بالماء ، والمذيق : المخلوط . أَصْفَرَ ذِي وَجْهَيْنِ ، قال

أبو هريرة رضى الله عنه: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «شَرُّ النَّاسِ دُوَ
الْوَجْهَيْنِ، يَأْتِي هَؤُلَاءِ بَوَجْهِ، وَهَؤُلَاءِ بَوَجْهِ».

ووقع هذا في نثر البديع ، قال في مخاطبة أبي الفتح عيسى^(١) : أظعننا تريد ؟
قلت : إى والله ، قال : أَخَصَّبَ رائدُكَ ، ولا ضِلَّ قائدُكَ ، فمتى عَزَمْتَ ؟ قلت :-
غداً غداً ، فقال :

صباحُ الله لا صبحُ انطلاقٍ وطيرُ الوصل لا طيرُ اقتراقٍ
وقال السَّعد لا يعدوك دأباً يصاحبكم إلى يومِ التَّلَاقِ^(٢)

فأين تريد ؟ قلت : الوطن ، قال : بُلِّغْتَ الوطن ، وقضيتَ الوطر ، فمتى
العود ؟ قلت : القابل ، فقال : طويتَ الرِّيطَ^(٣) ، وثنيتَ الحَظِيظَ ، فأين أنت من
الكرم ؟ قلت : بحيث أردت ، فقال : إذا رجعتَ الله سالماً من هذا الطريق ؛
فاستصحب لي عدواً في ثياب صديق ، من نجار الطُّفَرِ ، يدعو إلى الكفر ،
ويرقص على الطُّفَرِ ، كدارة العين ، يحطَّ ثَمَلُ الدين ، وينافق بوجهين . فعلت .
أنه يلتمس ديناراً ، فقلت : ذلك لك قدأ ، ومثله وعدأ ، فأنشأ يقول :

رأيتُك ممَّا خطبتُ أَعْلَى لا زلتَ للكرُماتِ أهلاً
صَلَبْتَ عوداً ، ودمتُ فرداً^(٤) وطبتُ فرعاً وطبتُ أصلاً
يا واحدَ الدهرِ والمعالى لا لَقِيَ الدهرُ منك تُكْلاً

قوله : « عدواً في ثياب صديق » من قول أبي نواس :

إذا امتحن الدنيا لينبُتْ تَكشَفَتْ لَهُ عن عدوٍّ في ثياب صديق^(٥)

قوله : « الرامق » أى الناظر ، ورمقت الشيء رمقاً أتبعته النظر إليه . وزينة

(١) عيسى بن هشام صاحب البديع الهمداني في المقامات ص ٢٢ ، ٢٣

(٢) هذا البيت ساقط من المقامات (٣) الريط : جمع ريطه ، ومى الملاة .

(٤) المقامات : « جوداً »

(٥) ديوانه ١٩٢ .

المعشوق التي في الدينار : نقشه وتزيينه ، ولون العاشق : صفته ، فالناظر في الدينار يرى في الظاهر زينته فيهواه ، فيقع على ما وقع عليه باطن العاشق من العذاب والغرام ، ويدلّ على ذلك صفته الظاهرة عليه . وقال ابن ظفر : زينة المعشوق غرور مدعاة إلى التهور في الغرام ، ولون العاشق وهو الأصفر دليل على ما أسرّ من شاغف الكاف ، فالعاقل ينظر من الدينار مثل زينة المعشوق مجردة عن عاقبتها ، فيصيده الهوى ، والعاقل ينظر منه إلى لون العاشق ، فيستدلّ على باطن الجوى . ذوى الحقائق ، يعنى أهل الرشد والعلم ، والذين ينظرون إلى ما في الدنيا بعين الحقيقة .

ثم لولا حب الدنيا ما سرق السارق ، فيستوجب قطع يده ، أو بعض أعضائه ، واليد يجب قطعها برقع دينار ذهب . ومن مألح السرقة أن الجاحظ حكى أن رجلين كان أحدهما أيمن ، والآخر أعسر ، فكان الأيمن يفخر على الأعسر ، فأخذا في سرقة ، فقطعت أيمانهما ، فكان الأعسر يعمل بيساره أعماله كلها ، والأيمن لا يستطيع أن يعمل بيساره شيئاً ، ففخر الأعسر عليه بذلك ، فقال له الأيمن : ما غلبت أن للأعسر فضيلة إلا أن يسرق فيؤخذ فتقطع يمينه .

الفاسق : الخارج عن الطاعة إلى ركوب المعصية أو عن الإيمان إلى الكفر ، أخذ من نسقت الرطبة ، إذا خرجت من قشرها . وقال قوم : الفاسق الجائر ، واحتجوا بقوله تعالى : ﴿إِلَّا إِيَّائِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ﴾^(١) ، أى جار ، عنه قال رؤبة :

يهوئين في نجدٍ وغورٍ غائرا فواسقاً عن قصدها جوائر^(٢)

(١) سورة الكهف . ٥٠

(٢) الفائق ، اللسان - فسق

اشمأزَّ : انقبض . باخل : شحيح ، وبخيل أكثر من باخل . طارق : قاصد
بليلى . المَطْل : تأخير الحق الواجب ، وأصله من مَطْل القَيْن الحديد في النار ، إذا
مدّه وطوّله . العائق : الحابس ، وقد عاقه عن الشيء إذا حبسه . راشق : عائن ،
وأصله الرامى ، فجعله للذى يعيب الناس بعينه . واستُعِيد : قرئ عليه المعوذتان ،
وهما : « قل أعوذ برب الفلق » ، و « قل أعوذ برب الناس » . الخلائق : الطبائع ، واحدها
خليقة . الآبق : الهارب ، وأبق العبد يَأْبِقُ إِبَاقًا : زال عن مولاه . وفي معنى
فراق الدينار قول الأخطل :

ومعشوق يرقص كلَّ يوم ترى في وجهه أبدلاً كلاماً^(١)
إذا فارقته أجداً خيراً ولا يجدى عليك إذا أقاماً
وهذا من قول الحسن البصرى ، وقد رأى رجلاً يقلّب درهماً ، فقال له :
أتحبّ درهمك هذا ؟ قال : نعم ، قال : فإنه ليس لك حتى يخرج من يدك .
واهاً : تعجّب ، معناه ما أعجب من يقذفه . حالق : جبل أملس مُنِيف .
ناجاه : حدّثه سرّاً . الوامق : الحبّ ، وقد ومق يَمِيق مِيقَةً . الحقّ : القائل الحق .

فَقُلْتُ لَهُ : مَا أَغْزَرَ وَبَلَكَ ! فَقَالَ : وَالشَّرْطُ أَمْلَكُ ،
فَنَفَحْتُهُ بِالذِّينَارِ الثَّانِي ، وَقُلْتُ لَهُ : عَوِّذُهَا بِالثَّانِي ، فَأَلْقَاهُ
فِي فَمِهِ ، وَقَرَنَهُ بِتَوْنِهِ ، وَأَنْكَفَأَ يَحْمَدُ مَغْدَاهُ ، وَيَمْدَحُ
النَّادِيَ وَنَدَاهُ .

قوله : « ما أغزر وبلك » ، أى ما أكثر بلاغتك . وأملك : ألزم وأحقّ ،
يريد أن شرطك الذى شرطت من إعطائى ديناراً آخر إن ذممته ، قد لزمك

بذمّي له. والشرط أملك مثل^(١)، وأول من قاله الأفعى الجرهمي، وكان حكيماً للعرب، فتحاكم إليه خصمان، فاشتراط أحدهما وأراد ألا يلتزمه، فقال الأفعى: الشرط أملك، وتقديره الشرط أملك لأمرك منك.

نفحته: رميته. عوذها: رقاها. والثاني: أم القرآن، سميت بذلك لأنها تنثى في الصلاة، واحتصّها لأنه أشار عليه أن يحمد الله على أخذ الدينار، فكأنه قال: اقرأ الحمد لله رب العالمين، شكراً لله عليهما وتعويذاً لهما.

وهذا كما قال ابن رشيقي في غلام جميل:

معتدل القامة والقَدَّ مورّد الوجنة والحدَّ
لو وضع الوردُ على خدّه ما عرف الحدَّ من الوردِ
قل للذي يعجب من حُسْنِه اقرأ عليه سورة الحمدِ

وله في مثله:

شكوت بالحبِّ إلى ظالمى فقال لى مستهزئاً: ما هو!
قلت: غرام ثابت، قال لى: اقرأ عليه «قل هو الله»

وقال أبو عبيد: الثاني في كتاب الله ثلاثة أشياء: القرآن، سمّاه الله الثاني في قوله تعالى: ﴿كِتَابًا مُّشَابِهًا مَّثَانِيَّ﴾، وسبى الفاتحة «مثنى» في قوله: ﴿سَبْعًا مِنْ الْمَثَانِي﴾ وروى عثمان وابن عباس وابن مسعود عنه صلى الله عليه وسلم. «إن المثنى من السور ما دون المئين»، كأنها جعلت مبادئ والتي تليها مثنى.

قوله: «بتوءمه»، أى بأخيه، يعنى الدينار الأول. انكفاً: اقلب وولّى، معناه بكوره وسيره في القدو. النادى ونداه: المجلس وكرم أهله.

[فصل في مدح الشيء وذمه]

ونريد أن نأتى بفصل في مدح الشيء وذمه على حكم ما مدح الحريري الدينار وذمه ، ونبين مذهب العرب وأهل الأدب في ذلك ، فقد ألف ابن رشيق فيه كتاباً جلبت في هذا الكتاب عيونهم .

قال أبو عثمان الجاحظ : العربي يعاف الشيء ويهجو به غيره ، فإن ابتلي به فخر به ، ولكنه لا يفخر به لنفسه من جهة ما هجا به غيره ، فافهم هذا ؛ فإن الناس يغلطون على العرب ، ويزعمون أنهم يمدحون بالشيء الذي يهجون به ، وهذا باطل ؛ ليس شيء إلا وله وجهان ، فإذا مدحواذكروا أحسن الوجهين ، وإذا ذمواذكروا أقبح الوجهين .

قال ابن رشيق : وأكثر ما تجرى هذه المادح والمذم على جهة المناققة ، لا على جهة المناصفة ، ومن باب المسامحة لا من باب المشاحنة ، وإلا فالشيء لا يوافق ضده ، فيكون الحسن قبيحاً في حالة واحدة ، والمدح ذماً لمعنى واحد ، لكن لكل شيء - كما ذكر الجاحظ - مساوئ ومحاسن ؛ كما فعل عمرو بن الأهتم بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد استشهد الزبير بن بدر على ما ادعاه من الشرف في قومه ، قال عمرو : أجل يا رسول الله ، إنه مانع حوزته ، مطاع في أئنيته ، شديد العارضة . فقال الزبير : أما والله لقد علم أكثر مما قال ؛ ولكن حسدني شرفي ، فقال عمرو : أما وقد قال ما قال ، فوالله ما علمته إلا ضيق الطعن زمر المروءة^(١) ، لئيم الخال ، حديث الغنى . فرأى الكراهة في عين رسول الله صلى الله عليه وسلم لما اختلف قوله ، فقال : يا رسول الله ، رضيتُ قتل أحسن ما علمت ، وغضبتُ قتل أقبح ما علمت ؛ وما كذبت في الأولى ، ولقد صدقت في الثانية ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن من البيان لسحراً ، وإن من الشعر لحكمة^(٢) .

وكتب يزيد بن معاوية في صدر كتابه إلى عبيد الله بن زياد - وقد ولّاه محاربة الحسين بن علي رضي الله عنهما - وكان قبل ذلك يسيء الرأي فيه : أما

(١) زمر المروءة : قليلها ، وفي ط : « زمن » تحريف . (٢) جهرة الأمثال ١ : ١٣ .

بعد ، فإن المسبوب يوما ممدوح ، وإن المدوح يوما مسبوب .
ويروى أن عيسى عليه الصلاة والسلام لم يعب شيئا قط ، فرّ يوما بكلب ميت ،
فقال أصحابه : ما أنتن ربحه ! فقال عيسى عليه الصلاة والسلام : ما أحسن
بياض أسنانه !

وقالت للحضين بن منذر امرأة : كيف سدت وأنت دميم بخيل ! فقال :
لأنى شديد الرأى ، شديد الإقدام .

وقال مسلمة بن عبد الملك لأخيه هشام : كيف تطمع فى الخلافة وأنت
بخيل ، وأنت جبان ! فقال : لأنى حليم ، وأنا عفيف ؛ فلم لعائبه ما ادعاه من
من مساوئه ، وذكر من محاسنه ما لم ينزع فيه .

صعد خالد بن عبد الله القسرى منبر مكة يوم الجمعة ، وهو أمير الوليد بن
عبد الملك بن مروان ، فأثنى على الحجاج خيراً ، فلما كانت الجمعة الثانية وقد
مات الوليد ، ورد عليه كتاب سليمان يأمره بشتم الحجاج وذكر عيوبه ، وإظهار
البراءة منه ، فصعد المنبر ، فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : إن إبليس كان يظهر
من طاعة الله عز وجل ما كانت الملائكة ترى له به عليهم فضلاً ، وكان الله قد
علم من غشه ما خفى عن الملائكة ، فلما أراد الله فضيحتة ابتلاه بالسجود
لآدم ، فظهر لهم ما كان يخفيه منهم ، فلعنوه . وإن الحجاج كان يظهر من طاعة
أمير المؤمنين ما كنا نرى له به فضلاً ، وكان الله قد أطلع أمير المؤمنين من غله
وغشه على ما خفى عنا ؛ فلما أراد فضيحتة أجرى ذلك على يد أمير المؤمنين .
فالعنوه لعنه الله . ثم نزل .

ومرّ غيلان بن خرشة الضبى مع عبد الله بن عامر بنهر أم عبد الله الذى
يشق البصرة ، فقال عبد الله : ما أصاح هذا النهر لأهل هذا المصر ! فقال غيلان :
أجل والله أيتها الأمير ؛ يتعلم العوم فيه صبيانهم ، ويكون لسقائهم ولسيل مياههم ،
ويأتهم بميرتهم ؛ ثم عاد ابن عامر فسأله زيادا عليه ، فقال زياد : ما أضر هذا

التهر لأهل هذا المصر ! فقال : أجل والله أيها الأمير ، تنزّ منه دورهم ، ويفرق فيه صبيانهم ، ويكثر لأجله بعوضهم .

ومدح الجاحظ العروض ، فقال : هو ميزان الشعر ومعيّاره ، به يعرف الصحيح من السقيم ، والعايل من السايح ، وعليه مدار القريض والشعر ، وبه يُسلم من الأود والكسر . ثم ذمّه فقال : هو علم مولّد ، وأدب مستبرّد ، ومذهب مرفوض ، تستنكره العقول ، مستفعلن فعول ، من غيره فائدة ولا محصول .
وكان العباس بن عليّ عمّ المنصور يأخذ الكأس بيده ، ثم يقول : أمّا النفس قسمحين ، وأما الهمم فتطردن ، أفتراك متى تفلتين ! ثم يشربها .

وشكا أبو العنفاء حاله إلى عبد الله بن سليمان ، فقال : أليس قد كتبنا لك إلى إبراهيم بن المدبر ! قال : كتبت إلى رجل قد حصّر من همته طول الفقر ، وذلّ الأسر ، ومعاناة محن الدهر ، فأخففت في طلبتي . قال : أنت اخترته ، قال : وما علمي أعزّ الله الأمير في ذلك ! قد اختار موسى قومه سبعين رجلاً وما كان منهم رشيد ، واختار رسول صلى الله عليه وسلم ابن أبي سرح كاتباً فرجع إلى المشركين مرتدّاً ، واختار علىّ رضي الله عنه أبا موسى حكماً ، فحكم عليه .



قَالَ الْحَارِثُ بْنُ هَمَامٍ : فَنَاجَانِي قَلْبِي بِأَنَّهُ أَبُو زَيْدٍ ، وَأَنَّ تَعَارُجَهُ لِكَيْدٍ . فَاسْتَعْدْتُهُ وَقُلْتُ لَهُ : قَدْ عُرِفْتَ بِوَشِيكَ ، فَاسْتَقِمْ فِي مَشِيكَ . فَقَالَ : إِنْ كُنْتَ ابْنَ هَمَامٍ ، فَحَيِّيتُ بِإِكْرَامٍ ، وَحَيِّتُ بَيْنَ كِرَامٍ . فَقُلْتُ : أَنَا الْحَارِثُ ، فَكَيْفَ حَالُكَ وَالْحَوَادِثُ ؟ فَقَالَ : أَتَقَلَّبُ فِي الْحَالَيْنِ : بُؤْسٍ وَرَخَاءٍ ، وَأَتَقَلَّبُ مَعَ الرَّيْحَيْنِ : زَعَزَعٍ وَرُخَاءٍ . فَقُلْتُ : كَيْفَ ادَّعَيْتَ الْقَزْلَ ، وَمَا مِثْلُكَ مَنْ هَزَلَ ! فَاسْتَسَرَّ بِشَرِّهِ الَّذِي كَانَ تَجَلَّى ، ثُمَّ أَسَدَحِينِ وَلِي :

تَعَارَجْتُ لَا رَغْبَةَ فِي الْعَرَجِ وَلَكِنْ لَا قَرَعَ بَابَ الْفَرَجِ
وَأَلْقَى حَبْلِي عَلَى غَارِبِي وَأَسْلُكَ مَسْلَكَ مَنْ قَدْ مَرَجَ
فَإِنْ لَا مَنَى الْقَوْمُ قُلْتُ اعْذِرُوا فَلَيْسَ عَلَى أَعْرَجٍ مِنْ حَرَجٍ

قوله: «ناستعدته»، أى قلت له أعد علىّ. عرفت بوشيك، أى عرفت بحسن كلامك وتزينه. استقم: استعدل وأزل عوجك. حِيَّت: طال بقاءك، والتحية البقاء: حِيَّت: عشت. والحوادث: ما يحدث من الخير والشر. بؤس: شدة العيش. رخاء: لينه وسعته. زعزع: ريح شديدة تحرك الشجر وتقلعه. والزعزعة: تحريك الشيء إذا أردت قلعه. رخاء: ريح ليّنة سريعة، من الإرخاء في السير، وهو عدو فوق التقريب، وناقة مرخاء: سريعة. القزل: أسوأ العرج، وقد قزل قزلاً.

وهزل هزلاً: ترك الجدّ في قول أو فعل، يقول: كيف تحيلت بالعرج ومثلك لا يهزل ولا يقع في هذه النقيصة! فهو يهزأ به، فغضب عند ذلك. استسرّ بشره: زال عنه سماحه وطلاقة وجهه. تجلّى: ظهر. ولّى: ذهب.

قوله: «أقرع»، أى أضرب. الفرج: كشف الهمّ. ألقى حبلى على غاربي: أى أسرح وأمشى حيث أحببت، والعرب تطلق هذا اللفظ، فتقول للمرأة: حبلك على غاربك، أى أنت مسيبة فتوجهى حيث شئت لا مانع لك ولا حابس، والغارب: ما انحدر من السنام، والحبل هو الذى يُعقل به البعير، فإذا سرّحوه حلّوا عقاله وألقوه على غاربه، قال ابن الأنبارى: أصله أن يلقى على حبل الناقة على غاربيها فتفزع، ولا ترعى إذا لم تره على الأرض.

أسلك مسلك، أى أدخل مدخل، والمسلك: الطريق. مَرَج: خلط الجدّ بالهزل. حرج: إثم والله تعالى أعلم

المفاهيم الرابعة وهى الدمياطية

أَخْبَرَ الْحَارِثُ بْنُ هَمَّامٍ قَالَ : ظَمَنْتُ إِلَى دِمِيَاطٍ ، عَامَ هِيَاطٍ
وَمِيَاطٍ ؛ وَأَنَا يَوْمَئِذٍ مَرْمُوقُ الرَّخَاءِ ، مَوْمُوقُ الْإِخَاءِ ، أَسْحَبُ
مَطَارِفَ الثَّرَاءِ ، وَأَجْتَلِي مَعَارِفَ السَّرَّاءِ . فَرَأَقْتُ صَحْبًا قَدْ شَقُّوا
عَصَا الشَّقَاقِ ، وَارْتَضَعُوا أَفَاقِيقَ الْوِفَاقِ ؛ حَتَّى لَاحُوا كَأَسْنَانِ
الْمُشْطِ فِي الْإِسْتَوَاءِ ، وَكَالْنَفْسِ الْوَاحِدَةِ فِي التَّامِّ الْإِهْوَاءِ . وَكُنَّا مَعَ
ذَلِكَ نَسِيرُ النَّجَاءِ ، وَلَا تَرْحَلُ إِلَّا كُلُّ هَوَجَاءٍ ، وَإِذَا نَزَلْنَا مَنْزِلًا ،
أَوْ وَرَدْنَا مَنْهَلًا ، اخْتَلَسْنَا اللَّبَثَ ، وَلَمْ نُطَلِ الْمُكْثَ . فَقَنَّ لَنَا
إِعْمَالُ الرُّكَّابِ ، فِي كَيْلَةِ فِتْيَةِ الشَّبَابِ ، غُدَافِيَةِ الْإِهَابِ . فَأُسْرَيْنَا
إِلَى أَنْ نَضَا اللَّيْلُ شَبَابَهُ ، وَسَلَّتِ الصُّبْحُ خِضَابَهُ .

قوله : « ظمعت » ، أى رحلت ، والظامن ضد الإقامة .

دمياط : بلد بينه وبين مصر ثلاثون فرسخاً ، وهى على ساحل البحر الملح ،
وإلى دمياط ينتهى ماء النيل ، فيفترق منها فيخرج بعضه إلى بحيرة تَنَيسَ ،
وهى بحيرة تجرى فيها السفن والمراكب العظام ، ويخرج بعضه إلى البحر ، وبها
تعمل الشروب ، وقد ذكرنا ذلك عند تَنَيسَ .

قوله : « هياط » : صياح ، وتهابط القومُ : اجتمعوا ودبروا أمرهم . مِيَاطُ :
دفاع ، أى كان عام هَرَجٍ وَخِلَافٍ . مَرْمُوقُ : منظور إليه . الرخاء : سعة المال .
مَوْمُوقُ : محبوب . أَسْحَبُ : أجز . مطارف : ثياب لها أعلام فى أطرافها .

أُجْتَلَى : أنظر . معارف : وجوه . السراء : الغنى والسرور . رافقت : صحبت في السفر . والصَّحْب : الأصحاب . الشَّقَاق : الخلاف ، ومعنى شَقُّوا عصاه ، أزالوه وطرحوه ، والعرب تقول : شَقَّ فلان العصا ، إذا ترك الطاعة وخرج مبايناً ، قال أبو عبيد : العصا تُضْرَب مثلاً للاجتماع ، وانشقاقها يُضْرَب مثلاً للافتراق الذي لا اجتماع بعده . أفأويق : جمع أفواق ، وأفواق جمع فُواق ، وهو ما بين الحلبتين . والوفاق : ترك الخلاف ، وقد وافقته موافقةً ووفاقاً .

قوله : « لاحوا » ، أى ظهروا . والعرب تضرب المثل بأسنان المُشط ، وهو يقع على كل استواء في أى حال كان ، قال النبي صلى الله عليه وسلم : « الناس كأسنان المُشط ، وإنما يتفاضلون بالعافية » ، فإن أرادوا الاستواء في الشر قالوا : سواسية كأسنان الحمار ، وقال كثير يهجو بني ضمرة :

فسائل بقومى كل أجردَ سابحٍ وسل غنارُبنى بضمرة أو سَخلاً^(١)
سواء كأسنان الحمار فلا ترى لذي كِبَرَةٍ منهم على ناشئٍ فضلاً

التثام : اجتماع واتفاق . الأهواء : جمع هوى ، وهو ما تحبّه وتميل إليه النفس ، فأراد أن أغراضهم متفقة . النجاء : السير السريع . نرحل : نشدّ عليها الرّحل ونشخص بها . هوجاء : ناقة سريعة ، كأنّ بها هوجاً وهو الحق ، لسرعة مشيها . وردنا منهالاً : أتينا ماء ننزل عليه ، والنهل : الشرب الأوّل ، والعلّال الثاني ؛ وذلك أن الإبل تردّ الماء فتشرب منه ، ثم تخرج ترعى ساعة وتستريح ، وتسعى تلك الاستراحة في الرعى التمرّة ، ثم تردّ مرّة أخرى فتشرب الماء ، فالشرب الأوّل نهل ، والثاني علّال . والنهل : موضع النهل . والورود : قصد الماء .

اخلسنا : استرقنا . اللبث : الإقامة . ومثله الماكث ، أى لا يستقروا بموضع ينزلون فيه إلا قليلاً . والرّكاب : الإبل ؛ وإعمالها : استعمالها . فتية الشباب : صغيرة السن ، وأراد أنها طويلة سوداء لا قر فيها ، لأن شعر الشباب أسود ،

(١) ديوانه ٢ : ١٩ ، عن المبريشي : و «رُبْنِي» لغة في : «رُبْنِي» .

ويريد أنها أول الشهر ، فهي كالفتية ، والليلة أول الشهر سوداء . غداقية : منسوبة إلى الغداف ، وهو الغراب لسواده ، والإهاب : الجلد ، وأراد لونها . أسرينا : مشينا بالليل ، ويقال : سرى وأسرى . نضاً الليل شبابه ، أى أزال ظلامه ، ونضاً ثوبه : جرّده عنه ، ومثله : سلّت خضابه ، وأراد أن الصبح بيض الظلام بضوئه ، وسلّت الشيء سلّنا ؛ أزاله عما علق به ، والمرأة خضابها كذلك ، وسيأتى ذكر الصبح آخر المقامة .

[مما قيل في سواد الليل]

وينظر في سراه مع صحبه في سواد الليل إلى قول ابن شهاب :
 وفتوّ أسروا وقد عكف الليل وأقعى مُغدوف الأطناب
 وكأنّ النجوم لنا هدتهم أشرقت كالعيون من أهداب
 يتفرون جَوْز كلّ فلاة جُنح ليلٍ جَوْزاًوُه من ركاب
 عن ذكرى لدحهم فتنأوا من حديثي في عرض أمر حجاب
 همّة في السماء تسحب ذياباً من ذيول العُلا وجدّ الرّكاب
 ومما جاء في سُرَى الليل قول عبد الصّمد بن المعذل ، وهو من حسن الاستعارة :

أقولُ وجنح الدُّجى مُلبّدٌ ولّيل في كلّ نَجّ يد^(١)
 ونحن ضجيعان في مسجدٍ فله ما ضمن المسجد !
 فيا ليلة الوصل لا تبعدى^(٢) كما ليلة الهجر لا تبعد^(٣)
 ويا غد إن كنت لى راحماً فلا تدن من ليلتى يا غد

(١) ديوان الماعاني ٤٣ ، ونسبها إلى ابن أبي قنن .

(٢) ديوان الماعاني : « لا تبتدى » (٣) ديوان الماعاني : « لا تنفد »

وقال ابن المعتز :

يا ربَّ ليلٍ حالِكٍ الجلبابِ ملتحفٍ خافِتي غرابِ

وما أحسن قول ابن شهيد في وصف الليل :

وبتنا نراعي اللَّيْلَ لم نطوِ بُرْدَهُ ولم يحن شيبُ الصبحِ من فرعه وَخَطَهُ
تراه كملك الزَّنجِ من فرطِ كِبَرِهِ إذا رام شيئاً في تأخره أَبْطَأَ
مطالاً على الآفاقِ والبدرُ تاجُهُ وقد علَّقَ الجوزاءُ في أذنه قُرْطاً

وقال حبيب :

إليك هَتَكْنَا جُنْحَ لَيْلٍ كَأَنَّهُ قَدْ اكْتَحَلَتْ مِنْهُ الْبِلَادُ بِأَمْدٍ^(١)

وقال ذو الرمة :

ودَوِيَّةٌ مِثْلُ السَّمَاءِ اعْتَسَفَتْهَا وَقَدْ صَبَغَ اللَّيْلُ الْحَصَى بِسَوَادٍ^(٢)

وقال أيضاً :

وليل كجلباب العروس اذرعته بأربعةٍ والشخصُ في العين واحدٌ^(٣)

أحمَّ غدافي ، وأبيض صارمٌ وأعيسُ مهري ، وأزوعُ ماجدٍ^(٤)

(١) ديوانه ١٠٣ .

(٢) ديوانه ١٣٩ ، واعتسفها : سرت فيها على غير هداية .

(٣) ديوانه ١٢٩ ، وروايته : « دليل كائن الرويزي جبهته » . والرويزي : طيلسان ، شبه الليل في سواده به . وجبهته : قطعه .

(٤) هذا البيت تفسير للأربعة في البيت السابق : أحم : أسود ، ومثله غدافي . وفي الديوان : « علاقي » ، منسوب إلى علاف ، حي من العرب يعملون الرحال . والأبيض : سيف صارم قاطع ، والأعيس : الأبيض ، يعني بغيره . وأشعث ، يعني نفسه . والمهري من الإبل : منسوب إلى مهرة ، حي من عرب اليمن .

(١١ شرح مقامات الحريري ١)

وقال البحرى :

يا خليلي بالهواجر من مَعْنِ بن عوفٍ وبُحترِ بن عَتودِ^(١)
اطلبنا ثالثا سواى ، فإني رابعُ العيس والدجى والميدِ

وقال السّلامى :

إليك طوى عَرَضَ البسيطة عاجلاً قطارُ المطايا أن يلوح لها القصرُ^(٢)
وكنت وعزى في الظّلامِ وصارى ثلاثة أشباح كما اجتمع النّسرُ
وبشّرت آمالي بملكٍ هو الورى ، ودارى هى الدنيا ، ويومٍ هو الدهرُ

فالبيت الأوّل والثانى نحو بيت البحرى ، والبيت الثالث نحو بيت ذى الرّمة
فى التقسيم ، وبمثل هذا الكلام يمتدّح الملوك وإلا فلا . ولنا مدح عضد الدولة
بلغه به من المكانة الغاية القصوى ، وفُتِنَ شعره ، حتى كان يقول : إذا رأيتُ
السّلامى فى مجلسى ، ظننت أن عطارداً نزل من السماء . وسندكر من شعره
ما يحسن .

* * *

فحين مَلَمْنَا السّرى ، وَمَلَمْنَا إلى السّكرى ، صَادَفْنَا أرضاً
مُخَضَّلَةً الرُّبَا ، مُعْتَلَّةً الصِّبَا ، فَتَخَيَّرْنَاها مُنَاخاً للعيس ، وَحَطَّأً
لِلتّعريسِ ، فَلَمَّا حَلَمْنَا الْخَلِيطُ ، وَهَدَأَ بِهَا الْأَطِيطُ ، سَمِعْتُ
صَيِّتاً مِنَ الرِّجَالِ ، يَقُولُ لِسَمِيرِهِ فى الرَّحَالِ : كَيْفَ حُكِمَ مُسِيرَتِكَ ،
مَعَ جَيْلِكَ وَجِيرَتِكَ ؟

* * *

(١) ديوانه ٦٣٣ ، وفيه « ياندعى بالسواجير من ودين معن » والسواجير : نهر من أعمال

منبج بسوريا

(٢) يتيمة الدهر ٢ : ٣٧٠

قوله: «السرى»، أى السير بالليل . الكرى: النوم . مخضلة: مبتلة بالندى .
 الرُّبَا: الكدى ، واحدها ربوة . معتلة الصِّبَا ، أى لينة الريح . مناخاً: منزلاً .
 العيس: الإبل يخالط بياضها حمرة . محطاً: منزلاً تحطُّ به الأحمال . التعريس:
 النزول بالليل فى آخره، وهذا التخير الذى ذكر لهذه الأرض ، منتزعٌ من حديث
 ابن عباس رضى الله عنهما ، عن النبىِّ صلى الله عليه وسلم أنه قال : « إذا كانت
 أرض مخصبة فتقصدوا فى السير وأعطوا الركاب حقها ، فإن الله رفيق يحب الرفق ،
 وإذا كانت مجدبة فألحوا عليها ، وعليكم بالدجلة ، فإن الأرض تطوى بالليل ،
 وإياكم والتعريس على ظهر الطريق ، فإنه مأوى الحيات ومدارج السباع » .
 الخليط: الأصحاب . هداً: سكن . الأطيط: أصوات الإبل ، والغطيط:
 أصوات الناس النيام . صيتاً: جهير الصوت . سميره: رفيقه الذى يسمر معه
 بالحديث . الرِّحال: منازل المسافرين ، سُميت رحالاً باسم الرِّحال التى توضع فيها ،
 والرَّحْل: اسم لما يحمله البعير من حملة وقتبه وما يوطأ به تحت الحمل . سيرتك:
 عادتك . جيلك: أهل عصرك . جيرتك: جيرانك .

* * *

فقال: أرغى الجارَ ، ولَوْ جارَ ، وأبذل الوصالَ ، لِمَن صالَ ،
 وأحتمل الخليطَ ، ولَوْ أبدى التخليطَ ، وأودَّ الحميمَ ، ولَوْ جرَّعنى
 الحميمَ ، وأفضل الشقيقَ ، على الشقيقِ ، وأبى للعشيرِ ، وإن لم
 يكافئ بالعشيرِ ، وأستقل الجزيلَ ، للنزيلِ ، وأغمُر الزميلَ ، بالجميلِ .
 أنزل سَميرى ، منزلة أميرى ، وأحلَّ أنيسى ، محلَّ رئيسى ، وأودع
 مَمارى ، عوارى ، وأولى مُرافقى ، مرافقى ، وألن مقالى ، للقالى ،
 وأديم نسالى ، عن السالى ، وأرضى من الوفاء ، باللفاء ، وأقنع

مِنَ الْجَزَاءِ ، بِأَقَلِّ الْأَجْزَاءِ ، وَلَا أَتَظَلَّمُ ، حِينَ أَظْلَمُ ، وَلَا أَتَقَمُّ ،
وَلَوْ لَدَغَنِي الْأَرْقَمُ .

قوله : « أرعى » ، أى أحفظ . جار : تعدى ومال عن الحق ، قال صلى الله عليه وسلم : « ما زال جبريل يوصيني بالجار حتى ظننت أنه سيورثه » . أبذل : أعطى . صال : صاح مخوفاً . الخليط : الصاحب ، ويقع على الواحد والاثنين والجمع بلفظ واحد ، وسمى بذلك لاختلاط الأمر بين الصاحبين . الحميم الأول : الصديق المخلص ، والثاني : الماء الحار . الشقيق : الحب . الشقيق : الأخ من الأب ، كأنه شق معك ظهر أبيك ومن الأم كأنه شق معك بطن أمك . أفى للعشير : أعامل الصاحب بالوفاء . يكافى : بالعشير : يجازى بالعشر من فعلى ، والمكافأة : المواساة . أستقل : أراد قليلاً . الجزيل : الكثير . النزيل : الضيف ، والنزل ما يعد للضيف من طعام وغيره . أغمر : أعطى . الزميل : الرديف . الجميل : الأفعال الجميلة . أميرى : الحاكم على . الأنيس : الذى يؤنس بحديثه ، وفلان رئيس قومه : أفضاهم وأعزهم . أودع : أعطى ودعة . معارفى : من يعرفنى . عورافى : هباتى ؛ واحدها عارفة ، وهى اليد من النعمة . أولى مرافقى : أعطى مصاحبى فى السفر ، ومنه الرقعة لاتفاق بعضهم ببعض ، جمع مرفقة وهى المعونة وما يُرتفق به . القالى : المبغض ، وقليت الرجل قلى ، أبغضته . تسالى : كثرة سؤالى . السالى : الناسى للمودة والتارك لها ، وسلوت عن الشيء أسلو سلواً وسلوة ، إذا تركته . اللقاء : النقصان . وقال أبو على فى الإيضاح : اللقاء ما دون الحق ، قال أبو زيد الطائى واسمه حرملة رحمه الله :

فما أنا بالضعيف فتظلموه ولا حظى اللقاء ولا الخسيس (١)

(١) اللسان - لقاء . وروايته : « فإنا بالضعيف فتزدربنى » .

أَتَقَم : أَرْضَى ، وَالتَّقَانَةُ الرِّضَا بِالسَّيْرِ . وَالْجَزَاءُ : الْمَكَاافَةُ ، وَجَازِيَتُهُ بِمَا صَنَعَ
مِثْلَ كَافَاتِهِ ، وَالْأَجْزَاءُ : الْأَنْصِبَاءُ تَقَسَّمُ عَلَى جَمَاعَةٍ ، وَاحِدُهَا جِزءٌ ، وَأَقْلَاهُا تَقْصُهَا .
أَتَزَلَّم : أَشْتَكَى مِنَ الظُّلْمِ . لَا أَتَقَم : لَا أَتُنْقِم . تَقُول : تَقَمْتُ مِنْهُ نَقْمَةً ، أَيْ
عَاقِبَتَهُ ، فَعْنَاهُ : لَا أَعَاقِبُ صَاحِبِي ، وَلَوْ بَلَغَ فِي الْإِضْرَارِ مَتْنِ الْغَايَةِ ، وَتَقُول
أَيْضًا : نَقَمْتُ الشَّيْءَ وَأَنْقَمَهُ نَقْمًا وَنُقُومًا : إِذَا أَنْكَرْتَهُ ، فَعْنَاهُ عَلَى هَذَا :
لَا أَنْكَرُ عَلَى صَاحِبِي وَلَوْ بَلَغَ فِي الْأَذَى ، وَيُقَالُ فِي الْإِنْكَارِ أَيْضًا ، نَقَمَ يَنْقِمُ .

* * *

فَقَالَ لَهُ صَاحِبُهُ : وَيَا بُنَيَّ ! إِنَّمَا يُضْنُ بِالضَّيِّينَ ، وَيُنَافِسُ
فِي الثَّمَنِ ؛ لَكِنْ أَنَا لَا آتِي ، غَيْرَ الْمُتَوَاتِي ، وَلَا أَسِمُ الْمَعَاتِي ، بَرَاعَاتِي ،
وَلَا أَصَافِي ، مَنْ يَأْتِي إِنْصَافِي ، وَلَا أُوَاخِي ، مَنْ يُبْلَغِي الْأَوَاخِي ،
وَلَا أُمَالِي ، مَنْ يُخَيِّبُ أُمَالِي ، وَلَا أَبَالِي ، بِمَنْ صَرَمَ حِبَالِي ،
وَلَا أَدَارِي ، مَنْ جَهَلَ مِقْدَارِي ، وَلَا أُعْطِي زِمَامِي ، مَنْ يُخْفِرُ
ذِمَامِي ، وَلَا أَبْذُلُ وَدَادِي ، لِأَضْدَادِي ، وَلَا أَدْعُو لِإِعَادِي ، لِلْمُعَادِي ،
وَلَا أَغْرِسُ الْآيَادِي ، فِي أَرْضِ الْأَعَادِي ، وَلَا أَسْمَحُ بِمُوَسَّاتِي ، لِمَنْ
يَفْرَحُ بِمَسَا آتِي ، وَلَا أَرَى التَّفَاتِي ، إِلَى مَنْ يَشْمَتُ بِوَفَاتِي ، وَلَا
أَخْصُ بِحِبَابِي ، إِلَّا أَحِبَّائِي ، وَلَا أَسْتَطِيبُ لِدَائِي ، غَيْرَ أَوْدَائِي ، وَلَا
أَمْلِكُ خَلَّتِي ، مَنْ لَا يَسُدُّ خَلَّتِي ، وَلَا أَصْفِي نَيْبِي ، لِمَنْ يَتَمَعِّي
مِنْبِي ، وَلَا أَخْلِصُ دُعَائِي ، لِمَنْ لَا يُفْعِمُ وَعَائِي ، وَلَا أُفْرِغُ ثَنَائِي ،
عَلَى مَنْ يُفْرِغُ إِنَائِي .

* * *

قوله : «ويلك» معناه التعجب، كأنه قال : ما أعجبك ! أو عجبالك . وقيل : أراد «ويلك» ، خفف اللام . إنما يضمن بالضنين ^(١) ، هذا مثل ؟ ، أوّل من قاله الأغلب العجلى ، وفسره أبو عبيد ^(٢) فقال : معناه : تمسك بإخاء من تمسك بإخائك ، وبيانه أن الضنين البخل ، ويضمن : يبخل ، فيقول : إنما تمسك وأتعاق بصاحب تمسك بى وعرف حقى ، فأنا أبخل به على غيرى أن يشركنى فى صحبتته كما يبخل بى هو على غيره ، وقيل : الضنين فى المثل هو الشئ المضمون به لنفاسته ، فمعناه إنما يبخل بالشئ النفيس الرفيع . الموآتى : المساعد الموافق . العاتى المتكبر الصعب الخلق . والمراعاة : المحافظة للود . أسيم : اجعلها سمة ، أى علامة . أضافى : أخلص له ودّى . يأتى : يمنع . إنصافى ، أى إعطائى الحق من نفسه . أواخى : أصير له أخا وأتخذ صديقاً . يلغى : يترك وي طرح . الأواخى : أسباب الود ، واحدها أخية ، وأصل الأخية عروة من حبل تشدّ فى وتد أو على حجر تحت الأرض ، وتبقى العروة على الأرض فيربط فيها حبل الدابة فيمسكها . أمالى : أعاون ، وأصلها الهمزة ، تقول : مالا ته على الأمر أمالته ، إذا عاونته وساعدته ، ومنه : والله ما قتلت عثمان ولا مالات فى قتله ، نخفف الهمزة ليوافق آمالى ، وهو جمع أمل ، وهو الرجاء . صرم حبالى : قطع أسباب وصالى ، وهم يكونون بالحبل عن الود ، لأن الود يربط القلوب ويؤلفها كالحبل فيما يربط . قوله : «أدارى» ، أسوس وأحسن صحبتته . والزمام : حبل من جلود يربط فى حلقة فى أنف البعير . يخقر ذمامى : ينقض عهدى ، أى لا أثقاد لن لأعهده . ودادى : حُبّى ، وهو من وادّه وهو الذى لا يكون إلا من اثنين فوضعه موضع ودّى ، ويقال أيضاً : فى الحب حُبَاب « مثل وداد ، قال الشاعر :

* أداء عراني من حُبَابك أم سحر *

(١) جبهة الأمثال ١ : ٤٩

(٢) اللسان ، ونسبه إلى أبى عطاء وصدره :

* فوالله ما أدرى وإني لصديق *

أضدادى : أعدائى المناقضين لأفعالى . إيمادى : تهديدى وتخويفى .
 الأيادى : النعم ، وواسيته : مواساةً : جعلته أسوة نفسى فى مالى فقاسمته فيه .
 مساأتى : أحرزنى وما يسوءنى . التفاتى : نظرى وانعطافى إلى جهته . يشمت :
 يسرّ : وناقى : موتى . أخصّ : أفرد . حبائى : عطائى . أحبائى : جمع حبيب .
 استطبّ : أطلب حُبّه . خلّقى : صداقتى . يسدّ خلّتى : يصلح فقرى . أخلص :
 أبعده خالصاً . يُنعم : يملأ . أفرغ ثنائى : أصبّ مدحى وأكسوه ، أو يكون
 أفرغه ، أبلغ آخره .

* * *

وَمَنْ حَكَمَ بَأْنَ أَبْذَلَ وَتَخَزْنَ ، وَأَلَيْنَ وَتَخَشْنَ ، وَأَذُوبَ
 وَتَجْمَدَ ، وَأَذْكَو وَتَحْمَدَ ! لا وَاللَّهِ ، بَلْ تَتَوَازَنُ فِي الْمَقَالِ ، وَزَنَ
 الْمَقَالِ ، وَتَتَحَاذَى فِي الْفَعَالِ . حَذَوُ النَّمَالِ ، حَتَّى نَأْمَنَ التَّغَابُنَ ،
 وَنُكْفَى التَّضَاغُنَ ؛ وَإِلَّا فَلِمَ أَعْلُكَ وَتُعْلِمُنِي ، وَأُقْلِكَ وَتَسْتَقْلِمُنِي ،
 وَأَجْتَرِحُ لَكَ وَتَجْرَحُنِي ، وَأَسْرَحُ إِلَيْكَ وَتُسْرَحُنِي . وَكَيْفَ يُمَجْتَلَبُ
 إِنْصَافٌ بِضَيْمٍ ، وَأَتَى تَشْرِيقُ نَفْسٍ مَعَ غَيْمٍ ! وَمَتَى أَصْحَبُ وَدَّ
 بِعَسْفٍ ، وَأَيَّ حُرٍّ رَضِيَ بِخُطَّةٍ خَسَفٍ ! وَلِلَّهِ أَبُوكَ حَيْثُ يَقُولُ :

* * *

قوله : «تخزن» ، أى تحبس . أذكو : أضيء ، يقال : خمدت النار ، إذا
 سكن لهبها ، وذكت : انقادت . والمثقال : الصنجة التى يوزن بها ، سُميت بذلك
 لأنها تنقل ما يوزن بها فى الكفة الثانية . تتحاذى : تشابه . والنعال : بفتح
 الفاء : اسم للفعل الحسن أو القبيح ، ولا يقال بكسرهما إلا فى مصدر ناعل ، قال ابن
 الأعرابى : الفَعَالُ : فعل الواحد من الخير والشر ، والفِعال بالكسر : الفعل بين
 الاثنين . حذو : متشابهة ، والعرب تقول فى الشئين يشبهان : هما حذو النعل

بالنعل، أى كل واحد من النعلين تُقطع على قالب أختها، ومنه قول الهذلي:
وتأمل السَّبْت الذى أَحْدُوكُمْ فانظُرْ بمثل حذائه فاحذونى^(١)

التغابن: الغبن. نكفى: نمنع. التضاعن: العداوة، وتضاعن الرجلان:
اعتقد كل واحد منهما لصاحبه ضيقاً وهو الحقد. أعلك: أسقيك عللاً، أى مرة
بعد أخرى. تعلنى: تمرضى. أفلك: أرفعك. تستقلنى: تحقرنى. أجترح:
اكتسب. أسرح: أرعى عليك، وأجلب عليك الرزق بالعداء والعشى.
تسرحنى: تهملنى. ضيم: ذل. أنى: كيف. تشرق: تضىء، من أشرقت،
وتشرق تطلع، من شرقت. غيم: سحاب. أصحاب: أنقاد. بعسف: بجور،
وأصل العسف ركوب الأمر بغير تدبير. والخطبة: المنزلة والمرتبة، والخسف:
الإذلال والنقصان، ومنه خسف الأرض، والخاسف: المهزول، ويقال: باتوا على
الخسف، أى جياًعاً ليس لهم شيء يتقوتون به والخسف للدابة: أن تبيت
بغير علف.

* * *

جَزَيْتُ مَنْ أَعْلَقَ بِي وَدَّهْ جَزَاءَ مَنْ يَبْنِي عَلَى أَسَدِهِ
وَكَلْتُ لِلْخِلِّ كَمَا كَالِ لِي عَلَى وَفَاءِ الْكَيْلِ أَوْ بَخْسِهِ
وَلَمْ أَخْسِرْهُ وَشَرُّ الْوَرَى مَنْ يَوْمُهُ أَخْسَرُ مِنْ أَمْسِهِ
وَكُلُّ مَنْ يَطْلُبُ عِنْدِي جَنَى فَمَا لَهُ إِلَّا جَنَى غَرَسِهِ
لَا أَبْتَنِي الْغَبْنَ، وَلَا أَثْنِي بِصَفْقَةِ الْمُتَبُونَ فِي حِسِّهِ
وَلَسْتُ بِالْمُوجِبِ حَقًّا لِمَنْ لَا يُوجِبُ الْحَقُّ عَلَى نَفْسِهِ
وَرُبَّ مَذَاقِ الْهَوَى خَالَني أَصْدُقُهُ الْوُدَّ عَلَى لَبْسِهِ

وَمَا دَرَى مِنْ جَهْلِهِ أَنِّي أَقْضِي غَرِيمِي الدَّيْنَ مِنْ حِنْسِهِ
فَأَهْجُرُ مَنْ اسْتَفْبَاكَ هَجْرَ الْقَلِي وَهَبُهُ كَالْمَلْحُودِ فِي رَمْسِهِ
وَالْبَسَ لِمَنْ فِي وَصْلِهِ لُبْسَةً لِبَاسَ مَنْ يُرْغَبُ عَنْ أَنْسِهِ
وَلَا تُرْجُ الْوَدَّ يَمِّنَ يَرَى أَنَّكَ مُحْتَاجٌ إِلَى فَلْسِهِ

* * *

قوله: «أعلق»، بمعنى علق، أى أَلصق. أسه: أصل بنائه؛ يقول: من علق يقبلي وده، جعلت ذلك الودّ أساً بقابى، وبنيت عليه ودى، فإن أسس فى قلبى وداً سليماً بنيت له عليه مثله، وإن غشنى فى ودّ غششته، والهاء فى «أسه» ترجع إلى «من» أى مَنْ نصحنى فى صحبته نصحته. والخِلّ: الصاحب. بنحسه: نقصه. أخسر: أنقص. الورى: الخلق من الناس. الجنى: ما يجنى من الثمرة. أبتغى الغبن: أطلب الخداع: أنثنى: أرجع، وصفقة المغبون: بيعة الخدوع. حسه: نهمة، والحسن: صوت حركة الحى. والصفقة: فى الأصل مصدر، يقال: صفّق صفقاً إذا ضرب بإحدهما على الأخرى، وكانت صفقة البيع عند العرب أن يضرب المشتري بيده على يد البائع، فإن رضى البيع قبض على يد المشتري وانعقد البيع، وإن لم يرض أرسل يده، ثم صاروا يقولون، رضى الصفقة، إذا رضى البيع، ثم سُمى عقد البيع صفقة. مَذاف: خلاط غير مخلص. الهوى: الحب. وخالنى: حسبنى. لَبْسُهُ: تخليطه وتلبيسه. غريمى: صاحب دينى. من جنسه: من نوع ما أعطانى. استفباك: استجهلك. القلى: البغض. هبه: احسبه. الملحد: المدفون. رمسه: قهره، ويصر إلى بيته قول ابن الرومى:

مَنْ تَصَدَّى لِأَخِيهِ بِالْغِنَى فَهُوَ أَخُوهُ

فإن احتاج إليه راء منه ما يسوء
يكرم المثرى فإن أملاق أقصاه بنوء
أنت ما استغنيت عن صا حبك الدهر أخوه
فإن احتجت إليه ساعة مجك فوه

ووجد على حجر مكتوباً :

كل من أحوجك الدهر إليه وتعرضت له هنت عليه

وهذان المذهبان اللذان ذكرهما الحريري مبنيان على آيتين ، من كتاب
الله تعالى ؛ قوله تعالى : ﴿ وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ وَلَئِنْ صَبَرْتُمْ
لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ ﴾ ، والثانية قوله تعالى : ﴿ وَلَمَنْ انْتَصَرَ بَعْدَ ظِلْمِهِ فَأُولَٰئِكَ
مَاعَلَيْهِمْ مِنْ سَبِيلٍ ﴾ .

وقال النبي صلى الله عليه وسلم : « لاخير في صحبة من لا يرى لك من الحق ،
مثل الذي ترى له » .

[مذاهب الشعراء في العفو أو الانتصاف]

وللشعراء القدماء والحديثين في المذهبين شعر كثير ، قال المقنع الكندي في
المذهب الأول :

وإن الذي بيني وبين بني أبي وبين بني عمي لمختلف جداً^(١)
أراهم إلى نصري بطاء وإن هم دعوني إلى نصري أتيهم شداً
وإن أكلوا لحمي وفرت لحوهم وإن هدموا مجدي بنيت لهم مجداً

(١) حاسة أبي تمام ٣ : ١٧١ - بشرح التبريزي

وإن ضَيَّعُوا غَيْبِي حَفِظْتُ غُيُوبَهُمْ وإن هُمُ هَوُوا غَيْبِي هَوَيْتَ لَهُمْ رُشْدَا
وإن زَجَرُوا طَيْرًا بِنَحْسٍ تَمَرُّ بِي زَجَرْتُ لَهُمْ طَيْرًا تَمَرُّ بِهِمْ سَعْدَا
لَهُمْ جَلٌّ مَالِي إِنْ تَتَابَعَ لِي غَيْي وإن قَلَّ مَالِي لَمْ أَكْلفَهُمْ رِفْدَا
وَلَا أَحْمَلُ الْحَقْدَ الْقَدِيمَ عَلَيْهِمْ وليس يَسُودُ الْقَوْمَ مَنْ يَحْمِلُ الْحَقْدَا

وقال معن بن أَوْسٍ الْمَزْنِيُّ فِي الْمَذْهَبِ الثَّانِي :

إِذَا أَنْتَ لَمْ تُنْصِفْ أَخَاكَ وَجَدْتَهُ عَلَى طَرَفِ الْهِجْرَانِ إِنْ كَانَ يَعْقِلُ^(٢١)
وَيَرْكُبُ حَدَّ السَّيْفِ مَنْ أَنْ تَضِيعَهُ إِذَا لَمْ يَكُنْ عَنْ شَفْرَةِ السَّيْفِ مَزْحَلُ
وَكُنْتُ إِذَا مَا صَاحِبُ رَامٍ ظَنَنْتِي وَبَدَلٌ سَوْءًا بِالَّذِي كُنْتُ أَفْعَلُ
قَلْبْتُ لَهُ ظَهَرَ الْمَجَنِّ فَلَمْ أَدَمْ عَلَى ذَاكَ إِلَّا رَيْثًا أَتْمَحُـوُلُ

وقال إبراهيم بن العباس الصولي :

أَمِيلُ مَعَ الذَّمَامِ إِلَى ابْنِ عَمِّي وَأَخِذْ لِلصَّدِيقِ مِنَ الشَّقِيقِ^(٢٢)
وَإِنْ أَلْقَيْتَنِي حُرًّا مُطَاعًا فَإِنَّكَ وَاجِدِي عَيْدَ الصَّدِيقِ
أَفَرَّقَ بَيْنَ مَعْرُوفِي وَبَيْنِي وَأَجْمَعَ بَيْنَ مَالِي وَالْحَقِيقِ
وَكُنْتُ إِذَا الصَّدِيقُ أَرَادَ غِيظِي وَأَشْرَقَنِي عَلَى شَرْقِ بَرِيْقِي
غَفَرْتُ ذَنْبَهُ، وَصَفَحَتْ عَنْهُ مَخَاذَةُ أَنْ أَعِيشَ بِلا صَدِيقِ

وكلف إبراهيم بن العباس بعض إخوانه مقاطعة صديق فقال له :

إِنِّي مَتَى أَحْمَلُ بِحَقْدِكَ لَا أَضْرِبُهُ سِوَاكَ^(٢٣)

(١) حماسة أبي تمام - بشرح التبريزي ٣ : ١٣٢

(٢) ديوانه ١٥٤

(٣) ديوانه ١٤٦

ومتي أطعْتُكَ في أخيك أطعْتُ فيكَ غداً أخاك
حتى أرى مستقسماً يومى لَذَا ، وغداً لَذَا كَا

وقال أبو الفتح البستي في المذهب الثاني:

فإن تزدني أزر وإما تقف بيابي أقف بيباك
والله لا كنت في حسابي إلا إذا كنت في حسابك

أين هذا من قول البستي أيضاً وقد خالفه فيه خلافاً شديداً ، ولا نازعه
أحد فيه ، ولا سبقه إليه إذ يقول :

وإني لأختص بعض الرجال وإن كان قدماً ثقيلاً عبكاً^(١)
فإن الجبين على أنه وخيم ثقيل يشهى الطعاما

ولابن شرف :

بع من جفاك ولا تبخل بسلعتك واطلب به بدلاً إن رام تبديلاً
وهو كثير ، وبما ذكرت يستدل على الباب .

* * *

قال الحارث بن همام : فلما وعيت ما دار بينهما ، ثقْتُ إلى أن
أعرفَ بينهما ، فلما لاح ابنُ ذُكَّاء ، وألحفَ الجَو الصَّيَاء ، غدوتُ
قبلَ استِقْلالِ الرِّكَّابِ ، ولَا اغْتِدَاءِ الغُرَابِ ، وجَمَلْتُ اسْتَقْرِي
صَوْبَ الصَّوْتِ اللَّيْلِ ، وَأَتَوَسَّمُ الوُجُوهَ بالنَّظَرِ الجَلِيلِ ، إلى أنْ

لَحَتْ أَبَا زَيْدٍ وَابْنَهُ يَتَحَادَثَانِ ، وَعَلَيْهِمَا بُرْدَانِ رَثْلَانِ ، فَعَلِمْتُ
أَنَّهُمَا نَجِيًّا لَيْلَتِي ، وَصَاحِبَا رِوَايَتِي .

* * *

قوله : «وعيت» ، أى حفظت . تفت ، أى أشتقت . عنيهما : شخصيهما .
لاح : ظهر . ابن ذكاء : هو الصبح ، وذكاء هى الشمس ، ويقال للصبح : ابن
ذكاء لأنه من ضوئها . ألحف : غطى . الجوّ : الهواء بين السماء والأرض .
أراد أن الصبح غطى نواحي السماء بضوئه .

[ما ورد فى الصبح من الشعر]

ومن حسن التشبيه فى ضوء الصبح قول ذى الرمة :

وقد لاح للآسارى الذى كَمَل السرى على أخريات الليل فَمَتَّقْ مشهور^(١)
كلون الحصان الأبيض البطن قائماً تمايل عنه الجُلّ واللون أشقر
شبه اختلاط الضوء بالظلمة بالفرس الأشقر الأبيض البطن .

وقال ابن المعتز :

وساقٍ يجعل المنديل منه مكان حمائل السيف الطوال
غدا والصبح تحت الليل بادٍ كطِرفٍ أشقرٍ ملقى الجلال

وقال يوسف الرمادى :

وليلة أنس قد غمرنا ظلامها بأوجهٍ راح تستنير فترشف
إلى أن بدا ضوء الصباح كأنما تحمّل لقمان ، وأقبل يوسف

قوله : «غدت» ، أى بكرت . استقلال : ارتفاع وقيام . والركاب : الا.

واحدها ، راحلة . ولا اغتداء الغراب ، أى ولا مثل اغتدائه ؛ فحذف « مثل »
المنصوبة بلا ، وأقام « اغتداء » مقامها لأن « لا » لا تنصب المعارف ، وأراد أن
اغتدائى كان قبل أن يفتدى الغراب ، والغراب أكثر الخيل بكوراً ، وهذا
وما شابهه في هذا الكتاب مثل قوله : « ولا كيد فرعون موسى » ، « ولا انهلال
السحب » ، « ولا عمرو بن عبيد » ، إذا طالبت حقيقة معناه صار المشبه أقوى من
المشبه به ، ولم يأت هذا إلا عن العرب ، تقول العرب : « فتى ولا كمالك » ، فيريدون
مالكاً أفضل من الفتى ، ومثله « مرعى ولا كالسعدان » أى أن المرعى فاضل في
دبيه ، ولكن السعدان أفضل منه ، ومثله : « ماء ولا كصداء » ، فصداء
أفضل من ذلك الماء على طيبه ، فهذا مذهب العرب في ذكر « لا » بين المشبهين .
وأما قول الحريري : « غدوت ولا اغتداء الغراب » ، فيريد أن غدوى أبكر
من اغتداء الغراب ، وكذلك « ولا انهلال السحب » ، وهو يريد أن جودهم
فوق جود السحاب ، لأن كلام العرب : فلان أبكر من الغراب ، وأجود من
السحاب ، ولا يقولون السحاب أجود من فلان ، ولا الغراب أبكر من فلان ،
ولا فائدة في ذلك ، فإذا حققت لفظة « ولا » في تشبيه الحريري على ما يجب لها في
كلام العرب انقلب المعنى ، وإنما اللفظ من كلام عامة العراقي ، فاستعملها لأنها عندهم
متعارفة وليست بعربية ، ومثل هذا قد جوزه المولدون في أشعارهم ، وجاء منه
في مقامات البديع كثير . ويستعمل أهل فاس في مغربنا لفظة « ولا » في تشبيهاتهم
كثيراً جداً على حد استعمال الحريري لها ، ولا يستعملها أهل الأندلس .

وقال الفنجديهي : الرفع في قوله : « ولا اغتداء الغراب » ، أكثر مبالغة في
التشبيه من النصب .

قوله : « أستقرى » ، أى أتبع . صوب : جهة وناحية . اللبى : الذى يُسمع بالليل .
أنوسم . أتعرف وأنظر سمتها . الجلى : البين . لحت : رأيت . بُردان رثنان :

يوبان خَلْقَان . نَجِيًّا لِيَتَى ، أَى المتحدّثان فيها ، وجعلهما متحدثين مع الليلة مجازاً لما أوقعنا الحديث فيها ، كقوله تعالى : ﴿بَلْ مَكْرُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ﴾^(١) ولا يُمْكِرَانِ إِنَّمَا يُمْكِرُ فِيهِمَا ، فَنَسَبَ ذَلِكَ الْمَكْرَ إِلَيْهِمَا . صَاحِبَا رِوَايَتِي . أَى اللذان أَرَوَى عَنْهُمَا . هذه القصة .

* * *

فَقَصَصْتُهِمَا قَصْدَ كَلْفٍ بِدَمَائِهِمَا ، رَأَتْ إِرثَاتَهُمَا ، وَأَبْحَثُهُمَا
التَّحْوُلَ إِلَى رَحْلِي ، وَالنَّحْكَمَ فِي كُثْرَى وَقَلِي ، وَطَفِقتُ أُسَيْرُ بَيْنَ
السَّيَّارَةِ فَضْلَهُمَا ، وَأَهْزُ الْأَعْوَادِ الْمُثْمِرَةَ لَهُمَا ، إِلَى أَنْ غَمِرَا
بِالنُّخْلَانِ ، وَاتَّخِذَا مِنَ الْخُلَّانِ . وَكُنَّا بِمُعَرِّسٍ نَتَبَيَّنُ مِنْهُ مُبْدِيَانِ
الْقُرَى ، وَنَتَنَوَّرُ نِيرَانِ الْقُرَى .

فَلَمَّا رَأَى أَبُو زَيْدٍ امْتِلَاءَ كَيْسِهِ ، وَانْجِلَاءَ بُوسِهِ ، قَالَ لِي :
إِنَّ بَدَنِي قَدْ ائْتَسَخَ ، وَدَرَنِي قَدْ رَسَخَ ، أَفَتَأْذُنُ لِي فِي قَصْدِ
قَرِيَّةٍ لَأَسْتَحِمَّ ؟ وَأَقْضَى هَذَا الْمِهْمَ ؟ فَقُلْتُ : إِذَا شِئْتَ
فَالسَّرْعَةَ السَّرْعَةَ ، وَالرَّجْعَةَ الرَّجْعَةَ ، فَقَالَ : سَتَجِدُ مَطْلَعِي عَلَيْكَ ،
أَسْرَعَ مِنْ ارْتِدَادِ طَرَفِكَ إِلَيْكَ .

* * *

كَلْفٍ : مَحَبَّ . دَمَاتُهُمَا : سَهُولَتُهُمَا ، وَالْدَّمَائَةُ سَهْوَةُ الْأَرْضِ ، وَكُلُّ مَا
وُطِئَتْهُ وَسَهَلَتْهُ وَأَذَلَّتْهُ بِيَدِكَ فَهُوَ دَمِثٌ . رَأَتْ : بِالْكَافِ مَشْفَقِي . وَرِثَاتُهُمَا : سَوْءُ

حالمها . أبجته : جعلته له مباحاً . كثرى وقلى : أى كثير مالى وقليله . طفت : أخذت . أسير : أمشى . السيارة : القوم الذين يسرون فى الأسرار . أهز الأعواد ، استعارة ، وأراد أنه يستعطف لها أصحاب الأموال فى واسونهم ، فكفى عنهم بالأعواد ، وقد كرر هذا المعنى نظماً حين قال :

قصده والشيخ يبنى جنى عودٍ له ما زال مهزوزاً^(١)

وقال الشاعر فى مثله :

إلا يَكُنْ ورقى غصاً أراح به المعتفين ذانى لئن العود
أراد إن لا أكن كثير المال ذانى كريم . والورق : المال غير الصامت ، وأراح به : أهتر به ، من الأريحية . وراح الشجر : أتى بورق فى آخر الصيف لأصل له ، ويقال لها الخلفة . قوله : « غمراً » ، أى أعطيا . التحلان : العطايا . الخلائن : الأصحاب . وقوله : « وكنا بمعرس » ، المعرس موضع النزول آخر الليل . نتنور : ننظر النيران . القرى : طعام الضيف . كيسه : وعاء دراهمه ، والكيس : خريطة تسع خمسمائة درهم والبذرة تسع عشرة آلاف درهم ، قال حبيب :
من بعد ما صارت هندية صرمةً والبذرة النجلاء صارت كيساً^(٢)

قوله : « انجلاء بوسه » ، انكشف فقره . درنى : وسخى . ورسخ الشيء فى الأرض رسوخاً : غاب فيها ، ورسخ العالم فى العلم : دخل فيه . أستحم : أدخل الحمام ، واستحم الرجل : اغتسل بالحميم ؛ وهو الماء الحار . أقضى : أقطع وأزيل ، وقضيت الشيء : صنعته . المهم : أراد به فرض الصلاة ، قال عمر بن الخطاب رضى الله عنه : إن أهم أموركم عندى الصلاة ، فمن ضيعها فهو لما سواها أضيع . وقيل :

(١) فى المقامه الأربعين صفحه ٤٤٨ (طبعة الحسينية) .

(٢) ديوانه ١٧٧ ، والهندية : اسم المائة من الإبل . والصرمة : ما بين الدهرة إلى بضعة عشر . والنجلاء : الزسعة .

للمهم: الوسخ لأن الأمر المهم ، هو الذى فى القاب منه همّ وشغل ، وقد ذكر أن الذى أوجب عليه قصد الحمام هو ما عليه من الوسخ ، فيكون قوله : « وأقضى هذا المهم » من قوله تعالى : ﴿ تَمَّ لِيَقْضُوا تَفَثَهُمْ ﴾ ^(١) ، وقد أهّنى الشئ فهو مهم ، وهذا القول أوفق بمراده .

[نبذت ما قيل فى الحمام شعرا ونثرا]

وللزاهد بن عمران رحمه الله وقد استبطأ فى دخول الحمام :

يا صاح عهدي بالحمام قد بعداً	فلا تلمنى فيه إن طلبت مدى
قارعت فيه العدا فى معرك لجب	دخض تزل به الأقدام قد بعداً
عداً أثرن برأسى حين ثرن به	توقدا وأعادت جلده جليداً
فظلت مستأصلاً بالقتل أجمعها	فلم أدع والدأ منها ولا ولداً
ثم اثنتيت معافى ناعماً جذلاً	مظفراً أستزيد الواحد الصمداً

ورأى نفسه ممتدّاً بين يدي الحكاك ، قال :

أأغترّ إن مدّ فى العُمرِ لى	وأرجى المتاب إلى قابِلِ
وأغفلُ والموت لى طالبُ	حيث كذب الغضى القاتِلِ
كأنّى بى هكذا ميتاً ^(١)	تَحَكَّمُ فى يدِ الفاسلِ

وله أيضاً :

شكرت للدهر حسن ما صنعنا	طريد مجدي تحيى رفعا
يا حُسن حماننا وقد غرُبت	شمس الضحى فيه بعد ما مَنَعنا
أجبن أن الهلال راكبه	فضاء للحاضرين واتسعا
فانعم أبا عامر بنعمته	واعجب لأسرين فيه قد جُمعا

(١) : ١ (٢) : وكان بى

(١) الحج ٢٩ : ١١٢

نيرانه من زنادِكُمُ قدِحت وماؤه من بَنانِكُم نبعاً
 ولبعضهم في حَمَام كانت مضاوئُه من زجاجِ أحمر ، وفي سماءه حمرة وبياض :
 تحيرتُ من طيبِ حَمَامِنَا فَخُيِّلَ لِي أن فيه الفلقُ
 فن حمرة فوقنا و ابيضاض نلحد الحبيب إذا ماعرقُ
 رأى الدهر ماسدً من حُسْنِه فسدَّ كُوى سقْفِه بالشَّفَقِ
 ودخل الحمام أبو جعفر التَّطِيلِيّ وأبو بكر بن بقيّ رحمهما الله تعالى ، فقال
 أبو جعفر :

يا حُسْنَ حَمَامِنَا وبهجتِه مرأى من السَّحَر كلّه حَسَنُ
 ماء و ناز حواها كنف كالقلب فيه السرور والحزنُ

ونظر فيه إلى غلام وسيم ، فقال :

هل استمالك مَيَال القوامِ وقد سالت عليه من الحمامِ أُنْدَاهُ
 كالفصن بأشْر حرّ النار من كَشَب فظلّ يقطر من أعطافه الماء
 وقال آخر :

حَمَامِنَا فيه فصل القيظ محتدمٌ وفيه للبرد سرٌّ غير ذى ضررِ
 خدّانِ ينعم جسم المرء بينهما كالفصن ينعم بين الشمس والمطرِ

وقال ابن رشيق : ومما قلته على عقب وداع :

ولم أدخل الحمام ساعةَ بينهم لأجل نعيم ، قد رضيت بِبُوسِي^(١)
 ولكن لتجرى عَبرتي مطمئنةً فأبكي ، ولا يدرى بذالك جليمي

وقال آخر :

وحَمَامٍ كَأَنَّ النَّارَ فِيهِ مَسْقَرَةٌ بَنِيَانٍ الْجَحِيمِ
دَخَلْتُ أَنَا وَمَنْ أَهْوَاهُ فِيهِ فَعَادَ لَنَا كَجَنَاتِ النَّعِيمِ

وقال آخر في ذم حمام :

وحَمَامٍ سَوْءٍ وَخَمِ الْهَوَا قَلِيلُ الْمِيَاهِ كَثِيرُ الزَّحَامِ
فَمَا لِلْقِيَامِ بِهِ مِنْ قَعُودٍ وَلَا لِلْقَعُودِ بِهِ مِنْ قِيَامٍ
حَنِيَّاتِهِ عَطَفَاتِ الْقَسَى وَقَطَرَاتِهِ صَائِبَاتِ السَّهَامِ

وقال آخر في تعجيل الخروج منه :

خُذْ مِنَ الْحَمَامِ وَاخْرُجْ قَبْلَ أَنْ يَأْخُذَ مِنْكَ
حَدَّثَنِي عَنْهُ وَإِلَّا حَدَّثَ الْحَمَامُ عَنْكَ

وقال ابن رشيقي :

وَمُرْتَهَنٍ لَدَى الْحَمَامِ أَضْحَى وَحَالَاهُ لِأَحْبَابِ السَّعِيرِ
إِذَا سَمِعُوا الْعَذَابَ أَوْ اسْتَغَاثُوا أَغَاثُوهُمْ بِيَابَ الزَّمْهِرِ
كَذَلِكَ حَالُهُ حَرًّا وَبَرْدًا بَيْتِ الْخَوْضِ أَوْ بَيْتِ الطَّهْرِ
وَطَالَ بِهِ انْتِظَارُ مُوَاعِدِهِ فَقَدْ زَادَ الشَّقَى عَلَى النَّظِيرِ
وَلَهُ أَيْضًا :

سَأَشْكُرُ لِلْحَمَامِ بَدْءًا وَعُودَةً أَيْدَى بَيْضًا مَا لَهَا مِنْ نَمِينٍ
جَلَاكَ عَلَى عَيْنِي عُرْيَانَ حَامِرَا فَرَحْتَ بِتَطْلِيْقِي وَأَنْتَ قَيْنٌ^(١)
وَطَهَّرَ قَلْبِي مِنْ هَوَاكَ بِيَارِدٍ وَسُخْنٍ فَقَرَّ الْجَفْنُ وَهُوَ سَخِينٌ

(١) ط : « نمين » . وما أثبتته من أ ، ب .

قال عمر بن الخطاب رضى الله عنه : الحَمَامُ يَذْكُرُ جَهَنَّمَ ، وَيُنَقِّي الدَّرَنَ .
وقال على رضى الله عنه : بُئْسَ الْبَيْتُ الْحَمَامُ ! تُكْشَفُ فِيهِ الْعُورَاتُ ، وَتَرْتَفَعُ
فِيهِ الْأَصْوَاتُ ، وَلَا يُقْرَأُ فِيهِ آيَةٌ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ تَعَالَى .
ودخله بعضُ الأمراء مع الرقاشي فقال له : امدحْه ، فقال : يُذْهِبُ الْقَشَافَةَ ،
ويعقب النظافة ، وَيُقَشُّ^(١) الثُّخْمَةُ ، وَيَطْيِبُ النِّعْمَةَ ، فقال : ذمه ، فقال : يَهْتِكُ
الْأَسْتَارَ ، وَيُوَلِّفُ الْأَقْدَارَ ، وَيَذْهَبُ بِالْوَقَارِ .

* * *

قوله : « إِذَا شِئْتَ فَالسرعة السرعة » ، يقول : إِذَا شِئْتَ أَنْ تَقْصِدَ الْحَمَامَ
فَالزَّمِ السَّرْعَةَ ، وَعَجَلِ الرَّجْعَةَ ، وَكْرَرْهَا تَأْكِيداً ، وَالْفِعْلُ النَّاصِبُ لَهَا يَلْزَمُ
إِضْمَارَهُ مَعَ التَّكْرِيرِ ، فَإِذَا أَفْرَدْتَ جاز إظهار النعل ، ونظيرها قول العرب :
الطَّرِيقُ ، الطَّرِيقُ ، وَالْأَسَدُ الْأَسَدُ وقال الشاعر :

* خَلَّ الطَّرِيقُ لِمَنْ يُبْنِي الْمَنَارُ لَهُ *

فلما سقط التكرير ساغ له إظهار الفعل . مطأى : مصدر بمعنى طلوعى .
أهل الحجاز يفتحون لامه في المصدر وغيرهم يكسرها . ارتداد طرفك ، أى
رجوع نظرك .

* * *

ثُمَّ اسْتَنْتَ اسْتِنَانَ الْجَوَادِ فِي الْمَضَامِرِ ، وَقَالَ لِابْنِهِ : بَدَارِ بَدَارِ !
وَلَمْ نَحُلْ أَنَّهُ غَرٌّ ، وَطَلَبَ الْفَقْرَ . فَلَبِثْنَا نَرْقُبُهُ رِقْبَةَ الْأَعْيَادِ ،
وَنَسْتَظْلِمُهُ بِالطَّلَائِعِ وَالرُّوَادِ ، إِلَى أَنْ هَرِمَ النَّهَارُ ، وَكَادَ جُرُفُ
النَّهَارِ يَنْهَارُ . فَلَمَّا طَالَ أَمَدُ الْإِنْتِظَارِ ، وَلَاحَتِ الشَّمْسُ فِي
الْأَطْمَارِ ، قُلْتُ لِأَصْحَابِي : قَدْ تَنَاهَيْنَا فِي الْمُهَلَّةِ ، وَنَمَادَيْنَا فِي

(١) يقال : فُشَّ الوُطْبُ ، أى أخرج ما فيه من الريح

فَالرَّحْلَةَ ، إِلَى أَنْ أَضَعْنَا الزَّيْمَانَ ، وَبَانَ أَنَّ الرَّجُلَ قَدْ مَانَ ،
فَتَاهَبُوا لِلظَّمَنِ ، وَلَا تَلَوُّوا عَلَى خُضْرَاءِ الدِّمَنِ .

استنَّ استنَّان الجواد : جرى كما يجرى الفرس ، وإنما يقال : استنَّ في كلامه
إذا جرى في غير طريق بتحريف ، ومنه قولهم : استنَّت الفصال حتى القرعى ^(١) ،
يريدون جرت الفصال وهي تلعب ، ومنه قوله صلى الله عليه وسلم : « فاستنَّت
شرفاً أو شرفين » . وقال الشاعر يذكر طعنة خرج دمها في جهة :

بِمَسْنَةِ كَاسْتَنَانَ الْخُرُوفِ وَقَدْ قَطَعَ الْخَيْلَ بِالرُّودِ ^(٢)

أراد المهر ، ويقال له : خروف وفوف ، وقد فسر « استنَّت الفصال » بأن معناه
أحسن رعيتهما ، حتى كأنه صقأهما . والجواد : الفرس الكريم . المضمار : الطَّلَق تجري
فيه الخيل ، سَمِيَ مِضْمَاراً لأن الخيل تَضْمَرُ فيه ، وذلك أن العرب كانت تسمن
الخيال فتستخرجها إلى المِضْمَار ، فتجريها طَلَقاً قدر ما تحتمل ، ثم تزيد لها يوماً
آخر في الجرئى على ذلك ، ثم لا تزال تزيد لها في الطَّلَق كل يوم ، حتى تجري بها
الأميال ، فيسيل عَرَق الخيل بذلك الجرئى ، ويشدَّ لحمها بذلك التضجير
قال زهير :

تُضْمَرُ بِالْأَصَائِلِ كُلِّ يَوْمٍ تُسَنَّ عَلَى سَنَابِكِهَا الْقُرُونُ ^(٣)

القرن : دَفَعَ العرق ، واحداً قرن .

وقوله : « بدار بدار » ، أى سبقاً سبقاً ، وهو معدول عن بدر ، فيقول لابنه :

(١) مثل ، يصرب للرجل بفعل ما ليس له بأهل . جمهرة الأمثال ١ : ١٠٨

(٢) اللسان - خرف ، ونسبه إلى رجل من بني الحارث .

(٣) ديوانه ١٨٧

أبدر بالجري ، واسبق إلى الحمام . لم تَحَلْ : لم تحسب . غرّ : خدع . نرقبه ، أى :
نظر من أين يحىء ويروى : « نرقبه رقية أهلة الأعياد » .

وما أحسن قول ابن الزقاق فى هذه الرّقية :

وشهرٍ أدرنا لارتقاب هلاله جفوناً إلى نحو السماء موائلاً^(١)
إلى أن بدا أحوى المدامع أحوراً يجرّ لأذيال الشّباب غلائلاً
فقلت له أهلاً ومهلاً ومرحباً بمن قد حوى طيب السّمول شمائلاً
أطلبك الأبصار فى الجوّ ناقصاً وأنت كذا تمشى على الأرض كاملاً
وله فى معناه :

لله شهرٌ ما نظرتُ هلاله إلّا كنونٍ أو كعطنةٍ لامٍ^(٢)
حتى تبدّى لى أغنٌ مهفّفٌ بضياؤه ينجّابُ كلُّ ظلامٍ
فطفتُ أهتِفُ بالأنام ضلّامٌ وغلطمُ فى عدّة الأيامِ
ما جاءنا شهرٌ لأوّل ليلة مذ كانت الدنيا ببدر تمام

نستطاعه ، أى نلتصّص طلوعه . الطلائع : الباحثون عليه . والروّاد : الطالبون
له ، وأصل الطلائع الباحثون عن أخبار العدو ، والراصدون فى الطرقات ، الواحد
طليعة ، وأصل الروّاد الطالبون للمرعى . هَرِمَ : شاخ ، ومعناه قارب أن يتمّ .
ينهار : ينهدم . والجُرُفُ : ما يأكله الوادى ، استعاره للنهار . لاحت : ظهرت .
والأطمار : الثياب الخلقة ، أراد أن ثوب الشمس وهو ضوءها قد تغيّر وبلى عند
الغروب ، وبعضهم يستعمل هذه الاستعارات فى الشتاء وغروب الشمس .

ومما يستغرب من ذلك قول العلوى الأصهباني :

ومجاسٍ شرب جُثَّتْهُ مطرٌ بآ عشياً وعينُ السّمس فى الأفق تنعّسُ

(١) ديوانه ٢٣٨

(٢) ديوانه ٢٥٨ .

وقال ابن الرومي :

كَأَنَّ جَنُوحَ الشَّمْسِ ثُمَّ غُرُوبَهَا وَقَدْ جَعَلْتَ فِي مَجْنَحِ اللَّيْلِ تَمَرُضُ^(١)
تَخَاوَصُ عَيْنَ بَيْنِ أَجْفَانِهَا الْكَرَى يَرْنَقُ مِنْهَا النَّوْمُ وَهِيَ تَمَعُّضُ

وقال أيضاً :

إِذَا رَمَعَتْ شَمْسُ الْأَصِيلِ وَنَفَضَتْ عَلَى الْأَفْقِ الْغُرْبَى وَرَسًا مُدْعَزَعًا^(٢)
وَوَدَّعَتْ الدُّنْيَا لِقَضَى نَجَبِهَا وَشَوَّلَ بَاقِيَ عَمْرِهَا فَتَشَعَّشَعًا^(٣)
وَلَا حَظَّتْ الْأَنْوَارُ وَهِيَ مَرِيضَةٌ وَقَدْ وَضَعْتَ خَدًّا عَلَى الْأَرْضِ أَضْرَعًا
كَمَا لَاحَظْتَ عَوَادُهُ عَيْنَ مَدَنٍ تَوَجَّعَ مِنْ أَوْصَابِهِ مَا تَوَجَّعَا

أخبرني ابن منصور ، قال : خَرَجْتُ بِخَارِجِ فَاَسْ عَشِيَّةٍ مَعَ فَتَى وَرَّاقٍ ، فَنَظَرْتُ إِلَى صَفْرَةِ الشَّمْسِ وَاسْتَنَشَقْتُ بَرْدَ النَّسِيمِ ، وَأَنْشَدَنِي مَرْتَجِلًا :

انْظُرْ إِلَى الشَّمْسِ فِي الْأَصِيلِ كَأَنَّهَا وَجَعَتْ عَلَى عِلِيلِ
وَرَقَّ هَذَا النَّسِيمُ حَتَّى كَأَنَّمَا يَشْتَكِي نَحْوَلِي

وقال ابن الزقاق :

وَعَشِيَّةٍ لَيْسَتْ بِمِلَاءٍ شَقِيقِ تَزْهَى بِلَوْنِ اللَّخْدُودِ أُنَيْقِ^(٤)
أَبَقْتُ بِهَا الشَّمْسُ الْمَنِيرَةُ مِثْلَ مَا أَبَقِيَ الْحَيَاءُ بَوَجْنَتِي مَعْشُوقِ
لَوْ أَسْتَطِيعُ شَرِبْتُهَا كَلْفًا بِهَا وَعَدَلْتُ فِيهَا عَنْ كَثُوسِ رَحِيقِ

وقال ابن سراج :

وَالشَّمْسُ تَنْفُضُ زَعْفَرَانًا بِالرَّبَا وَتَبْثُ مَسْكَنَهَا عَلَى النِّيطَانِ

(١) ديوان المعاني ٣٦١

(٢) ديوان المعاني ١ : ٣٦١ ، ومذعزعاً : مفرقا .

(٣) حول باقي عمرها ، أي لم يبق منه إلا القليل .

(٤) ديوانه ٣٠٦ وفيه : « لبست رداء شقيق »

وما أحسن قول الرصافي في معناه :

وعشي أنسٍ للسرور وقد بداً من دون قرص الشمس ما يتوقع^(١)
سقطت ولم تملك يمينك ردّها فوددت يا موسى لو أنك يؤشعُ

وقال ابن الرومي في طلوع الشمس من خلل السحاب وذكر امرأة :

تريك بياض غُرَّتِها ووجهها كقرن الشمس أغسق ثم زالاً
أصاب خصاصةً فبدا كليلاً كلاً وانفل سائرُه انفللاً
قوله : « بدا كليلاً » إشارة إلى أنه عندما بدا غاب بسرعة ، وأذكر « كلاً »
في المقامة التاسعة والثلاثين .

وقال ابن المعتز في نحوه :

تظلّ الشمسُ ترمقنا بلحظٍ مريضٍ مدنفٍ من خلفِ سنترٍ^(٢)
تحاول فتقَ غيمٍ وهو يأبى^(٣) كعَمَّينِ يريدُ نكاحَ بكرٍ

قوله : « تناهينا » ، أى بلغنا النهاية . والمهلة : التراخي ، يقول : قدرنا حيننا في
انتظاره حتى بلغنا الغاية في ذلك . « تمادينا في الرحلة » ، هذا على حذف مضاف للعلم
به ، تقديره : تمادينا في ترك الرحلة وانتظارها ، ومثل هذا الحذف جائز في النظم
والنثر وأنشد أبو علي :

أنا النذيرُ لكم مني مجاهرةً كي لا ألامَ على نهبي وإنذارٍ
أى على تركي النهي والإنذار ، وقال آخر :
وأهلك مهرَ أهلك الدّوا ليس له من طعامٍ نصيبِ

(١) ديوانه ١٠٢ ، مع اختلاف في الرواية .

(٢) ديوان المعاني ١ : ٣٦٠ ، وفيه : « بلحظ خفي » .

(٣) ط : « فتح غيم » ، وما أثبتته من ديوان المعاني .

أى فقد الدواء ، وجاء فى القرآن ﴿وَسَأَلَ الْقَرْيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا﴾^(١) أى أهل القرية ، و﴿هِيَ أَشَدُّ قُوَّةً مِنْ قَرْيَتِكَ﴾^(٢) ، أى من أهل قريتك ، ومثل هذا كثير فى القرآن والكلام النصيح ، بما لا يتم المعنى إلا بتقديره ؛ فالذى غلط الحريرى فقال : لو تبادت بهم الرحلة لكانوا فى سير متصل ، قد جهل الكلام النصيح . فأراد : طالت بنا هذه السفرة . وتمادى الشئ فهو متبادر ، إذا طال فيه المدى ، وهو الغاية البعيدة . يقول : تأخرنا عن السفر اليوم لتمادينا فى انتظاره ، فطالت علينا السفرة لعطلة السفر ، حتى أضعنا اليوم الذى انتظرناه فيه حيث لم نسافر فيه . والزمان : اليوم . بان : تبين . مان : كذب ؛ يقال منه : مان يمين مئينا ، وأما مَانَهُ يَمُونُهُ مَوْنًا ، فقام بمؤنته . قوله : « فتأهبوا » ، استعدوا . الظعن : الرحيل . ولا تلووا : تعرجوا . خضراء الدمن : عشب المزابل ، هى حسنة المنظر سيئة الخبر ، وإذا يبست لم ينتفع بعودها لخوره وضعفه ، فشبه بها أبا زيد لحسن ظاهره فيما أبدى لهم من فصاحته ، وسوء باطنه فى كذبه وإخلاف وعده ، حتى عطّلهم عن سفرهم نهرا فى انتظاره ، قال النبى صلى الله عليه وسلم : إياكم وخضراء الدمن ، قهيل له : وما خضراء الدمن ؟ فقال : « الجارية الحسناء فى المنبت السوء » .

* * *

وَنَهَضْتُ لِأَخْدِجَ رَاحِلَتِي ، وَأَتَحَمَّلَ لِرِخْلَتِي ، فَوَجَدْتُ
أَبَا زَيْدٍ قَدْ كَتَبَ ، عَلَى الْقَتَبِ :

يَا مَنْ غَدَا لِي سَاعِدًا وَمُسَاعِدًا دُونَ الْبَشَرِ
لَا تَحْسِبَنَّ أَنِّي نَائِيَةٌ لَكَ عَنْ مَلَالٍ أَوْ أَشَرِ
لَكِنِّي مُذْ لَمْ أَزَلْ مِنْ إِذَا طَعِمَ انْتَشَرِ

قال: فَأَفْرَأْتُ الْجَمَاعَةَ الْقَتَبَ ، لِيَعْذِرَهُ مَنْ كَانَ عَتَبَ
فَأَعْجِبُوا بِخُرَافَتِهِ ، وَتَعَوَّذُوا مِنْ آفَتِهِ .
ثُمَّ إِنَّا ظَعَنَّا ، وَلَمْ نَذَرِ مَنْ اعْتَاَصَ عَنَّا .

قوله: «أحدج»: أى اجعل عليها الحدج ، وهو مركب من مراكب النساء ،
وأراد أرحل الناقة . وراحلته : ناقته . أتحمّل لرحلتي ، أو قرحملى للرحيل ،
يقال : تَحْمَلُ القوم ، إذا عبّوا أحمالهم وارتحلوا . والقَتَب: خشب الرّجل . قوله :
«ساعدا»، أى ذراعايستعين به . مساعدا : موافقا . نأيتك : بعدت عنك . أشر :
بطر وعدم شكر ، يقال : أشر الرجل يأشر أشرأ ، إذا بطر ، قال الأخطل
يدكر بنى أمية :

أعطاكم الله جدًّا تُنْصَرُونَ بِهِ لا جدَّ إلا صغيرٌ بَعْدُ مُحْتَقَرٌ^(١)
لم يَأْشِرُوا فِيهِ إِذْ كَانُوا مَوَالِيَهُ وَلَوْ يَكُونُ لِقَوْمٍ غَيْرِهِمْ أَشِرُّوا
قوله : «مذ لم أزل»، أى مذ بنت ووجدت . انتشر : ذهب . عتب : لام
وسخط فعله . خُرافته : حديثه الملهى .

[حديث خرافة]

وحديث خُرافة^(٢) مثلٌ سائر على ألسنة الناس في القديم والحديث ، يضرب
لكلّ حديث لا حقيقة له . ووقع في أمثال الفضل بسندي يصل إلى عائشة رضى الله
عنها ، أنها قالت للنبي صلى الله عليه وسلم : حدثنى حديث خُرافة ، فقال : رحم الله
خرافة ، كان رجلاً صالحاً ، فأخبرنى أنه خرج ذات ليلة فلقى ثلاثة نفر من الجنّ

(١) ديوانه ١٠٤ ، وفيه : « أعطاهم الله » .

(٢) انظر البدائي ١ : ١٣١ ، الآخر ١٦٨ ، اللسان ١٠ : ٢١٤ .

فَسَبَّوْهُ ، فقال أحدهم : نفو عنه ، وقال آخر قتله ، وقال آخر : نستعبده ، فبينما هم يتشاورون في أمره ، إذ ورد عليهم رجل ، فقال : السلام عليكم . فقالوا : وعليك السلام ، قال : وما أتم ؟ قالوا : نفر من الجن ، أمرنا هذا فنحن نأتمر في أمره . فقال : إن حدثتكم حديثاً عجيباً ، أشركونني فيه ؟ قالوا : نعم ، قال : إني كنتُ ذا نعمةٍ فزالت ، ورَكِبَتِي دَيْنٌ ، فخرجت هارباً ، فأصابني عطش شديد ، فسرت إلى بئر فنزلت لأشرب ، فصاح بي صائح من البئر : مه ! فخرجت منها ولم أشرب ، فغلبني العطش ، فعدت ، فصاح بي ، ثم عدت الثالثة فشربت ، ولم ألتفت إليه . فقال : اللهم إن كان رجلاً فحوِّله امرأة ، وإن كان امرأة فحوِّلها رجلاً ، فإذا أنا امرأة ، فأتيت مدينة فتزوجني رجل ، فولدت منه ولدين ، ثم عدتُ إلى بلدي ، فررت بالبئر التي شربت منها ، فنزلت فصاح بي كما صاح في الأول ، فشربت ولم ألتفت له ، فدعا كالأول ، فعدتُ رجلاً كما كنت . فأتيت بلدي ، فتزوجت امرأة ، فولدت منها ولدين ، فلي ابنان من ظهري وابنان من بطني . فقالوا : إن هذا لعجيب ، أنت شريكنا ، فبينما هم يتشاورون إذ ورد عليهم ثور يطير فلماً جاوزهم ، إذا رجل بيده خشبة ، وهو يحفر في إثره ، فوقف عليهم فسلم ، فردّوا ، وسألهم ، فردّوا عليه مثل ردِّهم على صاحبهم ؛ فقال : إن حدثتكم بحديث أعجب من هذا أشركونني فيه ؟ قالوا : نعم ، قال : كان لي عم ، وكان موسراً ، وكانت له ابنة جميلة ، وكنا سبعة إخوة ، وكان لعمي عجلٌ يربيه ، فانفلت ، فقال : أبتكم يردّه فابنتي له ؛ فأخذت خشبتي هذه ، واتزرت ، ثم حفزت في إثره وأنا غلام ، وقد سببت ، فلا أنا ألحقه ولا هو يكل ؛ فقالوا : إن هذا لعجب ، اقعد فأنت شريكنا . فبينما هم يتشاورون ، إذ ورد عليهم رجل على فرس أبيض . وخلفه غلام على فرس ذكر ، فسلم كما سلم أصحابه فردّوا عليه كردّهم على صاحبيه . فسألهم فأخبروه الخبر ، فقال لهم : إن حدثتكم بحديث أغرب من هذا ، أشركونني فيه ؟ فقالوا : نعم ، قال : كانت لي أمٌ خبيثة . ثم قال للفرس الأتني الذي تحته : أ كذالك هو

قالت : برأسها نعم — قال : وكنتُ أُسَمِّمُهَا بهذا العبد — وأشار إلى الفرس ،
الذى تحت غلامه : أهكذا ؟ فقال برأسه : نعم — فوجهت بغلامي هذا الرأكب
ذات يوم في بعض حاجاتي ، فحبسته عندها فأغفى ، فرأى في منامه كأنها صاحت
صيحة ، فإذا هي بجرذٍ قد خرج ، فقالت : اسجد ، فسجد ، ثم قالت : اكرب
فكرب^(١) ، ثم قالت : ادرس فدرس ، ثم دعت برحاً فطحنت قدح سويق ،
فأنت به الغلام ، فقالت له : أنت به مولاك ، فأتاني به ، فاحتلت عليهما حتى سقيتهما
القدح ، فإذا هي فرس أتت ، وإذا هو فرس ذكر ، قال : أ كذلك ؟ قالت النرس
الأثى برأسها : نعم ، وقال الفرس الذكر برأسه : نعم ، فقالوا إن هذا أعجب
شيء سمعناه ، أنت شريكنا . فأجمع رأيهم فأعتقوا خرافة فأتى النبي صلى الله عليه
وسلم فأخبره بهذا الحديث ، فما جاء من الأحاديث المحالّة نُسِبَ إلى خرافة
صاحب الحديث .

* * *

قوله : « آفته » أى ضرره . ظعننا : رحلنا . اعتاض : استبدل .

المقامة الخامسة وهى الكوفية

حكى الحارث بن همام قال : سَمَرْتُ بِالْكُوفَةِ فِي لَيْلَةٍ أُدِيمُهَا ذُو
لَوْنَيْنِ ، وَقَمَرُهَا كَتَمُوَيْدٍ مِنْ لَجَيْنٍ ، مَعَ رُقُقَةٍ غُدُّوا بِلَبَّانِ الْبَيَانِ ،
وَسَحَبُوا عَلَى سَحَابَانَ ذَيْلِ النَّسْيَانِ ، مَا فِيهِمْ إِلَّا مَنْ يُحْفَظُ عَنْهُ
وَلَا يُتَحَفَّظُ مِنْهُ ، وَيَعْمَلُ الرَّفِيقُ إِلَى ، وَلَا يَعْمَلُ عَنْهُ ، فَاسْتَهْوَانَا
السَّمَرُ ، إِلَى أَنْ غَرَبَ الْقَمَرُ ، وَغَلَبَ السَّهَرُ . فَلَمَّا رَوَّقَ
الْأَلِيلُ الْبَهِيمُ ، وَلَمْ يَبْقَ إِلَّا التَّهْوِيمُ ، سَمِعْنَا مِنَ الْبَابِ
نَبَأَةً مُسْتَنْبِجٍ ، ثُمَّ تَلَمَّهَا صَكَّةٌ مُسْتَفْتِحٍ ، فَقُلْنَا : مَنْ الْمَلِئُ ،
فِي الْأَلِيلِ الْمُدْلَاهِمُ ؟ فَقَالَ :

[الكوفة]

سَمَرْتُ بِالْكُوفَةِ . الكوفة بلد بالعراق مشهور بينه وبين بغداد ثلاثون
فرسخاً ، وسميت كوفة لاستدارتها ، أخذت من الكوفان ، وهى الرملة الشديدة
البياض ، وقيل : سميت كوفة لاجتماع الناس فيها ، من قولهم : تكوِّف الرمل .
تكوِّفاً ، إذا ركب بعضه بعضاً ، وقيل : سميت كوفة ، لأنها قُطعت من البلاد ،
من قولهم : أعطيت فلاناً كُفَيْفَةً ، أى قطعة ، وكفت أ كيف كئينا : قطعت .
والكوفة « فُعْلَةٌ » منه ، قُلِبَتِ الْيَاءُ وَآوَاءُ لِلضَّمَّةِ الَّتِي قَبْلَهَا .

وهى مدينة العراق الكبرى ، والمِصْرُ الأعظم وقُبة الإسلام ، ودار هجرة
المسلمين ، وأوَّلُ مدينة اختطها المسلمون بالعراق .

وذكر شيخنا أبو الحسن بن جبير^(١) في رحلته حاجاً ، أنه دخل الكوفة في أوّل محرّم سنة تسع وتسعين وخمسمائة ، قال : هي مدينة كبيرة ، قد استولى الخراب على أكثرها ، فالعاصر منها أقلّ من الخراب ، ومن أسباب خرابها قبيلة خفاجة المجاورة لها ، وهي لا تزال تضربها ، وكفالك بتعاقب الأيام والليالي ما حقّاً ومننياً ! وبنّاؤها بالآجر خاصّة ، ولا سور لها . والجامع العتيق آخرها ممّا إلى شرق البلد ، ولا عمارة تتّصل به من جهة الشرق . وهو جامع كبير ، في الجانب القبليّ منه خمس أبلطة ، وفي سائر الجوانب بلاطتان متّسعتان ، وهي على أعمدة من السّواريّ المصنوعة من صميم الحجارة المنحوتة قطعة على قطعة ، مفرّغة بالرّصاص ، ولا قسيّ عليها ، وهي في نهاية من الطول متّصلة بسقف المسجد ، فتحار العيون في تفاوت ارتفاعها ، فما رُئِيَ في الأرض مسجد أعلى سقفاً منه ، ولا أطول أعمدة ، ولهذا الجامع آثار كثيرة منها بيت يلزاه الخراب عن يمين مستقبل القبلة ، يقال إنه كان مُصَلّى الخليل إبراهيم عليه السلام ، وعليه ستر أسود صونّاه ، ومنه يخرج الخطيب لباساً ثياب السواد للخطبة ، والناس يزدحمون على هذا البيت للصلاة فيه ، وبمقربة هذا البيت عن يمين القبلة محراب محلق عليه بأعواد الساج ، كأنه مسجد صغير مرتفع عن صحن البلاط ، هو محراب عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه ، وفيه ضربه الشّتمى عبدالرحمن بن ملجّم ، فالناس يصلّون فيه باكين داعين ، وفي الزّواية من البلاط القبليّ المتّصل بآخر البلاط الغربيّ شبه مسجد صغير محلق عليه أيضاً بأعواد الساج ، وهو مَفَارُ التَّنُور الذي كان آية نوح عليه السلام ، ويتصل بالجدار القبليّ فضاء ، يقال إنه كان منشأ السفينة .

ومع هذا الفضاء دار عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه - تلقينا هذه الآثار

(١) هو محمد بن أحمد بن جبير الأندلسي البنيّ الرحالة ، قام برحلته الأولى إلى المرق من غرناطة سنة ٥٧٨ ، وعاد إلى وطنه سنة ٥٨١ ، ووصف مشاهدته في كتابه المرق بمرحلة ابن جبير .

عن أشياخ - البلد وفي الجهة الشرقية يت قبر مَسْلَمَة بن عَقِيل ، وفي جوف الجامع سقاية كبيرة فيها ثلاثة أحواض كبار ، وفي غربي المدينة على مقدار فرسخ المشهد الشهير المنسوب لعلي بن أبي طالب حيث بركت ناقته ، وهو محمول عليها ميتاً ، وفيه قبره ، والله تعالى أعلم بصحة ذلك . والفُرات في الجانب الشرقي على قدر نصف فرسخ ، والجانب الشرقي كله حدائق نخل مائة تمتد سوادها امتداد البصر ^(١) .



قوله : « سمرت » أى ذهب نومي . الأديم : الجِلْد ، وأراد أن لون الليلة فيه سواد وبياض ، لأن قرها ناقص ، ولذلك جعله . كتعويذ من الجُبن ؛ وهو خرز فضة ، يُستعمل مستديراً استدارة القمر ، وبعض الدائرة ، فارغ فيربط في الدائرة خيط ، فيعلق في أعناق الصبيان .

[مما ورد في الهلال من الشعر]

وقال فيه السكرادى :

قُمْ سَلِّ هَمِّي بِالْمَدَا	م فففيه هم قد أمضه
أَوْ مَا تَرَى قمر السَّما	ء كأنه تعويذ فضه
فإذا ألمَّ به الحما	ق تخالُه في الخلد عَضَه

وعلى معنى البيت الآخر ، قال إسماعيل القاضي يصف الهلال :

اسقني قبل صاحبي	واخش صرْفِ النواهبِ
فالهلال الذي يلو	حُ خلال الغياهِبِ

مثل فخ اللجين صيد - غ لصيد الكواكب

وقال القاضي أبو محمد عبد الوهاب :

لما رأيت الهلال منطوياً في غرة النجر قارن الزهرة

شبهته والعيان يشهد لي بصولجان أوفى لضرب كره

وقال القاضي أبو الحسن بن لبّال :

انظر إلى الهلال إذ لاح بهي المنظر

كزورق من فضة وسط لجين أخضر

أخذه من قول ابن المعتز :

أهلاً بفطرٍ قد أثار هلاله فالآن فاغدُ إلى المدام وبكر^(١)

وانظر إليه كزورقٍ من فضة قد أثقلته حمولة من عنبر

وله أيضاً :

أهلاً وسهلاً بالنأي والعود وشرب كأسٍ بكفٍ مقدود

قد انتضت دولة الصيام وقد بشر مرأى الهلال بالعيد

يتلو الثرياً كفاجرٍ شره يفتح فاه لأكلٍ عنقود

وقد شبهه ابن المعتز بقلامة الظفر ، فأحسن حيث يقول :

وجاءني في قميص الليل مستتراً يستعجل الخطو من خوفٍ ومن حذر

ولاح ضوء هلالٍ كاد يفضحه مثل القلامة قد قُدت من الظفر

وأخذه من قول الأعرابي :

كُنَّ ابنُ مُزْنِهَا جَانِحًا فَسَيْطُ لَدَى الْأَفْقِ مِنْ خِنْصَرٍ^(١)

ابن مزنّها : الهلال . الفسيط : قلامة الظفر .

قوله : « غدوا » : أى ربّوا به وجعل غذاءهم ؛ واللّبان للآدميات ، واللبن للآدميات وغيرهنّ . سَحَبُوا : جَرَوْا . سَحَبَان : فصيح العرب ، وانظروا فى السادسة عشرة . ذيل النّسان : طرفه ، يريد أنّهم بفصاحتهم أنسوا ذكر سَحَبَان ، فكأنّهم جَرَوْا عليه ثوب النسيان حتى غطّوه ، فلم يذكره أحدهم هؤلاء ، وأصل ذلك أن يُسحب ذيل الثوب على أثرٍ ليخفى ، كقول امرئ القيس :

* تَعَقَى بِذَيْلِ الدَّرْعِ إِنْ جِئْتُ مُوْتَلًى *

وكقوله :

خَرَجْتُ بِهَا تَمْشَى نَجْرًا وَرَاءَنَا عَلَى أَثَرٍ يَنَازِلُ مِرْطًا مُرَحِّلًا^(٢)

قوله : « يُحَفِّظُ عَنْهُ » ، أى هم علماء يروون العلم فيحفظ عنهم . يُتَحَفَّظُ ، يُتَحَذَّرُ ، وأخذ هذا من قول سليمان بن عبد الملك : قَدْ أَكَلْتُ الطَّيِّبَ ، وَلَبَسْتُ اللَّيْنَ ، وَرَكِبْتُ الْفَارَةَ ، وَتَبَطَّنْتُ الْعِذْرَاءَ ، فلم يبق لى من لذتى إلا صديق أطرح فيما بينى وبينه مؤنة التحفظ . فهذا الذى طلبه سليمان وجده الحريرى فى أصحابه ، وأصل التحفظ الاجتهاد فى حفظ الشئ وقلة الغفلة فى الأمور ، كأنه على حذر ، وأنشد ثعلب :

إِنِّى لِأَبْغُضَ عَاشِقًا مَتَحَفِّفًا لَمْ تَهْمِهِ أَعْيُنٌ وَقُلُوبُ

(١) اللسان - فسط ، ونسبه إلى عمرو بن قميئة وهو أيضا فى ديوان الماتى ١ : ٣٣٩

(٢) ديوانه ١٤

(١٣ - شرح مقامات الحريرى ١)

قوله: «يميل الرفيق إليه» ، تقول : ملت إلى فلان، إذا أحببته وتقرّبت منه ، وملت عنه، إذا كرهته وبعُدت عنه. والرفيق: الصاحب يُرتفق به في السفر. قوله : «استهوانا» ، هوى بنا وشغلنا . والسمر : الحديث يُسمر عليه . وذكر الحريري أن أصل السمر ظل القمر ، والسمر : الحديث ، ومنه أخذ السمر ، وغالب أحوال السمر أنهم يتحدثون في ظل القمر - وذكر هذا في تفسير الرابعة والأربعين - وهو الأصل ، ثم لتسع فيه فصار الجلوس بالليل للحديث يسمى سمرًا ، على أي حال اتفق . روق : ضرب رواقه ، والرواق. الثوب يُستظل به من الشمس ، يريد أن الليل ضرب عليهم من ظلامه رواقًا فأنحجب عنهم به القمر . والبهيم : الخالص السواد ، والبهيم الخالص من كل لون . والتهويم : النوم بالليل ، والتغوير : النوم في القائلة ، وقد هَوِمَ الرجل ، إذا أسقط الثعاس رأسه فانتبه بسقوطه فرفعه ، فحقيقته سجود الرأس من النعاس ، قال ذو الرُّمّة في ذلك :

وأشعث مثل السيف قد لآح جسمه وجيف المهارى والمهوم الأبعاد^(١)
سقاء النعاس كأس سكر فرأسه^(٢) لدين الكرى في آخر الليل ساجد

ويقال : خفق رأسه فهو خافق ، قال ذو الرمة :

وخافق الرأس فوق الرّحل قلت له زُع بالزّمام وجوز الليل مَرَكُوم^(٣)
وقال الرصافي^(٤) فأحسن :

ومجدّين للشرى قد تعاطوا غفوات الكرى بغير كبوس
جَنَحُوا وانجَنُوا على العيس حتى خَلَّتْهُمْ يَلْثُمُونَ أيدي العيس
نبذوا الغمض وهو حلّو إلى أن وجدوه سُلافةً في الرموس

(١) ديوانه ١٣٠ .

(٢) الديوان : « سقاء الكرى كأس النعاس وما درى » .

(٣) ديوانه ٥٧٩ . وزع بالزمام ، أى اعطف الناقة بالزمام .

(٤) هو أبو عبدالله محمد بن غالب الرصافي ، وأبيات في ديوانه ١٠٣ .

قوله : « نبأة » ، أى صوت . مُسْتَنْبِح : يحكى نبأ الكلاب ، وكان الرجل إذا تلف بالليل بالصحراء ولم يدر أين يتوجه ، حاكى بصوته نبأ الكلب ، فإن كان قريباً من العمران نبحت أنبأه كلاب الحى ، فسمع أصواتها ، فقصده الحى .
نَسِئُ العرب مَنْ يفعل هذا المستنبح . وأنشد أبو عليّ فى نوادره :

ومستنبحٍ بات الصدى يستتيههُ فتاه وجوز الليل مضطرب الكسْرِ^(١)
رفعت له نازاً ثقباً زنادها تليح إلى السارى: هلم إلى قدري
وقال حسان بن مائل :

ومستنبحٍ فى جُح ليلٍ دعوته بمشوبة فى رأس صمِدٍ مقابل
فقلت له أقبل ، فإنك راشدٌ وإن على النار الندى وابنُ مائل
وقد أنشد أبو تمام فى حماسه فى باب الأضياف فى المستنبح ما فيه كفاية ؛
« قلينظر هنالك .

قوله : « تلها » ، أى تبعها . صكة : دفعة . مستفتح : طالب فتح الباب .
الملم : الزائر : المدهم : الشديد السواد ، من الدهمة ، ولامه زائدة .

* * *

يا أَهْلَ ذَا الْمَغْنَى وَقِيْئِمِ شَرًّا وَلَا لَقِيْئِمِ مَا بَيْتِيْمِ ضُرًّا
قَدْ دَفَعَ اللَّيْلُ الَّذِي كَفَرًّا إِلَى ذَرَاكُمِ شَمِنًا مُّغْبَرًّا
أَخَا سِفَارٍ طَالَ وَاسْبَطَرًّا حَتَّى انْتَنَى مُحَقَّقًا مُّصْفَرًّا
مِثْلَ هِلَالِ الْأَفْقِ حِينَ افْتَرًّا وَقَدْ عَرَا فِنَاءُكُمْ مُّعْتَرًّا
وَأَمْسِكُمْ دُونَ الْأَنَامِ طُرًّا يَبْنِي قَرَى مِنْكُمْ وَمُسْتَقَرًّا

(١) أمالى القالى ١ : ٢١٠ ، ونسب أبو عبيد البكرى فى الآلى هذا الشعر إلى رجل من بنى الحارث بن كعب . وجوز اليل : وسطه ، وكسر البيت : جانبه .

فَدُّوْكُمْ صَيْفًا نَمُوْعًا حُرًّا يَرْضَىٰ بِنَا اِخْلُوْلَىٰ وَمَا اَمْرًا
وَيَنْتَنِي عَنْكُمْ يَنْتِ الْبِرَا

المعنى : المنزل . وقيم : كفيتم ، وإنما دعاهم بهذا ، لأن في حديث أبي سعيد
الخدري رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « يوشك قلوبُ
الناس أن تملأَ شرًّا حتى يجري الشرُّ فضلاً بين الناس فلا يجد قلباً يدخله » .
الكهف : تراكم ظلامه وكثر ذرأكم : منزلكم وكنكم ، وكل ما استقرت
به من ريح أو مطر أو شمس فهو ذرأ . شعثاً : متغير الشعر ، والشعث : ترك غسل
الرأس حتى يتغير . مغبراً : عليه الغبار ، وفي الحديث عن جابر بن عبد الله رضي الله
عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم رأى رجلاً وسخت ثيابه ، فقال : « أما وجد هذا
ما ينقي به ثيابه ! » . ورأى رجلاً شعث الرأس ، فقال : « أما وجد هذا ما يسكن به
شعره ! » . أخاً سفار : صاحب أسفار ، أى ملازم لها . اسبطر : امتد وطال سفره .
انثنى : رجع وعاد . محقوقاً : منحنياً . الألقى : ناحية السماء . افتر : انفتحت أطرافه
ولم يتقارب ، كأنه فرَّ هذا من هذا ، ومنه فررت الدابة ، وافتر : ضحك ، وشبهه
انحناؤه من السفر بدائرة التمر الناقص ، وأكثر ما يوقعون هذا التشبيه على
الانحناء من الكبر ، قال الشاعر :

تقوس بعد مرَّ العمر ظهري وداستني الليالي أي دوس
فأمشي والعصا تهوى أمامي كأن قوامها وتر لقوسي
وقال ابن لبّال :

قوس ظهري للشيب والكبر والدهر ياعمـرؤ كله عبر
كأنتي والعصا تدب معي قوسها وهي في يدي وتر

قوله : « عَرَا » : قصد . فناءكم : منزلتكم ، وفناء الدار : ما أحاط بها من الأرض فحتمه . معتزاً : قاصداً الطلب معروفكم ، أممكم : قصدكم . طُرّاً : أجمع . يبنى قِرَى : يطلب طعاماً ، احلولى : اشتدت حلاوته . يثث : يفسى وينشر . البرّ : الإحسان .

* * *

قال الحارثُ بن همام : فَلَمَّا خَلَبْنَا بِعُدُوبَةٍ نُطْقِهِ ، وَعَلِمْنَا مَا وَرَاءَ بَرْقِهِ ، ابْتَدَرْنَا فَتَحَ الْبَابِ ، وَتَلَقَيْنَاهُ بِالْتَّرْحَابِ ، وَقُلْنَا لِلْغُلَامِ : هَيَّا هَيَّا ، وَهَلُمَّ مَا هَيَّا .

فقال الضيف : وَالَّذِي أَحَنَّنِي ذَارَكُم ، لَا تَلَمَّظْتُ بِقِرَاكُم ، أَوْ تَضَمُّوْا إِلَيَّ أَلَّا تَتَخَذُونِي كَلًّا ! وَلَا تَجَشَّمُوا لِأَجْلِ أَوْ كَلًّا ؛ فُرْبَ أَكَلَةِ هَاضَتِ الْإِكْلِ ، وَحَرَمَتُهُ مَا كَلَّ ، وَشَرُّ الْأَغْيَافِ مَنْ سَامَ التَّكْلِيفِ ، وَآذَى الْمُضِيفِ ، خُصُوصًا أَذَى يَغْتَلِقُ بِالْأَجْسَامِ ، وَيُفْضِي إِلَى الْأَسْقَامِ ، وَمَا قِيلَ فِي الْمَثَلِ الَّذِي سَارَ سَائِرُهُ : « خَيْرُ الْعَمَلِ سِوَا فِرِّهِ » ، إِلَّا لِيُعْجَلَ النَّعْثَى ، وَيُجْتَنَبَ أَكْلُ اللَّيْلِ الَّذِي يُعْثَى ، اللَّهُمَّ إِلَّا أَنْ تَقِدَ نَارُ الْجُورِ ، وَتَحُولَ دُونَ الْهَجُورِ .

* * *

قوله : « خَلَبْنَا » ، أى خدعنا . علمنا ما وراء برقه ، يريد أن ما أبدى لهم من الكلام النصيح دهم على ما عنده من العلم ، كما أن البرق إذا ظهر ولم علم ما وراءه من الطر . ابتدنا : استبقنا ، الترحاب : من قولهم . مرحبا مرحباً . هيا هيا ، أى سق سق . هلم ما هيا ، أى أحضر ما تيسر . لا تلمظت بقراكم : لا تذوقت بطعامكم ،

وأصل التَّمْطُ تَتَبَعَ اللسان ما بقى من الطعام فى الفم بعد الأكل . كَلَا : ثَقِيلاً ،
وفلان كَلَّ عَلَى أهله ، إذا لم يكفهم مؤنة نفسه ، والكَلَّ : الإعياء ، وجمعه كلول ،
وعلى فلان كَلَّ كَثِيرٌ ، قال النابغة الجعديّ :

رَأَيْتُمْ بَنِي سَعْدٍ كُلُّوْلاً كَثِيْرَةً شَهِيدٌ بِذَلِكَ ابْنَا حُمَادِ بْنِ أَحْمَرَ (١)

تَجَشَّمُوا : تَكَفَّوْا . أَكَلَا : طَعَامَا ، والأَكَلَةُ : الغداء والعشاء ، والأصل
فى هذا أَنَّ الأكل بالفتح ، مصدر أَكَلَ ، وبالضمَّ مَا أَكَلَ ، والأَكَلَةُ بالفتح :
المَرَّةُ الواحدة ، وبالضم اللقمة ، وبالكسر هيئة الأكل . هاضت : أضعفت ،
وَأَدَخَلَتْ عَلَيْهِ هَيْضَةً ، وهى التقيء والإسهال ، وأصل المثل : رب أكلة تمنع
أكلات ؛ وقال ابن هرمة :

وَرُبَّتْ أَكَلَةٌ مَنَعَتْ أَخَاهَا بِلَذَّةِ سَاعَةٍ أَكَلَاتِ دَهْرٍ
وَكَمْ مِنْ طَالِبٍ يُشْفَى بِشَيْءٍ وَفِيهِ هَلَاكُهُ لَوْ كَانَ يَدْرِي

وَالْمَأْكَلُ : جمع ما أكلة أو مأكل ، وهى الأكل ، وهى أيضاً ما يؤكل .
سَامَ التَّكْلِيفُ ، أى عَرَضَ مضيفه إلى تَكْلَفَ ما يشقّ عليه . والأذى : الضرر ،
والمضيف : صاحب المنزل . يَفِضُ : يُثْوِل . سار سائرهُ : انتشر التحدّث به
ومشى فى الناس . خير العشاء سوافره ؛ بواكره ، أى مأكل منه بضوء النهار ،
واحدها سافرة ، والسافرة : المرأة التى سَفَرَتْ نقابها عن وجهها ، أى كشفتها ؛
فَكَانَ اللقمة إذا أَبْصَرْتَهَا عند أَكْلِهَا قد سَفَرَتْ الظلام عن نفسها ، وتُجمع على .
سوافر على هذا المعنى ، حكى أبو بكر بن شعبان النحوى ، قال : دخلت على .
محمد اليزيدى وهو يتغدى ، فقال : يا أبا بكر ، خير الغداء بواكره ، فخير العشاء .
ماذا ؟ فقلت : لا أدرى ، فقال : دخلت على حسين بن الخادم ، وهو يتغدى فقال ::

يا أبا سليمان ، خير الغداء بواكره ، فخير العشاء ماذا ؟ فقلت : لا أدري ، فقال : كنت بحضرة الرشيد وهو يتغذى ، فدخل الأصمعي ، فقال : يا أصمعي ، خير الغداء بواكره ، فخير العشاء ماذا ؟ فقال : بواصره ، يعني ما يبصر من الطعام قبل الظلام . وحكى أبو يعقوب في الغداء التأخير . فقال : قال الحكيم - وقيل هو لعلّ ابن أبي طالب رضى الله عنه - من سرّه البقاء ولا بقاء ، فليبكر الغداء ، وليباكر العشاء ، وليخفف الرداء - يريد ثقل الدين .

التعشى : أكل العشاء ، وهو ما يؤكل بالعشيّ . يُعشى : يورث العشاء ، وهو سواد البصر ليلا ، قال ابن دريد :

وأرى العشا في العين أكثر ما يكون من العشاء^(١)

أراد من تأخير العشاء ، لأن أكل الطعام بالليل يحدث ضعف البصر أكثر من غيره ، وقال كشاجم :

ونديمٍ يخالف لا يشاء الذي أشأ^(٢)
هو في الصحو لي أخ وعدوّ إذا انتشى
اقتربت العشاء يو ما عليه نأدهشاً
ساعة ثم قالى لي : العشا يورث العشا

كأن هذا التطبّب أحذه كشاجم من قول [ضيف] الصاحب بن عباد ، قال الصاحب : ما أفحمني أحد كأبى الحسن البديهيّ ، فإنه كان عندي ، فقدّمت إليه فأكّه ، فأمعن في الشمس ، فقلت : الشمس ياطّخ المعدة ، قال : لا يعجبني المضيف

(١) ديوانه ٣٠ . والعشا المقصور داء في العين ، والممدود الأكل عشياً .

(٢) ديوانه ١٠٦ .

إِذَا تَطَبَّبَ ، فَوَدِدْتُ أَنِّي لَمْ أَقْلَهَا .

وورد النهي عن ترك العشاء في حديث أنس رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لَا تَدْعُوا الْعِشَاءَ ، وَلَوْ بَكَفَ مِنْ حَشَفٍ ^(١) » ، وإن تركه مَهْرَمَةٌ .

وقوله : « تحول دون الهجوع » ، أى تمنع من النوم ، وجاء في الحديث النهي عن التكلف ، قال سفيان : ذهبت أنا وصاحب لي إلى سلمان ، فقال : لولا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عن التكلف لتكلفنا لك ، ثم جاء بخبز وماء ، فقال صاحبي : لو كان في ملحنا صفة تر ! فبعث سلمان مطهرته ^(٢) ، فأرهنها ^(٣) ، فجاء بصعتر ، فلما أكلنا قال صاحبي : الحمد لله الذى أفنعتنا بما رزقنا ، فقال سلمان : لو فنت لم تكن مطهرتي مرهونة ! وجاء في حديث جابر رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « نعم الإدام الخل » ، وكفى بالمرء إثماً أن يسخط ما قرب إليه . الهجوع ، أى النوم .

* * *

قال : فَكَأَنَّهُ اطَّلَعَ عَلَى إِرَادَتِنَا ، فَرَمَى عَنْ قَوْسٍ عَقِيدَتَنَا ، لَأَجْرَمَ أَنَا أَنْسَانُهُ بِالْإِزَامِ الشَّرْطِ ، وَأُثْنِينَا عَلَى خَلْقِهِ السَّبْطِ . وَلَمَّا أَحْضَرَ الْغُلَامَ مَارَاجَ ، وَأَذَكِي يَبْنَتَا السَّرَاجِ ، تَأَمَّلْتُهُ فَإِذَا هُوَ أَبُو زَيْدٍ ، فَقُلْتُ لِصَاحِبِي : لِيَهْنِئْكُمْ الضَّيْفُ الْوَارِدُ ، بَلِ الْمَغْنَمُ الْبَارِدُ ! فَإِنْ يَكُنْ أَفَلٌ قَمَرُ الشُّعْرَى فَقَدْ طَلَعَ قَمَرُ الشُّعْرِ ، أَوْ اسْتَسَرَّ بَذَرُ النَّثْرَةِ فَقَدْ تَبَلَّجَ بَذَرُ النَّثْرِ . فَسَرَتْ مُحْيَا الْمَسْرَةِ فِيهِمْ ، وَطَارَتْ السَّنَةُ عَنْ مَا قِيَهُمْ ، وَرَفَضُوا الدَّعَةَ الَّتِي كَانُوا نَوَوْهَا ،

(١) الحشف : ردى التمر . (٢) المطهرة : إناء يتطهر به .

(٣) أرهنها : جعلها رهناً .

وَنَابُوا إِلَى نَشْرِ الْفَسَاكَةِ بِنَدِّ مَا طَوَّوْهَا ؛ وَأَبُو زَيْدٍ مُكَبُّ عَلَى
إِعْمَالِ يَدَيْهِ ، حَتَّى إِذَا اسْتَرْفَعَ مَا لَدَيْهِ ، قُلْتُ لَهُ : أَطَرَفْنَا بَغْرِيَّةً مِنْ
غَرَائِبِ أَسْمَارِكَ ، أَوْ عَجِيَّةً مِنْ عَجَائِبِ أَسْفَارِكَ ..

قوله : «عقيدتنا» ؛ أى ما انعقدت عليه نياتنا، ويقال : زميت عن القوس ،
ولا يقال : زميت بها ، إلا أن ترميها من يدك . لا جرم ، بمعنى حقا . ولا بدّ
ولا محالة . السَّبَطُ : السهل . راج : تيسر . أذكى : أوقد . السَّراج : المصباح .
تأملته : نظرت . ليهنكنكم ، أى ليسرّكم . الوارد : القاصد . المغم البارد : الهنى الذى
يُغْنِمُ دون قتال ولا تعب . أقل : غاب . الشعرى : كوكب معروف ، وهما
شعريان : القبور والغُمُصَاء ، سمّوها عبوراً لأنهم يزعمون أنها عبرت الحجرّة ،
وسموا الأخرى الغُمُصَاء لأنها بكت على أختها حتى غمست عينها . أى خفيت .
استسرّ : غاب وخنى . الثّرة : ثلاثة أنجم مجتمعة . تبلّج : ظهر وأضاء . النثر :
ضد النظم ، يقول : إن غاب قمر السماء الذى يتحدث بضوئه ، فهذا أبو زيد قمر
الفصاحة قد طامع ، فجددوا حديثكم ودعوا النوم .

سَرَتْ : مشت . حمياً المسرّة : شدة السرور ، والحمياً : حدة الخمر وتسمى الخمر
الحمياً . السّنة : أخفّ من النوم . ما أقيمهم : عيونهم ، والمآق : طرف العين من جهة
الأنف . رفضوا : تركوا . الفكاهة : الحديث المظرف ، وأصلها المزاح ، ومنه قولهم :
لا تمازحن صبيّاً ولا تفا كهنّ أمة ، قال ابن الأنبارى : المعنى : لا تمازحنّ ، إلا أنه
استسمح إعادة اللفظ فأتى بلفظ فى مثل معناه ، يخالف للفظه . وتفا كهنّ ، مشتق
من الفكاهة ، وهى المزاح ، وقال طرّنة :

وإن امرأ لم يفت يوماً فسكاهةً لمن لم يُردّ سواها بها لجهول^(١)

ووصف أبو العيناء ابن أبي دؤاد ، فقال : له هزل يؤثّم به ، وجدّ يتقدم الجدّ .
وبين ذلك فكاهة تستملح ، ودعا به تستظرف . ومزح ، مصادره ثلاثة : مزح
ومزاح وممازحة . اليزيدى : المزاح ، بالكسر لا غير . أبو عمرو : ما ذكره اليزيدى
مصدر ما زحت مزاحاً وممازحة .

قوله : «مكبّ» ، أى مائل الرأس . إعمال يديه : استعمالها بالأكل . واسترفع :
أمر برفعه ، ويروى «استفرغ» ، أى أتم . أطرفنا ، أى حدثنا بطريقة ، وهى الحديث
المستملح ، والطرفة عند العرب : الشيء المحدث الذى لم يكن عرف ، وجاء فلان
بطرفة وشىء طريف . وهو مشتق من الطريف والطارف ، وهما المال المستحدث
الذى جمعه الرجل واكتسبه . والتالد : ما ورثه عن الآباء ، قال الشاعر :

وأصبح مالى من طريفٍ وتالدٍ لغيرى وكان المال بالأمس ماليا
أسمارك : جمع سمر ، وهو الحديث يُسمر عليه .

فقال : لَقَدْ بَلَوْتُ مِنَ الْعَجَائِبِ مَا لَمْ يَرَهُ الرَّامُونَ ، وَلَا رَوَاهُ
الرَّامُونَ ؛ وَإِنَّ مِنْ أَعْجَبِهَا مَا عَايَنْتُهُ اللَّيْلَةَ قُبَيْلَ انْتِيَا بِكُمْ ، وَمَصِيرِي
إِلَى بَابِكُمْ ؛ فَاسْتَخْبَرْنَاهُ عَنْ طُرْفَةِ مَرَّاهُ ، فِي مَسْرَحِ مَسْرَاهُ ، فَقَالَ :
إِنَّ مَرَامِي الْغُرْبَةَ ، لَقَطَطَنِي إِلَى هَذِهِ التُّرْبَةِ ، وَأَنَا ذُو مَجَاعَةٍ وَبُوسَى ،
وَجَرَابِ كِفْؤَادِ أُمِّ مُوسَى . فَتَهَضُّتُ حِينَ سَجَا الدُّجَى ، عَلَى مَا بِي مِنْ
الْوَجَى ، لَأَرْتَادَ مُضِيْفًا ، أَوْ أَقْتَادَ رَغِيْفًا ، فَسَاقَنِي حَادِي السَّعْبِ ،
وَالْقَضَاءُ الْمَسْكَنَى أَبَا الْعَجَبِ ، إِلَى أَنْ وَقَفْتُ عَلَى بَابِ دَارٍ ، فَقَلْتُ
على بدار :

قوله: «مالم يره اراءون»، أى الناظرون إليه، وقوله: «ولارواه الراوون» أى حفظه الحافظون. عاينته: شاهدته ورأيته بعيني. انتيابكم: قصدكم. مصيرى: رجوعى. مرآه: رؤيته. مسرح: حيث يسرح ويمشى. مسراه: سيره بالليل. مراى: قواذف التربة: البلدة. مجاعة: جوع. بؤسى: ضرر. جراب: وعاء الزاد. كفؤاد أم موسى، أى فارغاً لقوله تعالى: ﴿وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَى فَارِغًا﴾^(١).

[قصة موسى عليه السلام قبل مبعثه]

وسمى موسى لأنهم وجدوه بين ماء وشجر، ومو بالقبطية هو الماء، وشلا الشجر، فعربت فجعلت الشين سيناً. وهو موسى بن عمران بن يصر بن قاهث بن لاوى بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم عليه السلام، ولم تزل بنو إسرائيل من عهد يوسف عليه السلام تحت أيدى الفراعنة، وهم على بقايا من دين إبراهيم عليه السلام المشروع له وإسحاق ويعقوب ويوسف عليهم الصلاة والسلام، حتى كان فرعون الذى بعث موسى عليه السلام إليه، ولم يكن منهم فرعون أعتى على الله منه ولا أطول عمرا. وكان شديد الغاظة سبى الملكة. واسمه الوليد بن مصعب، وكان اتخذ بنى إسرائيل خولاً، فصنّف منهم يبنون، وصنّف مبحرثون، ومن لا عمل له وظف عليه الجزية، فرأى فى منامه أن ناراً أقبلت من المقدس، فأحرقت القبط وتركت بنى إسرائيل، فسأل عن رؤياه، فقيل له: يخرج من هذا البلد الذى جاء بنو إسرائيل منه رجل يكون على يديه هلاك مصر، فأمر بقتل كل مولود يولد فى بنى إسرائيل. فجمع القوايل وعهد إليهن بذلك، فذبح الولدان وعذب الحبالى، حتى يطرحن ما فى بطونهن، حتى كاد يفتنهم، فقيل له: إنهم خولك، وإنك إن تفتنهم ينقطع النسل. فأمر بقتل الفلمان عاماً ويُسْتَحون عاماً، فولد هارون فى السنة التى يستحيون فيها. وولد موسى فى السنة التى يقتلون فيها.

فلما وضعت أمه حزنّت لشأنه، فأوحى الله إليها: أن أرضعيه، فإذا خنت.

عليه فألقيه في اليمّ - وهو النيل - ولا تخافي ولا تحزني. فعمات تابوتا وجعلته فيه ، وألقيته في اليمّ ، وقالت لأخته: قصّيه ، أي اقتني أثره ، فعمله الماء حتى أدخله بين أشجار تحت قصر فرعون ، فخرج جوارى فرعون يفتسلن ، فوجدن التابوت ، فأدخلنه إلى آسية امرأة فرعون ، وهى بنت مزاحم ، إسرائيلية ، فكشفت عنه التابوت ، فرأته . فرحمته وأخذته ، وأخبرت به فرعون ، فأراد أن يذبحه ، وخشى أن يكون المولود الذى حُدِّرَ منه ، فلم تزل به آسية حتى تركه لها ، وذلك قوله تعالى : ﴿ فَالْتَقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا ﴾ ^(١) ، فاللام من ﴿ ليكون ﴾ للعاقبة ، ولم يكن لفرعون ولد ، فاتَّخَذَهُ له ولدا ، فارتادوا له المرضعات ، فلم يقبل ثدى واحدة منهن ، ولما غاب أمره عن أمه ، كاد قلبها يطير وجداً عليه ، فبعثت أخته نأثها تلتمس رضاعه ، فلما رأت أسفهم عليه حيث لا يقبل على مرضعة - وذلك قوله تعالى . ﴿ وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ الْمَرَاضِعَ مِنْ قَبْلُ ﴾ - قالت : هل أدلكم على أهل بيت يكفلونه لكم ؟ فقالوا لها : دلينا على ذلك ، فذهبت فجاءت بأمه .

فلما رأت أنه كادت لشدة حبها فيه ، وزرحها به أن تقول: هو ابني ، وتفتضح ، فعصمها الله من ذلك ، وذلك قوله تعالى : ﴿ وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَى فَارغًا إِنْ كَادَتْ لَتُبْدِيَ بِهِ لَوْ أَنَّ رَبَّنَا عَلَيَّ قَلْبًا ﴾ ، فأعطته ثديها ، فأخذ يرضعه . فربته في قصر فرعون ، فلما تحرَّك عرضته آسية على فرعون ، فلما أخذه مدموسى يده إلى لحيته فنتفها ، فقال فرعون : علىَّ بالذباحين ، فإنما هو هذا ! فقالت آسية : قُرَّة عينى لى ولك ، لا تقتلوه فإنه صبى لا يعقل ، ودعت له بحمر وياقوت لتختبره ، فطرح جبريل عليه السلام يده في النار وأخذ قطعة منها ، فوضعها موسى عليه السلام في فيه ، فأحرقته . فتركه فرعون ، فكبر في حجره . فلما ترعرع تبناهُ ، فكان يركب مراكبه ويلبس ملابسه ، ويدعى ابن فرعون .

ثم إن موسى عليه السلام أخبر أن فرعون قد ركب ، فركب أثره ، فأدركه ببلد منف ، فدخلها وقد أُحْدِثَتْ لفرعون وليس في طرقتها أحد ، فرأى إسرائيليا مع قبطيّ يقتتلان ، فاستغاثه الإسرائيليّ ، فوكز القبطيّ فقتل عليه ، فكان من قصته معهما ما قص الله تعالى في كتابه ، حتى خرج خائفا يترقب إلى مدين .
وأما رجوعه منها إلى فرعون بأنه رسول الله إلى أن غرق فرعون في البحر وجنوده ، فمذكور في الثامنة عشرة .

* * *

قوله : « نهضت » ، أى مشيت . سجا الدجى : سكن بالظلام وغطى كل شىء . الوجى : الحفا . أرتاد : أطلب . مضيّفاً : منزلاً ، وأضافه : أنزله . وضافه : نزل به فهو ضيفه ، أى النازل به . اقتاد : أقود . حادى السغب : سائق الجوع .

* * *

وَعِشْتُمْ فِي خَفْضِ عَيْشٍ خَضِلٍ	حَيْتُمْ يَا أَهْلَ هَذَا الْمَنْزِلِ
نَضَوْ سُرَى خَابِطٍ لَيْلٍ أَلِيلٍ	مَا عِنْدَكُمْ لَا بَنِي مَبِيلٍ مُرْمِلٍ
مَا ذَاقَ مُذْيُومَانِ طَعْمَ الْمَاكِلِ	جَوِيَ الْحَنَى عَلَى الطَّوَى مُشْتَمِلٍ
وَقَدْ دَجَا جُنْعُ الظَّلَامِ الْمَسْبِلِ	وَلَا لَهُ فِي أَرْضِكُمْ مِنْ مَوْنٍ
قَهْلٍ بِهَذَا الرَّبْعِ عَذْبُ الْمَنْهَلِ	وَهُوَ مِنَ الْحَيَرَةِ فِي تَمَلُّلٍ
وَأَبْشِرْ بِبَشِيرٍ وَقِرَى مُعْجَلٍ !	يَقُولُ لِي : أَلْقِ عَصَاكَ وَادْخُلِ

* * *

حَيْتُمْ : طابت حياتكم ، والتحية البقاء . خفض : لين . وخفض عيشه خفضاً ، إذا أخصب . خضل : ناعم ، وخضل الشىء يخضل خضلاً : ابتل . ابن سبيل : خاطر طريق ، وهو الغريب ، وسُمي الغريب ابن السبيل ، لأنه إذا ظهر على قوم لا يعرفونه لم يُعرف له نسب إلا السبيل الذى جاء منه . ومرمِل : لا زاد له ، وأرمل القوم : نفى زادهم

ومن أبيات اللغز في ابن السبيل :

ونحنُ ابنَ مَنْ لا يَنْكِرُ النَّاسَ فَضْلَهُ وليس له في الناس من طالبٍ وترا
فإنَّ تَحَنُّنَوا فِينَا أَبَانَا فَحَقَّنَا رَعَيْنَتْهُ وَإِلَّا أَوْقَدَتْ نَارَكُمْ شَرًّا

أى سيتم في كل مكان ، كما قال الآخر :

وأنت الذى شَيْبَتْنِي قَبْلَ شَيْبَتِي وأوقدت لى ناراً بكلِّ مكانٍ

ومنها أيضاً :

وأحيانا يكون كبير سنٍ وأحيانا يكون من الشبابِ
ومنسوب إلى مَنْ لم يلد كذلك الله أنزل في الكتابِ

قوله : «نضو سُرى» ، أى هزىل من مشى اللَّيْل في الأسفار . وابط ليل :
الذى يمشى فيه على غير هداية . أَلَيْل : شديد السواد . جوى الحشى : فاسد
الجوف من الجوع ، وهو الطوى . مشتمل : منضم ، أى قد انضمَّ جوفه على
الجوع ، ففسدت أحشاؤه . موئل : ماجأ ، من وألت إلى كذا ، أى لجأت . دجا :
ألبس . جنح : سواد : المسيل . المطبق . تملل : تقلب وتوجع . والرَّبع : المنزل ،
والمهل : موضع الماء .

ويقال : ألقى عَصَاهُ ، إِذَا تَرَكَ السَّيْرَ وَأَقَامَ ، وروى الأصمعي عن بعض البصريين
أنه قال : سُمِّيتِ الْعَصَا عَصًا لِأَنَّ الْيَدَ وَالْأَصَابِعَ تَشْتَمِلُ عَلَيْهَا ، وهو من قول العرب :
عَصَوْتُ الْقَوْمَ إِذَا جَمَعْتَهُمْ عَلَى خَيْرٍ أَوْ شَرٍّ ، ويقال : عُصِيََ بِالسَّيْفِ يُعَصَى إِذَا
خُضِبَ بِهِ كَمَا يُضْرَبُ بِالْعَصَا . بشر : طلاقه وجه .

قَالَ : فَبَرَزَ إِلَى جَوْذَرٍ ، عَلَيْهِ شَوْذَرٌ ، وَقَالَ :
 وَحُرْمَةُ الشَّيْخِ الَّذِي سَنَّ الْقِرَى وَأَسَّسَ الْحَجَّوجَ فِي أُمِّ الْقِرَى
 مَا عِنْدَنَا لِطَارِقٍ إِذَا عَرَى سَيَوَى الْحَدِيثِ وَالْمَنَاخِ فِي الذَّرَا
 * فَتَا تَرَى فِيمَا ذَكَرْتُ مَا تَرَى *

* * *

برز : خرج . جؤذر : ظبي ، وأصله ولد الغزالة . الشوذر : ثوب قصير .

[إبراهيم عليه السلام]

والشيخ الذي سَنَّ الْقِرَى ، هو إبراهيم عليه السلام ، واختصّه بقلب الشيخ
 لأنه أَوَّلُ مَنْ شَابَ ، ولما رأى الشيب ، قال : ياربِّ ، ما هذا ؟ فأوحى الله إليه ،
 يا إبراهيم ، هذا وقار ، فقال : ياربِّ زدني وقاراً . وشاب وهو ابن مائة وخمسين
 سنة ، وذلك أنه لَمَّا وَلَدَتْ سَارَةُ إِسْحَاقَ ، قال الكنعانيون : ألا تعجبون لهذا
 الشيخ والعجوز وجداً غلاماً ، فتبنياه ! فنصَّوْهُ اللهُ إِسْحَاقَ عَلَى صُورَةِ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِمَا
 السَّلام ، فلم يفصل بينهما ، فوشم الله إبراهيم بالشيب .

قوله : «سَنَّ» : ابتدأ ، وجعله سُنَّةً ، وهو أول مَنْ صَيَّفَ الضيف ، وأطعم
 المساكين ، وقصَّ شاربه ، وقلم أظافره واستحدَّ واستاك ، وفرَّق شعره ، ومضمض
 واستنثر ، واستنجد بالماء . وأسَّسَ الْحَجَّوجَ ، أى بنى أساس البيت الحرام .
 وأُمُّ الْقِرَى : مكَّة . والطارق : الآتى بالليل . والمناخ : موضع البروك . بقرى :
 يُصَيِّفُ . الكرى : النوم . برى أعظمه ، أى أزال اللحم عنها . انبرى : اعترض .

[مما قيل في القِرَى والأضياف]

وقال حبيب في أنَّ أَوَّلَ مَنْ قَرَى الضيف إبراهيم عليه السلام :
 للجدِّ سَهْمٌ فِي الْمَكَارِمِ وَالتَّقَى لَا رَبَّ الْمَكْدَى وَلَا الْمَسْهُومُ^(١)

(١) ديوانه ٣٠٠ ، والمكدي : الفقير ، والمسهوم : الضامر .

وبيان ذلك أن أول من قرى وحبا خليلُ الله إبراهيمُ
وقال أبو بحر صفوان بن إدريس في فتى اسمه إبراهيم ، وأبدع ما شاء
حيث قال :

أَسَمِيَّ مِنْ سَنِّ الْقِرَى رَقْعًا بِنِ	يَفْنَى عَلَيْكَ صَبَابَةٌ وَغَرَامَا
أَنَا ضَيْفُ حَسَنِكَ فَاصْطِنِعْنِي إِنْهُ	ضَيْفُ الْمُهْوِ يَسْتَوْجِبُ الْإِكْرَامَا
لَمَّا نَظَرْتَ نَجُومَ خِيَلَانٍ بَدَتْ	فِي حَنِّ وَجْنَتِكَ اسْتَفْدَتْ مُقَامَا
أَفْنَيْتَ جِسْمَ الصَّبِّ شَوْقًا مِثْلَهَا	أَفْنَى سَمِيِّكَ قَبْلَكَ الْأَصْنَامَا
يَا زَهْرَةً سَكَنْتَ فَوَادَى غَضَّةً	إِنِّي تَبَوَّأْتُ اللَّهْيَبَ كَمَا مَا
حَتَّى كَأَنَّ الْحَبَّ قَالَ لِأَضْلُعِي :	يَا نَارُ كُنْ بَرْدًا لَهُ وَسَلَامَا

وقال أبو بكر بن ميمون فيما يتعلق بهذه النار :

أَبَا قَاسِمٍ وَالْمُهْوِ جَنَّةً	وَإِنِّي مِنْ حَرِّهَا لَمْ أَفِئْ
تَقَحَّحْتُ جَا حِمَّ نَارِ الْحَشَى	وَحَضْتُ بِحَارِ سَوَادِ الْحَدَقِ
أَكُنْتُ الْخَلِيلَ وَكُنْتُ الْكَلِيمَ	أَمَنْتُ الْجَوَى وَأَمَنْتُ الْفَرْقَ !

انظر إلى الأضياف الرابطة والأربعين .

فَقُلْتُ : مَا أَصْنَعُ بِمَنْزِلِ قَفَرٍ ، وَمَنْزِلِ حِلْفٍ قَفَرٍ ! وَلَكِنْ
يَافَتِي ، مَا اسْمُكَ ، فَقَدْ قَتَنْتَنِي فَهَمُّكَ ؟ فَقَالَ : اسْمِي زَيْدٌ ، وَمَنْشِيءٌ فَيْدٌ ،
وَوَرَدَتْ هَذِهِ الْمَدْرَةُ أَمْسٍ ، مَعَ أَخَوَالِي مِنْ بَنِي عَبَسٍ .

قوله : « بمزل قفر » ؛ كأن هذا المنزل هو الذى وصفه الآخر حيث يقول :

نيس إغلاقى لبابى أنَّ لِى فيه ما أخشى عليه السرَّقا
إنما أغلقته كى لا يرى سوء حالى من يمرَّ الطُّرُقا
منزلُ أوطنهُ الفقْرُ فلو يدخل السارق فيه سرَّقا

[نبذ وحكايات فى البؤس والحرمان]

إنما أخذ الحريرى هذا المعنى من قصة يزيد المدنى ، وكان من أهل المالح ، فاستضافه أعرابى ، فقال : ما عندنا إلا الأسودان ، فقال الأعرابى : خير كثير ، فقال : لملك تظنهما التمر والماء ! والله ما هما إلا الليل والحرّة ، فلم يكن ليزيد دارٌ إلا الحرّة - وهى أرض سوداء فيها حجارة سود ، وهى مقبرة المدينة - والقبور المخصّصة تكون بالليل موحشة ، فما ظنك بقبور سود فى أرض سوداء فى ظلمة الليل ! كيف حال من يكون هذا قِراه ! فبهذا البلاء أعرض يزيد عن ضيافة الأعرابى . ونحو هذا من أقوال المازحين قول أبى الشمقمق - ويروى عن وهب عابد قرطبة :

برزتُ من المنازل والقباب فلمنزلى النضاء وسقفُ بيتى
وإني لم أجد مصراع بيتٍ ولا انشقَّ الثرى عن عودنحتٍ
ولا خفتُ الإباق على عبيدى وفى ذا راحةٍ وفراغٍ بالٍ
فدأب الدهر ذا أبدأ ودأبى (١٤ - شرح مقامات الحريرى ١)

وقال آخر :

ولما التمت الرزق فانبجذ حبله
خطبت إلى الإعدام إحدى بناته^(١)
فأولدها الحرف الشقي فماله
فلوتهت في البیداء والليل مسبل
ولو خفت شرًا فاستترت بظله^(٢)
ولو جاد إنساب على بدرهم
ولو يطمّر الناس الدنانير لم يكن
وإن يقترب ذنبًا ببرقة مذنب
وإن أر خيرًا في الأنام فنازع
أمامي من الحزمان جيش عرمرم

وقال آخر :

لو ركب البهار صارت أجابا
ولو أنى وضعت ياقوتة حم
ولو أنى وردت عذبا فراتا

وقال آخر :

لو وردت البحار أطلب ماء
أو مسست العود النضير بكنى
أورى باسمي النجوم الدارارى
ولو أنى بعث القناديل يومًا
جف قبل الورود ماء البحار
لنوى بعد بهجة واخضرار
لا نزوى ضوءها عن الأبصار
أدغم الليل في ضياء النهار

(١) ط «من الإعدام» ، وما أثبتته من ا ، ب .

(٢) ط : «بظلمة» .

وقال شواش :

كسدت شواشيننا وقلّ معاشنا فسعودنا مقرونة بنحوس
فكأنما قُطعت رءوس الناس أو خُلِقوا لشقوتنا بغير رءوس
قيل لأبي الشمقمق : أبشّر فإنّا روينا في الحديث : « العارون في الدنيا هم
الكاسون يوم القيامة » ، فأنشأ يقول :

أنا في حالٍ تعالى الله ربي أي حال
ليس لي شيء إذا قيلَ لِمَنْ ذا ؟ قلتَ ذا لي
فأراضي الله فرشي والسّموات ظلالِي
ولقد أفلستُ حتّى حلّ أكلِي لِعِيَالِي
من رأى شيئاً محالاً فأنا عين المحالِ
لو يَبْقَى في الناس خُرٌّ لم أكن في مثل حَالِي
قوله : « منزل » ، أي مضيف . حلف : صاحب . منشئ : موضعي الذي
نشأت فيه .

[ذكر مدينة فيد]

وقَيْدُ بلد مشهور ، في نصف المسافة التي بين مكة وبغداد ، وفيها عين ماء ،
وينزلها عمال طريق مكة وأهلها من طيّء ، وهم في سَفْح جبلهم المعروف بسلي ،
وقد ذكرها زهير في قوله :

ثم استمرّوا وقالوا إن مشربكم ماء بشرق سلى قَيْدُ أوركك^(١)
قال الزجاجي : سميت بنيد بن حام ، وهو أول مَنْ نزلها ، قال : ويقول
أهل العراق : هي من قولهم : فاد الرجل يفيداً إذا مات ، أو من قولهم : استناد
فائدة ، وقلما يقولون : أفاد فائدة ، والفيد أيضاً نور الزعفران . قال شيخنا ابن جبير^(٢)

(١) ديوانه ١٦٧ ، وركك : اسم ماء بعينه ، وفي ط : « ركل » تحريف .

(٢) ط : « جرير » ، تصحيف .

رضى الله عنه : إنه خرج من مدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم بضخوة يوم السبت الثامن من الحرم سنة سبع وتسعين مع أمير الحاج ، وصَبَّحُوا فَيَدًا يوم الأحد في اليوم الرابع عشر من خروجهم . ثم وصفها فقال : هي مِصْرٌ كبير ، منفرج في بسيط من الأرض ، يمتدُّ حوله رَكْبُ ، يطيف به سور عتيق . وهو معمور بسكان من الأعراب يتعيشون^(١) من الحجاج في التجارات والمبايعات وغير ذلك من المرافق ، وفيها يترك الحجاج بعض أزوادهم إعداداً للإرمال^(٢) من الزاد عند انصرافهم يتركونها عند معارفهم بها ، فإذا رجعوا أخذوا أزوادهم ، ووهبوا لمن أودعوها عندهم شيئاً من ذلك .

وهي نصف الطريق من بغداد إلى مكة أو أقلَّ يسيراً ، ومنها إلى الكوفة اثنا عشر يوماً في طريق سهلة . ودخلها أمير الحاج على تعبئة وأهبة إرهاباً للمجتمعين بها من الأعراب لئلا يداخلهم الطمع في الحاج ، لكنهم لا يجدون إليهم سبيلاً والحمد لله . والمياه كثيرة في آبارها ، تمدّها عيون تحت الأرض ، وامتلأت أيدي الحجاج القادمين من أغنام العرب بالمبايع ، فلم يبق خيمة ولا ظلالة إلا وإلى جانبها كَبْشٌ أو كبشان ، بحسب الوجد ، فعمّ جميع الحلة الغنم واللبن والسمن والعسل ، فأكلوا واحتملوا ، وكان ذلك اليوم عيداً للركب .

قال : وبهذه الحلة العراقية ، وما انضاف إليها من الخراسانية والموصلية وسائر جهات الآفاق ينزل من صحبة أمير الحاج جمعٌ لا يحصى عددهم إلا الله تعالى ، يفصّ بهم البسيط الأفيح ، ويضيق بهم المهمة الضحضح ، فتري الأرض تميد بهم مَئيداً ، وتموج بجمعهم موجاً ، فتصير بهم بحراً طامي العباب ، ماؤه السراب ، وسفينته الركاب ، وشراعه الظلال المرفوعة والقباب ، ويسير سير السحاب ، متداخلا بعضها على بعض ، فتعاین تزاخما في البراح المنفسح يهولُ ويُروع ، واصطكاكا

(١) رحلة ابن جبير : « يتعيشون » .

(٢) أرمال القوم : نندزادهم .

لمبيع التجارات فيه ، فبعضها ببعض متروع ؛ فمن لم يشاهد هذا السفر العراقي لم يشاهد عجباً يتحدث به ، ويتحف السامع بغرائبه ، والقدرة والقوة لله وحده . وحسبك أن النازل في منزل من هذه الحلة متى خرج لبعض حاجاته ، ولم يكن له دلالة على موضعه ضلّ وتاب ، وعاد منشوداً بجملة الضوال ، وربما اضطر به الحال إلى الوصول لمضرب الأمير ورفع المسألة إليه ، فيأمر أحد النشدين بما أعدّ لذلك ، فيردفه خلفه على جمل ، ويطوف به الحلة منادياً باسم جماله وبلده ، إلى أن يؤدّيه إلى رفقته .

وعجائب هذه الحلة كثيرة ، ولأهلها من اليسار ما يغنيهم على ما هم بسبيله .^(١)

وما ذكرنا أمر هذه الحلة إلا ليستدل على أن فيها بلداً في غاية القوة والعمارة ، حيث أمدّ هذا الجمع الكثير والجم الغنير بما تقدم من أنواع الأرزاق ، وإن قبائل طيء متوفرة بحيث تطلع إلى الغارة على مثل هذه الحلة . والملك لله وحده مني الجميع بعد كمال العدة .

قوله : «وردت» ، أى أتيت . المدرة : البلد . عبس : قبيلة .

فَقُلْتُ لَهُ: زِدْنِي إِیْضَا حَا ، عَشْتِ وَنُعِشْتِ ، فَقَالَ : أَخْبَرْتَنِي أُمِّي بِرَّةُ ، وَهِيَ كَانِمَهَا بِرَّةُ ؛ أَنَّهَا نَكَحَتْ قَامَ الْغَارَةِ بِلَاوَانَ ، رَجُلًا مِنْ سَرَاةِ سَرُوجِ أَوْغَسَانَ ، فَلَمَّا آتَسَ مِنْهَا الْإِثْقَالَ - وَكَانَ بَاقِعَةً فِيهَا يُقَالُ - ظَعَنَ عَنْهَا سِرًّا ، وَهَلُمَّ جَرًّا ، فَمَا يُعْرِفُ : أَحَىُّ هُوَ فَيَتَوَقَّعُ ، أَمْ أُوْدِعَ اللَّحْدَ الْبَلَقَعَ .

قال أبو زيد : فَعَلِمْتُ بِصِحَّةِ الْعَزَمَاتِ أَنَّهُ وَلَدِي ، وَصَدَقَنِي

عن التَّعْرِفِ إِلَيْهِ صَفَرُ يَدِي، فَفَصَلْتُ عَنْهُ بِكَبِدِ مَرْضُوضَةٍ، وَدُمُوعِ
مُفَضُّوْضَةٍ. قَهْلَ سَمِعْتُمْ يَا أُولَى الْأَلْبَابِ، بِأَعْجَبَ مِنْ هَذَا الْعُجَابِ!
فَقَلْنَا: لَا وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ، فَقَالَ: أَثْبَتُوهَا فِي عِبَائِبِ
الْإِتِّفَاقِ، وَخَلِّدُوهَا بِطُورِ الْأَوْرَاقِ، فَمَا سِيرَ مِثْلَهَا فِي الْآفَاقِ.
فَأَحْضَرْنَا لِدَوَاةٍ وَأَسَاوِدَهَا، وَرَقَشْنَا الْحِكَايَةَ عَلَى مَاسَرَدَهَا.

* * *

إيضاحاً: بياناً. نُفِشت: جُبرت. وبرّة الأول اسمها والثاني صفتها، يريد
أنها مكرمة كثيرة البرّ. نكحت: تزوجت. عام الغارة، أى عام أغار عليهم
عدوهم. ماوان: بلدة. سراة: سادة. آنس: أبصر. والإتقال: الامتلاء
بالولد. باقعة: داهية، ويقال: إنه الذى جال بقاع الأرض وعرف خيرها
وشرها.

قال ابن الأنبارى رحمه الله: فلان باقعة، أى داهية حذر محتل حاذق، والباقعة
عند العرب: الطائر الحذر المحتال الذى يشرب الماء من المباح^(١)، ولا يردُّ
المشارع والمياه المحصورة خوفاً من أن يُحتال عليه فيُصطاد، ثم شبه به كل حذرٍ
محتال. هلم جرّاً، معناه إلى الآن، قال ابن الأنبارى: هلم جرّاً، سيروا على
هينتكم، أى تثبتوا على سيركم، ولا تجهدوا أنفسكم ولا تشقوا عليها، أخذ
من الجرّ فى السوق، وهو أن تترك الغنم والبقر ترعى فى البئر، وينتصب «جرّاً»
فى قول الكوفيين على المصدر، لأن فى «هلم» معنى «جرّ»، وفى قول البصريين:
هو مصدر فى موضع الحال تقديره «هلم جارّين» أى مستتبّتين، قياساً على: جاء عبداً الله
مشياً، وأقبل ركضاً، وجاء وأقبل عند الكوفيين بمعنى مشى وركض.
وقال بعضهم: ينصب على التمييز. يُتوقع: يُنتظر. أودع: أدخل. اللحد البلقع:

(١) المباح: الأمكنة يستقى منها الماء.

الحد الخالي . صدقني : أمانتي . التعرف : أن يعرفه أنه أبوه . صقر يدي : فراغها من الدراهم . فصلت : زلت . مرضوضة : مدقوقة مكسورة . مفضوضة : مفترقة . أولى الألباب : أهل العقول . العُجاب : مبالغة في العجب .

خلدوها ، أى أثبتوها . الآفاق : البلدان وجهات الأرض جميعها . أسودها : أقلامها . رقشنا : كتبنا . على ما سردها ، أى كما حكاهما وتكلم بها .



ثم استبطنناه عن مُرتآه ، في استضمام إفتاه ، فقال : إذا ثقل رُدُنِي ، خَفَّ عَلَيَّ أَنْ أَكْفُلَ ابْنِي ؛ فَقُلْنَا : إِنْ كَانَ يَكْفِيكَ نِصَابُ مِنْ الْمَالِ ، أَلْفَنَاهُ لَكَ فِي الْحَالِ ؛ فَقَالَ : وَكَيْفَ لَا يُقْنِعُنِي نِصَابُ ، وَهَلْ يَحْتَقِرُ قَدْرُهُ إِلَّا مُصَابُ !

قال الراوى : فالترَمَ مِنْهُ كُلُّ مِثْلٍ قِسْطًا ، وَكَتَبَ لَهُ بِهِ قِطًّا ، فَشَكَرَ عِنْدَ ذَلِكَ الصَّنِيعَ ، وَاسْتَنْفَدَ فِي الشَّاءِ الْوُسْعَ ، حَتَّى إِنَّا اسْتَطَلْنَا الْقَوْلَ ، وَاسْتَثَلْنَا الطَّوْلَ . ثُمَّ إِنَّهُ نَشَرَ مِنْ وَشَى السَّمَرِ ، مَا أَرْزَى بِالْجَبْرِ ، إِلَى أَنْ أَظْلَّ التَّنْوِيرَ ، وَجَشَرَ الصَّبْحَ الْمُنِيرَ ، فَقَضَيْنَاهَا لَيْلَةً غَابَتْ شَوَائِبُهَا ، إِلَى أَنْ شَابَتْ ذَوَائِبُهَا ، وَكَمَلَ سَعُودُهَا ، إِلَى أَنْ انْفَطَرَ عُودُهَا .

استبطنناه : سألناه وطلبنا منه معرفة باطنه . مُرْتَاه : رأيه وغرضه . رُدْنِي : كَتَيْ . أ كفل : أضْم . نصاب : عشرون ديناراً . أَلْفَنَاه : جمعناه . يَتَمَعْنِي : يكفيني . مصاب : مجنون . قوله : « قسطاً » ، أى نصيباً . قِطًّا : كتاباً . الصنع : الفعل الجميل . استنفذ : استتم . الوسع : الطاقة ، ووُسْع الرجل قدر ما يجد من مال أو كلام أو غير ذلك ، وهو من السعة ، أى أثنى غاية ما يمكنه من الثناء . استطلنا : استكثرنا ووجدناه كثيراً طويلاً ، والطَوَّل : الإِنعام والفضل ، أى رأينا ما أُنعمنا به عليه قليلاً . والوَثْئِي : ثياب مرقومة بألوان شتى من الحرير . والحَبَر : ثياب فيها خطوط ورقوم مختلفة ، والحَبَر تصنع باليمن ، فشبّه حسن حديثه بالوشى ، وخصّ الحَبَر لحسن فنونه . وقال ابن الزقاق - وكأنه وصف الليلة والعجاب الذى سامرهم به أبو زيد ، وزاد عليه الشجاعة :

لِلَّهِ لَيْلَتُنَا الَّتِي اسْتَجَدَى بِهَا فَلَقَى الصَّبَاحَ لِسُدْفَةٍ الْإِظْلَامِ^(١)
طَرَأَتْ عَلَى مَعَ النُّجُومِ بِأَنْجَمٍ مِنْ فَتِيَةٍ بِيضِ الْوُجُوهِ كِرَامِ
إِنْ حَوْرَبُوا فَزِعُوا إِلَى بِيضِ الطُّبَا أَوْ خَوَطَبُوا فَزِعُوا إِلَى الْأَقْلَامِ
فَتَرَى الْبَلَاغَةَ إِنْ نَظَرْتَ إِلَيْهِمْ وَالْبَأْسَ بَيْنَ يِرَاعَةٍ وَحُسَامِ

جَتر : طلع . قضيناها : أتمناها . شوائبها : ما ينكدها ويكدرها .
الدَّوَاب : الشعر الطويل الأسود ، وأراد به ظلام الليل ، وجعل فيه بياض
الصباح بمنزلة الشيب فى سواد الشعر ، قال ابن دريد :

إِنَّمَا تَرَى رَأْسِي حَاكِي لَوْنِهِ طُرَّةَ صَبْحٍ تَحْتَ أَذْيَالِ الدَّجَى^(٢)

(١) ديوانه ٢٩٨ .

(٢) من المقصورة ص ١١٧

انفطر : انشقّ وطلع . عودها : بياض صبحها ، ويقال : انفطر القضيبي ،
إذا بدأ نبات ورقه ، وقال امرؤ القيس :

* كخُرُوبَةِ البَانَةِ المنفطر^(١) *

* * *

وَلَمَّا ذَرَّ قَرْنُ الْغَزَالَةِ ، طَمَرَ طُمُورَ الْغَزَالَةِ ، وَقَالَ : اَنْهَضْ بَنَّا
لِنَقْبِضَ الصَّلَاتِ ، وَلِنَسْتَنْصِ الْإِحَالَاتِ ، فَقَدِ اسْتَطَارَتْ صُدُوعُ
كَبِدِي ، مِنْ الْحَنِينِ إِلَى وَلَدِي . فَوَصَلْتُ جُنَاحَهُ ، حَتَّى سَنَيْتُ
نَجَاحَهُ ؛ فَحِينَ أَحْرَزَ الْعَيْنَ فِي صُرَّتِهِ ، بَرَقَتْ أُسَارِيرُ مَسَرَّتِهِ ،
وَقَالَ لِي : جُزَيْتَ خَيْرًا عَنْ خُطَا قَدَمَيْكَ ، وَاللَّهُ خَلِيفَتِي
عَلَيْكَ ! فَقُلْتُ : أُرِيدُ أَنْ أَتَّبِعَكَ لِأَشَاهِدَ وَلَدَكَ النُّجِيبَ ،
وَأُنَافِقَهُ لِكَيْ يَجِيبَ .

* * *

قرن الغزالة : شعاعها وحاجبها ، والغزالة من أسماء الشمس ، وأسمائها
كثيرة ؛ ذكرها يعقوب وغيره ، وذكر منها عشرة خمسة بالماء ، وهي : الغزالة ،
والجارية ، والجلونة ، ومهاة ، والإلاهة . وخمسة بنير الماء وهي : الشمس ،
والسراج ، والضَّحَّ ، وذُكَاء ، وبُوح^(٢) .

طمر : وثب . الغزالة : الظبية . انهض أي قم . الصَّلَات : العطايا . نستنص :
نستحضر . والنَّاض : المال الحاضر . والإحالات : الديون التي وعدوه بها .
استطارت : توسعت وانتشرت . صُدُوع : شقوق . والحنين : الشوق والرحمة .
وصلتُ جناحه ، أي مشيت معه ويدي في يده ، وجناح الرجل : يده . سنيت :

(١) ديوانه ٥٧ ، صدره :

* بَرَهْرَهَةٌ رُودَةٌ رَخْصَةٌ *

(٢) مبادئ اللغة العربية ٣ ، وذكر من أسمائها أيضا براح والشرق .

يسرت . نجاحه : قضاء حاجته . أحرز العين : حصل المال . وصُرتَه : خرقة -
دراهمه . برقت : لمعت . أسارير : طرق الوجه ، ومنه الحديث عن رسول الله -
صلى الله عليه وسلم : « نخرج تبرق أسارير وجهه » ، ويقال لها الأسرّة ؛ ويقال -
لخطوط الكف : الأسرّة ، وقد جمعها التهامي في لفظ واحد في قوله :

يُبْدِي أُسِرَّةَ وَجْهِهِ وَيَمِينَهُ فِي سَاعَةِ الْإِعْسَارِ وَالْإِسَارِ

مسرته : سروره ، أراد : انطلق وجهه سروراً بالمال . خطأ : مشى -
والنجيب : الجنيد العقل الكريم الأصل . قوله : « أنا نته » ، أى أ كله .

فَنَظَرَ إِلَى نَظْرَةِ الْخَادِعِ إِلَى الْمَخْدُوعِ وَضَحِكَ حَتَّى تَعْرِغَرَتْ
مُقَلَّتَاهُ بِالْذُّمُوعِ ، وَأَنْشَدَ :

يَا مَنْ تَظَنَّى السَّرَابَ مَاءً	لَمَّا رَوَيْتُ الَّذِي رَوَيْتُ
مَا خِلْتُ أَنْ يَسْتَسِرَّ مَكْرِي	وَأَنْ يُخِيلَ الَّذِي عَنَيْتُ
وَاللَّهِ مَا بَرَّةٌ بِعُرْسِي	وَلَا لِي ابْنٌ بِهِ اكْتَنِيتُ
وَأِنَّمَا لِي فَنُونٌ سِحْرِ	أَبْدَعْتُ فِيهَا وَمَا اقْتَدَيْتُ
لَمْ يَخْكِبْهَا الْأَصْمَعِيُّ فِيمَا	حَكَّى ، وَلَا حَاكِبَا الْكَمِيتُ
تَخَذْتُهَا وَضَلَةً إِلَى مَا	تَجَنَّبَهُ كَفَى مَتَى اشْتَهَيْتُ
وَلَوْ تَمَافَيْتُهَا لَحَالَتْ	وَلَمْ أَخْوِ مَاحَوَيْتُ

فَمَهْدِ الْمَذَرِ ، أَوْ فَسَامِخِ إِنْ كُنْتُ أَجْرَمْتُ أَوْ جَنَيْتُ
نَمْ إِنَّهُ وَدَّعَنِي وَمَضَى ، وَأَوْدَعَ قَلْبِي جَمْرَ الْغَضَى .

* * *

تفرغرت : امتلأت . تظننى : حسب . حلت : حسبت . يستسرّ : يخفى .
مكرى : خداعى . يُخِيل : يلبس ويشبه . عُرِى : زوجتى . فنون : أنواع .
أبدعت فيها : أحدثتها ولم أقتد بغيرى فيها . يحكها : يحدث بها . حاكها :
نسجها وقال مثلاً . الأصمعى مذكور فى المقامة الأربعين .

[ذكر الكميت وبعض أخباره وشعره]

وأما الكميت الشاعر ، فهو ابن زيد الأسدى ، وهو شاعر مجيد مكثر
جداً ، ودبوان شعره مستعمل مشهور ؛ ولما قال قصائده الهاشميات قصداً البصرة ،
فأتى النزدق فقال : يا أبا فراس ، أنا ابن أخيك ، فقال : ومن أنت ؟ فانتسب له ،
قال : صدقت ، وما حاجتك ؟ قال : أنت شيخ مضر وشاعرهما ، وأحببت أن
أعرض عليك ما قلت ، فإن كان حسناً أمرتنى بإذاعته ، وإن كان غير ذلك
أمرتنى بستره ، قال : يابن أخى ، أحسبُ شعرك على قدر عقلك ، فقل راشداً ،
فأنشده :

طربتُ وماشوقاً إلى البيضِ أطربُ ولالعباً مِنى وذو الشئبِ يلعبُ !

قال : بلى ، فالعب ، فأنشده :

ولم يُلبَنِ دارٌ ولا رسمُ منزلٍ ولم يتطرَّبَنِ بَنانٌ مُحَضَّبُ

قال : ما يتطرَّبُ بك إذا ؟ فقال :

• لا أنا تمّن يزجرُ الطيرُ همهُ أصاح غرابٌ أم تعرضُ نعلُ

قال : أنت تَمَنَّي ويحك ! وإلى من تسمو ؟ قال :

ولا السانحاتُ البارحاتُ عشيَّةَ أمرٍ صحيحِ القرنِ أم مَرَّ أَعْضَبُ

قال : أما هذا فقد أحسنت فيه ، قال :

ولكن إلى أهل الفضائل والنهي وخير بني حواء والخير يُطلب

قال : فمن هم ويحك ! فقال :

إلى النفرِ البيضِ الذين يحبُّهم إلى الله فيما نابى أتقربُ

فقال : أرخني ويحك ! من هؤلاء ؟ فقال :

بنى هاشمٍ رهِطِ النَّبِيِّ نِإْنِي بهم ولهم أرضى مراراً وأغضبُ

فقال : لله درك يا بنى ! فقد أصبت وأحسنت ، إذ عدلتَ عن الزَّعَافِ والأوباش ، إذا لا يُصرد^(١) سهمك ، ولا يثلب قولك . ثم مرَّ فيها ، فقال : أظهر وأشهر ، فأنت أشعر من مضى ، وأشعر من بقى^(٢) .

فحينئذ قدم المدينة ، فأتى عبد الله بن الحسين ، فأنشده ، فقال : يا أبا المستهل ، إن لي ضيعةً أعطيتُ فيها أربعة آلاف دينار وهذا كتابُها ، وقد أشهدت لك بها شهوداً ، فقال : بأبى أنت وأُمى ! كنت أقول الشعر لغيركم أريد به الدنيا والمال ، ولا والله ما قلتُ فيكم شيئاً إلا لله ، وما كنت لأخذ في شيء جعلته الله ثمناً . فلما أبى عليه أخذ مئزره ، فدفعه إلى أربعة غلمان ، فجعل يدور به دور بني هاشم ، ويقول : هذا الكميت ، قال فيكم الشعر حين صمت الناس عن فضلكم ، وعرض دمه لبني أمية ، فأثيبوه بما قدرتم . فاجتمع له من حلى النساء ومن الدنانير والدرهم ما قيمته مائة ألف درهم ، فجاء بها إلى الكميت ، وقال : يا أبا المستهل

(١) أصرد السهم : أخطأ . (٢) انظر الاغانى ١٥ : ١٢٠ ، ١٢١ .

أتيناك بجهد المقلّ ، ونحن في دولة عدونا ، فاستعن بهذا على دهرك ، فقال :
 بأبي أنت وأمي ، قد أكثرتم وأظنتم ، وما أردت ببدحي إياكم إلا الله ،
 فاردده إلى أهله . فجهد به بكل حيلة ، فأبى ، فقال : أما إذا أبيت أن تقبل ، فإن
 رأيت أن تقول شعراً تغضب به بين النزاريّة واليمينية لعل فتنةً تحدث ، فنخرج
 بين أضعافها ، فقال قصيدته التي أولها :

ألا حُيِّتَ عَنَّا يَا مَدِينَا وهل بَأْسُ بقولِ مسامينا !^(١)

فعرّض فيها ، وصاح باليمن فيما كان من أمر الحبشة وغيرهم؛ مثل قوله :

لنا قمر السماء وكلّ نجمٍ تُشير إليه أيدي المهتدين^(٢)
 وما ضربت هجانَ بنى نزارٍ هواجُ من فحول الأعجمينا
 وماحلوا الحمير على عتاقٍ مضرةً فيلّفوا مُنلفينا

ومشت في العرب ، فافتخرت نزار على اليمن واليمن على نزار ، وثارَت
 العصبية في البادية والحاضرة ، وتحزّب الناس ، فتعصّب مروان بن محمد لقومه من
 نزار على اليمن ، فانحرفت عنه إلى الدعوة العباسية وكان الكميّ سبب ذلك .
 وكان لامتداحه بنى هاشم وتعريضه بينى أمية ، يطالبه خلفاء بنى أمية ،
 فهرب منهم عشرين سنة ، فجَدَّ هشام بن عبد الملك في طلبه ولم يجده ، ولم يستقرّ
 للكميّ قرار من خوفه . وكان لمسلمة بن عبد الملك حاجة عند هشام يقضيها
 له ، لا يردّه فيها ، فخرج مسّلمة لبعض صيوده ، فأتاه الناس يسألون عليه ، وأتاه
 الكميّ - ومسّلمة لا يعرفه - فقال : السّلام عليك ورحمة الله وبركاته ، أما بعد :

قفْ بالديارِ وقوف زائرٍ وتأيّ إنك غير صاغر^(٣)

(١) ورد الشطر الثاني محرفاً في الأصول والصواب ما أثبتته مر الفاخر ٣

(٢) والحزاة ١ : ٨٦ .

(٣) ط : د وتأن ، ، وصوابه من اللسان - أبي

حتى انتهى إلى قوله :

يا مسلم بن أبي الوليد —————
 عَظَمْتُ حِبَالِي مِنْ حَبَا —————
 فَالآن صَرْتُ إِلَى أُمِّي —————
 وَالآن كُنْتُ بِهِ الْمَصِيدَ —————
 سَدِّ لَيْتٍ إِنْ شِئْتَ نَاشِرُ
 لِكَ ذِمَّةِ الْجَارِ الْمَاجِرُ
 سَةِ وَالْأُمُورَ لَهَا مَصَايِرُ
 بِ كَهْتَدٍ بِالْأَمْسِ حَاضِرُ

فقال مسلمة: سبحان الله! مَنْ هذا الذي أقبل من أخريات الناس^(١) ثم بدأنا بالسلام، ثم قال: أما بعد ثم الشعر؟ قيل: الكميت، فأعجب بفصاحته، فسأله عما كان فيه من طول غيبته، فذكر له سخط هشام عليه، فضمن له أمانه وتوجه به حتى أدخله على هشام، وهشام لا يعرفه، فقال الكميت: السلام عليك يا أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته، فقال هشام: نعم الحمد لله، من هذا؟ قال الكميت: مبتدئ، الحمد ومبتدعه، الذي خصّ بالحمد نفسه، وأمر به ملائكته، وجعله فاتحة كتابه، ومنتهى شكره، وكلام أهل جنته. أحمدته حمد من علم يقيناً، وأبصر مستبيناً، وأشهد بما شهد به لنفسه، قائماً بالقسط وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله النبي الأمي، الذي أرسله والناس في هبوات^(٢) حيرة ومُدْهَمَاتٍ ظُلْمَةٍ، عند استمرار أربته الضلالة. فبلغ عن الله ما أمر به، حتى أتاه اليقين صلى الله عليه وسلم. ثم إنني يا أمير المؤمنين تهت في حيرة، وحزت في سكرة، أهاب بي داعيها، فأجابه غاويها، فاقطعوا طيبت^(٣) في الضلالة حائداً عن الحق، قائلاً بغير الصدق، فهذا مقام العائذ بك، ومنطق النائب، ومبصر الهدى بعد طول العمى. يا أمير المؤمنين، كم من عائر أقلتم عثرته، ومجترم عفوتهم عن جرمه! فقال هشام - وقد علم أنه الكميت: مَنْ سن^(٤) لك هذه الغواية، وأهاب بك

(١) في العقد: «من هذا الهندكي الجلجباب، الذي أقبل...»، والهندكي: الرجل من الهند والجلجباب: الشيخ الكبير.

(٢) الهبوات: الغبرات.

(٣) اقطوطى: قارب في مشيه إسراعاً.

(٤) ب: «من ابن».

في العماية؟ قال : الذي أخرج آدم من الجنة فنسى ولم يجد له عزماً ، وأنت يا أمير المؤمنين ، أضاء الله بك الظلمة الداجية بعد العموس فيها فبصرت ، وحقن بك دماء قوم أشرب خوفك قلوبهم ؛ فهم ييكون لما يعلمون من حزمك وعزمك وبصيرتك ، وعزاً بأسك . وثبات جأشك . وأنت مستغن برأيك عن رأى ذوى الألباب ؛ برأى أريب ، وحلم مصيب . فإطال الله لأمر المؤمنين البقاء ، وأتم عليه النعماء ، ودفع به الأعداء .

فرضى عنه وأمر له بمال كثير^(١) .

فهذه منزلة الكمية من الشعر والخطابة خلافاً لمن يقول : القافية جلبته في المقامات ؛ وغيره من الشعراء كان أولى بموضعه .

* * *

قوله : « حاكها » ، أى نسجها . يريد أن الكمية ممن يصنع الشعر ولا يقوله على طبعه ، فلذلك قال : « حاكها » . وسأل بعض الخلفاء جريراً عن النابغة وزهير ، فقال : ينيران الشعر ويسديانه ، والعلماء بالشعر يسمون صنّاع الشعر عبيد الشعر ، مثل زهير وابنه كعب والخطيئة وعدى بن الرقاع والكمية .

قوله : « تتخذها » ، أى اتخذتها ، يقال : تتخذ يتخذ بمنزلة اتخذ يتخذ ، وخفف عنه ، حذفوا ألف الوصل من اتخذ ، والتاء الأولى الساكنة ، التى هى فاء الفعل ، فبقى تتخذ ، ومثله تقى يتقى واتقى يتقى ، حذف ألفه وتاءه الأولى ، وليس يطرّد هذا التخفيف ، وإنما جاء فى اتخذ واتقى واتجه واتسع ، فقالوا : تقى وتتخذ وتجه وتسع وصلة أى موصلة . تعافيتها : تكارهتها ، وهى تفاعلت من عفت الشيء أعافه عيافاً أى كرهته . حالت : تغيرت . أحو : أجمع . مهّد : أقبل وسهّل . أجمرت : أذنبت لنفسى ، جنيت : أذنبت لغيرى ، أراد : إن كان عذرى يديناً فأقبله ، وإن كنت ظالماً فتجاوز واسمح . أودع : ضمن وجعل فيه . المنضى : شجر جره يثبت فى النار .

المفاهيم السادسة وهى المراجعة

وتعرف بالخيفاء

روى الحارث بن همام قال : حضرت ديوان النظر بالمراجعة ، وقد جرى به ذكر البلاغة ؛ فأجمع من حضر من فرسان البراعة ، وأرباب البراعة ، على أنه لم يبق من ينقح الإنشاء ، ويتصرف فيه كيف شاء ، ولا خلف ، بمد السلف ، من ابتدئ طريقة غراء ، أو يفتزع رسالة عذراء ، وأن المفلح من كتاب هذا الأوان ، المتمكن من أزمة البيان ، كالعمال على الأوائل ، ولو ملك فصاحة سحبان وائل .

ديوان النظر ، أى مجلس المناظرة . المراجعة : بلادة من كور أذربيجان . البراعة : القلم قبل أن يبرى ويسوى ، فإذا برى وسوى قيل له قلم ، وبقى عليه الاسم الأول وهو البراعة ، والبراع : القصب . أرباب البراعة : أصحاب أصالة رأى . والبراع : الأصيل الجيد رأى ، ويقال : برع يبرع بروعاً وبراعة ، إذا فاق فى السؤدد . وينقح : يحسن ويخلص . الإنشاء . الكتابة . خلف : بَقِيَ . السلف : المتقدمون ، وسلفوا ذهبوا وتقدموا . يبتدع : يحدث . طريقة : حالة . موصوفة ، وطريقة فلان كذا ، أى حالته التى هو عليها . غراء : واضحة مشهورة . لم يقل أحد مثلها . وغرة الشيء : أوله . يفتزع : يفتض . عذراء : بكر ، سُميت عذراء لصعوبة جماعها ، وتعذر الشيء : تصعب ، وافتراع البكر : إداماؤها وإزالة ما تصعب منها ، وكل ما أدميته فقد فرعه وافترعته ، فمعنى يفتزع رسالة عذراء

أى يأتى برسالة قد تصعب طريقها على غيره ، فافتدر هو على سلوك طريقها والإتيان بها . المفلح : النصيح المريب الذى يأتى بالنمق ؛ وهو الشئ العجيب .
الأوان : الوقت . العيال : مَنْ يتكَل في مؤنته على غيره ولا يقوم بنفسه ، وعال الرجل عيلةً إذا افتقر ، وعُلتُه عولاً : قمت بمؤنته ، فيريد أن كُتاب هذا الزمان عيال على من تقدّمهم حيث افتتروا إلى الأخذ من كلامهم .
وقد وعدنا أن نذكر سبحانه فيما يأتى إن شاء الله تعالى .

* * *

وكان بالمجلس كهلٌ جالسٌ في الحاشية ، عندَ مواقف الحاشية ، فكان كلما شطّ القوم في شوطهم ، ونثروا العجوة والنخوة من شوطهم ، ينبي نَخَازِرُ طَرَفِهِ ، وَشَامِخُ أَنْفِهِ ، أَنَّهُ مُخَرَّبٌ لِيَنْبَاعَ ، وَمُجَرَّمٌ سَيْمَدِ الْبَاعِ ، وَنَابِضٌ يَبْرِى النَّبَالَ ، وَرَابِضٌ يَبْنِى النَّضَالَ . فَلَمَّا نَثَلَتِ الْكَنَائِنُ ، وَفَاءَتِ السَّكَاثُنُ ، وَرَكَدَتِ الزَّعَارِعُ ، وَكَفَّ الْمَنَارِعُ ، وَسَكَنَتِ الزَّجَاجِرُ ، وَسَكَتَ الْمَزْجُورُ وَالزَّاجِرُ ، أَقْبَلَ عَلَى الْجَمَاعَةِ ، وَقَالَ :

* * *

الكهل : التام الخلق ، بين الشاب والشيخ . الحاشية : طرف المجلس .
والحاشية الثانى . الأتباع وخدمة القوم ، وأصلها رُذال المال وصغاره ، قال يعقوب : الحاشية والحواشى والخشو : صغار الإبل ، وأنشد :

* جَلَّتْهَا وَالْأُخْرَى الْحَوَاشِيَا *

لَ : جرى . شوطهم : طَلَقَهم . نثروا : ألقوا عليها . العجوة : التمرة
(١٥ - شرح مقامات الحريري ١)

الطبية . والنجوة : الرديئة ، هكذا كان ينسرها شيخنا أبو بكر بن أزهر عن ابن جهور ، وما وجدت في كتاب لغة أن النجوة اسم للثمرة الرديئة ، وقد بحث عنها بعض أصحابنا غاية البحث في كل كتاب فيه ذكر النخل والتمر ، فأخبرني أنه ما وجد لها ذكراً ، وأظنها لغة بصرية متعارفة بينهم في التمر الرديء ، لا أنها لغة عربية ، فاستعملها كما استعمل غيرها من لغة بلده ، لأن البصرة أكثر بلاد الله نخلاً ، فيسمون كل نوع من التمر باسم ، والتمر تكثر أنواعه عندهم . ورأيت أكثر أهل سجدلماسة لا يكادون يحصون أنواعه لكثرتها ، ورأيت بها نوعاً من التمر زعموا أنه لا يطيب أبداً ، وإنما حاله أن ينكمش على نواه ، فلا تجدد إلا جلدًا يابساً على النواة ، فيملفونه المِعز ، فيحتمل أن يكون مثل هذا في نخل البصرة يسمى نجوة ، ويقابل بالعجوة التي هي أشرف التمر وأطيبه . وأما من فسر النجوة هنا بالمرتفع من الأرض ، فلا معنى له . الفنجديهي : النجوة ، قيل : إنها لفظة التمر إذا سقطت لا يبالى بها ، فإن صحّت روايتها فكأنها سُميت بالنجوة التي هي العذرة . نوطهم : وعاء تمرهم ، قال أبو حنيفة : النوطة : الحلة للصغيرة من جلال التمر ، والحلة : الوعاء الذي يكثر فيه التمر ، وكل وعاء له علاقة فهو نوطة ، والجمع نُوط ، وقد ناطه بنوطه ، إذا علته ، فأراد : ألقوا الكلمة الجيدة والرديئة من كلامهم . ينبيء : يخبر . تحازر طرفه : كسر عينيه بالنظر ، وتحازر : نظر بمؤخر عينيه ، وهو نظر المنكر للشيء . تشامخ : ارتفاع ، وهو فعل المستحق للشيء . مخربق : متهبئ . لينباع : لينهض ، وفسره أبو عبيد في الأمثال . فقال : المخربق : المطرق الساكت ، لينباع . ليثب إذا أصاب فرصة ، قال : ومعناه أنه سكت لداهية يريد بها ، وقيل : المخربق : الساكت على السوء . لينباع : ليظهر الذي في ظنه من الشر . مجرّمز : منقبض ، وهو كقول النابغة :

وقلت يا قوم إن الليث منقبضٌ على برائته للوثبة الضاري^(١)

(١) ديوانه ٤٢ والضاري من وصف الليث ، وروى : « لوثبة الضاري » .

فأخذه ابن الرومي فقال :

سكنَّ سكوناً كان رهناً بوثة غماس كذاك الليث للوثب يلبد^(١)

نابض : رام ، ويقال : أنبض القوس ، إذا جذب وترها ثم أطلقه ليختبر شدتها . ونَبَضَ العرق : تحرَّك ، فيكون : « نابض » على النسب ، أو على حذف الزائد . الننجديهى : أورد أبو الحسين بن فارس الغوى في كتابه المجمل أن نبض لغة في أنبض ، وهما بمعنى واحد ، قال الشاعر :

ناب أباهم مقسمٌ بيمينه . لأن نبضت كفى فإني لنا نبضُ

فصح بهذا قوله . رابض : لاطء بالأرض ، وربضت الشاة : اضطجعت . يعنى النضال ، أى يطلب المراماة ، وأراد أنه يريد أن يلقى عليهم المسائل ليحاذبوه . قوله : « نثلت » ، أى نفضت وصب ما فيها . الكنائن : الجباب ، وهى أوعية السهام . فاءت : رجعت . السكائن : جمع سكينه ، وهى الوقار ، يريد : أتم أهل المجلس كلامهم فسكنوا . ركدت : سكنت . الزعازع : الرياح الشديدة المزلزلة ، واحدها زعزع . كف المنازع : أمسك المخالف ، يريد انقطع كلامه .

* * *

لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِذَا ، وَجُرْتُمْ عَنْ الْقَصْدِ جِدًّا ، وَعَظَّمْتُمْ
الْعِظَامَ الرُّفَاتَ ، وَافْتَشْتُمْ فِي الْمَيْلِ إِلَى مَنْ فَاتَ ، وَغَمَضْتُمْ
جِيَدَكُمْ الَّذِينَ فِيهِمْ لَكُمْ اللَّدَاتُ ، وَمَعَهُمْ انْعَقَدَتِ الْمَوَدَاتُ .
أَنْسَيْتُمْ يَاجَهَابِذَةَ النَّقْدِ ، وَمَوَابِذَةَ الْحُلِّ وَالْعَقْدِ ، مَا أَبْرَزْتُمْ

(١) يلبد ، أى يجتم على الأرض .

طَوَارِفُ الْقَرَائِحِ ، وَبَرَزَ فِيهِ الْجَذَعُ عَلَى الْقَارِحِ ، مِنَ الْعِبَارَاتِ
 الْمُهَذَّبَةِ ، وَالِاسْتِعَارَاتِ الْمُسْتَعْدِيَةِ ، وَالرَّسَائِلِ الْمَوْشَحَةِ ، وَالْأَسَاجِيعِ
 الْمُسْتَمْلَحَةِ ! وَهَلْ لِلْقُدَمَاءِ إِذَا أَنْعَمَ النَّظَرُ ، مَنْ حَضَرَ ، غَيْرُ الْمَعَانِي
 الْمَطْرُوقَةِ الْمَوَارِدِ ، الْمَعْقُولَةِ الشَّوَارِدِ ، الْمَأْثُورَةِ عَنْهُمْ لِتَقَادُمِ
 الْمَوَالِدِ ، لَا لِتَقَدُّمِ الصَّادِرِ عَلَى الْوَارِدِ ! وَإِنِّي لِأَعْرِفُ الْآنَ مِنْ إِذَا
 أَنْشَأَ ، وَشَى ، وَإِذَا عَبَّرَ ، حَبَّرَ ، وَإِنْ أَهْبَبَ ، أَذْهَبَ ، وَإِذَا أُوجَزَ ،
 أَعْجَزَ ، وَإِنْ بَدَّ ، شَدَّ ، وَمَتَى اخْتَرَعَ ، خَرَعَ .

* * *

إِذَا : أَمْرًا فُظِيحًا مُنْكَرًا . جُرِّمَ عَنِ الْقَصْدِ : خَرَجْتَ عَنِ الْإِسْتِقَامَةِ . جَدًّا :
 كَثِيرًا . الرِّفَاتِ : الْبَالِيَةِ . افْتَمَّ : فَعَلِمَ مَا لَا يَجِبُ وَتَجَاوَزَ فِيهِ ، وَيُقَالُ : افْتَتَتِ
 الرَّجُلُ « افْعَلْ » مِنَ الْفَوَاتِ ، وَفَاتَ : ذَهَبَ وَعَدِمَ . غَضِّمَ : حَقَّرَ وَمَغْطِمْ .
 جِيلَكُمْ : أَهْلَ عَصْرِكُمْ . اللَّدَاتِ : جَمْعُ لَدَّةٍ ، وَهُوَ الَّذِي وَلَدَ مَعَكَ . جِهَابَذَةٍ :
 حَدَاقٍ ، الْوَاحِدُ جِهَبِذٌ . النِّقْدُ : مَعْرِفَةُ الْكَلَامِ ، نَقْدُهُ : مِيزُهُ ، وَأَصْلُهُ مِنْ مِيزِ الدِّرَاهِمِ
 الْجَيِّدَةِ مِنَ الرَّدِيئَةِ . مَوَابِذَةٍ : حِكَاةٌ ، وَالْمَوْبِذُ : الْكَثِيرُ الْجَاهُ مِنَ الْفُرْسِ ، مِثْلُ
 الْوَزِيرِ وَالْقَائِدِ . أَبْرَزَتْهُ : أَظْهَرَتْهُ . طَوَارِفُ ، جَدِيدَاتٌ وَغَرِيبَاتٌ . الْقَرَائِحُ :
 الْأَذْهَانُ . بَرَزَ : غَلَبَ . الْجَذَعُ مِنَ الْخَيْلِ ابْنُ سَنْتَيْنِ . الْقَارِحُ : ابْنُ خَمْسٍ ،
 أَيْ غَلَبَ فِيهِ الْحَدِيثُ الْعَصْرَ الْقَدِيمَ . عِبَارَاتٌ : جَمْعُ عِبَارَةٍ وَهِيَ التَّفْسِيرُ ،
 وَعَبَّرَتْ عَنْ فَلَانٍ : تَكَلَّمَتْ عَنْهُ وَكُنْتُ لِسَانَهُ . الْمُهَذَّبَةُ : الْمَخْلَصَةُ مِنَ الْعَيْبِ .
 الْإِسْتِعَارَةُ : أَنْ تُعْبِرَ الْفَلْظَ مَا يَسْتَحِقُّهُ غَيْرُهُ ، وَهِيَ مِنَ الْعَارِيَةِ . الْمَوْشَحَةُ : الْمَزِينَةُ .
 الْأَسَاجِيعُ : جَمْعُ أُسْجُوعَةٍ ، وَهِيَ الْكَلَامُ الْمَرْبُوطُ بِقَافِيَةٍ . أَنْعَمَ : بَالِغٌ . الْمَطْرُوقَةُ :

التي نزل عليها . المعقولة : المربوطة . الشوارد : الفارّة ، يقول : ليس للقدما . إلا المعاني التي قصدها المتأخرون ، كما قصدها المتقدمون ، وقيدتها المتأخرون بالكتاب كما قيدها المتقدمون ، فكان تقييدها سبباً لأن مشت في الأقطار فعرفت وحفظت . الماثورة : الحدث بها . الصادر : الخارج عن الماء ، والوارد : الداخل إليه ، وذكر هنا أن الصادر يتقدم الوارد ، وذلك أنا إذا فرضنا موضع ماء لا يمكن وروده إلا واحداً بعد واحد ، فالصادر يسبق الوارد على ما ذكره في النقمة . قال الحريري في درة الغواص : إن^(١) الخواص يقولون : هذا أمر يعرفه الصادر والوارد ، ووجه الكلام أن يقال : الوارد والصادر ، لأنه مأخوذ من الوَرْد والصدر ، ولما كان الوَرْد يقدم الصدر ، وجب أن يقدم لفظ « الوارد » على الصادر ، وهذا كما ترى ، الوَرْد يقدم الصدر في حق واحد ، يقال : وَرَدَ الماء ثم صدر عنه ، وأما في حق اثنين كما قدمنا وكما ذكر هو في هذه النقمة ، فالصادر يتقدم الوارد . وقول الناس : هذا أمر يعرفه الصادر والوارد في حق اثنين ، فهم فيه على صواب ، ومحال أن يكون المثل في حق واحد ، لأن الشيء لا يعطف على نفسه ، ولو كان الوارد على زعمه يتقدم الصادر لجاز تقديم الصادر عليه ، لأن الواو لا تعطى رتبة ، يقول : لا نتحدث بكلامهم ونظامهم ونثرهم لفضلهم علينا ، لكن لسبقهم لنا . أنشأ : كتب . وشئ : زين ورقم . عبر : تكلم أو فسر . حبر : حسن . أوجز : اختصر . أعجز ، أي عجز عن فعله غيره . أسهب : أطال الكلام . أذهب : جاء بالذهب ، وأصل أسهب ، حفر بئراً بعيدة القعر ، وأذهب : صادف معدن الذهب في حفير . بدّه : ارتجل ولم يتفكر . شدّه : حير من يتعاطى منزلته . اخترع : قال ما لم يسبق إليه . خرج : شقق المعاني .

* * *

فَقَالَ لَهُ نَاطُورَةُ الدِّيَّانِ ، وَعَبْنُ أُوْلِكِ الْأَعْيَانِ : مَنْ
خَارِعُ هَذِي الصَّفَاةِ ، وَقَرِيعُ هَذِهِ الصِّفَاتِ ؟ فَقَالَ : إِنَّهُ قَرِيبُ

تَجَالِكَ ، وَقَرَيْنُ جِدَالِكَ ؛ وَإِذَا شِئْتَ ذَاكَ فَرُضْ نَجِيًّا ، وَادْعُ
 مُجِيًّا ، لَتَرَى عَجِيًّا . فَقَالَ لَهُ : يَا هَذَا ، إِنَّ الْبُعَاثَ بِأَرْضِنَا
 لَا يَسْتَنْسِرُ ، وَالْتَّمِيزَ بَيْنَ الْفِضَّةِ وَالْقِضَّةِ مُتَمَسِّرٌ ، وَقُلْ مَنْ
 اسْتَهْدَفَ لِلنُّضَالِ ، فَخَلَّصَ مِنَ الدَّاءِ الْعُضَالِ ، أَوْ اسْتَنَارَ نَقَمَ
 الْاِمْتِحَانِ ، فَلَمْ يَقْذَ بِالْاِمْتِهَانِ ، فَلَا تُعَرِّضْ عِرْضَكَ لِلْمَفَاضِحِ ،
 وَلَا تُعَرِّضْ دِينَ نَهَاحَةِ النَّاصِحِ . فَقَالَ : كُلُّ امْرِئٍ أَعْرَفُ
 بِنَفْسِهِ قَدْحِهِ ، وَسَيَتَفَرَّى اللَّيْلُ عَنْ صُبْحِهِ . فَتَنَاجَتْ الْجَمَاعَةُ
 فِيمَا يُسَبَّرُ بِهِ قَلْبُهُ ، وَيُعَمَّدُ فِيهِ تَقْلِيْبُهُ ؛ فَقَالَ أَحَدُهُمْ :
 ذَرُوهُ فِي حِصَّتِي ؛ لِأَرْمِيَهُ بِحَجَرٍ قِصَّتِي ، فَإِنَّهَا عُضْلَةُ الْعُقَدِ ،
 وَتَحْكُ الْمُنْتَقَدِ . فَقَلَّدُوهُ فِي هَذَا الْأَمْرِ الزُّعَامَةَ ، تَقْلِيدَ الْخَوَارِجِ
 أَبَا نَعَامَةَ .

قوله : « نَاطُورَة » ، أى كبير القوم ومقدمهم الذى ينظرون إليه . الديوان :
 دار الكتاب وموضع اجتماعهم . والديوان ، الزمام يكون فيه أسماء الجند
 وأرزاقهم ، وأصله « دِوَان » ، قلبت واوه الأولى ياء لانكسار ما قبلها ، ودل عليه
 دواوين في جمعه ، وهو اسم أعجمى عربى ، والأصل في تسميته أن كسرى أمر
 الكتاب أن يجتمعوا له في دار ، ويعملوا حساب السواد في ثلاثة أيام ، وأعجلهم
 فيه ، فأخذوا في ذلك ، واطلع عليهم لينظر ما يصنعون ؛ فنظر إليهم يحسبون بأسرع
 ما يمكن ، وينسخون كذلك ، فعجب من كثرة حركتهم ، فقال : أرى « ديوان »
 ومعناه شياطين ، ثم سمي موضعهم ديواناً ، ثم استعملته العرب ، وجعل كل محصل

من كلام أو شعر ديواناً^(١). قارع: ضارب وكاسر. الصفاة: الصخرة الملساء، استعارها للصعب من الكلام. قريع: سيد. الصفات: النعوت التي تقدم أنه يُعرف بفعلها. وقرن مجالك: صاحب كلامك الذي تجول فيه — يعني نفسه. قرين جدالك: صاحب مجادلتك، والقرن بالكسر: الذي يماثل في شدة أو خصام أو علم، وإن لم يكن بينكما معرفة، وقرينك: صاحبك الذي لا يفارقك. كأنه قرن معك. والجال: الموضع الذي تراض فيه الخيل. رضى: سس ولين. النجيب: الفحل الكريم من الإبل، وعن نفسه. ادع مجيباً، يقول: سسني ثم ادعني أستجب لك. ترى مجيباً، في حسن جوابي. البغاث: صغار الطير. يستنسر: يصير نسرأ، يقول: نحن أهل علم ومعارف، فلا تجوز علينا المخاوف، والعرب تقول في أمثالها: «إن البغاث في أرضنا يستنسر»، أى يرجع الضعيف قويا لعزنا وحمايتنا له ممن يريده، وقيل في البغاث: إنه ذكر الرّخم، وقيل: البغاث كل ما يصاد من الطير، والجوارح: كل ما يصيد، والرهام: ما لا يصيد ولا يصاد، كالخطاف وغيره. القصة: الحصى البيض الصغار، ويقال: جاء بالقص والقضيض بالقص والضاد، ومعناه جاء بالكبير والصغير. والقضيض: صغار الحصى وما تسكتر منه، وقالوا: جاءوا قضهم بقضيضهم. أى كلهم. استهدف: صار هدفاً، وهو الغرض للسهم. التضال: المراماة. العضال: الذي لا يُبرأ منه. استنثار: حرك تقع غبار. الامتحان: الاختبار. يقد: يقع في عينه القدي، وهو ما يسقط في العين، ويقول: من صار غرضاً للألسنة قل أن يسلم، ومن صار طالباً للمناظرة أهل المعارف أهين وأخفم. المفاضح: الخزيات واشتهار العيوب. ونم: علامة. قدحه: سهمه، يريد قداح الميسر، وكان كل رجل يعمل في قدحه علامة يعرف بها، قال دريد بن الصمة:

وأصغر من قداح النبع فرع به علّمان من عقبٍ وضرس^(٢)

(١) المغرب للجواليقي ١٥٤، وفي شفاء الليل ٩٤ عن المرزوقي في شرح الفصح، قال: هو عربي، من دون الكلمة إذا ضبطتها.

(٢) اللسان - ضرس

الضرس : العض بالضرس ، وسنذكر في الثالثة والأربعين قِداح العرب :
 سيتفرسى : سيتكشَّف. قوله : « تناجت » ، أى تحدثت سرّاً . يُسَبَّر : يقاس .
 قَلْبِيه : بثره . يَعْمَد : يَقْصَد . تَقْلِيه : تجريه . ذُرُوه : أتركوه . حِصْتِي : نصيبي .
 قصتي : خبري ، وجعل لمسأله حجراً يرميه به مجازاً . عُضْلَة : صعبة . العقد :
 جمع عقدة ، يريد أن عقدها صعب الحل . محك المنتقد : وهو حجر يقاس به جيد
 الفضة والذهب من الردىء ؛ أراد أن مسأله نهاية في الصعوبة ، والعُضْلَة : كل
 مسألة شديدة لا يُهْتدى لمثلها ، ولا يوقف على جوابها ، من قولهم : داء عضال
 ومعضل ، إذا كان شديداً لا يُهْتدى لدوائه ، ولا يوقف على علاجه ، وعَضَّت
 المرأة تعضيلًا ، نسب ولدها في بطنها ، وعَضَّت الدجاجة بيضها كذلك ، وفلان
 عُضْلَة من العضل ، أى داهية لا يُهْتدى لمكره . قوله : « الزعامة » ، أى
 الرياسة .

[ذكر قَطَرِيّ بن الفجاءة]

وأبو نعامة هو قَطَرِيّ بن الفجاءة التميمي الخارجي . وكان له فرس يكنى
 بها في الحرب ، ويكنى في السلم أبا محمد . وقَطَرِيّ : منسوب إلى قطر ، موضع
 قريب من عُقير .

وكان فارساً شجاعاً شاعراً مجيداً ، وكان رئيس الخوارج ، وسلّموا عليه
 بأمر المؤمنين عشرين سنة ، وكان خطيباً فصيحاً . وله خطبة في ذم الدنيا انتهى
 فيها من البلاغة إلى الغاية . وأولها :

أما بعد فإنّي أحذركم الدنيا فإنها حلوة خضرة ، حُفَّت بالشهوات ، وراقت
 بالقليل ، وتحيّت بالعاجل ، وتحلت بالأمانى ، وتزينت بالغرور ،
 لاتدوم زهرتها ، ولا تؤمن فحمتها ، غرارة ضلالة ، حائلة زائلة ، نافذة بائدة ،

لا تعدو إذا هي تناهت إلى أمنيّة الرغبة فيها ، والرضا عنها ، أن تكون كما قال تعالى : ﴿ كَذَلِكَ أَنْزَلْنَاهُ مِنْ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذَرُوهُ الرِّيحُ وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُقْتَدِرًا ﴾ .
ومنها :

كم واثقٍ بها قد فجعته ، وذى طمأنينةٍ إليها قد صرعته ، وذى احتيالٍ فيها قد خدعتَه . وكَم من ذى أهبةٍ فيها قد صيرتَه حقيراً ، وذى نخوةٍ قد ردّتَه ذليلاً ، وذى تاجٍ قد كسبته للدين والقيم ؛ سلطانها دُول ، وعيشها رنق ، وعذبها أجاج ، وحلوها صبر ، مليكها مسلوب ، وعزيزها مغلوب ، وسليمها منكوب ، وجامعها محروب ؛ مع أن وراء ذلك سكرات الموت ، وهول المطلع ، والوقوف بين يدي الحكم العدل ﴿ ليجزى الذين أساءوا بما عملوا ويجزى الذين أحسنوا بالحسنى ﴾ .
ومن جيد شعره في وقعة دُولاب :

لعمرك إني في الحياة لزاهدٌ	وفي العيش ما لم ألقِ أمّ حكيم ^(١)
من الخفريات البيض لم ير مثلاً	شقاءً لدى بثٍّ ولا لستيم ^(٢)
لعمرك إني يوم ألطم وجهها	على نائبات الدهر جدُّ كُثيم ^(٣)
ولو شهدتنى يوم دُولاب أبصرتُ	طعان نثى في الحرب غير ذميم ^(٤)
غداة طفت علماء بكر بن وائل	وعُجنا صدور الخليل نحو تميم ^(٤)

(١) الأغاني ٦ : ١٤٨ ، الكامل للمبرد ٣ : ٢٩٨ .

(٢) الأغاني : « لم أر مثلاً » .

(٣) دُولاب ، قال في الأغاني : « هي قرية من عمل الأهواز ، بينها وبين الأهواز نحو من أربعة فراسخ ، كانت بها حرب الأزارقة ومسلم بن عبيس بن كريز ، خليفة عبد الله ابن الحارث بن نوفل بن عبد المطلب ، وذلك في أيام ابن الزبير » .

(٤) علماء ، يريد على الماء ، وبعده في رواية المبرد :

وكان لعبدِ القيسِ أوّلُ جدّها وأحلافها من يَحْصِبِ وسليم
وظلتْ شيوخ الأزدِ في حومةِ الوغى تعمومُ وظلنّا في الجلاء نعومُ
وفي البيت الثاني إقواء .

نَلَمْ أَرِ يَوْمًا كَانَ أَكْثَرُ مَفْظَا (١) يُعْجُ دَمًا مِنْ فَائِظٍ وَكَلِيمٍ (٢)
 وَضَارِبَةٍ خِذَا كَرِيمًا عَلَى فَتًى أَغْرَ نَجِيبِ الْأُمَمَاتِ كَرِيمِ
 أَصِيبَ بَدُولَابٍ وَلَمْ تَكُ مَوْطِنًا لَهُ أَرْضُ دُولَابٍ وَدِيرٌ حَمِيمٍ (٣)
 فَلَوْ شَهِدْتَنِي يَوْمَ ذَلِكَ وَخَنِينًا تَبِيحَ مِنَ الْكُفَّارِ كُلِّ حَرِيمِ
 رَأَتْ فَتِيَّةً بَاعُوا إِلَالَهُ نُفُوسَهُمْ بِجَنَاتِ عَدْنٍ عِنْدَهُ وَنَعِيمِ

وَأُمُّ حَكِيمٍ الَّتِي شَبَّبَ بِهَا ، كَانَتْ مَعَهُ فِي عَسْكَرِ الْإِبَاضِيَّةِ ، وَكَانَتْ مِنْ أَشْجَعِ النَّاسِ ، وَأَجْلَاهِمُ وَجْهًا ، وَأَحْسَنُهُمْ بَدِينَهُ مَتَمَسِّكًا . وَكَانَ قَطَرِي يَحِبُّهَا وَيَحِلُّهَا ، وَأَخْبَرَ مِنْ شَاهِدِهَا فِي تِلْكَ الْحُرُوبِ أَنَّهَا كَانَتْ تَرْتَجِزُ فَتَقُولُ :

أَحْمِلُ رَأْسًا قَدْ سَنَمْتُ حَمْلَهُ وَقَدْ مَلَأْتُ دَهْنَهُ وَغَسَلَهُ

* أَلَا فَتًى يَحْمِلُ عَنِّي ثِقْلَهُ *

وَالْخَوَارِجُ يَفْتَدُونَهَا بِالْأَبَاءِ وَالْأُمَمَاتِ ، وَخِذْلُهَا جَمَاعَةٌ مِنْ أَشْرَافِ الْخَوَارِجِ فَرَدَّتْهُمْ ، وَقَالَتْ :

أَلَا إِنْ وَجْهًا حَسَنَ اللَّهِ خَلَقَهُ لِأَجْدَرِ أَنْ يُبَلِّغَنِي بِهِ الْحَسَنَ جَامِعًا
 وَأَكْرَمَ هَذَا الْجِرْمَ عَنْ أَنْ يَنَالَهُ تَوَرَّكَ فَحَلَّ هَمَّهُ أَنْ يَجَامِعَا
 أَيْنَ هَذِهِ مِنْ أُمِّ خَارِجَةٍ ، وَاسْمُهَا عَمْرَةَ بِنْتُ سَعْدٍ ، كَانَ يُقَالُ : لَهَا خِطْبٌ ،
 فَتَقُولُ : نِكَحْ ، وَضَرَبَ بِهَا الْمَثَلَ قَعِيلٌ : أَسْرَعُ مِنْ نِكَاحِ أُمِّ خَارِجَةٍ (٤) .

(١) الْأَغَانِي وَالسَّكَاكِلُ : « مَقْصَا » ، وَهُوَ الطَّمَنُ بِالرَّمَاكِ .
 (٢) ط : « فَائِظٌ » . تَحْرِيفٌ ، صَوَابُهُ مِنْ أ ، ب ؛ وَالْفَائِظُ ، مِنْ قَوْلِهِمْ : « فَاظَ الرَّجُلُ ، إِذَا مَاتَ » .

(٣) دِيرٌ حَمِيمٌ : مَوْضِعٌ بِالْأَهْوَازِ .

(٤) الْمِيدَانِيُّ ١ : ٣٤٨

وأين هي من حفيدة قطريّ مع صاحبها ، حكى الإصبهانيّ عن إسماعيل بن المهاجر قال : خرجت أنا والسيد الحميريّ سكارى ، فلقينا بنت الفُجاءة بن عمرو ابن قطريّ بن الفُجاءة ، وكانت امرأة برّزةً حسناء ، فواقفها السيّد ، وأنشدها من شعره ، فأعجب كلّ واحد منهما صاحبه ، ثم خطبها ، فقالت : كيف يكون هذا ونحن على ظهّر الطريق ! قال : يكون كسكاح أمّ خارجة ، قيل لها : خطّب ، قالت : نسكح ، فاستضحكت وقالت : ننظر في هذا ، وعلى ذلك فمن أنت ؟ قال :

إن تسأليني بقومى تسألنى رجلاً في ذرّوة المجد من أجواد ذى يَمَن^(١)
ثمّ الولاء الذى أنجّو النجاة به من كُتّبة النّار للهادى أبى حسن
فقلت : لا شيء أعجب من هذا ! يمانى وتيمية ، ورائضى وإباضية ، فكيف يجتمعان ! فقال : بحسن رأيك تسخو نفسك^(٢) ، ولا يذكر أحدنا سلفاً ولا مذهباً ، قالت : أفليس التزويج إذا عُلِمَ ، انكشفت معه الستور^(٣) ؟ قال : وأنا أعرض عليك أخرى ، قالت : وما هي ؟ قال : المتعة^(٤) التى لا يعلم بها أحد ، قالت :

(١) بعده فى رواية الأغاني :

حولى بها ذو كلاعٍ فى منازلها وذو رعين وهمدان وذو يزن
والأزد أزد عثمان الأكرمون إذا عدت ماثرهم فى سالف الزّمن
بانت كريمتهم عني فدارهم دارى فى الرحب من أوطانهم ووطني
لى منزلان : باحج منزل وسط منها ، ولى منزل للعزّ فى عدن
(٢) ط : « تحشد نفسك » ، وما أثبتته من الأغاني .

(٣) الأغاني : « انكشف معه المستور وظهرت خفيات الأمور » .

(٤) التّمة : أن تزوج امرأة تتمتع بها أياماً ، ثم تخلى سبيلها ؛ وذلك أن الرجل كان يشارط المرأة شرطاً على شيء بأجل معلوم ، ويعطيها شيئاً ، فيستحلها بذلك ، ثم تخلى سبيلها من غير تزويج ولا طلاق ؛ وقد كانت مباحة فى أول الإسلام ثم حُرمت ؛ والجلودى ؛ أحد كبار علماء الشيعة الإمامية كتاب أسماء : « التّمة وما جاء فى تحليلها » .

تلك أخت الزنا ، قال : أعيذك بالله أن تكفري بعد إيمانك ! قالت : وكيف ؟ قال لها : قال الله تعالى : ﴿ فَمَا اسْتَمْتَعْتُمْ بِهِ مِنْهُنَّ فَأَتُوهُنَّ أَجُورَهُنَّ فَرِيضَةً ﴾ ، قالت : أستخير الله وأقلدك ، إذ كنت صاحب قياس وتفتيش . ولما انصرفت معه ، وبات معرساً بها ؛ وبلغ أهلها من الخوارج أمرها تَوَعَّدوها بالقتل ، فجحدت وقالوا : أتزوجت بكافر ! فكانت تختلف إليه مدةً وتواصله ^(١) .

وقوله : «تقليد الخوارج بأنعامة» ، لما قُتل الزبير بن عدي السلمي أمير الخوارج ، أداروا أمرهم ، فأرادوا تولية عبدة بن هلال الشكري ، فقال : ألا أدلكم على من هو خير مني لكم ؟ مَنْ يطاعن في قُبُلٍ ، ويحى عن دُبُرٍ ؛ عليكم بقطري ابن الفجاءة المازني ، فبايعوه .

* * *

فَأَقْبَلَ عَلَى السَّكْهَلِ ، وَقَالَ : اعْلَمْ أَنِّي أُوَالِي ، هَذَا الْوَالِي ، وَأَرْفَعُ حَالِي ، بِالْيَتَانِ الْحَالِي . وَكُنْتُ أَسْتَعِينُ عَلَى تَقْوِيمِ أَوْدِي ، فِي بِلْدِي ، بِسَمَةِ ذَاتِ يَدِي ، مَعَ قَلَّةٍ عَدَدِي . فَلَمَّا ثَقُلَ حَاذِي ، وَنَفِدَ رِذَاذِي ، أَمَمْتُهُ مِنْ أَرْجَائِي ، بِرِجَائِي ، وَدَعَوْتُهُ لِإِعَادَةِ رُؤَايَ ، وَإِرْوَائِي ؛ فَهَشَّ لِلْوِفَادَةِ وَارْتَأَحَ ، وَغَدَا بِالْإِفَادَةِ وَرَاحَ . فَلَمَّا اسْتَأْذَنْتُهُ فِي الْمِرَاحِ ، إِلَى الْمِرَاحِ ، عَلَى كَاهِلِ الْمِرَاحِ ؛ قَالَ : قَدْ أَرَمَمْتُ أَلَّا أَرُودَكَ بَتَاتًا ؛ وَلَا أَتَجَمُّ لَكَ شَتَاتًا ، أَوْ تُنْشِيَّ لِي أَمَامَ أَرْتَحَالَكَ ، رِسَالَةً تُودِعُهَا شَرْحَ حَالِكَ ، حُرُوفٌ إِحْدَى كَلِمَتِهَا يَعْصِمُهَا النَّقْطُ ، وَحُرُوفُ الْآخَرَى لَمْ يُمَجِّمَنَّ قَطُّ ، وَقَدْ اسْتَأْنَيْتُ

(١) الأغاني ٧ : ٢٦٤ . مع اختلاف في الرواية .

بِإِنِّي حَوَلَا ، فَمَا أَحَارَ قَوْلًا ، وَنَبِهْتُ فِكْرِي سِنَّةً ، فَمَا اَزْدَادَ
إِلَّا سِنَّةً . وَاسْتَعْنْتُ بِقَاطِبَةِ الْكِتَابِ ، فَكُلُّ مِنْهُمْ قَطَّبَ
وَتَابَ ، فَإِنْ كُنْتَ صَدَعْتَ عَنْ وَصْفِكَ بِالْيَقِينِ ، فَأَتِ بِآيَةٍ إِنْ
كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ .

فَقَالَ لَهُ : لَقَدْ اسْتَسْعَيْتَ يَعْثُوبًا ، وَاسْتَسْقَيْتَ اُسْكُوبًا ،
وَأَعْطَيْتَ الْقَوُسَ بَارِيهَا ، وَأَسْكَنْتَ الدَّارَ بَانِيهَا . ثُمَّ فَكَّرَ رَيْمًا
اسْتَجَمَّ قَرِيحَتُهُ ، وَاسْتَدَّرَّ لِقَحْتَهُ ، وَقَالَ : أَلْقِ دَوَانِكَ وَاقْرُبْ^(١) ،
وَاخُذْ أَدَانِكَ وَاسْكُتْ :

◊ ◊ ◊

قوله : « أوالى » ، أى أُلَازِمُ وَأَتَّخِذُهُ وَلِيًّا . أَرْقَحَ : أَصْلَحَ ، يُقَالُ رَقَّحَ مِنْ
عَيْشِهِ ، إِذَا أَصْلَحَ مِنْهُ ، قَالَ الشَّاعِرُ :

يَتْرُكُ مَا رَقَّحَ مِنْ عَيْشِهِ يَعْثُتُ فِيهِ هَمَجٌ هَامِجٌ^(٢)

الْهَمَجُ : الْبَعْوُضُ ، ثُمَّ قِيلَ لِأَرْذَالِ النَّاسِ : هَمَجٌ . الْحَالِي : الْمَزِينُ بِالْحُلِيِّ .
أَوْدَى : عَوَجَى . سَعَةً : كَثْرَةً . ذَاتُ يَدَى ، أَيْ مَالَى . عُدْدَى : عِيَالَى . حَازَى :
ظَهَرَى ، وَفُلَانٌ خَفِيفُ الْحَازِ ، أَيْ قَلِيلُ الْعِيَالِ ، وَأَصْلُ الْحَازِ مُؤَخَّرُ الْفَخْزِذِينَ .
نَفْدَرِذَانِ : فَرَحٌ قَلِيلٌ مَالَى ، وَالرَّذَاذُ . الْمَطَرُ الضَّعِيفُ . أَمَّتَهُ : قَصَدَتْهُ . أَرْجَأْنِي :
جَهَانِي وَبِلَادِي . رَجَأْنِي : أَمَلْنِي . رُؤَاؤِي : حَسَنُ هَيْئَتِي وَحَالِي : إِبْرَؤَاؤِي : إِزَالَةُ
عَطَشِي . هَشَّ : خَفَّ ، وَرَجُلٌ هَشَّ بَسَامَ : طَلِيقُ الْوَجْهِ . لِلْفَوَادَةِ : لِلْقُدُومِ عَلَيْهِ . وَارْتَاخَ :
طَرَبَ وَاهْتَزَّ . الْإِفَادَةُ : تَكْسِيبُ الْفَوَائِدِ . الْمَرَّاحُ ، بِفَتْحِ الْمِيمِ : الْمَشَى وَالْإِنْصِرَافُ .

(١) ساقطة من مخطوطة المقامات .

(٢) اللسان - رقع ، ونسبة إلى الحارث بن حنزة .

والأراح، بالضم: الموضع الذى ترُوح إليه الإبل وتروح منه ، أو تراح إليه ، أى تساق بالعشى . والراح ، بالكسر: النشاط والخِفة ، وقد مَرِحَ مَرَحًا ، لعب، من الفرح . كاهل : ما بين فروع الكتفين ، استعاره للنشاط . أزمعت : عزمت . بتاتًا : زادًا . شتاتًا : مالا متفرقا . نشىء : تصنع وتكتب . أمام ارتحالك : قبل سفرك : تودّعها : تضمّنها وتجعل فيها . يعجمن : ينتطن ، وأعجمت الكتاب : أزلت عنه عجمته .

قطّ: لفظة موضوعة لما مضى من الدهر . وجعل الحريرى قول الخواصّ: « لا أكله قطّ » من أخش الخطأ لتناقض الكلام، قال : وذلك أن العرب تستعمل لفظة « قطّ » فيما مضى من الزمان ، كما تستعمل لفظة « أبداً » فيما يستقبل ، فيقولون ما كلمته أبداً ، والمعنى : ما كلمته فيما انقطع من عمرى ، لأنه من قططتُ الشيء ، إذا قطعته ، ومنه قطّ القلم ، إذا قطع طرفه . وفيما يؤثر من شجاعة علىّ رضى الله عنه أنه كان إذا استقبل قدّ ، وإذا استدبر قطّ ، فالقدّ قطع الشيء طولا ، والقطّ قطعه عرضاً^(١) . يقول: تصنع رسالة تضمّنها حالك ، يكون تركيبها من كلمة يعمّ حروفها النقط ، وكلمة لا ينقط منها حرف ، وبهذا المعنى سُمّيت المقامة الخيفة ، لأنّ الأخيف من الخيل: الذى إحدى عينيه زرقاء . والأخرى كحلاء . استأنيت : أمهلت وأخرت . أحر : ردّ وراجع . نبتت : أيقظت . سنّة : حولا . سنّة : نومًا . قاطبة : جماعة . قطّب وجهه ، إذا عبّسه . صدعت : أوضحت وأظهرت ، وأصل الصدع الشقّ . باليقين : بالحقّ الواضح . آية : علامة ، قال ابنُ الأنباريّ رحمه الله: فى قولهم آية من القرآن ثلاثة أوجه : قيل إنها علامة لانقطاع الكلام قبلها وبعدها ، واحتجّ أبو عبيدة لذلك بقول الشاعر :

* بآية ما تحبّون الطعّامًا *

وبقول النابغة :

تَوَهَّمْتُ آيَاتِهَا فَعَرَفْتُهَا لِسْتَةً أَعْوَامٍ وَذَا الْعَامُ سَابِعٌ^(١)
 الثانى: سُمِّيت الآية لأنها جماعة حروف ، قال أبو عمرو: خرج القوم بأيّتهم ،
 أى بجماعتهم .

الثالث: سُمِّيت آية لأنها عجب من العجائب ، فالآية العجب .

قوله : « استسقيت » : طلبت سعيه أى جريه . واليعبُوب: الفرس السريع .
 استسقيت : استمطرت وطلبت سُقياه . والأُسْكُوب : المطر الكثير . باريها :
 صانعها ، وكل هذه أمثال ، ويريد : أنا أهل لكل ماطلبت .

[الخطيئة وسعيد بن العاص]

وأول من قال: أعط القوس باريها^(٢) الخطيئة ، وذلك أنه دخل على سعيد
 ابن العاص وهو يقرى الناس ، فأكل أكلًا جافيًا، وخرح الناس ، فأقام ، وأتاه
 الحاجب ليخرجه فامتنع ، وقال : أترغب بهم عن مجالستي ! إني بنفسى عنهم
 لأرغب ! فقال له سعيد : دعه . ثم تذاكروا الشعر والشعراء ، فقال لهم الخطيئة:
 والله ما أصبتم جيد الشعر ولا شاعر العرب ، ولو أعطيتم القوس باريها ، وقعتم
 على ما تريدون ، فقال له سعيد : فمن أشعر العرب ؟ قال : الذى يقول :

لَا أَعُدُّ الْإِقْتَارَ عُدْمًا وَلَكِنْ فَقَدُ مَنْ قَدَرُزْنُهُ الْإِعْدَامُ

إلى آخر القصيدة . قال : فمن قائلها ؟ قال : أبو دواد الإيادى ، قال : ثم
 من ؟ قال : والله لحسبك بى رهبة أو رغبة ؛ أنا إذا رفعت إحدى رجلى على
 الأخرى ، وعويت فى إثر القوافى كما يعوى الفصيل الصادى إثر أمه ؛ قال :

(١) ديوانه . ٥٠ .

(٢) الميماني ٢ : ١٩ ، وجهرة الأمثال ١ : ٧٦ .

[من أنت ؟ قال : ^(١) الحليمة ، قال : حيّاك الله يا أمليكة ، ألا أعلمتنا بمكانك ، ولم تحملنا على الجهل بك ، فنضيع حقك ونبخسك قسطك ! وأدناه ووصله ^(٢) .
وقال الشاعر :

يا باري القوس برّ يا ليس يُحسِنُه لا تنظلم القوس واعط القوس باريها
ريث : مقدار وبطء . استجتم : استكثر . قريحته : طبيعته ، والقريحة في
الأصل أوّل ماء البئر النابع ، واستجتمها : تركها حتى تكثر . استدرّ : استنزل .
درّها وهو لبنها . واللقحة : الناقة ذات اللبن ؛ يريد : أقام قليلا يفكر ويختار .
ما يقول : ومثل هذه الحالة ذكرُوا أن صديقا لكلثوم العتّابي أتاه يوما ،
فقال له : اصنع لي رسالة ، فاستمدّ مدّة ، ثم علّق القلم ، فقال له صاحبه : ما أرى
بلاغتك إلّا شاردةً عنك ، فقال له العتّابي : إني لما تناولتُ القلم تداعت عليّ
المعاني من كلّ جهة ، فأحببت أن أترك كلّ معنى حتى يرجع إلى موضعه ، وهذا
مثل قول امرئ القيس - ويقال إنه قالها وهو ابن عشر سنين :

أذودُ القوافي عني ذبادا ذباد غلام غوى جوادا ^(٣)
فلما كثرت وعينته تخير منها جوادا جبادا
فأعزل مرجانها جانبا وآخذ من درّها المستجادا

وقال عريف القوافي ^(٤) :

أبيتُ بأبواب القوافي كأنما أصادى بها سربا من الوحش نزعا
عواصي إلا ما جعلت وراءها عصا مرّ بدّ نفسي وجوها وأذرعا
إذا خفت أن تُروى على رددها وراء التراقي خشية أن تطلعا

(١) من الأغاني (٢) : ١٦٧ ، مع تصرف واختصار .

(٣) ديوانه : ٢٤٨ .

(٤) كذا ذكر المؤلف ، والأبيات في الشعر والشعراء ٦١٦ ، ٢٣ ، والبيان والتبيين ١٢ : ٢

والأغاني ١١ : ١٢٣ مفسوبة لسويد بن كراع .

أَصَادِي : أَدَارِي ، وجعل القوافي تفتح عليه كالإبل ، وهو يضربها بعصاه حتى يختار جيادها .

[فصل في الدواة والمداد والقلم]

قوله « أَلِقْ » ، أى اجعل فيها ليقة ، تقول : لَقت الدواة فهي مَلِيقَة ، وأَلَقْتُهَا فهي مُلَاقَة ، وجمع اللَّيْقَةِ لَيِّق . ويقال للصُّوفَة قبل أن تُبَلَّ بالمداد : البُوهَة والمُورَة ، فإذا بَلَّت بالمداد سُمِّيت ليقة ، وقد يقال لها : ليقة قبل أن تُبَلَّ ، سميت بما تتول إليه ، كما قيل للكَبْش : ذَبِيح ، وللصيد : رَمِيَّة ، فإن كانت قطنَة فهي العُطْبَة والكُرْسُفَة ، وكُرسفت الدواة كُرسفَة ، والقطن كله يقال له : العُطْب والكَرْسَف .

ويقال للمداد : نَقَسَ ونَقَسَ ، والكسر أفصح ، وقيل : الفتح مصدر نَفَسَتْهَا ، جعلت فيها نَفَسًا ، والخَبَرُ من المداد بالكسر لا غير ، والخَبَرُ بالفتح والكسر : العالم . وقال بعضهم : سَمِيَ المداد خَبَرًا بِاسْمِ الْعَالَمِ ، كأنهم أرادوا مداد خَبَرٍ ، فحذفوا ، ولو كان ما قالوه صحيحًا لقالوا للمداد : خَبَرٌ بِالْفَتْحِ ، والأشبه أن يَسَمَى خَبَرًا لِأَنَّهُ يَحْسُنُ الْكِتَابَةَ ، من قولهم : خَبَرْتُ الشَّيْءَ إِذَا حَسَّنْتَهُ . ويقال لِلْجَمَالِ : خَبَرٌ وَسَبَرٌ ، فمداد خَبَرٍ ، كقولك مداد زينة وجمال ، أو يكون من الْخَبَرِ وَالْخُبَارِ ، وهو الأثر ، فيسَمَى بذلك لتأثيره في الكتاب . ويقال : مَدَدْتُ الدَّوَاةَ أَمَدَهَا مَدًّا ، إِذَا جَعَلْتُ فِيهَا مِدَادًا ، فَإِنْ كَانَ فِيهَا مَدَادٌ فَزِدْتُ عَلَيْهِ قَلْتُ : أَمَدْتُهَا ، فَإِذَا أَمَرْتَهُ أَنْ يَأْخُذَ مِنَ الْمَدَادِ بِالْقَلَمِ قُلْتُ : اسْتَمَدَّ ، فَإِنْ سَأَلْتُهُ أَنْ يَعْطِيكَ عَلَى الْقَلَمِ مِدَادًا ، قُلْتُ : أَمِدْ دُلِّي مِنْ دَوَاتِكَ ، وَاسْتَمَدَدْتُهُ أَنَا ؛ سَأَلْتُهُ أَنْ يَمِدَّنِي . وقال الخليل : مُدَّنِي وَأَمَدَّنِي : أَعْطَنِي مِنْ مَدَادِ دَوَاتِكَ ، وَكُلَّ شَيْءٍ زَادَ فِي شَيْءٍ فَهُوَ مَدَادٌ لَهُ ، وَأَمَهْتَ الدَّوَاةَ وَمَوَّهْتَهَا ؛ إِذَا جَعَلْتَ فِيهَا مَاءً ، وَالْأَمْرُ مِنْ ذَلِكَ كُلِّهِ أَمُهُ وَمَوَّهُ دَوَاتِكَ .

واشتقاق الدَّوَاةِ مِنَ الدَّوَاءِ ، لِأَنَّ بَهَا إِصْلَاحَ أَمْرِ الْكِتَابِ ، وَبَعْضُ الشُّعْرَاءِ اسْتَقْبَهَا مِنْ دَوَى الرَّجْلِ يَدَوَى دَوِيًّا ، إِذَا صَارَ فِي جَوْفِهِ الدَّاءُ ، قَالَ : (١٦ - شرح مقامات الحريري)

أَمَّا الدَّوَاةُ فَادَوَى حَمَلَهَا جَسَدِي وَحَرَفَ الْخَطَّ تَحْرِيفًا مِنَ الْقَلَمِ^(١)
ووزنها « فَعَلَةٌ » تحرّكت الياء وقبها فتحة ، فقلبت ألماً ، وتجمع دَوَايَات ؛
كقناة وقنّوات ، ودَوَى كقناة وقنّاً . ويقال : أدويت فأنا مدوّ : اتخذت
دواة ، ويقال للذي يبيعها : دواء كحياط ، وإذا أمرت من يتخذها قلت : أدوّ
دواة ، ويقال لمن يحمئها ويمسكها : دواء ، ويقال لها : الدواة والرقم والنون .
ويقال : هو القلم والمزبر بالزاي والمذبر من زبرت وذبرت ، أى كتبت ، ومن
فرّق بينهما قال : زبرت بالزاي ، أى كتبت ، وذبرت ، أى قرأت . وسُمّيَ
قلماً لأنه قلم ، أى قطع وسوّى ، كما يقلم الظفر ، وكلّ عود قطع وحُز رأسه وأُعلم
بعلامة فهو قلم ، قال الله تعالى : ﴿ إِذْ يُنْقَوْنَ أَفْلاَمُهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ ﴾^(٢) ،
وكانت سهماً فيها أسماءهم مكتوبة . ويقال للذي يقلم به : مقلم ، وللذي يُبْرِى
به : مبرّى ، ولما سَقَطَ عن البرى والتقليم : القلامة والبراية . وقيل لأعرابي :
ما القلم ؟ ففكر ساعة ، وجعل يقلّب أصابعه ، ثم قال : لا أدري ؛ فقيل له :
توهّمه في نفسك ، قال : هو عود قلم من جوانبه كتقليم الأظفار . ويقال
للعقده : الكعوب ، واحدها كعّب ، ولما ينبت الأنايب ، واحدها أنبوب ،
ويستعملان في الرّمح ، وفي كلّ عود فيه عُقْد ، والعقدة التى تشينه تسمى
الأبنة وجمعها أبَن ، فإن كان في العود أو القصبة تأكل ، قيل فيه : قاذح
ونقّد ، ويقال لباطنه : الشحمة ، ولظاهره الليط ، فإن قشرت منه قشرة قلت :
لبيطت من القلم ليطّة ، فإن أخذت شحمته بالسكين قيل : شحمته أشحمه ، فإن
أفرطت في أخذها ، قلت : بطنته تبطيناً فهو مبطن ، وحفرته فهو محنور ، فإن
تركت شحمته ، قلت : أشحمته إشحاماً . ويقال لغشائه الذى عليه : الغلاف
واللحاء والقشر ، فإذا نزعها عنه قيل : قشرته ولحوته وقشوته وسحوته ،

(١) الاقتضاب ٨٢ .

(٢) آل عمران ٤٤ .

هو يقال في ثلاثتها بالياء ، ووسقته ونقخته ، مشددان . ويقال لطرفيه اللذين يكتب بهما : السّتان والشّعيرتان ، واحدهما سنّ وشعيرة ، فإذا قطع طرفه وهيئ للكتابة قيل : فططته أقطه فطاً ، وصمته أفصمه قصماً ، والمقط بالكسر : ما يقطّ عليه ، وبالفتح الموضع الذي يقط من رأسه ، فإن جعلت إحدى سنّيه أطول من الأخرى قلت : قلم محرف ، وقد حرّفته تحريفاً ، فإن سويتهما قلت : قلم مبسوط ، فإن سمع له صوت عند الكتابة ، فذلك الصريف والصرير والرشيقي ويقال للقصب : البراع والأباء ، الواحد يراعة وأبأة ، وقيل : الأباء أطراف القلم ، أى القصب ، ويقال للقطن الذي يوجد في بطنها : البئيم والقيصف والقيسع ، واحده بئيمة وقيصفة وقيسعة ، فإن كان في القصب تأكل قيل فيه : قاذح ونقد ، وكذلك العود والسنّ والقرن ، فإن كان فيها عوج فذلك الدرء^(١) .

قوله : «خذأداتك» ، أى قلمك . وقال ابن طاهر لكتاب له : ألق دواتك ، وأطل سنّ قلمك ، وفرّق بين السطور ، وتوسط بين الحروف .
وقال ابن عبد ربه : ينبغي للكاتب أن يصلح آلتة التي لا بدّ له منها ، وأداته التي لا تتمّ صناعته إلا بها ، وهى دواته ، فلينعم ربّها بإصلاحها ، ثم ليختار من أنابيب القصب أفضلها عقداً ، وأكثفها لحماً ، وأصلبها قشراً ، وأعدّها استواءً ، ويجعل لقرطاسه سكيناً حاداً ليكون عوناً له على برّى أعلامه ، ويبريها من ناحية نبات القصب .

واعلم أنّ محلّ النظم من الكتاب محلّ الرّمح من الفارس ، نظم أحد الشعراء فقال :

يُمسِكُ الفارسُ رُمحاً بيدٍ وأنا أمسكُ فيها قَصَبَهُ
فكللانا فارسٌ في شأنِهِ إنما الأَقلامُ رُمحُ الكُتّابَةِ

(١) نظر المؤلف في هذا النصل إلى ما أورده ابن السيد البطليوسى في كتاب الاقتضاب في شرح أدب الكتاب لابن قتيبة ص ٨٢ - ٨٧ مع تصرف واختصار .

وقال أبو الفتح البُستى :

إن هزَّ أقلامه يوماً ليعملها أنساك كلِّ كميِّ هزَّ عامِلَه^(١)
وإن أقرَّ على رقٍّ أنامله أقرَّ بالرقِّ كتابُ الأنام له

رأى جعفر بن يحيى خطأ فاستحسنه ، فقال : الخطَّ خيِّط الحكمة ، يُنظم فيه منشورها ، وتُفصل فيه شذورها .

ومن كتاب جعفر بن يحيى إلى محمد بن الليث : أما بعد ، فليكن قلمُك محرِّقاً ، لا متيناً ولا رقيقاً ، ضيقَ القلب . فابْرِه برياً مستويّاً كمنقار الحمامة ، أعطفَ بطنه ، ورققْ شفرتيه ، وليكن قِرطاسك رقيقاً مستويّ النَّسج ، مخرَج السَّحاة^(٢) ، مستويّاً من أحد الطرفين إلى آخره ، فليست تستقيم السَّطور إلا فيما كان كذلك ، وليكنْ أ كثر مَطَك في أطراف القِرطاس الذى فيه يسارك ، وأقله في الوسط ، ولا تمطْ في الطرف الآخر ، والمطّ نصف الخطّ ، ولا يقوى عايه إلا العاقل .

قال العتّابى : سألني الأصمعيّ في دار الرشيد : أىّ الأنائب للكتابة أصْلَح ، وعليها أصْبِر ؟ فقلت له : ما نَشِف بالهجير ماؤه ، وستره من تلويحه غشاؤه ، من الدّرية الظهور ، النيرة القشور ، الفِضّة الكسور ؛ قال : فأىّ نوع من البرى أصوب وأكتب ؟ فقلت له : البرية المستوية القطة ، التى عن يمين سنّها قرنة^(٣) ، تأمن معها المجّة عند المدّة والمطة ، للهواء في شِقِّها صفيق^(٤) ، والريّح في جوفها خريق ، والمداد في خرطومها رقيق . قال العتّابى : فبقى الأصمعيّ شاخصاً إلىّ لا يحيرُ جواباً^(٥) .

(٢) السحاة : القشرة ..

(١) بقيمة الدهر ٤ : ٢٩١

(٤) المقعد : « فبتقى »

(٣) القرنة : الطرف المائل من كل شيء

(٥) المقعد ٤ : ١٧٣

وقال الحسن بن وهب : يحتاج الكاتب إلى خلال : جودة برزى القلم ، وإطالة جلفته ، وتحريف قَطّته ، وحسن التأقّي لامتطاء الأنامل ، وإرسال المدّة بعد إشباع الحروف ، واستواء الرسوم ، وحلاوة المقاطع .
وقال بعض الكتاب : عَطَّروا دفاتركم بجديد الخبر ، فإنّ الكتب غوانٍ والخبر غوالٍ .

وقال بعض الكتاب أيضاً :

وما رَوْضُ الربيعِ وقد زهاه ندَى الأسحارِ يَارجُ بالغداةِ
بأضوعٍ أو بأسطعٍ من نسيمٍ تؤدّيه الأفاوهُ من دَوَاةِ
كأنّ هذا من قول الآخر :

دعى في الكتابه ليس منها له فِكْرٌ يُعدّ ولا بديه^(١)
كأنّ دواته من ريقٍ فيه تلاقٍ ، فريحُها أبدأ كريحه

ونظر جعفر بن محمد إلى فتى على ثيابه أثر مداد ، وهو يستره ، فقال له :
لا تجزعنّ من المِدادِ فإنه عَطَّرَ الرجالَ وحِلْيَةَ الكُتّابِ
ولبعضهم يهجو كاتباً :

حمارٌ في الكتابة يدعيها كدعوى آل حربٍ في زيادِ
فدغ عنك الكتابة لستَ منها ولو لطّختَ نفسك بالمِدادِ
وقال كُشاجم لورّاق يدعى الكتابة :

وزعمتَ أنّك في الكتابة مدركٌ شأوى ، فقلت : رماحنا أقلامٌ^(٢)
هيهاتَ تلكَ صناعةٌ ممزوجةٌ فيها ضيلاء واضحٌ وظلامٌ

(١) أدب الكتاب للصولي ١٠١

(٢) ديوانه ١٦٠ وفيه : « يريق دماءنا »

هذا الحديد سلاح أبطال الوغى وبه يَنْسَجُ دماءنا الحجام
وقال أبو العيناء : كنتُ عند إبراهيم بن العباس ، وهو يكتب كتاباً ،
فنقطت من القلم نقطة مفسدة ، فمسحها بكمه ؛ فتعجبت ، فقال : لا تعجب ،
المال فرع والقلم أصل ، والأصل أحوج إلى المراجعة من الفرع ، وبهذا السواد
جاءت هذه الثياب ، ثم أطرق قليلاً وقال :

إذا ما النِكرُ وَلَدَ حسن لفظٍ وأسلَمَهُ الوجودُ إلى العِيانِ
ووشَّاهُ فنمنه جوادٌ فصيحٌ في المقالِ بلا لسانِ
ترى حُلَّ التَّبيانِ منشراتٍ تجلَّى بينها صور المعاني

وكتب سليمان بن وهب بقلم صلب ، فاعتمد عليه اعتماداً شديداً ، فصرَّ
القلم في يده ، فأنشد :

إذا ما التقينا وانتضينا صوارماً يكاد يُصمُّ السامعين صريرُها
تساقط في القِرطاس منها بدائعٌ كمثل اللآلى نظمها وثيرُها
تقود أبيات البيان بفطنةٍ تكشف عن وجه البلاغة نورُها
تظُلُّ المنايا والعطايا شوارعاً تدور بما شئنا وتمضي أمورُها
إذا ما خطوب الدهر أرخت ستورها تجلَّت بنا عما يسر ستورها

وأتى رجل وكيماً ، فقال : رجل يمت إليك بحرمة ! فقال له : وما حُرمتك ؟
قال له : كنت تكتب بمحبرتي عند الأعمش . فوثب وكيع إلى منزله ، ثم
أخرج منه دنانير لنفقته ، وقل له : اعذرني فما أملك غيرها ، ودعها إليه .

وقال أبو الحسن بن لبّال في محبرة آبنوس :

وخديمة للعلم في أحشائها كلفَ بجمع حلاله وحرامه
ليست رداء اللّيل ثم توشّحت بنجومه وتوَجَّت بهلاله

وحدثني عن شيخى النقيه أبى عبدالله بن زرقون ابنه الفقيه أبو الحسين ،
قال : حدثني أبى أنه كان بسبته أيام الشبية والطلب ، فى مجلس جمع من طلبة
الأدب ، فتعرض لهم رجل بمحبرة صنعها ، وأراد أن يقصد بها الوالى على حسنها ،
وكانت محبرة آبنوس بحلية صفراء مذهبة ، فأطرقوا يروون ، فبادرهم أبو الطالب
ابن أبى ركب فقال :

جاءتك من غرر العلا زنجية^١ فى حلة من حلية تنبخر^٢
سوداء صفراء الحلى كأنها ليل تطرزه نجوم تزه^٣

فاستحسنهما من حضر ، ورأوا أنه قد أربى على الغاية فيما عنه صدر ،
فكتبنا للرجل فى رقعة ، فبعد ما سار بها قليلا ، رجع فأبرز منها قلم صفر مذهباً ،
ورغب أن يضمن ذكره فى منظوم يضاف إلى البيتين ، فأطرقوا يروون فى ذلك ،
فبادرهم أبو طالب المذكور فقال :

كملت بأصفر من نجار حليها^١ تخفيه أحياناً ، وحيناً يظهر^٢
خرسان إلا حين يرضع ثديها^٣ فتراه ينطق ما يشاء ويذكر^٤
وقال آخر يصف دواة وأقلاما :

قد بعثنا إليك أم العطايا^١ والمنايا زنجية الأخساب^٢
فى حشاها من غير حرب حراب^٣ وهى أمضى من نافذات الحراب^٤

وأحسن ما قيل فى القلم قول حبيب يصف قلم محمد بن عبد الملك الزيات :
لَكَ القلمُ الأعلى الذى بسنانه^١ تُصاب من المرء الكلى والمفاصل^٢ (١)
له الجلاوات اللاء لولا نجمها^٣ كما احتفلت لملك تلك المحافل^٤
لُعاب الأفاعى القاتلات لعابه^٥ وأرى الجنى اشتارته أيدى عواسل^٦ (٢)

(١) ديوانه ٢٥٧ ، وشبابة القلم : حده .

(٢) الأرى : العسل .

له ديمةٌ طُلٌّ ، وَلَكِنَّ وَقَمَهَا بآثاره في الشرق والغربِ وَابِلٌ^(١)
فصيحٌ إن استنطقته وهو راكب وأعجمٌ إن خاطبته وهو راجِلٌ
إذا ما امتطى الخمسَ اللطاف وأفرغت

عليه شعاب الفكر وهي حَوَائِلُ
أطاعته أطرافُ القنا وتقوّضتْ لنجواه تقويضَ الخيامِ الجحافلُ
إذا استغزر الذهنَ الذكيَّ وأقبلتْ أعاليه في القرطاسِ وهي أسافلُ
وقد رفدته الخنصران وسدّدت ثلاث نواحيه الثلاثُ الأناملُ
رأيتَ جليلاً شأنه وهو مرهفٌ ضئى ، وسميناً خطبه وهو ناحِلُ

وقال أبو الفتح البستي :

إذا أقسم الأبطالُ يوماً بسيفهم وعدّوه مما يكسب المجد والكرمَ^(٢)
كفى قلم الكتاب مجداً ورفعاً مدى الدهر أن الله أقسم بالآلَمِ

وقال البحري :

تعنوله وزراء الملك خاضعةً وعادةُ السيفِ أن يستخدِمَ القلمَ^(٣)

وقال أبو العباس التنوخي :

إن يخدمَ القلمُ السيفَ الذي خضعتْ

له الرقابُ ودانت خِوفُه الاممُ

فالموتُ والموت لا شيءٌ يقابلهُ ما زال يتبع ما يجري به القلمُ
بذا قضى الله للأقلامِ مذبذبَ رِبَتِ أن السيوف لها مذبذبُ رِهَتِ خَدَمُ

(١) الطل : المطر الغليل ، والوابل : المطر الكثير .

(٢) ديوانه ٢٠٤٨

(٣) الطرائف ٢٢

وناقضه أبو الطيب المتنبي فقال :

حتى رجعتُ وأقلامي قوائِلُلى : المجد للسيف ليس المجد للقلم^(١)
اكتب بنا أبداً بعد الكتاب به فإنما نحن للأسيافِ كالخدمِ
وقال الصولي : فاخر صاحب سيف صاحب قلم ، فقال صاحب القلم : أنا أكتب
بلا غرر ، وأنت تقتل على خطر ، فقال صاحب السيف : القلم خادم السيف إن تم
مداده ، وإلا فإلى السيف معاده .

قال الصولي : وقال بعض اليونانيين : الدين والدنيا تحت شيتين : سيف
وقلم ، والسيف تحت القلم .

وفي ذلك يقول جرير النميري :

أتَحْرِقُنِي وَلَسْتَ لَذَاكَ أَهْلًا وَتُدْنِي الْأَصْغَرَيْنِ مِنَ الْخِوَانِ
جَاهِزَةٌ وَكِتَابٌ وَلَيْسَ— بَفِرْسَانِ الْكِتَابَةِ وَالطَّعْمَانِ
سَتَذَكِّرُنِي وَتَعْرِفُنِي إِذَا مَا تَلَاقَى الْحَلَقَتَانِ مِنَ الْبِطَانِ
وقال كشاجم :

هَنِيئًا لِأَصْحَابِ السُّيُوفِ بَطَالَةٌ تَقْضِي بِهَا أَيَامَهُمْ فِي التَّنْعَمِ
وَكَمْ فِيهِمْ مَنْ دَائِمَ الْأَمْرِ لَمْ يَرِغْ بِمُحْرَبٍ وَلَمْ يَنْهَدْ لِقَرْنَ مَصْمَمِ
وَكُلَّ ذَوِي الْأَقْلَامِ فِي كُلِّ سَاعَةٍ سَيُوفُهُمْ لَيْسَتْ تَجِفُّ مِنَ الدَّمِ
وقال آخر :

قَوْمٌ إِذَا أَخَذُوا الْأَقْلَامَ مِنْ قَصَبٍ ثُمَّ اسْتَمَدَوْا بِهَا مَاءَ الْمَنِيَّاتِ
نَالُوا بِهَا مِنْ أَعَادِبِهِمْ وَإِنْ بَعَدُوا
مَالًا يَنَالُ بِحِمَّةِ الْمَشْرِقِيَّاتِ

وقال البحتري يصف كلام الحسن بن وهب وأقلامه :

وإذا تألق في العيون كلامه الـ
وإذا دجت أقلامه ثم انتجت
فاللفظ يقرب فهمه في بُعدِه
حكيمٌ ، فسأحمها خلال بنائه
فكأنها والاعم معقود لها
وقال علي بن الجهم في رقعة جاءته بخط جارية :

ما رقعة جاءتك مثنيّةً كأنها خدّ على خدّ^(٢)
نَبْدُ سوادٍ في بياضٍ كما^(٣) ذُرّ فتيتُ المسك في الورد
ساهمة الأسطر مصروقةٌ عن وجهة الهزل إلى الجلد
يا كاتباً أسأني عتبه إليه ، حسبي منك ما عندي
وقال البحتري في 'بن الزيات :

قد تصرّفت في الكتابة حتى عطّل الناس ذكرَ عبدِ الحميد^(٤)
في نظامٍ من البلاغة ما شكّ أمرؤ أنه نظامُ فريدٍ
وبديع كأنه الزهر الضا حك في رونقِ الربيع الجدريد
ما أعيرت منه بطونُ القرايط س وما حلت ظهورُ البريد
حزنٌ مستعمل الكلام اختياراً وتجنّبٌ ظلمة التقييد
كالغدارى غدوّ في الحُلل الصفّ ر إذا رُحْن في الخطوب السود

قال المأمون لمحمد بن داود : إن شاركناك في اللفظ فقد تاركناك في الخطّ ،
فقال : يا أمير المؤمنين ، إن من أعظم آيات النبي صلى الله عليه وسلم أنه أدّى
عن الله تعالى رسالته ، وحفظ وحيه ، وهو أُمّى لا يعرف من فنون الخطّ فناً ،

ولا يقرأ من حروفها حرفاً ، وبقي عمود ذلك في أهله ، نهم يشرفون بالشرف الكريم في نقص الخط ، كما يشرف غيرهم بزيادته ، وإن أمير المؤمنين أخص الناس برسول الله صلى الله عليه وسلم ، والوارث لموضعه ، والمتقلد لنهيه ولأمره ، فتعلقت به المشابهة الجاليلة ، وتناهت إليه الفضيلة . فقال المأمون : يا محمد ، لقد تركتني لا آسى على الكتابة ولو كنت أمياً .

قد ذكرنا من آلات الكتابة نثراً ونظماً ما فيه كناية وفي السادسة والعشرين من النظم في أوصاف الكتاب ما يستحسن وينتظم بما أوردنا هنا . وإنما أخرج الحريري رسالته الخيئة من هذه الأوصاف المنظومة في الرسائل التي قدّمناها آنفاً لما ذكره من أن جميع الكتاب قطب لإنشائها وتاب ، لما فيها من لزوم تقط لفظة وترك أخرى ؛ وهي على ما بها من التكلف ، رائقة المعاني ، أنيقة المباني ، ولو غيره تعادها لأظلمت معانيها ، وتداعت مبانيها ، فله هو ! لقد كان منقاداً له صعب الكلام بأيسر مرام ! وما هو في محاولة البلاغة إلا كما قال حبيب في سليمان بن وهب :

سُرُحُ نَطْقِهِ إِذَا مَا اسْتَمَرَّتْ عَقْدَةُ الْعِي فِي لِسَانِ الْخَطِيبِ ^(١)
وَمَصِيبُ شَوَاكِلِ الْأَمْرِ فِيهِ مُشْكَلَاتُ مَلَكْنِ أُبِّ اللَّيْبِ
لَا مَعْنَى بِكُلِّ شَيْءٍ وَلَا كُلُّ عَجِيبٍ فِي عَيْنِهِ بِعَجِيبِ

* * *

الكَرْمُ - ثَبَتَ اللَّهُ جَيْشَ سَعُودِكَ - يَزِينُ ، وَاللَّوْمُ - غَضُّ الدَّهْرِ
جَفَنَ حَسُودِكَ يَشِينُ ، وَالْأَرْوَعُ يَثِيبُ ، وَالْمَعُورُ يَخِيبُ ، وَالْخَلَّاحِلُ
يُضِيفُ ، وَالْمَا حِلُّ يُخِيفُ ، وَالسَّمْعُ يُغْذِي ، وَالْحَكُّ يُقْذِي ، وَالْعَطَاءُ
يُنْجِي ، وَالْمِطَالُ يُشْجِي ، وَالِدُّعَاءُ يَقِي ، وَالْمَذْحُ يُنْقِي ، وَالْحَرْ يُجْزِي

(١) ديوانه ٣٧ . وفي فيه : « سرح قوله » .

والإلطاء يُخزى، وإطراحُ ذِي الْحُرْمَةِ غِيٌّ، وَمَحْرَمَةُ بِنِي الْآمَالِ بَغْيٌ،
وَمَا ضَنَّ إِلَّا غَبْنٌ، وَلَا غُبْنَ إِلَّا ضَنْبٌ، وَلَا خَزَنَ إِلَّا شَقِيٌّ، وَلَا
قَبْضَ رَاحَةٍ تَقِيٌّ. وَمَا فَتَى، وَعَدُّكَ يَفِيٌّ، وَأَرَاؤُكَ تَشْفِيٌّ، وَهِيَ لَكَ
يُضِيٌّ، وَحِلْمُكَ يُنْفِضِي، وَالْأَوُّكَ تُغْنِي، وَأَعْدَاؤُكَ تُثْنِي، وَحُسَامُكَ
يُفْنِي، وَسُودُّكَ يَبْنِي، وَمُواصِلُكَ يَجْتَنِي، وَمَادِحُكَ يَقْتَنِي، وَسَمَاحُكَ
يُنَيْتُ، وَسَمَاؤُكَ تَغِيثُ، وَدَرْكَكَ يَفِيضُ، وَرَدُّكَ يَغِيضُ، وَمَوْثُوكَ
شَيْخٌ حَكَاهُ فِي، وَلَمْ يَبْقَ لَهُ شَيْءٌ. أَمَّاكَ بَطْنٌ حِرْصُهُ يُثِيبُ، وَمَدْحُكَ
بُنْخَبٌ مُهُورٌ مَا تَجِبُ، وَمَرَامُهُ يُخِفُ، وَأَوَاصِرُهُ تَشِفُ، وَإِطْرَاؤُهُ
يُجْتَذِبُ، وَمَلَامُهُ يُجْتَذِبُ، وَوَرَاءَهُ ضَفَفٌ، مَسَّهُمْ شَطَفٌ، وَحَصَّهُمْ
جَنَفٌ، وَغَمَّهُمْ قَشَفٌ، وَهُوَ فِي دَمْعٍ يَجِيبُ، وَقَوْلُهُ يُذِيبُ؛ وَهَمْزٌ
تَضْيِفُ، وَكَدٌّ نَيْفٌ، لِمَا مَوْلٍ خَيْبٌ، وَإِهْمَالُ شَيْبٍ، وَعَدُوٌّ نَيْبٌ،
وَهْدُوٌّ تَغْيِبٌ، وَلَمْ يَزْغُ وَدَّهُ فَيَغْضِبُ، وَلَا خَبِثَ عُودُهُ فَيَقْضِبُ،
وَلَا نَفَثَ صَدْرُهُ، فَيُنْفِضُ، وَلَا نَشَرَ وَصْلُهُ فَيُنْفِضُ، وَمَا يَقْتَضِي
كَرْمُكَ تَبَذُّ حُرْمِهِ؛ فَيُفِيضُ أَمْلَهُ، بِتَخْفِيفِ أَمْلِهِ، يَنْتُ حَمْدُكَ بَيْنَ
قَالِهِ. بَقِيَتْ لِإِمَاطَةِ شَجَبٍ، وَإِعْطَاءِ نَشَبٍ، وَمُدَاوَاةِ شَجَنٍ، وَمُرَاعَاةِ
يَقِنٍ، مَوْصُولًا بِخَفْضٍ، وَسُرُورٍ غَضٍّ، مَا غَشِيَ مَعَهُدُ غَنِيٍّ، أَوْ خَشِيَ
وَهْمُ غَنِيٍّ، وَالسَّلَامُ.

قوله : «غَضَّ الدهر جفن حُودَك» ، يقال : غَضَّ جَفْنَهُ ، أى سَدَّ عَيْنِيهِ ، دعاء عليه بالعَمَى ، يقول : الكرم يَزِينُ صاحبه . واللؤم — وهو البخل — يَشِينُهُ وَيَعْيِيهِ ، ثم دعاه بدوام السَّعد وثبوتِهِ ، وبعَمَى عَيْنِ الحُودِ حتى لا يبصر مَا أُعْطِيَ المَدُوحُ مِنَ النِّعَمِ ، فَيَأْخُذْهَا بِالْعَيْنِ . الأروع : السيد الكريم ، وهو الذى قَصِدَ ، وقيل : الأروع الحديد النفس ، وقيل : الذى يروءُكَ بِجَالِهِ . مُثِيبٌ : يُجَازِي قاصده . والمُعَوِّرُ : البادى العَوْرَةَ ، وهو الفارس يظهر فى طَعْنِهِ خَلَّ ، وأراد به الناقص الخلق الكثير السفاهة ، ومن جملة عيوبه البخل حتى يَحْجِبُ قاصده ، لأنه قَابِلٌ بِهِ الأروع ، وهو التامُّ الجسيم ، الجهير الصوت ، قال الشاعر :

بِوَاحِي لَيْثِمِ النَّاسِ كُلِّ مَلَأْتُمِ وَيَنْطِقُ بِالْعَوْرَاءِ مَنْ كَانَ مُعَوِّرًا

الحلال : السيد الذى يَحْمِلُ بِهِ الناس كثيرًا . يُضَيِّفُ : يُنْزِلُ الأضياف ويكرمهم . والمآحل : البخیل ، شَبَّهَ بِالْبَلَدِ المآحل ، وهو الجَدْبُ ، فَكَأَنَّ المآحل الذى لا يوجد عنده خير ، يقال : أمَحَلَّ البلد ، وبلد مآحل وذو مَحَلٍّ ، مثل لابن وتامر ، والمآحل التَّامُّ ، يقال : مَحَلَّ بِهِ إِلَى السلطان إِذَا وَشَى بِهِ ، وهو الذى يُخَيِّفُ عَلَى الحَقِيقَةِ ، والمآحل أَيْضًا : الخَاصِمُ ، وَقَدْ مآحَلْتُهُ وَمآحَلْنِي . يُفْذَى : يَطْمُ . وَالْحِكُّ : اللُّجُوجُ ، وهو مَقَابِلُ السَّمْحِ الخلق . يُفْذَى : يَحْمِلُ فى العَيْنِ قَذَى ، أى يَضُرُّ قاصده وَيؤْلَهُ . يُنْجَى : يَخْلُصُ صاحبه مِنَ الذَّمِّ ، وَتَقْدَمُ المِطَالُ . يُنْقَى : يَفْسَلُ العيب . والإلطاط : الامتناع من فعل الخير ، ويقال : لَطَّ وَأَلَطَّ ، إِذَا ذَهَبَ ، وَاطَّ الشَّيْءُ وَأَلَطَّ ، إِذَا سَتَرَهُ . يُخْزَى : يَهِينُ . اطْرَاحَ : تَرَكَ . ذَى الحرمة ، أى صاحبها ، والحرمة ما لا يَحِلُّ تَرَكَهُ لـ _ بن قصدك فقد دخل فى حرمك ، فتركه ليس من المروءة . غَىَّ : فساد وضلال . مَحْرَمَةٌ : منع . بنى الآمال : أهل الرجل الذين يرجون خيره ويأملونه . بَغَى : ظَلَمَ . ضَنَّ : بَخِلَ . غَنِينَ : مَخْدُوعٌ فى رأيه . ضَنِينٌ : بَخِيلٌ ، يقول : مَا يَضَنَّ بِمَالِهِ مَنْ هُوَ سَدِيدٌ .

النظر ولا المصيب الرأى إنما يبخل به مَنْ هـ فاسد النظر مغبون فى رأيه .
 خزن : حبس ماله : قبض راحه : ضمّ كفّه على ما فيها ، وهذه كناية عن المنع والبخل .
 والتقى : الذى يبقّى نفسه من العذاب بعماله الصالح ، من وقى نفسه أقيها ،
 واختلف فى وزنه قليل « فعول » وأصلها « وقوى » ، فأبدلوا من الواو تاء لقرب
 مخرجيهما ، ومن الواو الثانية ياء وأدغموها فى الياء : وكسروا القاف لتصحح
 الياء ، والاختيار أن يكون وزنه « فعيلاً » وأصله « تقى » ، فأدغموا الياء فى الياء ،
 وللدليل على صحته جمعهم له على أتقياء ، كولى وأولياء ، ومن قال : إنه
 « فعول » قال : لما أشبه « فعيلاً » بجمع جمعه .

قوله : « ما فتى » ، أى مازال . بنى : يصدق ويكون وقياً . آراؤك : جمع رأى .
 تشفى : تزيل الهم عن قلب ولّيك ، وتبرى مرضاً قاصداً من فقره ، يصفه بخودة
 الرأى وحسن النظر فيما يصلح به أحوال أصحابه وقصاده . هلاك يضى :
 يصفه بطلاقة الوجه وإضاءته عند السؤال ، قال زهير :

تراه إذا ما جئته متملاً كأنك تعطيه الذى أنت سائله^(١)

وكما قال أبو بكر فى الطلاقة :

وإذا نظرت إلى أسرة وجهه برقت كبرق العارض المتهلل

خلاقاً لسيء الخلق الذى يقطب وجهه عند اللقاء ، واللثيم الذى إذا سئل
 أنزوى وتقبض .

يفضى : يسمع . آلاؤك : نعمك . أعداؤك تشى : يقول لكثرة المادحين
 لك والناشرين لفضلك ، لم يمكن أعداؤك وحسادك ذمك لتكذيب الناس
 إياهم ، فصاروا يثنون عليك مع من يثنى ؛ ويحكى أن أعرابياً استضاف حاتماً ،

فلم يُنزلهُ ، فبات جائعاً مقروراً ، فلما كان في السَّحر ركب راحلته ، وانصرف ،
فَتَقَدَّمَهُ حاتم ، فلما خرج من بين البيوت لقيه متنكراً ، فقال له : من كان أبا
مثنواك البارحة ؟ قال : حاتم ، قال : فكيف كان مبيتك عنده ؟ قال : خير
مبيت ، نحر لي ناقةً فأطعمني لحماً عبيطاً ، وأسقاني الخمر ، وعلف راحلتي ، وسرتُ
من عنده بخير حال . فقال له : أنا حاتم ، والله لا تبرحُ حق ترى ما وصفت ،
فردّه وقال له : ما حملك على الكذب ؟ فقال له الأعرابي : إنَّ الناس كلَّهم
يثنون عليك بالجلود ، ولو ذكرتُ شيئاً كنتُ أُكذب ، فرجعت مضطراً إلى
قولهم ، إبقاء على نفسي لا عليك . وقد تقدّم قول البحرى في هذا المعنى :

أأشكو نداء بعد ما وسع الوَرَى وَمَنْ ذا يذمُّ الغَيْثَ إِلَّا مُذَمِّمٌ^(١) !
وقال حبيب :

فإن أنا لم يحمذك عني صاغراً عدوك فاعلم أنني غير حامدٍ^(٢)
بسبابة تنساق من غير سائقٍ وتنقاد في الآفاق من غير قائدٍ
أفادت صديقاً من عدوٍّ وصيرت^(٣) أقاربَ دُنيا من رجالٍ أباعدٍ
ومخلقة لما ترَدُّ أذنَ سامعٍ فتصدر إلا عن يمين وشاهدٍ

وهذه القصيدة من كلامه يمدح بها محمد بن الهيثم ، يقول : يسمع عدوك
إطناً في مدحك فيمدحك صاغراً ، فكيف وليك ! فأمدحك بقصيدة تقطع الأرض ،
ليست بإبل تُساق ، ولا بخيل تُقاد ، فتردّ العدو صديقاً ، والبعيد قريباً ، ولا

(١) ديوانه ١٩٨٠

(٢) ديوانه ١١٩ ، ١٢٠

(٣) ط : « وعاودت »

يسمعها أحد إلا ويحلف أنه لم يسمع مثلها ، فيشهد له بالصدق .

قوله : « وسودك يَبْنِي » ، أى يرفع لك مجداً وشرفاً . حسامك يَفْنِي ، أى سيفك يقطع ويفنى أعداءك . مواصلك يَجْتَنِي ، أى مَنْ زارك وواصلك اجتنى نعمتك ومواهبك . يَتَنِي ، أى يكتسب . سماؤك تَفَيْثُ ، أى تأتى بالغيث وهو المطر فيستغيث الناس به من الجذب . سماحك يُغِيثُ ، أى جودك وحسن خلقك يفرّج كُرْبَ المهموم ، وتقول : غوث الرجل ، أى قال : واغوثاه ، وأغثته أغيثه ، إذا فرّجت عنه ما يشتكى منه . درّك يفيض : عطاؤك يشمل ، أى لبُنك يملأ الإِناء ويفيض عليه ، يريد أن عطائه يكثر لسايله . وردّك يَغِيضُ ، أى منعك يذهب الرزق ، وغاض الماء : غار فى الأرض ، مؤمّلك : راجيك . والنبي : الظلّ بعد الزوال ، يريد أن عمره قد أدبر ، فشبه نفسه بالنبيء الزاهب . أمّك بظنّ ، أى قصّدك برّاء . وحرصه يُثْبِ ، أى طمعه يتزايد فيجعله فى غاية من القلق . نُحِبّ : مختارة . مهورها : حقوقها ، يقول : مدحك بنخب فى ملئه ، فوجّهت حقوقها لحسنها وجودتها . ومما ينظر إلى هذه المعارضة قول الشاعر :

وخذ حمديّ بجودك ، ذا بهذا كلانا اليوم أربحُ صيرنيّ
لأصبح من نوالك فى رباشٍ وتصبح من مقالى فى حُلّى

وقال آخر :

وحلّة كَسّاهَا كالخلىّ فى التهايه
فاستبطنت مديحاً كالأزى فى نصّابه
فراح فى ثيابى ورُحْتُ فى ثيابه

وقال ابن شهيد في ضيف له :
وما أنفك معشوق الثواء نمده
بشر وترحيب وبسط لسان^(١)
إلى أن تشهى البين من ذات نفسه
وحنّ إلى الأهلين حنة حان
فأتبعته ما سدّ خلة حاله
وأتبعنى ذكراً بكل مكان

قوله : « مرّاه يخفّ » ، أى مطلبه يسهل عليك .

أواصره : جمع آصرة وهى صلة الرحم ، والأصر : الموضع الحابس ، من قولهم :
أصرت فلاناً على الشئ ، أصره أصراً ، إذا حبسته عليه وعطفته ، ويقال : ماتأصرنى .
على فلان آصرة ، أى ماتأصبنى عليه حابسة ، ولا تعطفنى عليه عاطفة . ذكره ابن الأنبارى .
وذكر الحريرى فى الدرّة ، أن اشتقاق أواصر القرابة والعهد من المأصر ،
بكسر الصاد ، ومعناه الرضع الحابس للمأصر عليه ، فسُميت أواصر ، لأنها
تعطف على ما يجب رعايته من المودة والرحم . قال : وحكى عبيد الله بن عبد الله
ابن طاهر ، قال : اجتمع عندنا أبو نصر أحمد بن حاتم وابن الأعرابى فتحادثا^(٢) ،
فحكى أبو نصر أن أبا الأسود دخل على عبيد الله بن زياد ، وعليه ثياب رثة ،
فكساه ثياباً جديدة من غير أن يسأله ، أو استكساه ، فخرج وهو يقول :

كسأك ولم تستكسه فخذته فقى ماجد يعطى الجزيل ويأصر
وإن أحق الناس إن كنت مادحاً بمدحك من أعطاك والعرض وافر

فقال ابن الأعرابى : « وناصر » بالنون ، فقال له أبو نصر : دعنى يا هذا
وياصرى وعليك بناصرك ؛ يريد : « ياصر » يعطف^(٣) .

(١) الذخيرة لابن بسام ١ : ٢٦٧

(٢) الدرّة : « فتجاديا الحديث » .

(٣) درة النواص ٧١

قوله: «تشفّ» ، أى تزيد وتفضل غيرها ، يقول : إن الأسباب التى توجب عطفك وحنانك على كثيرة منها الشَّيْخ^(١) والضعف وكثرة العيال وجودة المدح، والعهود السابقة التى بينى وبينك . إطراؤه يُجْتَذَب ، أى مدحه يتجاذبه الناس ويحرصون على تحصيله لجودته ، وأصل الإطراء المدح فى الوجه ، فهو بمشاهدته كأنه مدح طرى ، أو ظهرت عليه طراوة . ملامه يُجْتَنَب : ذمه يخاف ويبعد منه ، فيرثى عليه ، يقول : إن الذى رجاك شيخ مسنٌ فقير قصْدك بيقين لأنك من أهل الكرم ، فطامعه لذلك يزيد لما ارتجى من معروفك، وأهدى إليك من مدامحه عرائس وجبت عليك حقوقها ، ومرامه سهل عليك ، ولديك عُلُق تقوم مقام القرابة ، وتزيد على ذلك ، وله مدح يرغب فيه وذم يرهّب منه .

ووراءه ضَفَف ، أى خلفه كثرة عيال ، من ضفّ الطعام ضفًّا إذا كثر القوم عليه ، وضمّ العيش اشتدّ . والشَّظَف : سوء الحال . حصّهم : عرّاهم وتفرّشهم . جنّف : ميل الدهر عليهم . قَشَف : بؤس عيش . يجيب : يساعد . ولّه : همّ وحيرة . يذيب : يذهب اللحم . تضيّف : نزل به ومال إليه . كمد : حزن قارب الموت . تيف : زاد على العهود . للأمول ، أى لمقصود مرجو . إهمال : تضييع وتسييب . نيب : عضّ بأسنانه . وهدوّ تغيّب ، أى سكون وأمن زال عنه . يزغ : يمل . نفث صدره ، أى تكلم بشرّ ، ونفث : برّق من داء فى صدره . ومنه المثل : لا بدّ للمصدور أن ينفث . ينفّض ، أى يضرب ويبعد . نشز : ارتفع وزال . يقتضى : يتضمّن ويلزم . نبذ : طرح . حرّمه : جمع حرمة . يبيّض أمله ، أى أسعد رجاءه ، ورُدّه أبيض بعطائك الذى يخفف ألمه ، ويزيل وجعه . ينث : ينثر . عالّه : ناسه وأهل زمانه . بقيت : عشت . وطال بقاؤك . إماطة شجب : إزالة هلاك وتنحيته . نشب : مال . شجن : حزن ، والشَّجن أيضاً الحاجة . مراعاة : حفظ . يَفَن : شيخ كبير . موصولاً ، أى

(١) الشيخ ، محرّك ، مصدر شاخ بشيخ ، مثل الشيخوخة .

محتصلاً . بخفض : عيش هنيء . غرض : ناعم جديد . غشي : قصد ودخل .
معهد : موضع يعهد به جلوسه . وهم غبي : غلط جاهل .

* * *

فلما فرغ من إملاء رسالته ، وجلى في هيجاء البلاغة عن
بسالته ، أرضته الجماعة فعلاً وقولاً ، وأوسعته حفاوة وطولاً . ثم
سئل من أى الشعوب نجاره ، وفي أى الشعب وجاره ،
فقال :

غسان أسرتي الصميمة	وسروج تربي القديمة
فاليبت مثل الشمس إش	سراقاً ومنزلة جسيمة
والربيع كالفرزدوس مطـ	بيبة ومنزلة وقيمة
وأها لعيش كان لي	فيها ولذات عييمة
أيام أسحب مطري	في روضها ماضي العزيمة
أختال في برز الشبا	ب وأجتل النعم الوسيمة
لا أتقي نوب الزما	ن ولا حوادثه المليمه
فلو أن كرباً متلف	لتلفت من كربى المقيمة
أو يفدى عيش مضى	لفدته مهجتي الكريمة
فالموت خير للفتى	من عيشه عيش البهيمه
تقاده رة الصفا	ر إلى العظيمة والهزيمة

وَيَرَى السَّبَاعَ تَنَوَّشُهَا أَيْدِي الضَّبَاعِ الْمُسْتَضِيَّةِ
وَالذَّنْبُ لِلْأَيَّامِ لَوْ لَا شَوْمُهَا لَمْ تَنْبُ شَيْمَةٌ
وَلَوْ اسْتَقَامَتْ كَانَتْ أَلْ أَحْوَالُ فِيهَا مُسْتَقِيْمَةٌ

قوله : «إملاء رسالته» ، أى إلقائها عليه ليكتبها جلى : كشف . الهيجاء : الحرب ، وهى من الهنج وهو الحركة والاضطراب . بسالته : شجاعته . أوسعته : كثرت له . حفاوة : إكرام . والطَّوْلُ : الإنعام . الشعوب : القبائل ، واحدها شَعْبٌ ، بفتح الشين وهو الأب الكبير . ثعلب ، الشعب : الأب الأكبر الذى ينتهون إليه والقبيلة دونه . نجاره : أصله . الشَّعَاب : الطرق فى الجبال . وجَلَّره : جُجره ، أراد بَيْتَه ، لأنهم سألوه من أى قبيلة هو ، وعن مسكنه فى أى موضع هو .

قوله : «غسان أسرقى» : أى هذه القبيلة أصلى وقرابى . الصميمة : العريضة الخالصة . تربى . بلدنى . إشرافاً : ضياء ونقاء من العيب . جسيمه : عظيمة . الفردوس : الجنة ، سُمِّيَتْ بذلك لعراشها ، والفردوس : المعرّش من الكرم . مطيبة ، أى سروج مثل الجنة فى طيب الهواء ، وفى نزهتها وحسنها ، وفى قدرها ، وأراد بالبيت غَسَّان ، وبالربع سَروِج ، أو يريد بيته فى غسلن فى الشرف كالشمس ، ومنزله فى سَروِج كالجنة فى طيبها ونزهتها ، وقد قال فى أخرى :

مَنْ رَأَاهَا قَالَ مَرَمَى جَنَّةِ الدُّنْيَا سَروِجُ

ومثل قوله فى البيت مثل الشمس ، قول أبى الطَّمَحَانِ القينى :

وَأَنَا مِنَ الْقَوْمِ الَّذِينَ هُمْ هُمْ إِذَا مَاتَ مِنْهُمْ سَيِّدٌ قَامَ صَاحِبُهُ^(١)

نجوم سماء كلّا غار كوكبٌ بدا كوكب تأوى إليه كواكبه
أضأيت لهم أحسابهم ووجوههم دجى الليل حتى نظّم الجزع ثاقبه^(١)
وقال حسان بن ثابت :

بيض الوحوه مضيئة أحسابهم شمّ الأنوف من الطراز الأوّل^(٢)
وزاد عليه في الإضاءة والإشراق حجة بن المضرّب قال :

أضأيت لهم أحسابهم فضاءلت لنورهم الشمس النيرة والبدر
وزاد عليه أبو الطيب وعلى الناس في علو الهمة وتباعد منازلها من منازل
الكواكب ، حيث يقول :

وعزّمة بعثتها همّة زُحَل من تحتها بمكان التّرب من زُحَل^(٣)
وزُحَل أرفع من الشمس ومن سائر الكواكب منزلةً ، وهذا من غلوّ
المتنبّي الذي يخرج به عن الناس حتى يُعاب ، لأنه لو جعلها مع زُحَل في منزلة
واحدة ، كما جعل الحريري منزلته مع الشمس لكان قد بلغ النهاية ، وزاد على
غيره ، فلم يكتف بذلك حتى جعلها تعلو على زُحَل ، كما يعلو زُحَل على الأرض .
ومن هذا الإفراط في شعره كثير ، وأكثر النقاد يعيرون عليه ؛ وبعد هذا فمعجزاته
في الشعر زاد بها على المتقدمين والمتأخرين عند الأكثر فلا يجارى في كثير منها .
وأها : تعجباً ، كأنه قال : ما أعجب ما كان عيشي بها ! عميمة : كثيرة .
أسحب مطر في : أجرّ ثوبى العلم في طرفه إعجاباً بنفسى . أختال : أمشى الخيلاء
متكبراً . برّد الشباب : ثوب الفتوة . أجتلى : أنظر . الوسيمة : الحسن .
والتوب والحوادث : النوازل والمصائب ، كلّها بمعنى واحد ، وهى ما ينوب
بالإنسان ، أو يحدث عليه أو ينزل به ، أو يصيبه من البلاء بعد العافية . المليمة :

(١) الجزع ، بالفتح وبكسر : الحرز اليانى .

(٢) ديوانه ٣٠٨

(٣) لم أجده في ديوانه ، كما لم أجده في شعره أبى طالب المتنبّي الأندلسى فيما أورده ابن
بسام في الذخيرة وعلى بن سعيد في الغرب .

التي تأتي بما يُلام عليه . كَرَبِي المقيمة : هومي الثابتة . مُهَجَّتِي : نفسي ، وأصلها دم القلب . تَقْتَادُهُ : تسوقه . بُرَّة : حَلَقَةٌ من صُفُر تجعل في وِترَةِ أنف البعير ، يذللُّ بها . الصَّغَار : الذَّلَّة . العظيمة : داهية يُستعظم أمرها . والمضيمة : المحقرة لشأنه عند الناس ، فيريد بالبهيمة البعير الذي يقاد ويذللُّ بالبُرَّة ، وبالعظيمة سؤاله الناس ، وبالمضيمة احتقارهم له إذا سألهم فيردونه خائباً . والسباع هنا : الأسود . تنوشها : تتناولها وتحدثها .

[الضباع وما قيل فيها]

والضباع : جمع ضَبْع ؛ وهو نوع من سباع الأرض ، وهي مضادَّة في الحِلَقَةِ لسبع الأندلس ، لأنها عظيمة الكَفَل والفخذين رقيقة الصدر ، وهذا السبع أزل^(١) عظيم الصدر ، والضبع عظيم البطن ، ولذلك سمي حُضاجر بالجمع ، والحِضجر : عظيم البطن . والحِضجر : الوطب الكبير من اللبن ، ويشبه به العظيم البطن ، وهي عرجاء مثل هذا السبع ، ويضرب بحمة لها النثل فيقال : أحق من ضَبْع ، وأحق من أمّ عامر وهي كنيته . ومن حقه أن الصائد يدخل وجارها فيقول لها : خامري أمّ عامر ، ومعناه الجئي إلى أقصى مغارك واستتري ، فتتقبّص ، فيقول : أم عامر ليست في وجارها ، ثم يقول : أبشري أمّ عامر بكرم الرجال ، أبشري أم عامر بشاة هزلي ، وجرادة عظلي ، فتمدّ يديها ورجليها ، فيوثقها ويشدّ عراقيها بحبال فلا تتحرك ، ولو شاءت أن تقتله لأمكنها ، ولا يدخل عليها إلا عرياناً ، وإن دخل بثوب قتله ، ثم يخرج لأصحابه بالحبال ، وهم على فم الوجار بأسلحتهم ، فيخرجونها بالجرّ من قعر الوجار ويقتلونها .

ومن حقه أن تترك جِراءها إذا خرجت تلتبس ما تأكل ، فتجد جِراء أخرى قد خرجت أيضاً لذلك ، وتركت جِراءها فترضع أولاد غيرها ، وترك أولادها ، فربما ضاعت جِراؤها فأكلها الذئب^(٢) . وقال الشاعر :

(١) الأزل : الخفيف الوركين .

(٢) جمهرة الأمثال ١ : ٤١٦ ، البدائي ١ : ٢٣٨ .

كَمْ رُضْعَةٌ أَوْلَادُ أُخْرَى وَضَيَّعَتْ^١ بنى بطنها، هذا الضال عن القصدِ

قال أبو زيد : والضباع لا تفرس شيئاً إنما تأكل الجيف ، وتنش القبور
عن الموتى ، وربما اجتمعت الجماعة منها على حمار فأكلته ، وليس لها بالنهار
كبير عمل ، قال الهذلي :

تبيت الليل لا يخفى عليها حمارٌ حيث جُرَّ ولا قتيل^(١)

قوله : « المستضيعة » أى المذلة . والضم : الذل ؛ يضرب المثل لتلاءم الزمان
بالناس بالأسود والضباع ، فقال : إنَّ الضباع المحترقة عند الأسود تتناول
الأسود بالضرر ، وكذلك الزمان يرفع الحقير والهجين ويكثر رزقه ، ويضع
الرفع ويقتّر عليه ، ويملك المحنء والأراذل الخطط الجسام ، ويجرّع النبلاء
والأعيان غصص الخازى وكنوس الحمام .

* * *

[نبذ فى أحوال الدهر]

وهذه أحوال مشاهدة تنسب إلى الدهر لوقوعها فيه ، وقد رها الباري عز وجل
اختبار العباد ، ولينصر العقلاء جريان أحكامه فى خلقه ، وأن الكل تحت قهره ،
وأن كل إنسان من أهل الحزم والرأى عاجز عن إدراك ما لم يقدر له ؛ وقال محمد
ابن الفضل :

هانت الدنيا على الله فأعطاها اللثاماً
فهم فيها يعيشون نوبلحون الكراماً

(١) لساعدة بن جوبة الهذلي ، ديوان الهذليين ١ : ٢١٦ .

وقال المعري في معنى بيت الحريري :

وَمَنْ صَحِبَ اللَّيَالِي عِلْمَتُهُ خَدَاعِ الْإِلْفِ وَالْقِيلِ الْمَحَالَا^(١)
وغيّرت الخطوب عليه حتى تربه الذرّ يحملن الجبالا

وقال يزيد المهلب يرنى المتوكل :

علتكَ أسياف من لادونه أحدٌ وليس فوقك إلا الواحدُ الصَّمَدُ^(٢)
وأصبح الناسُ فَوْضَى يعجبون به لينا صريحا تندى حوله النَّقْدُ^(٣)

وأخذ لفظ بيته من قول حبيب :

مَنْ لَمْ يَبَايِنِ أَبَا نَصْرِ وَقَاتَلَهُ فَمَا رَأَى ضُبْعًا فِي شِدْقِهِ سُبُعُ^(٤)
فيم الشّامة إعلانا بأسدٍ وغى أفنأهم الصّبرُ إذ أبقاكم الجزعُ !

هكذا ينظم حرّ الكلام ، ويعتذر لولت الكرام ، وتنفي عنهم شماتة اللثام .
وقد أحسن الاعتذار أيضا لأبي نصر بأغرب من هذا ، وجعله قاتل نفسه ، إذ
لا نظير له في شجاعته فيقتله ، وإنما قتله أمر الله الذي لا يغالَب ، كما قال أبو الطيب :
ألا إنما كانت وفاة محمدٍ دليلاً على أن ليس لله غالب^(٥)

وكذلك قوله :

فإن ترم عن عمرٍ تواني به المدي فخافك حتى لم يجد فيك منزعا^(٦)
فما كنت إلا السيف لاقى ضريبةً قطعتها حتى اثنتي فتقطعا

(٢) مروج الذهب للمسعودي ٤ : ١٢٤

(٤) ديوانه ٣٧٢

(٦) ديوانه ٣٧٤

(١) سقط الزند ٨١

(٣) النقد : جنس من الفم .

(٥) ديوانه ١ : ١٠٩

أى لم يقتل حتى قتل أعداءه ، وأبو نصر هو محمد بن حميد قتله بابك الخرمي
ومما قال فيه حبيب — وهو أشجع بيت قيل — قوله :

ونفسُ تعاف العار حتى كأنما هو الكفرُ يوم الرُّوع أودونه الكفرُ^(١)
فأثبت في مستنقع الموتِ رجله وقال لها: من تحت إخصيك الحشرُ

قوله : «الذنب للأيام» ، نسب الذنب إليها لوقوع المكروه فيها كما تقدم .
تنبُ : ترتفع ، شيمة : طبيعة ، أى لولا شؤم الأيام لم تتغير الطباع ، أى لو استقامت
هى لاستقامت أحوال الناس فيها ، فكان كل إنسان يدرك منها على قدر منزلته .

* * *

[نبذ وأقوال وحكايات في ذم الزمان]

ومما قيل في ذم الزمان مما يوافق هذا المعنى ، أن عبد الملك بن مروان سأل
مسلمة بن يزيد — وكان من المعمرين — فقال : أى الملوك رأيت أكمل ؟ وأى
الزمان رأيت أفضل ؟ فقال : أمّا الملوك فلم أر إلا حامداً أو ذاماً ، وأمّا الزمان
فيرفع أقواماً ويضع أقواماً ، وكلهم يذم زمانه ، لأنه يبلى جديدهم ، ويفرق عديدهم ،
ويهرم صغيرهم ، ويهلك كبيرهم .

أبو جعفر الشيباني قال : أتاننا أبو ميثاس الشاعر ، ونحن في جماعة ، فقال :
ما أتم فيه ؟ قلنا : نذكر الزمان وفساده ، قال : كلاً إن الزمان وعاء ، وما ألقى
فيه من خير أو شر كان على حاله ، ثم أنشأ يقول :

أرى حُللاً تُصانُ على رجال وأخلاقاً تُدال ولا تُصانُ
يقولون الزمان به فساد وهم فسدوا وما فسد الزمان

وقال آخر :

أيا دهر إن كنت عاديتنا
جملت الشرار علينا خیاراً
فها قد صنعت بنا ما كفّا
وأوليتنا بعد وجه قفاً كا

وقال أبو العتاهية :

كفأك عن الدنيا الذميمة مُحبراً
وأن رجال النَّفع تحت مداسِها
غنى باخليها وافتقار كرامِها
وأنَّ رجال الضرِّ فوق سنامِها

وقال ابن لُفكك :

يا زمانا ألبس الأحـ
لست عندى بزمانٍ
ـرارَ ذُلاً ومهانةً
إنَّما أنت زمانةٌ^(١)

وقال ابن الرومي :

دهرٌ علا قدرُ الوضيع به
كالبحر يرسبُ فيه لؤلؤه
وغدا الشَّريف يحطُّه شرفه^(٢)
سُفلاً ويلغو فوقه جيفه

وكرّره فقال :

قالت: علا الناس إلا أنت قلت لها:
كذلك يسفل في الميزان ما رجحلا

وقال آخر :

ربّ يوم بكيتُ فيه فلماً
صرتُ في غيره بكيتُ عليه^(٣)

(١) الزمان : العاهة

(٢) التمثيل والمحاضرة ٢٥٩

(٣) التمثيل والمحاضرة ١٠٦ نهاية الأرب ٣ : ٩٨

وقال آخر :

لم أبلك من زمنٍ نكدٍ أساء به إلا بكيتُ عليه حين أفتدُهُ
ولا جزعتُ على مَيِّتٍ فُجِعْتُ به إلا ظلت بسكنى القبر أحسدُهُ
ولا دمتُ زمانًا في قلبه إلا وفي زمني قد صِرتُ أحمَدُهُ
وقال ابن أبي عيزارة :

عتبتُ على سلمٍ فلما فقدته وجربتُ أقوامًا بكيتُ على سلمٍ
رجعتُ إليه بعد تفويتِ غيره فكان كِبُرُهُ بعد طول من السَّئمِ
وأنشد المبرد :

حياة أبي العباس زيدتُ بقربه أخا ثقةٍ قاس الأمور وجربًا
ونعتب أحيانًا عليه ولو قضى ليكنّا على الباقي من الناس أعتبًا
قال عروة بن الزبير : الناس بزمانهم أشبه منهم بآبائهم . أخذه أبو الطيب
قال :

وشبه الشيء منجذبٌ إليه وأشبهنا بدني أنا الطَّغامُ^(١)
ولو لم يعلُ إلا ذو محلٍّ تعالى الجيشُ وانحطَّ القَتَامُ
ودهرٌ ناسُهُ ناسٌ صغارٌ وإن كانت لهم جُمْتُ عِظَامُ
وما أنا منهمُ بالعيشِ فيهم ولكن مَعْدِنِ الذَّهَبِ الرِّغَامُ
الطَّغامُ : السفلة .

نَمَّ إن خبره نَمًا إلى الوالى ، فَمَلَّ فَأَهْ بالآلى ، وَسَامَهُ أَنْ
يَنْضَوَى إلى أَحْشَائِهِ ، وَيَلِي دِيوانَ إِنْشَائِهِ ، فَأَحْسَبُهُ الْحِباءَ ،
وَوَلَّفَهُ عَنِ الْوَلَايَةِ الْإِبَاءَ .

قال الراوى : وَكُنْتُ عَرَفْتُ عُودَ شَجَرَتِهِ ، قَبْلَ إِيْنَاعِ
ثَمَرَتِهِ ، وَكِدْتُ أَنْبَهُ عَلَى عُلُوِّ قَدْرِهِ ، قَبْلَ اسْتِنَارَةِ بَذَرِهِ ،
فَأَوْحَى إِلَيَّ بِإِيْمَاضِ جَفْنِهِ ، أَلَّا أُجَرِّدَ عَضْبَهُ مِنْ جَفْنِهِ . فَلَمَّا
خَرَجَ بَطِينُ الْخُرْجِ ، وَفَصَلَ فَايْزَا بِالْفُلْجِ ، شَيَّعَتْهُ قَاصِيَا حَقِّ
الرَّعَايَةِ ، وَلَاحِيًا لَهُ عَلَى رَفُوضِ الْوِلَايَةِ ، فَأَعْرَضَ مُتَبَسِّمًا ،
وَأَنْشَدَ مُتَرَنِّمًا :

لِجَنُوبِ الْبِلَادِ مَعَ الْمُنْتَرَبَةِ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنَ الْمُرْتَبَةِ
لِأَنَّ الْوِلَاةَ لَهُمْ نَبَوَةٌ وَمَعْتَبَةٌ يَا لَهَا مَعْتَبَةٌ !
وَمَا فِيهِمْ مَنْ يَرْبُّ الصَّنِيعَ وَلَا مَنْ يُشِيدُ مَارْتَبَةَ
فَلَا يَخْذَعْنِكَ لِمَوْعِ السَّرَابِ وَلَا تَأْتِ أَمْرًا إِذَا مَا اشْتَبَهَ
فَكَمْ حَالِمٍ سَرَّهُ حِلْمُهُ وَأَذْرَكَهُ الرَّوْعُ لَمَّا انْتَبَهَ

* * *

قوله : « نما » ، أى ارتفع ووصل . الآلى : الدرر . سامه : كلفه .
ينضوى : ينضم . وأحشائه : خاصته . بلى ديوان إنشائه : يتولى دار كتابته ،
أى يكون هو الذى ينشئ الكتب ، وينسخها الكتاب وتنفذ إلى البلاد .
أحسبه : كفاه . الحباء : العطاء . ظلفه : منعه . الإباء : الامتناع ، وقد أبيت
من كذا ، أى امتنعت منه ؛ ويكنى به عن نزاهة النفس . عود شجرته ، يريد
أنه كان عرفه قبل أن يتكلم ، وأن يعرف نفسه . وإيناع الثمرة : إدراكها
ونضج ثمرتها . إيماض جفنه : إشارة عينه . عضبه : سيفه . جفنه : غمده ، أى

أشار على أن أستره . بطين : مملوء . الأرج : وعاء معلوم ، وهذا كقول الشاعر :

يبيتون بالدهن خفاقاً عياهم^(١) ويخرجون من دارين بجرح الحقائق^(٢)

وقد أخذ هذا اللفظ في مقامة أخرى فقال : حتى آل ذاعية خضراء وحقية بجراء ، أى مملوءة . وإلى هذا المعنى أشار ، نصيب في قوله :

أقول لركب قافلين رأيتهم^(٣) قفازات أو شال ومو لأك قارب^(٤)
قفوا خبروني عن سليمان إنني^(٥) لمعرفه من أهل ودان طالب^(٦)
فعاخوا فأننوا بالذي أنت أهله^(٧) ولوسكتوا أننت عنك الحقائق^(٨)

ثناؤها عليه ، أن بدت للناس مملوءة من معروفة ، فأتى أبو العتاهية فزاد للمعنى بياناً بقوله :

إن المطايا تشكيك لأنها^(٩) قطعت إليك سباسباً ورمالاً^(١٠)
فإذا أتين بنا أتين مخفة^(١١) وإذا رجمن بنا رجمن ثقلاً^(١٢)

قوله : « فصل » ، أى زال وتنحى . الفلج : الظفر بما أراد . الرعاية : حفظ الصحبة . لاحقاً : لأنما . رفض : ترك . مترنماً : مطرباً ، أى للخرج ممتلىء الوعاء ، ظافراً بما أراد ، لئمته على ترك خدمة الأمير التي كلفه ، فأنشد

(١) لأعشى همدان ، يهجو لصوصاً ؛ وهو من شواهد ابن عقيل ١/٢٩٨

(٢) البيان والبيان ١ : ٨٣ . والقارب : طالب الماء . وذات أو شال : موضع بينه

(٣) ودان : موضع بين مكة والمدينة قريب من الجحفة ؛ قال الباقوت : « وقد أكثر

نصيب من ذكرها في شعره » وأنشد الأبيات .

(٤) ديوانه ٣١٢ .

معتذراً . المتربة ، أى الفقر . المتربة : المنزلة الرفيعة . وهذا البيت ينظر إلى حكاية الأصمعيّ وقد رُئيَ راكباً حماراً فقيل له : أبعد براذين الخلفاء تركب هذا ؟ فقال متمثلاً .

ولما أبت إلا طرافاً بودّها وتكديرها الشرب الذى كان صافيا
شربنا برنتي من هواها مكدّر وليس يعاف الرنق من كان صاديا
يقول : هذا وأملك ديني ونفسي ، أحب إلى من ذلك مع ذهابهما ^(١) .
أطرف الشيء وتطرفه : استفاده ، وقيل : استجاده .

نبوة : ارتفاع وقلة ثبات . معتبة : سخط . يالها : تعجب ، كأنه قال :
يا عجباً لها ، ما أشدها . يربّ : يصلح ويقوى . الصنيع : الفعل الجميل . يشيدّ :
يرفع ويتم . رتبته : بناه وهياؤه . السراب : ما يظهر نصف النهار كأنه ماء ،
اشتبه : أشكل . الحالم : من يرى فى منامه رؤيا ، وقد حلم يحلم : والروع :
الفرع ، يقول : مثل المترفة بالخطه السلطانية كحالم رأى نفسه فى النوم أميراً ،
فانتبه فى أيدي أعاديه أسيراً ، أو رأى نفسه بين غزلان ورياحين فانتبه لزيور
أسود ولصفير نمايين ، وكذلك الأمراء إن رفعوا الخديم ببعض إنعامهم كدّروه
بتعجيل انتقامهم . وما يجرى فى هذا النمط قول الشاعر :

إلى الله أشكو كل يومٍ وليلةٍ إذا نمت لم أعدم خواطر أو هامٍ
فإن كان شراً كان لاشكٍ واقماً وإن كان خيراً كان أضغاث أحلامٍ
أخذ المعنى هذا الشاعر من قول أشعب الطماع . قال : رأيت رؤيا نصفها حق ،
ونصفها باطل ، قيل : وكيف ذلك ؟ قال : كنت أرانى أحمل بدرة ، فمن ثقلها كنت
أسلح فى ثيابي ، فانتبهت فإذا السلح ولا بدرة . قال الفنجديهيّ : ومن أحسن
ما سمعت فى هذا المعنى أبيات لطيفة المعاني طريقة المبانى ، شرقى بإنشادها وإملائها
على السيّد الأجلّ أبو المظفر يوسف بن أيوب صلاح الدين بـ القاهرة مصر لبعضهم :

وزارني طيف من أهوى على وجلٍ من الوشاة وداعى الصبح قد هتفا
 فكدت أوقظ من حولي به فرحاً وكاد يهتك ستر الحب بي شغفاً
 ثم انتهت وآمالى تحيبنى نيل المنى فاستحالت غبطتى أسفاً
 ومن ملح هذا الباب ، أن ابن عَبدل دخل على بشر بن مروان لما ولى
 الكوفة ، فقال : أيها الأمير إني رأيت رؤيا ، فأذن لي بقصتها ، فقال : قل ، فقال :
 أغفيت قبل الصبح نومَ مسهدٍ في ساعة ما كنت قبل أنامها^(١)
 فرأيت أنك رُعتني بوليدةٍ مغنوجةٍ حسنٍ على قيامها
 وببدرهٍ مُحلت إليّ وبغلةٍ شهباء ناجيةٍ يصلّ لجامها^(٢)
 فقال له بشر : كل شيء رأيتَه فهو عندك إلا البغلة ، فإنها دهماء ، قال :
 امرأتى طالق ثلاثاً إن كنت رأيتها إلا دهماء ولكنى غلطت .
 قال البطّين الشاعر : قدمت على عليّ بن يحيى الأرميني ، فكتبت إليه :
 رأيت في النوم أني راكب فرساً ولي غلام وفي كفي دنائيرُ
 فجئت مستبشراً مستشعراً فرحاً وعند مثلك لي بالفعل تبشيرُ
 فوقع في أسفل كتابي : ﴿ أَضَعَا أَحْلَامَ وَمَا نَحْنُ بِتَأْوِيلِ الْأَحْلَامِ
 بِعَالِينَ ﴾^(٣) ، ثم أمر لي بكل ما رأيتَه في منامي

(١) الخبر والشمر في ذيل زهر الآداب ١٠١ .

(٢) بدمه في زهر الآداب :

فدعوتُ ربّي أن يثيبك جنةً عَوْضاً نصيبك بردّها وسلامها

(٣) سورة يوسف ٢٤ .

المقالة السابعة وهي البرقعية

حكى الحارث بن همام ، قال : أزمعتُ الشُّخُوصَ مِنْ بَرْقَعِيدٍ ،
وَقَدْ شَمْتُ بَرْقَ عِيدٍ ، فَكَرِهْتُ الرِّحْلَةَ عَنْ تِلْكَ الْمَدِينَةِ ، أَوْ أَشْهَدَ
بِهَا يَوْمَ الزَّيْنَةِ . فَلَمَّا أَظَلَّ بِفَرْضِهِ وَنَفْلِهِ ، وَأَجْلَبَ بِخَيْلِهِ
وَرَجْلِهِ ، اتَّبَعْتُ السُّنَّةَ فِي لُبْسِ الْجَدِيدِ ، وَبَرَزْتُ مَعَ مَنْ بَرَزَ
لِلتَّعْيِيدِ . وَحِينَ التَّامَ جَمْعُ الْمُصَلَّى وَانْتِظَمَ ، وَأَخَذَ الزَّحَامُ بِالْكَظَمِ ،
طَلَعَ شَيْخٌ فِي شَمْلَتَيْنِ ، مُحْجُوبُ الْمُقْلَتَيْنِ ، وَقَدْ اسْتَضَدَّ شِبْهَ الْخَلَاةِ ،
وَاسْتَقَادَ الْمَجُوزَ كَالسَّعْلَةِ ، فَوَقَفَ وَفَقَّةً مُتَهَاوِتٍ ، وَحَيًّا تَحِيَّةَ
خَافِتٍ . وَلَمَّا فَرَّغَ مِنْ دُعَائِهِ ، أَجَالَ خُمْسَةً فِي وَعَائِهِ ؛ فَأَبْرَزَ
مِنْهُ رِقَاعًا قَدْ كَتَبَ بِالْوَانِ الْأَصْبَاغِ ، فِي أَوَانِ الْفَرَاغِ ، فَنَاولَهُنَّ عَجُوزُهُ
الْحِزْبُونَ ، وَأَمَرَهَا بِأَنْ تَتَوَسَّمَ الزُّبُونِ ، فَمَنْ آنَسَتْ نَدَى
يَدَيْهِ ، أَلْقَتْ مِنْهُنَّ وَرَقَةً لَدَيْهِ ، فَأَتَا حَ لَه الْقَدْرُ الْمَعْتُوبُ ، رُقْعَةً
فِيهَا مَكْتُوبٌ ...

أزمعتُ الشُّخُوصَ ، أى عَزَمْتُ عَلَى الْخُرُوجِ . بَرْقَعِيدٍ : بَلَدٌ بَيْنَهُ وَبَيْنَ
الْمَوْصِلِ عَشْرُونَ فَرَسَخًا . شَمْتُ : نَظَرْتُ .

وَيُرِيدُ يَبْرُقُ عِيدٌ ، مَقْدَمَاتُ الْعِيدِ الَّتِي يَنْظُرُ النَّاسُ بِهَا فِي أَسْبَابِهِ ، سَأَلَ رَجُلٌ

الجَنيد ، لماذا سُمِّي يوم العيد ؟ فقال : لأنَّ آدمَ لما خرج من الجنة ، وأهبط إلى الأرض ، ثم تاب الله عليه ، فردّه إلى الجنة ، كان في ذلك اليوم ؛ فقبل له يوم عيد ، لأنه أُعيد إلى الجنة فيه ، قال ابن الأنباري رحمه الله : معنى يوم العيد ، الذي يعود فيه الفرح والسرور . والعيد عند العرب : الوقت الذي يعود فيه الفرح أو الحزن ، وأصله « العود » لأنه من عاد يُعود ، فلما سُكنت الواو وكُسِر ما قبلها قُلِبَت ياء ، فصارت من باب ميزان وميقات ، وهما من الوزن والوقت ، وكذلك الياء إذا سكنت ، وانضمَّ ما قبلها قلبت واواً مثل مُوسر ومُوقن ، وهما من أيسر وأيقن ، ويقولون في الجمع مياسر .

المدينة : البلد ، مَنْ أَخَذَهَا مِنْ مَدَنٍ بِالْمَسْكَانِ يَمْدُنُ ، إِذَا أَقَامَ فِيهِ ، فَهِيَ « فَعِيلَةٌ » والجمع مدائن بالهمز ، والميم أصلية والياء زائدة ، ومن أَخَذَهَا مِنْ دَانَ يَدِينُ ، فالميم زائدة والياء أصلية ، وهى « منعولة » . يقال : دِنْتُ الرَّجُلَ مَلَكَتَهُ ، ودنت له أطعت ، ويقال للامة مَدِينَةٌ لأنها مملوكة ، قال الشاعر :

رَبْتُ وَرَبًّا فِي حَجَرِهَا ابْنُ مَدِينَةٍ يَظَلُّ عَلَى مَسْحَاتِهِ يَتَرَكَّلُ^(١)

يعنى عبداً . يوم الزينة : يوم العيد لتزيين الناس فيه . قوله : « أظل » ، أى قرب ودنا حتى دخلنا في ظله . بفرضه : يعنى زكاة الفطر . ونفله : يعنى صلاة العيد . الفنجديهي : فرض العيد : صدقة الفطر ، ونفل العيد مثل الصلاة والفضل ولبس الجديد من الثياب .

ابن عمر رضى الله عنهما : فرض رسول الله صلى الله عليه وسلم زكاة الفطر من رمضان على الناس صاعاً من تمر أو شعير ، على كل حرٍّ أو عبد ، ذكر أو أنثى من المسلمين .

ابن عباس رضى الله عنهما : فرض رسول الله صلى الله عليه وسلم زكاة

(١) للاختل ، ديوانه . تركل الشيء : دفعه برجله .

النظر من رمضان لجبر الصيام من الافر والرفث طعمة للمساكين، فمن أداها قبل الصلاة فهي زكاة مقبولة ، ومن أداها بعدها فهي صدقة من الصدقات .
أجلب بخيله ورجله ، أى جمع أصحاب الخيل والرجالة وجاء بهم ، ضرب به المثل لإقباله وتصميمه على الحجى . لبس : لباس ، وجاء فى لبس الجديد حديث عائشة رضى الله عنها قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ما على أحدكم أن يكون له ثوبان سوى ثوبى مهنته لجمعه ولعيده » .

جابر : كان للنبي صلى الله عليه وسلم حلة يلبسها فى العيدين ويوم الجمعة . برزت : خرجت . التأم : التحم والتصق . المصلّى : موضع صلاة العيد . الزحام : الضيق لكثرة الناس . الكظم : تضيق النفس من شدة الزحام . شملتين : عباءتين ، والشملة : نوع من الأكسية ، وقيل لها شملة لأن صاحبها يشتمل بها ، أى يديرها حواله . محجوب : مستور . المقلتين : العيينين ، أراد أنه أعمى . اعتضد : علقها فى عضده . استقاد : جعلها تقوده . السّعاة : أتى القول ، وذكروها يسمى الكعنكع ، وأنشدوا :

* غولا تراعى شرساً كعنككاً *

والقول : جنّ مسكنها الصحارى تترأى للإنسان كأنها إنسان فلا يزال يتبعها حتى يضلّ الطريق فيهلك . قوله : « متهافت » ، أى متساقط لضعفه ، وتهافت الشيء فى يدي : تناثر . خافيت : خفى الصوت ، وقد خفت الرجل ، إذا ظهر عليه الضعف من مرض أو جوع أو غير ذلك ، وأصل خفت مات هزالاً . فرغ : أتم . أجال : مشى وصرّف . خمسة : أصابعه . فى وعائه ، بمعنى المخلاة التى اعتضدها ، وهى تعلقية يعلقها السائل فى عنقه أو ذراعه ، ويجعل فيها ما يُعطى من الصدقة . أبرز : أخرج . أوان : وقت . الفراغ : قلة الشغل . ناولهنّ : أعطاهنّ . الحيزبون : المسنة القويّة الخلق : تتوسّم : تنظر . الزّبون : المنخدع عن حاله « فعول » بمعنى « مفعول » ، وهو من ألفاظ أهل المشرق ، وأراد به الكثير

«الصدقة ، آنت : أبصرت - ندَى : كرم . أتاح : ساق . القدر المعتبر : المولود .

لَقَدْ أَصْبَحْتُ مَوْقُودًا بِأَوْجَاعٍ وَأَوْجَالٍ
وَمَمْنُوءًا بِمِخْتَالٍ وَمِخْتَالٍ وَمُفْتَالٍ
وَحَوَّانٍ مِنَ الْإِخْوَانِ نِ قَالَ لِي لِإِلَالِي
وَأَعْمَالٍ مِنَ الْأُمَمَاءِ لِي فِي تَضْلِيلِ أَعْمَالِي
فَكَمْ أَضَلُّ بِأَذْحَالٍ وَأَفْحَالٍ وَتَرْحَالٍ
وَكَمْ أَخْطَرُ فِي بَالٍ وَلَا أَخْطَرُ فِي بَالٍ
فَلَيْتَ الدَّهْرَ لَمَّا جَاءَ رَ أَطْفَأَ لِي أَطْفَالِي
فَلَوْلَا أَنَّ أَشْبَالِي أَغْلَالِي وَأَعْلَالِي
لَمَّا جَهَّزْتُ آمَالِي إِلَى آلٍ وَلَا وَالِي
وَلَا جَرَّزْتُ أَذْيَالِي عَلَى مَسْحَبٍ إِذْ لَالِي
فَمِخْرَابِي أُخْرِى بِي وَأَسْمَالِي أَسْمَى لِي
فَهَلْ حُرٌّ يَرَى تَخَفِي فَيَفِئْتُنِي بِمِثْقَالٍ
وَيُطْفِئُ حَرَّ بَلْبَالِي بِسِرِّبَالٍ وَسِرْوَالٍ !

قوله : «موقوداً» ، أى مشرقاً على الموت من شدة الأوجاع والأوجال ،
واللوقودة فى القرآن^(١) : المقتولة بالخشب ، والوقد : شدة الضرب . أو جال :
مخاوف . ممنوءاً : مبتلى . محتال : ما كر كثير الحيلة . مختال : متكبر . مفتال :
مهلك . حوَّان : كثير الخيانة .

ابن عمر رضى الله عنهما : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « قلما يوجد فى

(١) وهو قوله تعالى فى سورة المائدة ٣ : « والمنخقة والموقودة » .

آخر الزمان درهم من حلال، أو أخ يوثق به». قال: مبغض. إقلالى: قرى. إعمال: جدّ وبحث، تقول: أعملت الشيء فى الشيء، إذ جعلته يعمل فيه. والعمال: عاملو كل شيء. تضليع: إفساد. أعمال: جمع عمل، يريد أنه مطلوب يبحث على أعماله إذا أتى بها مجموعة فتنتقض أعماله وتصير له أضلاعاً بعد اجتماعها، وذلك فساد لها. ويحتمل أن يكون التضليع من «ضلعك مع فلان». أى ميلك معه، فأعماله تميل عن طرقها فتفسد. وقيل: تضليع الأعمال: تثقيفها، قال الأزهري رحمه الله: ضلع الدين: نقله حتى يميل صاحبه عن الاستواء لثقله، وفى الحديث: «أعوذ بالله من ضلع الدين». أصلى: أحترق. أذحال: أحقاد وعداوات. إحمال: فقر. ترّحال: سَفَر ونقلة من بلد إلى بلد. أخطر: أمشى متبخترًا، وقد خطر الرجل، إذا أقبل بيديه وأدبر بهما، وهى مشية الشبان. بال: خلق. ولا أخطر فى بال: لا أمر على بال أحد ولا خاطره. جار: مال عن الحق ولم يعدل. أطفأ: أمات. أطفالى: أولادى، ومثله: أشبالى.

الفجديهي: يقول: ليت الدهر لما ظلم أولادى، وجار عليهم أمتانى لا تخلص، فإنّ مقاساة الولائد سبب الوقوع فى المصائد. قال ابن عيينة: قلت لصياد: أى طائر أسرع إلى مصايدكم؟ قال: الذى يزق، يعنى الذى يطعم ولده. أغلالى: قيودى. والأغلال: جمع علّ، وهو القُرَاد الضخم، وهو الذى يلصق بأنفاذ الدواب، وهو كثير التشبث والاتصاق، لا يُقَاع إلا بجهد، فيريد بالأغلال أولاده لأنهم قيوده فلا يسرح بسبيهم، وبالأغلال أنهم قد تعلقوا به يطلبون ما عنده، وقال الشاعر يصف ناقته:

* ولو ظلّ فى أوصالها العلّ يرتقى *

ويقال للقراد: الطَّلَح والفينق والحجير والعلّ والبُرام والقُرشوم واللَّبود فى بعض اللغات. جهّزت: أرسلت. آل: قريب، وآل: أهل، أو يكون آل أميرًا وسائسًا؛ قال عمر رضى الله عنه: أَلْنَا وَأَيْلَ عَلَيْنَا، أى سُسْنَا الناس

«وَسَاسِنَا غَيْرُنَا، فَيَكُونُ عَلَى هَذَا مَقْلُوبًا مِنْ «آيِل»، كَمَا قِيلَ: سَارَ فِي سَائِرٍ .
 .مَسْحَبٌ: طَرِيقٌ . يَقُولُ: لَوْلَا ذَلِكَ الْأَوْلَادُ مَا قَصَدْتُ وَالْيَا، وَلَا جَرَرْتُ ذَيْلِي
 فِي طَرِيقِ ذَلِكَ، وَيُقَالُ: سَحَبَ ذَيْلَهُ سَحْبًا إِذَا جَرَّهُ، وَالْمَسْحَبُ: مَوْضِعُ جَرِّهِ
 تَوْبَهُ مَحْرَابِي: مَسْجِدِي . أُخْرَى: أَحَقَّ بِي . أُسْمَالِي . أَتَوَابِي الْخَلْقَةَ . أُسْمِي لِي:
 أَعَزُّ لِي وَأَرْفَعُ لِقَدْرِي . أَتَقَالِي: هُمُومِي أَوْ دِيُونِي، أَوْ كَثْرَةُ عِيَالِي وَاحِدَهَا ثَقْلٌ،
 وَثَقُلَ الشَّيْءُ ثِقْلًا ضِدَّ خَفٍّ، وَأَثْقَلَ الرَّجُلُ: كَثُرَ عِيَالُهُ . بَلْبَالِي: حَزَنِي،
 وَالبَلْبَالُ: وَسْوَاسُ الْمُهْمُومِ . سَرِبَالٌ: قَمِيصٌ . وَالسَّرَوَالُ: مَعْرُوفٌ، وَفِي الْحَدِيثِ
 أَنَّ امْرَأَةً سَقَطَتْ مِنْ عَلَى حِمَارٍ فَأَعْرَضَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِوَجْهِهَا عَنْهَا،
 فَقَالُوا: إِنِّهَا مَسْرُورَةٌ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِلْمَسْرُورَاتِ
 مِنْ أُمَّتِي - ثَلَاثًا - يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّخَذُوا السَّرَاوِيلَاتِ فَلَيْسَ مِنْهَا مَنْ أُسْتَرَتْ ثِيَابُكُمْ،
 وَحَضُّوا بِهَا نِسَاءَكُمْ إِذَا خَرَجْنَ» .

وَمِنْ مُلَحِّحِ الصَّاحِبِ بْنِ عُبَادٍ أَنَّ بَعْضَ الشُّعْرَاءِ ^(١) كَتَبَ لَهُ:

أَيَا مَنْ عَطَايَاهُ تُعْطَى الْغِنَى إِلَى رَاحَتِي مَنْ نَأَى أَوْ دَنَا
 كَسَوْتَ الْقِيَمِينَ وَالزَّائِرِينَ كُسًا لَمْ يَخْلُ مِثْلُهَا مُمَكِّنًا
 وَخَاشِيَةَ الدَّارِ يَمْشُونَ فِي ثِيَابٍ مِنَ الْخَزِّ إِلَّا أَنَا

فَقَالَ الصَّاحِبُ: قَرَأْتُ فِي أَخْبَارِ مَعْنٍ بْنِ زَائِدَةَ أَنَّ رَجُلًا قَالَ لَهُ: احْمِلْنِي
 أَتِيهَا الْأَمِيرَ، فَأَمَرَ لَهُ بِنَاقَةٍ وَفَرَسٍ وَبَغْلَةٍ وَحِمَارٍ وَجَارِيَةٍ، ثُمَّ قَالَ لَهُ: لَوْ عَلِمْتَ
 أَنَّ اللَّهَ خَلَقَ مَرْكُوبًا غَيْرَ هَذَا لَحَمَلْتُكَ عَلَيْهِ . وَقَدْ أَمَرْنَا لَكَ مِنَ الْخَزِّ بِجَنَّةٍ وَقَمِيصٍ
 وَدُرَّاعَةٍ وَسَرَاوِيلٍ وَعِمَامَةٍ وَمَنْدِيلٍ وَمُطْرَفٍ وَرِدَاءٍ وَكِسَاءٍ وَجُورِبٍ وَكَيْسٍ،
 وَلَوْ عَلِمْنَا لِبَاسًا غَيْرَ هَذَا مِنَ الْخَزِّ لَأَعْطَيْنَاكَ . ثُمَّ أَمَرَ بِإِدْخَالِهِ إِلَى الْخَزَانَةِ؛
 وَصَبَّ تِلْكَ الْخَلْعَ عَلَيْهِ ^(٢) .

وَأَخْبَارُ الصَّاحِبِ مُسْتَظَرَفَةٌ كَثِيرَةٌ لِلْمَلْحِ .

(١) هُوَ أَبُو الْقَاسِمِ الزَّعْفَرَانِيُّ .

(٢) الْحَبْرُ وَالشَّعْرُ فِي بَيْتِيَةِ الدَّمْرِ ٣ : ١٧١ ، مَعَ تَصَرُّفٍ وَاخْتِصَارٍ .

قال الحارث بن همام : فلمَّا استعْرَضْتُ حُلَّةَ الْأَنْبِيَاءِ ، تُقَّتْ
إِلَى مَعْرِفَةِ مُلْجِمِهَا ، وَرَاقَمِ عَاطِمِهَا . فَنَاجَانِي الْفِكْرُ بِأَنَّ الْوَصْلَةَ إِلَيْهِ
الْعَجُوزُ ، وَأُفْتَانِي بِأَنَّ حُلْوَانَ الْمَعْرِفِ يَجُوزُ ؛ وَرَصَدْتُهَا وَمَيَّ
تَسْتَقْرِى الصُّفُوفَ صَفًّا صَفًّا ؛ وَتَسْتَوِي كَفُّ الْأَكْفِ كَفًّا كَفًّا ،
وَمَا إِنْ يَنْجَحُ لَهَا عَنَاءُ ، وَلَا يَرْشَحُ عَلَى يَدِهَا إِنَاءُ ، فَلَمَّا أَكْدَى
اسْتِعْطَافُهَا ، وَكَدَّهَا مَطَافُهَا ، عَازَتْ بِالْإِسْتَرْجَاعِ ، وَمَالَتْ إِلَى إِزْجَاعِ
الرُّقَاعِ ، وَأَنْسَاهَا الشَّيْطَانُ ذِكْرَ رُقْعَتِي ، فَلَمْ تَمِجْ إِلَى بُقْعَتِي ، وَآبَتْ
إِلَى الشَّخْرِ بِأَكِيَّةٍ لِلْحِزْمَانِ ، شَاكِيَّةٌ تَحَامِلُ الزَّمَانَ ؛
فَقَالَ : إِنَّا لِلَّهِ ، وَأَفْوِضُ أَمْرِي إِلَى اللَّهِ ، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا
بِاللَّهِ ! ثُمَّ أَنْشَدَ :

لَمْ يَبْقَ صَافٍ وَلَا مُصَافٍ وَلَا مَعِينٌ وَلَا مُعِينٌ
وَفِي الْمَسَاوِي بَدَا التَّسَاوِي فَلَا أَمِينٌ وَلَا ثَمِينٌ

* * *

قوله : « ملحمها » ، ناسجها ، ولما جعل الشعر حُلَّةً جعل له ناسجاً وراقماً .
ناجاني : حدثني . الوصلة : الموصلة . استعرضت ، أى نظرت وعرضتها على
نفسى . تُقَّتْ : اشتقت . أفتانى ، أعلمنى . الحلوان : أجر النكحان ، وأراد
أجرة العراف ، وهو الذى يعرف بالتلائف الملتقطة أربابها ، فيفتكونها منه بما اتفقوا
عليه ، فذهب مالك أن من عَرَفَ اللَّقْطَةَ ^(١) ، وكان من شأنه أخذ الجمل على مثل
ذلك ، فله أجرة مثله ، والشافعى لا يوجب له حقاً ؛ سواء كان من شأنه أن يعرف

(١) اللقطة ، كهجرة : ما التقط .

بِالْقَطَةِ أَوْ لَمْ يَكُنْ ، تَعَبٌ فِي ذَلِكَ أَوْ لَمْ يَتْعَبْ ، إِلَّا أَنْ يَشْتَرِطَ قَبْلَ الطَّلَبِ .
 رَصَدَتْهَا : ارْتَقَبَتْهَا . تَسْتَقِرُّ : تَقْبَعُ ؛ وَاقْتَرَبْتُ الْأَرْضَ وَاسْتَقْرَبْتُهَا ،
 تَتَّبَعْتُهَا مَتَابَعًا . تَسْتَوَكُفُّ : تَسْتَمْطَرُ . يَنْجَحُ : يَنْفَعُ وَيُؤَثِّرُ ؛ يَقَالُ : نَجَحَتْ
 الْحَاجَةُ إِذَا انْقَضَتْ ، وَنَجَحَ طَالِبُهَا إِذَا لَمْ يَجِبْ ، وَأَنْجَحُ : أَشْهَرُ ؛ يَقُولُ : إِنْ مَشِيهَا
 عَلَيْهِمْ لَمْ يَقْضِ حَاجَتَهَا وَلَا نَفْعَهَا . وَقَصْدُ بَرَشْحِ الْإِنَاءِ كَرَمَ الْكَفِّ ؛ يَقُولُ :
 لَمْ يَرْشَحْ لَهَا كَفًّا بَعْطِيَّةً . أَكْدَى : خَابَ وَصَعِبَ ، وَيَقَالُ : أَكْدَى الْحَافِرُ ،
 وَهُوَ أَنْ يَحْفَرَ الْبِئْرَ يَطْلُبُ الْمَاءَ ، فَإِذَا بَلَغَ إِلَى الصَّلَابَةِ وَيُئْسَ مِنَ الْمَاءِ وَلَمْ يَقْدِرْ عَلَى
 الْحَفْرِ قِيلَ لَهُ : أَكْدَى فَهُوَ مَكْدٍ ، وَالْكُدْيَةُ هِيَ الصَّلَابَةُ الَّتِي يَتَعَذَّرُ حَفْرُهَا .
 اسْتَعْطَفَافُهَا : تَلِينُهَا الْقُلُوبَ . كَدَّهَا : أَتْعَبَهَا . مَطَافُهَا : مَشِيهَا وَطُوفُهَا عَلَى النَّاسِ ،
 وَيَحْسَنُ أَنْ يَنْشُدَ هُنَا فِي حَالِهَا لِأَبِي نُوَّاسٍ :

إِذَا لَمْ يُعِينِكَ اللَّهُ فِيمَا تَرِيدُهُ فَلَيْسَ لِلْخُلُقِ إِلَيْهِ سَبِيلٌ
 وَإِنْ هُوَ لَمْ يَرْشِدْكَ فِي كُلِّ مَسَلِكٍ ضَلَّتَ ، وَلَوْ أَنَّ السَّمَاءَ دَلِيلٌ

غَيْرُهُ :

إِذَا لَمْ يَكُنْ عَوْنٌ مِنَ اللَّهِ لِلْفَقَى فَأَكْثَرَ مَا يَجْنِي عَلَيْهِ اجْتِهَادُهُ
 عَازَتْ : تَعَوَّذَتْ وَلَاذَتْ . الْإِسْتِرْجَاعُ ؛ قَوْلُهُمْ : إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ،
 وَفِي حَدِيثِ أُمِّ سَلَمَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : «مَاقَالَ أَحَدٌ عِنْدَ
 الْمَصِيبَةِ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ، اللَّهُمَّ أَجِرْنِي فِي مُصِيبَتِي ، وَأَخْلِفْ لِي خَيْرًا
 مِنْهَا ؛ إِلَّا اسْتَجِيبَ لَهُ » .

إِرْجَاعٌ : رَدٌّ . تَعَجٌ : تَمِيلُ وَتَرْجِعُ . بَقَعَتْ : مَوْضَعِي . آبَتْ : رَجَعَتْ .
 الْحَرَمَانُ : الْخِيَّةُ وَالْمَنْعُ . تَحَامَلُ : مَشَقَّتْ ، وَتَحَامَلْتُ فِي الْأَمْرِ : تَكَلَّفْتُهُ عَلَى
 مَشَقَّةٍ . أَفْوَضُ : أَرَدُ .

لا حول ، أى لا حيلة ، يقال : ما له حيلة ولا حَوْل ، وما له احتيال ولا محتال ، ولا تحالة ولا تحيلة ؛ كَلَمْ بِمَعْنَى . ويقال : ما له تحال بالفتح ، أى حَوْل ، ومحال بالكسر ، أى مكر . ثعلب : هو من قولهم : تحل به ؛ إذا سعى به إلى السلطان وعرضه للهلاك . وتحل به القرآن : شهد عليه بالتقصير ؛ وقال الفراء : التحالة على ثلاثة أقسام ؛ هى الحيلة ، والتي تجعل على رأس البئر كالبكرة ، وواحدة تحال الظهر وهى قفاره . ريقال : أخذت فى الحوالة والحوالة ، إذا قلت : لا حول ولا قوة إلا بالله ، وينصب « لا حول ولا قوة » بالتبرئة ، وإن شئت رفعتها بالابتداء ، « وبالله » خبر « قوة » ، وحذفت خبر « لا حول » لدلالة الثانى عليه ، وإن شئت رفعت « حول » بالابتداء ، ونصبت « قوة » بالتبرئة ، وإن شئت نصبت « حولا » بالتبرئة ورفعت « قوة » بالعطف على موضع « لا حول » ، وإن شئت نصبت « قوة » بالتنوين عطفاً على اللفظ .

قوله : « صاف » ، أى خالص الود . مصاف : صادق فى وده . معين : ماء كثير ، يريد صاحب كرم كثير . مُعِين : يُعِينُ بِمَالِهِ . المساوى : ضد المحاسن ، واحدها « سوء » على غير قياس ، وقيل لا واحد لها . بدا : ظهر . الثمين : النفيس الغالى الثمن ؛ يقول : إنَّ الناس قد استووا فى الأفعال السيئة ، وأراد قوله صلى الله عليه وسلم : « لا يزال الناس بخير ما تباينوا ، فإذا استَوَوْا هلكوا » ، ومعناه أنَّ الناس فى الغالب إنما يتساوون فى الشر ، ولا تجدهم كلهم فضلاء لأنَّ الخير قليل .

قال أبو العباس التَّطَلَّى فيما يتعلق بهذا المعنى :

والناس كالنَّاسِ إِلَّا أَنْ تَجَرَّبَهُمْ وللْبَصِيرَةِ حَكْمٌ لَيْسَ لِلْبَصْرِ^(١)
كَالْأَيْكَ مُشْتَبَهَاتٌ فِي مَنَابِتِهَا وَإِنَّمَا يَقَعُ التَّفْضِيلُ بِالْثَمْرِ
وَقَالَ التَّهَامِيُّ :

وَمِنْ الرِّجَالِ مَعَالِمٌ وَمَجَاهِلٌ وَمِنَ النُّجُومِ غَوَامِضٌ وَدَرَارِي^(١)
وَلَرُبَّمَا اعْتَصَدَ الْحَلِيمُ بِجَاهِلٍ لَا خَيْرَ فِي يُمْنِي بِغَيْرِ يَسَارٍ
وَالنَّاسُ مُشْتَبِهُونَ فِي إِيرَادِهِمْ وَتَفَاضُلُ الْأَقْوَامِ بِالْإِصْدَارِ

* * *

ثُمَّ قَالَ لَهَا : مَنَى النَّفْسَ وَعَدِيهَا ، وَاجْمَعِي الرِّقَاعَ وَعُدِّيَهَا ،
فَقَالَتْ : لَقَدْ عَدَدْتُهَا لَمَّا اسْتَعَدْتُهَا ، فَوَجَدْتُ يَدَ الضَّيَاعِ ،
قَدْ غَالَتْ إِحْدَى الرِّقَاعِ ، فَقَالَ : تَعَسَّاءَ لَكَ يَا لَكَاعِ ، أَنْخَرَمُ
وَيَحَاكَ الْقَنْصَ وَالْحِبَالَةَ ، وَالْقَبَسَ وَالذُّبَالَهَ ! إِنَّهَا لَضِغْتُ عَلَى
إِبَالَةٍ . فَانْصَاعَتْ تَقْتَصُّ مَدْرَجَهَا ، وَتَنْشُدُ مَدْرَجَهَا ؛ فَلَمَّا
دَانَتْ قَرَنْتُ بِالرُّقْعَةِ ، دِرْهَمًا وَقِطْعَةً ، وَقُلْتُ لَهَا : إِنْ رَغِبْتَ
فِي الْمَشُوفِ الْمُعْلَمِ - وَأَشَرْتُ إِلَى الدَّرْهَمِ - فَيُوحِي بِالْمَرِّ الْمُبْهِمِ -
وَإِنْ أَيْتَ أَنْ تَشْرَحِي ، فَخُذِي الْقِطْعَةَ وَأَسْرَحِي . فَمَالَتْ إِلَى
اسْتِخْلَاصِ الْبَذْرِ التَّمِّ ، وَالْأَبْلَجِ الْهِمِّ ، وَقَالَتْ : دَعِ جِدَالَكَ ،
وَسَلْ عَمَّا بَدَاكَ ، فَاسْتَظْلَمْتُهَا طَلْعَ الشَّيْخِ وَبَلَدَتِهِ ، وَالشَّعْرِ
وَنَامِيجِ بُرْدَتِهِ .

* * *

قوله : «عديها» ، أى طمعيها . استعدتها : رددتها . غالت : أهلكت ،
واستعمار للتضييع «يدأ» مجازاً . تعساء : هلكاً ، والتعس : الدعاء ألا تقال عثرته .
يالكاع : يا لثيمة يا مُنْقِنَة ، واللكاع : وسخ الفرج . واللُكع : ولد الحمار .
القنص : الصيد .

الحباله : الشبكة ، وصفه الحباله أن يُعتمد الحبل من شعر مخلوط ييسير من صوف ، فذلك أقوى له ، فيعقد في أحد طرفيه عين يجرى فيها الحبل ، ويربط في الطرف الثاني خشبة ، وربما حددوا طرفها ، ثم يأتون إلى الطريق الذي يدخل منه الصيد إلى الماء فيحفرون فيه حفرة فيغطونها بورق الشجر وشبهها ، ويفتحون عليها عين الحبل ، ثم يغطونها بالتراب والزبل ، حتى تصير في طبع الأرض ، فإذا أقبل الصيد للماء ، فوضع يده أو رجله في الحفرة ، سقطت به ، وانضم على يده أو رجله الحبل ، فيثب فازعاً ويفرّ ، فتتبعه تلك الخشبة ، فكلما انتفض أقبلت عليه ، فتضربه بين يديه ورجليه وبطنه وظهره ، فتوهي أعضائه ، وربما كسرت يديه أو رجليه ، فلا يسير بها قدر ميل . حتى يقف موقوذاً منها ، فيأتيه الصائد فيأخذه ، وأنواع الحباله كثيرة .

قوله : «القبس» ، يريد به نور المصباح . والذباله : القتيله . ضِفْتُ : حُزِمَ من حشيش صغيرة ، وأصلها جماعة القضبان ، وشبهها من النبات ، يجمعها أصل واحد ، وكلّ ما جمعت عليه كنفك من حشيش أو عيدان فانتزعته من أصله ضِفْتُ . إِبَالَة : حُزْمَة كبيرة ، والضِفْتُ على الإباله مثل حزمة الخطاب إذا حملها للبيع ، وجعل فوقها حُزِيمَة صغيرة لنفسه ؛ فالكبيرة إِبَالَة والصغيرة صِفْتُ ، فكانه قال : إنها خسارة على خسارة ، ويقال لها : إِبَالَة وأبيل وأبيلة . وضِفْتُ على إِبَالَة ، مثل أخذه من قول الشاعر :

في كلِّ يومٍ من ذُواله ضِفْتُ يزيد على إِبَالَه^(١)

وقال آخر وذكر ناقته :

رَدَّتْ عَوَارِي غِيْطَانِ الْفَلَا وَنَجَتْ بِمِثْلِ إِبَالَةٍ مِنْ خَالِصِ الشَّعْرِ

وهذا مثل قول حبيب :

(١) الميداني ١ : ٤١٥ من غير نسبة واللسان - أبيل ، ونسب إلى أسماء بن خارجة ..

فَكَمْ جَزَعٍ وَادٍ جَبَّ ذِرْوَةً غَارِبٍ وَبِالْأَمْسِ كَانَتْ أَمْسَكْتُهُ جَوَانِبُهُ^(١)

قوله : « انصاعت » ، أى ذهبت نافرة واثنت مسرعة ، وكل ما ثنيت ولوليت به .
بسرعة ؛ فقد صعته صوعاً ، وكذلك إذا جمعته وفرقته ، فذهب عنك بسرعة ،
وصاع الشجاع القوم فى الحرب ؛ إذا جمعهم بهيبته ثم صدمهم ، ففروا سراعاً
متفرقين ، وكل نافرٍ مسرعٍ منصاع ، وقال ذو الرمة فى الخمر :

رَمَى فَأَخْطَأَ وَالْأَقْدَارُ غَالِبَةٌ فَانْصَعَنْ وَالْوَيْلُ هَجِيرَاهُ وَالْحَرْبُ^(٢)

تقتص ، أى تتبع . مدرجها : طريقها التى مشت فيها لتفريق الرقاع ، ويقال :
درج الشيخ والصبي درجاً ودرجائاً ، إذا تقاربت خطاها ، والمدرج : الموضع الذى
درج فيه ، والمدرجة : قارة الطريق . تنشد : تطلب من نشدت الضالة ، ومدرجها :
رقعتها ، ويقال : أدرجت الكتاب والثوب طويتها . القطعة : عند أهل المشرق :
الواحدة من صرف يعرفونه الحندوس ، يعمدون إلى دراهمه فيقطعونها قطعاً ،
فهى صرفهم ، وبها يتصدقون ، فأراد أنه قرن برقة الشعر درهماً ، وقطعة من
الحندوس ، وقال لها : إن خبرتني بقاتل الشعر ، فخذى الدرهم أجرة ، وإن أبيت
أن تعرفيني به فخذى القطعة صدقة وانصرفى . المشوف : المصقول المجلوف ، والشوف :
لجلاء ، والعلم : المنقوش ، ونقشه علامته ، وقيل : هو الذى عليه علامة الملك ،
وأخذه من قول عنترة :

وَلَقَدْ شَرِبْتُ مِنَ الْمُدَامَةِ بَعْدَ مَا رَكَدَ الْهَوَاجِرُ بِالشُّوفِ الْعُلَمِ^(٣)

(١) ديوانه ٤٤ . جزع الوادى : جانبه . جب : قطع . الذروة : أعلى شئ . الغارب :
الكامل . أمسكته : رفسته . وفى الديوان : « أمسكته جوانبه »

(٢) ديوانه ١٦ ، وانظر حواشيه .

(٣) من المعلقة ٢٥٨ بشرح التبريزى .

بُوحى . تكلّمى . المبهم : المغلق للمبس . أَيْدَتْ : امتنعت . اسرحى : اذهبى .
 اسخلاص : تخليص ، واستخلص الشئ ، جعله خالصاً . التّم : الكامل . والأبلج :
 النقى الأبيض ، وفعله ابلج كاحمار . الهِمّ : الكبير الذى يهّم به مَنْ رآه ،
 وشيخ همّ : مسنّ ، والهيمّ : الرقيق النحيف ، وهو من همته النار إذا أذاخته ،
 وهممت الشحم : أذبتة . استطلعتها طَلَعُهُ : استخبرتها خبره ، وسألها أن تطلعنى
 عليه ، وتقول : استطلعت طلع الشئ ، إذا حاولت الاطلاع عليه ، وأردت معرفة
 خبره الذى تطلع منه عليه ، وطلع بالكسر . بُرُدته : ثوبه .

فَقَالَتْ : إِنَّ الشَّيْخَ مِنْ أَهْلِ سُرُوجَ ، وَهُوَ الَّذِى وَشَى الشَّعْرَ
 الْمَسْجُوجَ ، ثُمَّ خَطَفَتْ الدَّرْهَمَ خِطْفَةً الْبَاشِقِ ، وَمَرَقَتْ مُرُوقَ
 السَّهْمِ الرَّاشِقِ ، فَخَالَجَ قَلْبِي أَنَّ أَبَا زَيْدٍ هُوَ الْمَشَارُ إِلَيْهِ ، وَتَأَجَّجَ كَرْبِي
 لِمُصَابِهِ بِنَاطِرِيهِ ، وَآثَرْتُ أَنْ أَفَاجِيهِ وَأُنَاجِيهِ ، لِأَعْجَمَ عُودَ فِرَاسَتِي
 فِيهِ ، وَمَا كُنْتُ لِأَصِلَ إِلَيْهِ إِلَّا بِتَخَطُّي رِقَابَ الْجَمْعِ ، الْمُنْهِي
 عَنْهُ فِي الشَّرْعِ ، وَعِيفْتُ أَنْ يَتَأَذَّى بِي قَوْمٌ ، أَوْ يَسْرِى
 إِلَيَّ لَوْمٌ ، فَسَكَدْتُ بِمَكَانِي ، وَجَعَلْتُ شَخْصَهُ قَيْدَ عِيَانِي ،
 إِلَى أَنْ انْقَضَتِ الْخُطْبَةُ ، وَحَقَّتِ الْوَيْبَةُ ، فَخَفَقْتُ إِلَيْهِ ،
 وَتَوَسَّعْتُ عَلَى التَّحَامِ جَفْنِيهِ ، فَإِذَا الْمَعِيَّتِي الْمَعِيَّةُ ابْنِ عَبَّاسٍ ،
 وَفِرَاسَتِي فِرَاسَةُ إِيَّاسٍ .

وَشَى : زَيْنَ وَرَقَمَ . خَطَفَتْ : أَخَذَتْ بِسُرْعَةٍ . الْبَاشِقُ : مِنْ جَوَارِحِ
 الطَّيْرِ . مَرَقَتْ : خَرَجَتْ بِسُرْعَةٍ . الرَّاشِقُ : الَّذِى يَرِشُقُ الصَّيْدَ ، أَيْ يَنْشِبُهُ ،

ويكون الراقب بمعنى المرسوق ، كقوله تعالى : ﴿من ماء دافق﴾^(١) ، أى مدفوق .
قوله : «خالج» ، أى داخل وجاذب . تأجج : اشتعل . كربى : هَمَى ، والتأجج
«التفعل» من الأجيح ، وهو تصويت النار ولهبا إذا اشتعلت وعظمت .
آثرت : اخترت وفضلت ، وآثرته بكذا : فضّلته به والإيثار المصدر . أفاجيه :
آتيه فجأة وهو لا يشعر . أناجيه : أحدثه . أعجم : أجرب . فراستى : نظرى ،
وجعل لها عوداً مجازاً . تخطى رقاب الجمع : الجواز على أعناق الناس ؛ خرج
الترمذى فى النهى عن ذلك ، قال : قال : رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من
تخطى رقاب الناس يوم الجمعة اتخذ جسراً إلى جهنم » .

عفت : كرهت . يةأذى : يصيبهم أذى . يسرى : يصل . اللوم : ضد الحمد ،
وهو أن تأخذ الإنسان بلسانك ذمّاً لما فعل . شكّدت : التصقت ولزمت . قيد
عيانى : غرض نظرى ، أى قيدت نظرى فيه . انقضت : تمت . حقت الوثبة ،
أى وجبت القفزة إليه . خفت : أسرع . توسّمت : نظرت . التحام : التصاق
وانفلاق . ألمعيتى : ذكائى وصدق ظنّى ، والألمعى ، هو الذى يظن بك الظنّ ،
ولا يخطئ ، وهو اليلمعى من اللعان ، كأنه يلمع لذكائه وجوده فطنته ،
وقال أوس :

الألمعى الذى يظنّ بك الظنّ كأنّ قد رأى وقد سمعاً^(٢)

ولا يبين أحد الألمعى بأحسن مما بينه أوس ، فإذا سئلت : ما الألمعى ؟
فأنشدت بيته تأت بالجواب الشافى .

والفراسة ، أن تنظر الشيء فتستدلّ بظاهره على باطنه ، وبما حضر على ما
غاب ، وقيل : الألمعى أن ترى الشيء على بُد فتعرفه وتحققه ، والفراسة أن ترى
الرجل بين يديك فتحكمّ عليه بما أضمر ، أو بما يريد أن يفعله ، فالألمعى فى البعد ،
والفراسة فى القرب ، وكيف اختلفت الألمعى والفراسة ، فالظنّ الصادق يجمع بينهما .

[ذكر ابن عباس وبعض أخباره]

وابن عباس رضى الله عنه ، هو عبد الله بن العباس بن عبد المطلب بن هاشم القرشى الهاشمى ، يكنى أبا العباس .

ولد قبل الهجرة بثلاث سنين ، وكان ابن ثلاث عشرة سنة يوم توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم . واختلف فى السنة التى مات فيها ، ما بين ثمان وستين فى الأقل ، وأربع وسبعين فى الأكثر . وصلى عليه محمد بن الحنفية ، وقال : اليوم مات ربانى هذه الأمة ، وضرب على قبره فسطاط .

روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « اللهم علمه الحكمة وتأويل القرآن » ، وفى حديث آخر : « اللهم بارك فيه ، وانشر منه ، واجعله من عبادك الصالحين » . وفى حديث آخر : « اللهم زده علماً وفقهه » ؛ وفى حديث آخر : « اللهم فقهه فى الدين وعلمه التأويل » . وكلها أحاديث صحاح .

وكان عمر بن الخطاب رضى الله عنه يحبّه ويُدبّنه ويقرّبه ويشاوره ، مع وفور جِلّة الصحابة رضى الله عنهم .

وكان ابن عمر رضى الله عنه يقول : ابن عباس فى الكهول ، له لسان سنّول ، وقلب عقول .

عبد الله بن عبد الله : ما رأيت أحداً كان أعلم بالسنة ، ولا أجَلَدَ رأياً ، ولا أثبت نظراً من ابن عباس .

ولقد كان عمر يعلّمه للمعضلات ، مع اجتهد عمر ونظره للمسلمين .

عمرو بن دينار : ما رأيت مجلساً كان أجمع لكل خيرٍ من مجلس ابن عباس ، الحلال والحرام والعربية والأنساب والشعر .

عطاء : كان الناس يأتون ابن عباس فى الشعر والأنساب ، وناس يأتونه

لأيام العرب ووقائعها ، وناسٌ يأتونه للعلم والفقه ، فما منهم صنف إلا يقبل عليهم بما يشاءون .

مسروق : كنتُ إذا رأيت ابنَ عباس ، قلت : أجل الناس ؛ فإذا تكلم قلت : أفصح الناس ، فإذا تحدث قلت : أعلم الناس .

أبو وائل : خطبنا ابن عباس رضى الله عنهما ، وهو على الموسم ، فافتتح سورة ، فجعل يقرأ ويفسر ، فجعلت أقول : ما رأيتُ ولا سمعتُ كلام رجلٍ مثله ، لو سمعته فارس والترك والروم لأسلمت .

طاوس : أدركت نحو خمسمائة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، إذا ذكروا ابنَ عباس خالفوه ، فلم يزل يقودهم حتى ينتهوا إلى قوله .

ابن مسعود : نِمَمَ تَرجمان القرآن ابن عباس ، ولو أدرك أسناننا ما عاشره منا رجل .

يزيد الأصم : خرج معاوية حائجا ، ومعه ابن عباس ، فكان لمعاوية موكب ، ولابن عباس موكب ممن يطلب العلم .

القاسم بن محمد : ما رأيتُ في مجلس ابن عباس باطلا قط ، وما سمعت فتوى أشبه بالسنة من فتواه .

وكان أصحابه يسمونه الحَبْرَ والبحر . وذكر أبو العباس في الكامل أن عمر بن أبي ربيعة أنشده قصيدته :

أَمِنْ آلِ نَمٍ أَنْتَ غَادٍ فَبِكْرُ غَدَاةٍ أَمْ رَائِحٌ فَهَجْرُ

ففظها مَنْ سمعها ، وهى ثمانون بيتاً^(١) .

(١) الكامل للبدر ٣ : ٢٢٨ ، ٢٢٩ ، وفي آخره بعد أن أورد أبياتاً من القصيدة : فقال له ابن الأزرق — وقد كان حاضراً في المجلس : قد أنت يا ابن عباس ! أنضرب إليك =

مجاهد عن ابن عباس رضى الله عنهما : رأيتُ جبريل عليه السلام عند النبي صلى الله عليه وسلم مرتين ، ودعا لى بالحكمة رسول الله صلى الله عليه وسلم مرتين .

وروى عنه أنه رأى رجلاً مع النبي صلى الله عليه وسلم فلم يعرفه ، فسأل عنه النبي صلى الله عليه وسلم ، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم : أرايته ؟ قال : نعم ، قال : ذاك جبريل ، أما إنك ستفقد بصرَكَ ؛ فعِمى بعد ذلك فى آخر عمره ، وهو القائل فى ذلك - ويروى لسان رضى الله عنهما :

إِنْ يَأْخُذِ اللَّهُ مِنْ عَيْنِي نَوْرَهَا ففى لسانى وقلبي منهما نُورٌ^(١)
قَلْبٌ ذِكْرٌ وَعَقْلٌ غَيْرُ ذِي دَخَلٍ وَفى صَارُمٍ كَالسَيْفِ مَأْتُورٌ
نظر إليه الخطيئة فى مجلس عمر رضى الله عنهما ، فقال : مَنْ هذا الذى برع الناس بعلمه ، ونزل عنهم بسنّه ؟ فقيل له : عبد الله بن عباس .

وقال فيه حسان بن ثابت رضى الله عنهما :

إِذَا مَا ابْنُ عَبَّاسٍ بَدَا لَكَ وَجْهُهُ رَأَيْتَ لَهُ فِى كُلِّ أَحْوَالِهِ فَصْلًا^(٢)
إِذَا قَالَ لَمْ يَتْرِكْ مَقَالًا لِقَائِلٍ بِمَنْتَطِحَاتٍ لَا تَرَى بَيْنَهَا فَصْلًا^(٣)
كَفَى وَشَفَى مَا فِى النُّفُوسِ وَلَمْ يَدَعْ لِذِي إِرْبَةٍ فِى الْقَوْلِ جِدًّا وَلَا هَزْلًا

= أ كباد الإبل ، نسألك عن الدين فتعرض ، وبأتيك غلام من قريش فيفشدك سفهاً فتسفه ؛ فقال : تائه ما سمعت سفها ، فقال ابن الأزرقي : أما أنشدك :

رَأْتُ رَجُلًا أَمَّا إِذَا الشَّمْسُ عَارَضَتْ فَيَخْزَى ، وَأَمَّا بِالْعَشِيِّ فَيَخْسِرُ
فقال : ما هيكنّا قال ؛ إنما قال : « فيضحي وأما بالعشي فيخسر » فقال : أو تحفظ الذى قال ؟ قال : واه ما سمعتها إلا ساعى هذه ، ولو شئت أن أرددها لرددتها ، قال : فأرددها ، فأنشدها لها كلها .

(١) ديوان حسان ١٦٤

(٢) ديوانه ٣٥٩ ، ولم يرد فيه البيت الأول .

(٣) الديوان : « بمنطحات » .

سموتَ إلى العليا بغير مشقة فنلت ذراها لا ذليلاً ولا وُعلاً^(١)

ونظر إليه معاوية يوماً يتكلم معه ، فأتبعه بصره ، فقال متمثلاً :

إذا قال لم يترك مقالاً لقائلٍ مصيب ولم يثن اللسان على هُجْرٍ
يصرّف بالقول اللسان إذا انتحى وينظر في أعطافه نظر الصقر

وروى أن طائراً أبيض خرج من قبره ، فتأولوه علمه خرج إلى الناس .

وقيل : دخل قبره طائر أبيض ، فقيل : هو بصره .

وقال أبو الزبير : مات ابن عباس رضى الله عنهما بالطائف ، فجاء طائر
أبيض فدخل في نعشه حين حُمِلَ ، فما رُئِيَ خارجاً منه .

وفضائله كثيرة مشهورة ، فلنقف منها على هذا القدر .

[ذكر إياس القاضي]

وأما إياس ، فهو أبو وائلة بن معاوية بن قرة بن إياس بن هلال بن رباب
المزنيّ ، قاضي البصرة . وسبب قضائه أن عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه كتب
إلى عدى بن أرطاة عامله على البصرة ؛ أن اجمع إياس بن معاوية المزنيّ والقاسم
ابن ربيعة الحارثي ، فولّ القضاء أنفذهما وأفقههما . فجمع بينهما ، فقال كل واحد :
إن صاحبه أنفذ وأفقه ، فقال له إياس : سل عنّي وعن القاسم فقيهي المصّر :
الحسن وابن سيرين - وكان القاسم يأتيهما وإياس لا يأتيهما - فلم القاسم أنه
إن سألهما أشارا به . فقال القاسم : لا تسأل عنّي ولا عنه ؛ فوالله الذي لا إله
إلا هو ؛ إن إياساً لأفقه منّي ، فإن كنت كاذباً فما عليك إلا ألا توليئي

(١) الوغل من الرجال : الضعيف الساقط .

وأنا كاذب، وإن كنت صادقاً فينبغي لك أن تقبل قولي. فقال له إياس: إنك جئتَ برجل، فوقفته على سفير جهنم، فنحى نفسه منها يمين كاذبة يستغفر الله منها، وينجو مما يخاف، فقال له عدى: أما إنك إذ فهمتها فأنت لها؛ فاستقضاءه. وقال إياس رحمه الله: أرسل إلى ابن هبيرة فأتيته، فسألني فسكتُ، فلما أطلتُ قال: هيه! قلت: سلّ عمّا بدا لك، قال: أتقرأ القرآن؟ قلت: نعم، قال: أتفرض الفرائض؟ قلت: نعم، قال: أتعرف من أيام العرب شيئاً؟ قلت: نعم، قال: أتعرف من أيام العجم شيئاً؟ قلت: أنا بها أعرف، قال: إني أريد أن أستمع بك على عملي، قلت: إن فيّ خصالاً ثلاثاً لا أصلح معها للعمل، قال: ما هي؟ قلت: أنا دميم كما ترى، وأنا عيى، وأنا حديد، قال: أما دمايمك فإني لا أريد أن أحاسن بك الناس، وأما العيى فإني أراك تُعرب عن نفسك، وأما الحدة فإن السوط يقومك، قم. فولّاني القضاء، وأعطاني عشرة آلاف درهم، فهي أول مالٍ تمولّته.

ودخل عليه عدى بن أرطاة في مجلس القضاء - وعدى أمير البصرة، وكان أعرابي الطبع - فقال: يا هناء، أين أنت؟ قال: بينك وبين الحائط، قال: خاسم منى، قال: للاستماع جلست، قال: إني تزوّجت امرأة، قال: بالرفاء والبنين، قال: وشرطتُ لأهلها ألاّ أخرجها من بينهم، قال: أوف لهم بالشرط، قال: فأنا أريد الخروج، قال: في حفظ الله، قال: فاقض بيننا، قال: قد فعلت، قال: فبهم تحكم؟ قال: بألاّ تخرجها، قال: بشهادة من؟ قال: بشهادة ابن أخت خالتك.

وأول ما ظهر من ذكائه، أنه دخل دمشق، وهو غلام، فتحاكم مع شيخ عند قاضيهما، فصال إياس بحديثه على الشيخ، فقال له القاضي: إنه شيخ كبير، فغضّض كلامك، فقال له إياس: الحقُّ أكبرُ منه، فقال له القاضي:

أسكت ، فقال : وَمَنْ يَنْطِقُ بِحُجَّتِي ؟ فقال له القاضي : ما أراك تقول حقاً ، فقال إياس : لا إله إلا الله ، أحقُّ هذا أم باطل ؟ فدخل القاضي من فوره إلى عبد الملك بن مروان ، فأعلمه بما رأى من ذكائه ، فقال له عبد الملك : اخرج فاحكم بينهما ، وأخرجهُ الآن من دمشق إلى بلاده لئلاَّ يُفسد على أهل الشام .

ولما دخل عبد الملك البصرة رأى إياساً وهو صبي ، وخلفه أربعة من القراء أصحاب الطيالة ، وإياس يقدمهم ، فقال عبد الملك : أفٍ لهذه العنانين ؛ أما فيهم شيخٌ يقدمهم غير هذا الحدث ! ثم التفت إليه ، وقال : كم سنُّك ؟ فقال : سنِّي - أطال الله بقاء الأمير - سنُّ أسامة بن زيد بن حارثة حين ولّاه رسول الله صلى الله عليه وسلم جيشاً فيهم أبو بكر وعمر ؛ فقال : تقدّم بارك الله فيك ، وكان سنُّه سبع عشرة سنة .

وأما ذكاؤه وفراسته ، فقد ألّف في ذلك المدائني كتاباً سمّاه كتاب «زكّن إياس» ، والزكّن : التشبيه ، يقال : زكّن عليهم وزكّم : شبّه وخيّل ، وقيل : الزكّن : الظنّ والتفرّس . ومن زكّنه أنه اختصم إليه رجلان في قطيفتين : حمراء وخضراء ، فقال أحدهما : دخلت الحوض لأغتسل ووضعت قطيفتي ، ثم دخل واغتسل ، فخرج قبلي ، وأخذ قطيفتي ، فتبعته ، فزعم أنها قطيفته ، فقال : ألك بينة ؟ قال : لا ، قال : ائتوني بمسط ، فأتي به ، فسرّح رأس هذا ، ثم هذا ، فخرج من رأس أحدهما صوف أحمر ، ومن رأس الآخر أخضر ، فقضى بالأخضر لصاحب الأخضر ، وبالأحمر لصاحب الأحمر .

وأتى المدينة فصلّى في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فزكّنه أهله حتى صاروا فرقتين : فرقة تزعم أنه معلم ، وأخرى تزعم أنه قاضٍ ، ثم وجّهوا إليه رجلاً ، فأخبره خبرهم ، فقال : أصاب الذين ذكروا أني قاضٍ ، ورويداً أخبرك عن القوم ؛ أمّا الذي من صفته كذا فهو كذا ، وأمّا الذي يليه فهو كذا ، وأمّا ذاك الشيخ فإنه نجار ، فقال الرجل : في كلّهم والله أصبت إلّا في الشيخ ،

فإنه من قریش ، فقال إلیاس : وإن كان من قریش ! فقام الرجل إلى أصحابه ، فقال : قد جئتم من عند أعجب الناس ، والله إن منكم من أحدٍ إلا أخبرني بصناعته إلا هذا فزعم أنه نجار ، فقال : صدق والله ؛ إني لأنجّر عيدان جوارى - یعنی عود الزمار .

ونظر إلى ثلاث نسوة فزعن من شيء ، فقال : هذه حامل ، وهذه مرضع ، وهذه بكر ، فسئلن فوجدن كذلك ، فسئل من أين لك علم ذلك ؟ فقال : لما فزعن وضعت كل واحدة منهن يدها على أهم المواضع لها ، فوضعت للرضع على ثديها ، والحامل على بطنها ، والبكر على فرجها .

وسمع نباح كلب لم يره ، فقال : هذا نباح كلب مربوط على شفير بئر ، فنظر فكان كما قال ، فقيل له في ذلك ، فقال : سمعت عند نباحه دويًا ، ثم سمعت بعده صرعى يجييه ، فعلمت أنه عند بئر .

ومن فراسته أنه رأى أثر اعتلاف بعير ، فقال : هذا بعير أعور ، فنظروا فكان كما قال ، فقيل له في ذلك ، فقال : لأن وجدت اعتلافه من جهة واحدة .

ولما صار ذكاؤه يضرب به المثل ، كما يضرب بمجود حاتم وحلم الأحنف وشجاعة عمرو بن معديكرب ، نظمهم حبيب في بيت جمع فضلهم المتفرق للعباس ابن المأمون ، فقال :

إقدامُ عمرو في سماحة حاتم في حلمٍ أحنف في ذكاء إلیاس^(١)

وتوفي سنة ثنتين وعشرين ومائة . وأخباره كثيرة ، وفيما أوردناه كفاية .

فَعَرَفْتُهُ حِينَئِذٍ شَخْصِي ؛ وَآثَرْتُهُ بِأَحَدٍ قُمَصِي ، وَأَهْبَتُ بِهِ
إِلَى قُرْصِي ، فَهَشَّ لِمَعْرِفَتِي وَعَرَفَانِي ، وَلَبَّى دَعْوَةَ رُغْفَانِي ،

(١) ديوانه ١٧٤ ، وفيه : « يمدح أحمد بن المعتصم » .

وَانْطَلَقَ وَيَدِي زَمَامُهُ ، وَظَلَى إِمَامُهُ ، وَالْعَجُوزُ ثَلَاثَةُ الْأَثَافِي ،
وَالرَّقِيبُ الَّذِي لَا يَخْفَى عَلَيْهِ خَافِي . فَلَمَّا اسْتَحْلَسَ وَكُنْتِي ،
وَأَحْضَرْتُهُ عُجَالَةً مُكْنَنِي ، قَالَ لِي : يَا حَارِثُ ، أَمَعْنَا ثَالِثُ ؟
فَقُلْتُ : لَيْسَ إِلَّا الْعَجُوزُ ، قَالَ : مَادُونَهَا سِرٌّ مَحْجُوزٌ . ثُمَّ فَتَحَ
إِخْدَى كَرِيْمَتِيهِ ، وَرَأَى بَتْوَمَتِيهِ ، فَإِذَا سِرَاجًا وَجْهِهِ يَقْدَانِ ،
كَأَنَّهُمَا الْفَرْقَدَانِ . فَأَبْتَهَجْتُ بِسَلَامَةِ بَصَرِهِ ، وَعَجِبْتُ مِنْ
غَرَائِبِ سِيرِهِ ، وَلَمْ يُلْقِنِي قَرَارٌ ، وَلَا طَاوَعَنِي اصْطِبَارٌ ، حَتَّى
سَأَلْتُهُ : مَا دَعَاكَ إِلَى التَّعَالِي ؛ مَعَ سَيِّرِكَ فِي الْمَعَامِي ، وَجَوْرِكَ الْمَوَامِي ،
وَإِيضَالِكَ فِي الْمَرَامِي !

* * *

قوله : « أَهْبَتْ بِهِ » ، أَي دَعَوْتَهُ ، وَأَصْلُ « أَهَابَ » دَعَا نَفْسَهُ مَنْ بَعْدَ . وَقِيلَ :
الْإِهَابَةُ دَعَاءُ الْإِبِلِ لِلشَّرْبِ . وَالْقُرْصُ : رَغِيفٌ صَغِيرٌ سُمِّيَ قُرْصًا ، كَأَنَّهُ قُرْصٌ مِنَ
الْمَعْجِينِ ، أَي قُطِعَ ، وَالتَّقْرِيصُ : التَّقْطِيعُ . هَشَّ : خَفَّ فَرَحًا . وَالْعَارِفَةُ ، يَرِيدُ النِّعْمَةَ
وَهِيَ الْعُرُوفُ . لَبَّى : أَجَابَ وَقَالَ : لَبَّيْكَ ، وَمَصْدَرُهُ تَلْبِيَةٌ وَهِيَ « تَفْعَلَةُ » ، مِنْ
الْإِلْبَابِ وَهُوَ الزُّومُ ، وَلَبَّ بِالْمَكَانِ وَأَلْبَّ بِهِ : أَقَامَ ، وَأَصْلُهُ لَبَّبَ بِثَلَاثِ بَاءَاتٍ ،
فَأَبْدَلُوا الْآخِرَةَ يَاءً اسْتِقْلَالًا لِاجْتِمَاعِ الْأَمْثَالِ ، كَمَا قَالُوا : تَنْظَيْتُ وَتَمْطَيْتُ ، فَالْيَاءُ
فِيهِمَا بَدَلٌ مِنْ مِثْلِ الْحَرْفِ الَّذِي قَبْلَهَا ، ثُمَّ أَتْبَعُوهُ الْإِبْدَالَ فِي الْمَصْدَرِ وَهُوَ تَلْبِيَةٌ ،
فَيَاؤُهُ بَاءٌ ، وَقَوْلُهُمْ : لَبَّيْكَ ، مَعْنَاهُ إِجَابَةٌ بَعْدَ إِجَابَةٍ ، وَلِزُومًا لَطَاعَتِكَ بَعْدَ لُزُومٍ .
رُغْفَانٌ : جَمْعُ رَغِيفٍ ، يَرِيدُ أَنَّهُ لَمَّا سَمِعَ بِذِكْرِ الْخَبْرِ ، فَكَأَنَّ الْخَبَرَ دَعَا فَأَجَابَهُ .
زَمَامُهُ : مَقْوَدُهُ . إِمْلَمَهُ : هَادِيَهُ . الْأَثَافِي : حِجَارَةُ الْقَدَرِ ، وَهِيَ ثَلَاثُ ، وَالْعَرَبُ
تَقُولُ : رَمَاهُ اللَّهُ بِثَلَاثَةِ الْأَثَافِي - يَعْنُونَ بِهَا الْجِبِلَّ ، لِأَنَّهُمْ يَحْجَرُونَ حَجَرَيْنِ

ويلصقونهما بالجبل ، فيقوم الجبل مقام الحجر الثالث ، واحدهما أُنْفِيَّةٌ بالشديد ، وقد تُخَفَّفُ ، وقد أُنْفِيَتِ القدر وأُنْفَتَها وَثَقَّتَها ، وتسمى العرب أُنْفَى الحديد المنصَّب . الرقيب : الحافظ ، يريد الله تعالى . استجلس وكُنْتِي ، أى دخل بيتي ، وجلس على حاسه ، وهو ما يُبْسَطُ تحت بسطه ؛ يقيها الأرض ، وفلان جلس بيته ، أى لازم التعمود فيه ، وفى الحديث : « كن فى الفتنة جلس بيتك » ، أى لا تدخل فيها ، والجلس : كساء يلي ظهر البعير تحت البرذعة ويلزمه ، فشبه الذين يعرفون الشيء ويلزمونه بالجلس ، ومنه قولهم : لست من أحلاسها ، أى من أصحابها العارفين بها . ومنه بنو فلان أحلاس الخيل ، أى الذين يضمرونها ويلزمون ظهورها ، وأحلاس القوافى : المجيدون فى نظم الشعر ، والوكنة : الثقبه فى الحائط يسكنها الطائر ، وقيل : هى الموضع من الشجرة وغيرها ، يقع عليه للمبيت ، وهى الوكن ، ووكن الطائرُ وَكَنًا ، فهو واكن إذا حضن على فرخه ، فلزم وَكَنَتْه . عَجَالَةٌ مُكَنَّتِي : ما تعجَّلَ وأمكن من الطعام . محجوز : ممنوع ، وحجرت الشيء : خزته ومنعته ، وحجرت بين الشئين حجزاً ، فأنا حاجز ، إذا جعلت بينهما حائلاً ، والمفعول محجوز ، ومنه الحِجَارُ ؛ لأنها أرض حجرت بين نجد والسرّة . كريمته : عينية ، وفى الحديث قال النبى صلى الله عليه وسلم : « ما من عبد أذهب الله كريمته إلا كان ثوابه عند الله الجنة » قالوا : وما كريمته ؟ قال : عيناه . رأراً : قلبهما وأدارهما إدارة كثيرة . وتوهمته : كريمته ، وقوله : « مسح كريمته » ، يريد أنه حكهما بكفه ، فانتفض عنهما ما كان ألصقهما به ، حتى التحا . وقيل : رأراً : أدار العين وحدد نظرها . وتوهمته : عيناه ، وفى الغريب المصنف : رأرات المرأة بعينها ولألأت ، إذا برقت عينها ، وأنشد ابن الأعرابي :

عجبت من الحور الكريم نجارها تُرأرى بالعينين للرجل الحبل^(١)

الحبل : الداهية . الفرقدان : نجان مُنيران فى بنات نفس . ابتهجت : فرحت .

(١) اللسان - حبل ، وروايته : « فيا عجباً للعود تندی قناعها » .

سِرِّه : عاداته . يُبْقِنِي قرار : يحبسني سكون وطمأنينة . التَّعَامِي : استعمال العمى .
 المعامى : الطارق المجهولة ، وقيل : القفار البعيدة التي تعمى فيها الآثار فلا يُهْتَدَى
 فيها . المواحى : القفار ، واحدها مَوْحَاة . إِيغَالِكَ : إبعادك ومبالغة دخولك .
 المرامي : المقاصد والبلاد التي ترميه إلى بلاد أخرى ؛ يقول : سألته ما الذى
 دعاك إلى استعمالك العمى مع دخولك لطلبك الرزق فى المشقات وجَوْب البلاد
 البعيدة ، فلم تجِدْ لنفسك حيلة حتى تشبَّهت بالعميان !

* * *

فَتَظَاهَرَ بِاللَّكْنَةِ ، وَتَشَاغَلَ بِاللَّهْنَةِ ، حَتَّى إِذَا قَضَى وَطَرَهُ ، أَتَارَ
 إِلَى نَظَرِهِ ؛ وَأَنْشَدَ :

وَأَمَّا تَعَامَى الدَّهْرُ وَهُوَ أَبَوُ الْوَرَى عَنْ الرُّشْدِ فِي أَنْحَاثِهِ وَمَقَاصِدِهِ
 تَعَامَيْتُ حَتَّى قِيلَ لِي أَخُو عَمَى وَلَا غَزَرَ أَنْ يَحْذُو الْفَتَى حَذُوَ الْوَالِدَةِ
 ثُمَّ قَالَ لِي : انْهَضْ إِلَى الْمُخْدَعِ فَاتْنِي بِغَسُولِ يَرُوقُ الظَّرْفَ ،
 وَيُنَقِّى السَّكْفَ ، وَيُنْعِمُ الْبَشْرَةَ ، وَيُعْطِرُ النَّكْهَةَ ، وَيَشْدُ اللَّثَّةَ ،
 وَيَقْوَى الْمَعِدَةَ ، وَلَيْسَكُنْ نَظِيفَ الظَّرْفِ ، أَرِيحَ الْعَرْفَ ، أَيْ
 الدَّقَّ ، نَاعِمَ السَّخَقِ ، يَحْسِبُهُ اللَّامِسُ ذُرُورًا ، وَيَخَالُهُ النَّاشِقُ كَافُورًا ،
 وَافَرْنَ بِهِ خِلَالَةَ نَفْيَةِ الْأَصْلِ ، مَحْبُوبَةِ الْوَصْلِ ، أُنِيقَةَ الشَّكْلِ ، مَدْعَاةَ
 إِلَى الْأَكْلِ ؛ لَهَا نَحَافَةُ الصَّبِّ ، وَصَقَالَةُ الْمُضْبِّ ، وَآلَةُ الْحَرْبِ ،
 وَلَذُونَةُ الْمُضْنِ الرَّطْبِ .

◊ ◊ ◊

تظاهر : استعان . واللكنة : احتباس اللسان ؛ يريد : لنا امتلاؤه بالطعام .

لم يتسرح لسانه بالكلام ، فوجد بذلك علة لقطع الجواب ، فكان الأكنة أبحاثه على ذلك . اللهمنا : الطعام المعجل للتصيف قبل الغداء ، وكل ما تعجلته قبل إدراك الطعام لهنة ، ولهمنت الضيف : علته بذلك . قضى وطره : أتم حاجته من الأكل ، والوطر : المراد ، ولا فعل له . أثار : تابع نظره وحدده . الوري : الخلق . آبحاثه : أغراضه ومقاصده ، والنحو كالتصديق . لاغزو : لا عجب . يحدو حدوه : أى يفعل فعله .

[ذكر العمى وما ورد فيه من الشعر]

وهذا الاعتذار عن التعامى حسن ، وقد تقدم اعتذار ابن عباس رضى الله عنهما عنه . وما يرمى للحضري^(١) فى ذلك :

وقالوا قد عميت فقلت كلاً
سواد العين زار سواد قلبى
فإنى اليوم أبصر من بصير
ليجتمعاً على فهم الأمور
أخذه من قول بشار :

إذا ولد المولود أعمى وجدته
عميتُ جنيناً والذكاء من العمى
وجدك أهدى من بصير وأخولاً^(٢)
فجئت عجيب الظن للعلم معقلاً
وفاض ضياء العين للقلب فاغتدى
وشعر كنوز الرّوض لا ممت بينه
بقول إذا ما أحنن الشجر أسهلاً
وقال بشار :

قالوا العمى منظر قبيح
تالله ما فى البلاد شئ
قت بفقدى لكم يهون^(٣)
تأسى على فقد العمىون

(١) الحضري ، بضم الحاء وسكون الصاد ، منسوب إلى عمل الحضري أو يبعها : على ابن عبد الفتى القيروانى ، صاحب قصيدة « ياليل الصب » ، وهو ابن خالة لإبراهيم بن على الحضري ، صاحب كتاب زهر الآداب ، والبيتان فى نكت الهميان ٧٦ .
(٢) الأبيات عدا الأول فى الأغاني ٣ : ١٤٢ ، ونكت الهميان ٧٥ .
(٣) نكت الهميان ٧٥ .

وعكس هذا المعنى أبو العيناء حين سأله المتوكل : ما أشد ما عليك في
ذهاب بصرك؟ قال : ما حرّمته يا أمير المؤمنين من رؤيتك مع إجماع الناس
على جمالك .

ومما يستملح من هذا الباب : نشأ أعمى بين أعورين ، فإذا مشيا أو قعدا ،
لخاذا عَوْرُ هذا عَوْرَ هذا نشأ بينهما أعمى .

وقال المتنبي يمدح العور ويذمه في بيت واحد :

أيا بن كروّسٍ يانصفَ أعمى وإن تفخر فيا نصفَ البصير^(١)
فإذا انضمّ ابن كروّسٍ إلى مثله نشأ بينهما أعمى ، قال الشاعر :
وبيننا أبداً أعمى نؤلّفه قد يخلّق الله عيانا من العورِ
وقال آخر :

ألم ترني وعمرأ حين نفدُو إلى الحاجات ليس لنا نظيرُ
أسايره على يميني يديه وفيما بيننا رجلٌ ضريرُ
وقال آخر في أعور وعوراء تعاشقا :

هي عوراء باليمين وهذا أعورٌ بالشمال وافق شَنَا
بين شخصيهما ضريرُ إذا ما قعدت عن شماله تنفّى
فأما قول جميل^(٢) الشكري في صفة الذئب^(٣) :

وأعور من يمينه إن شاء مرّة وإن شاء من يسراه ما كان راقداً
لقد فزت دون العور - أوس - برتبة^(٣) وأعطيت نابا يفلق الصخر بارداً

(١) ديوانه ٢ : ١٤٤ ، قال في شرحه : « يخاطب ابن كروّس الأعور وكان يماديه » .

(٢) كذا في الأصول ، ولعله تصحيف عن « النخل » .

(٣) أوس اسم علم على الذئب .

فإنما وصفه بشدة الخذر ، وذكر العور على معنى الاستعارة كما قال حميد
ابن ثور :

ينامُ بإحدى مقلتيه ويتقي بأخرى المنايا فهو يقظان نائم^(١)
وقال ابن المعتز :

أشهى في الملة القبلا لا كثيراً يشبه الحولا
واحمرار الخد من خجل إننى أستحسن الخجلا

وقال آخر :

وأحول ذى حرّكه يملأ بيتى برّكه

يريد أنه يرى من الشئ اثنين ، كما قال الآخر :

فقد جعلت أرى الشخصين أربعة والواحد اثنين مما بورك البصر

لأن هذا يصف الكبير .

واعذر القاضي أبو محمد عبد الوهاب^(٢) عن الحول فأحسن ، حيث يقول :

حدت إلهى إذ بليت بحبها وبي حول يغنى عن النظر الشر
نظرت إليها والرقيب يظننى نظرت إليه، فاسترحت من العذر

فحوله رفع عنه ثقل مؤنة التكلف الذى ذكر الآخر حين قال :

ولما التقينا والعيون نواظره وليس لنا رسل سوى الطرف للطرف

(١) البيت لحيد بن ثور ، ديوانه ١٠٥ ، : « يقظان هاجم » .

(٢) هو أبو محمد عبد الوهاب بن نصر بن أحمد المالكي ، القاضي ذكره البناهي في

المرتبة الثانية ٤٠ - ٤٢ .

تنزّهت في خديك من نظر خفي وما زلت أخفي الودّ ضعفاً على ضعفي
فإن غفل الواشون فزتُ بنظرةٍ وإن نظروا نحوي نظرتُ إلى كفي
فلذلك حمد الله على الحول .

وقال الناشئ في هذا المعنى فأحسن :

يتناقلان اللفظ من جنبيهما فكأنما يتناسخان كتاباً
وإذا سمّت عينُ الرقيب تخالستُ كفّهما خلّس السلام سلاباً

وللقاضي أبي محمد عبد الوهاب ، أنشدنا بعض أشيخنا البيت الثاني
والأخير من القطعة التالية ، وكان كثيراً ما يحرضنا بها على الطلب ، ويسلينا
عن الغربة :

ومحجوبة في الخدر عن كل ناظرٍ ولو برزت بالليل ماضٍ من يسرى
أقول لها والدمع يغلب صبرها أعدى لفقدى ما استطعت من الصبر
سأنفق ريعانَ الشبيبة أنفاً على طلب العلياء أو طلب الأجر
أليس من الحرمان أن ليالياً تمرُّ بلا نفعٍ وتحسب من عمرى !

ولم ينشدنا البيت الأول ولا الأوسط ، وهما من القطعة .

وأما كلام الحريري الذي فرغنا من شرحه ؛ فهو منقول من مقامة البديع^(١) ،
يقول على لسان عيسى بن هشام : « ثمّ فارقه وتبعته ، وعرفت أنه متعمد لسرعة
ما عرف الدينار . فلما نظمتنا خلوة ، مددت يميني إلى يسرى عضديه ، ققلت :
والله لتريني سرّك ، أو لأهتكَنَّ^(٢) سترك ، ففتح عن توءمته^(٣) ، وحدّر لثامه
عن وجهه ، فإذا والله أبو الفتح الإسكندري ، ققلت له : أنت أبو الفتح ؟ فقال :

(١) المقامات ٩٣ .

(٢) المقامات : « لأكفنه » .

(٣) المقامات : « توءمته لوز » .

أنا أبو قلمون في كل لون أكون
 اختر من الكسب دوناً فإن دهرك دون
 زج الزمان بمحمق إن الزمان زبون
 لا تكذب بعقل ما العقل إلا الجنون

وعتب الحريري على العمى فائق في النثر ، وشعره في الاعتذار عنه رائق في
 النظم ، وهو على انطباعه في التصد إذا أتى باليتين أتى بالعجب ، وهو في ذلك
 كما قيل في أبي منصور الفقيه : إذا رمى بزجيه قتل .

قوله : « الخدع » ، هو بيت داخل بيت ، قال ابن الأنباري : هو الخزانة في جانب
 البيت ، وهو من خدع ، إذا توارى واستتر ، وأخدعه إخداعاً : أخفاه ، فمن ضم
 ميم « مخدع » فهو من « أخدع » ، ومن فتح فهو من « خدع » ، وخدع الصب
 في جحره خدعاً : دخله خوفاً من صائده . اللؤلؤ : الأسنان ، وهو التناوة ،
 ويقال أيضاً : الغاسول ، وكل ما غسلت به ثوبك أو رأسك فهو غسل وغسول .
 يرؤق : يعجب . والطرف : العين . ينق : ينظف . والبشرة : ظاهر الجلد .
 والنكته : رائحة القدم ، ونكته الرجل أنكبه وأنكبه - والفتح أقل -
 واستمكته ، كله شمته فاه ، قال الشاعر :

نكته مجالداً فشمته منه كريح الكلب مات حديث عهد
 واللثة : اللحم على الأسنان . نظيف الظرف : نقي الوعاء . أريج العرف :
 عطر الرائحة ، والأرج : فوح الطيب وأرج المسك : فاح . فتى الدق : طرى الكسر .
 ناعم : حسن ، قد بولغ في سحقه ، يريد أنه في الحال الذي يسحق يستعمل .
 الناشق : الشام . والذرور والكافور : من أنواع الطيب ، والذرور هو

المعروف بالذريعة، والذرور أيضاً: غبار يُذَرّ في العين، وكله مأخوذ من الذرّ، وهو التفرق، لأن أجزائه تفرقت عند سحبه، وفعله ذرّ، وأصله ذرر - والكافور مأخوذ من الكفر، وهو التغطية، فلشدة فوحه وحده يستر رائحة غيره من الطيب. واللامس: الذي يمسّه بيده. الخلالة: عويد رقيق يخرج به الطعام من خلل الأسنان. أنيقة الشكل، معجبة الهيئة، وشكل الشيء: هيئته التي هو عليها. ومدعاة: داعية، والماء للمبالغة. نحافة الصب: رقة العاشق. والمضب: السيف القاطع. آلة: عدة وأداة، يريد أنها محدّدة مصقولة مثل آلة الحرب. ويروى: «آلة» بالتشديد، وهي الحربة. لدونة: لين. نحافة الصب: ليس هو تشبيهاً حقيقياً، وإنما أراد أنها أخذت من العاشق نحافته، ومن المضب صفاته، ومن الفصن لدونته، ولو شبه الخلالة في الرقة بالعاشق ونحوه لكان جائزاً، وكان من التشبيه المقلوب، وكلاهما بديع في بابه.

والخلالة التي ذكر، أصلها نبات لشجيرة نبت في الصيف، وتطلع له رؤوس، يكون في الواحد منها عدة من قضبان رفاق، فيمسك الرجل منها في يمينه رأساً، فتي أكل طعاماً نزع منها قضيباً فتخلل به، ويعرف هذا النبات عندنا بالبستينج، فيحتمل أن يكون هذا بعينه هو الذي عندهم في الشرق، وإلا فصفت التي وصفت موجودة في البستينج من الرقة والصفاء واللين والحدة.

وجاء في الحديث النهي عن التخلل بعود الآس والرمان والقصب، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «نقوا أفواهكم بالخلل فإنها مسكن الملكين للكاتبين الحافظين، وإن قلها لسان، ومدادها الرقيق، وليس عليهما شيء أشد من فضول الطعام».

أبو أيوب: قال صلى الله عليه وسلم: «حبذا المتخللون في الوضوء والطعام». أبو هريرة قال: قال صلى الله عليه وسلم: «من أكل فليتنخل، فسا تنخل فليلفظ، ومالك بلسانه فليتنخل».

[استطرد بذكر أشعار في التشبيه رائعة]

والخِلالة إذا بلغت من رقتها ، أن تقع بين الأسنان ، فالعاشق إذا بلغ الغاية
النحول ، هو الذى يشبه بها ، كما قال فى التاسعة فى وصف الصبي الهزيل من
الجوع : « ولى منه سُلالة ، نأثها خِلالة » ، وأخذه من قول ديك الجن :
ارحمَ اليومَ ذلتى وخُصُوعى فلقد صرتِ ناحلاً كالخِلالِ
وقال أبو الطيب :

رُوحٌ تَرَدَّدُ فى مثل الخلالِ إذا أطارت الريح عنه الثوب لم يَبين^(١)
فذكر أن ثوبه على بدنٍ لم يقين للناظر . والتشبيه المقلوب عندهم شىء
مستظرف ، ومذهب مستحسن كما قال ذو الرمة :
ورملٍ كأوراكِ العذارى قطعته وقد جَلَّتْهُ المظلماتُ الحنادِسُ^(٢)
فقلب التشبيه ، لأن العادة أن تشبّه الأعجاز بكثبان الرمل ، كما قال الآخر :
* مثل قضيبٍ تحته كئيبٌ *

وكما قال الآخر :

وببيضِ نضيراتِ الوجوه كأنما تاززن دون الأزرِ رملاتِ عالج
وأخذه حبيب ، وجود الصنعة حيث قال :
كم أحرزت قضب الهندى مصلته تهتز من قضبٍ تهتز من كُئِبٍ^(٣)

(١) ديوانه ٤ : ١٨٦

(٢) ديوانه ٣١٨

(٣) ديوانه ١١

علق قوله: «من قُضِبَ تهتز» : «أحرزت» يلج^(١) لك بديع صنعته بسرعة ، فإنه أراد: كم أحرزت قُضِبَ الهند وهي السيوف إذا أُصِلَّت من أعمادها ، وهزّت. من قُضِبَ ، أى قدود نساء . تهتز من كُثِبَ ، أى أكفال شبه أكداس رمال . وما أعذب وأظرف قول البحترى :

أين الغزال المستعير من النِّقَا كَفَلًا ومن نَوْرِ الأَقاحي مَبِيسَا^(٢)

فهذا هو الذى جرت به العادة فى التشبيه ، قلب ذو الرمة العُرف والعادة ؛ فشبه كُثبان النِّقَا بأ كفال النساء ، وتبعه خالد الكاتب وغيره . حدث جحظة قال : حدثني خالد الكاتب ، قال : جاءني يوماً رسول إبراهيم بن المهدي ، فسرّت إليه ، فرأيت رجلاً أسود على فُرْشٍ قد غاص فيها ، فاستجلسني وقال : أنشدني من شعرك ، فأنشدته :

رأت منه عيني منظرين كما رأْتُ	من الشمس والبدر المنير على الأرض
عشيّة حَيَّانِي بورِدٍ كأنّه	خدود أضيفت بعضهم إلى بعض
ونازعني كأساً كأنّ حبابها	دموعي لما صدّ عن مُقَلَّتِي غمضي
وراحَ وفعلُ الرّاح في حرّكاته	كفعلِ نسيم الرّيح في الغصن الغصّ

فرحف حتى صار في ثلثي الفراش ، وقال : يا فتى ، شبهوا الخدود بالورد ، وأنت شبهت الورد بالخدود ! فردّني ، فأنشدته :

عابتُ نفسي في هوا	ك فلم أجدها تقبل ^(٣)
وأطعت داعيها إلي	لك ولم أطع من يغذل
لا والذي جعل الوجو	ه لحسن وجهك تمثل
لا قلت إن الصبر عند	لك من التصابي أجمل

(١) كذا في أ ، ب ، وفي ط : « يلج » .

(٢) الأغاني ٢١ : ٣١

(٣) ديوانه ١٩٥٨

فزحف حتى انحدر من الفراش ، ثم قال : زدني ، فأنشدته :

عش فحُبِّكَ سريعاَ قاتلي والمعنى إن لم تصلني واصلني
فأنا بين اكتابٍ وضئى تركاني كالةضيب الذابل
فبكي العاذل لي من رحمةٍ فبكائي لبكاء العاذل

فاستخفت طرباً ، ثم قال : بإبليق^(١) ، كم معك لنفقتنا؟ قال : ثمانمائة وخمسون ديناراً ، قال : اقسما بيني وبين خالد ، فدفع إلي نصفها .

وقد سبق إلى قوله : « كأنه خدود » ، قال المفضل : دخلت على الرشيد و بين يديه طبق ورد ، وعنده جارية مليحة شاعرة أدبية ، قد أهديت إليه ، قال : يا مفضل ، قل في هذا الورد شيئاً تشبه به ، فأنشأت أقول :

كأنه خدٌ معشوقٍ يقبله فم الحبيب وقد أبهى به خجلاً

وقالت الجارية :

كأنه لون خدي حين تدفني كف الرشيد لأمر يوجب الغسلاً

قال : يا مفضل قم فاخرج ، فإن هذه الماجة قد هيَّجتنا ، قممت وأرخت السور .

ولقد أحسن ابن الزقاق في قوله :

ورياض من الشقائق أضعت تنهادي بها نسيم الرياح^(٢)
زرتها والتمام يحلده منها زهرات تروق لون الرياح
قلت : ما ذنبها ؟ فقال محبباً : سرقت حُمرَةَ الخلود الملاح

(١) الأغاني : « بإرشيق » .

(٢) ديوانه ١٣٥ هـ ، المغرب ٣٢٤ .

وقال البحتري :

في طالعة الشمس شيء من ملاحظتها وللقضيب نصيب من تنهيا^(١)

وقال ابن المعتز :

سقتني في ليل شبيهة بشعرها شبيهة خديها بغير رقيب

فأمسيت في ليلين : في الشعر والدجى وشمسين : من خر وخذ حبيب

وأستطرد إلى قلب التشبيه من مبالغة التحول الذي ذكرنا ، فأقول : إذا صار جسم العاشق من التحول يوصف بمثل قول الشاعر :

أنحلى الحب فلو زجّ بي في مُقَلَّةِ النَّائم لم ينتبه

قد كان لي فيما مضى خاتمٌ والآن لو شئت تمنطق به

وبمثل قول أبي بكر بن دريد :

إن الذي أبقيت من جسمه يامتاف الصب ولم يشعر^(٢)

صُباة لو أنها قطرةٌ تجول في جفك لم تقطر

صار جسم الخلالة على نحافته أكبر من جسم الصب بأضعاف ، فينقلب التشبيه ، وكذلك إذا بولغ في وصف الأ كفال بالعظم صغرت عندها الكتبان ، فينقلب التشبيه .

وقد ترجم ابن جني في خصائصه ترجمة ، قال : هذا باب من غلبة الأصول على الفروع ، ثم أنشد بعض ما أنشدنا ، وقرنها بمسائل من العربية حسان تشبه الباب^(٣) .

(١) ديوانه ٢٤١ ، وفيه : « في حرة الورد شكل من تلها » .

(٢) ديوانه ٦٧

(٣) المحاسن ١ : ٣٠١ - ٣٠٣

(٢٠ - شرح مقامات الحريري ١)

والمُتقدِّمين والمتأخِّرين في النحول شعر كثير، ويستحسن في ذلك قول الجنون:
فأصبحتُ من ليلَى الغداة كفاظِرٍ - مع الصَّبح في أعقاب نجم مغرَبٍ^(١)
ألا إنما غادرتِ يا أمَّ مالكٍ صدَى أينما تذهبُ به الريح يذهبُ
أخذه المؤمل فقال :

قد صرتُ من ضعفى إلى حالَةٍ تجرى لها آماقُ حُسَّادِي
يكاد جسمى من نحول الضنى تحمله أنفاسُ عُودَادِي
وزاد خالد الكاتب ، فجعله لا يُدرك إلا بالوهم ، فقال :
يا من تجاهلَ عما كان يعملُه عدداً وباح بسرٍّ كان يكتُمُه
غداً خليلك فِضواً لا حراكَ به لم يبق من جسمه إلا توهُمُه
فزاد ابن المعتز ، وجعله يخفى على الموت ، فقال :

مُسَهَّدٌ خانهُ التفريق في أَمَلِهِ أضناه سَيِّدُهُ ظُلماً بمَرَحَلِهِ^(٢)
خدقَ حتى لو أن الدهر قَادَ لَهُ حتناً لما أبهرته مقتلنا أَجَلِهِ
فأعدمه المتنبي واستريح منه ، فقال :

أراكِ حسبَتِ السَّلكَ جسمى فَعَقَّتْهُ عليك بدُرٍّ عَنْ لقاءِ التَّرابِ^(٣)
ولو قَلَمْتُ أَلقيتُ في شَقِّ رَأْسِهِ من السَّقم ما غَيَّرْتُ من خَطِّ كاتِبِ

* * *

قال : فَهَضَّتْ فِيمَا أَمَرَ ، لَأَذْرَأَ عَنْهُ الْعَمَرَ ، وَلَمْ أَهْمِ إِلَى أَنَّهُ

(١) البيتان في حاشية ابن الجوزي ١٥٦ ينسبهما إلى محمد بن النعمان .

(٢) ديوانه ١ : ١٤٩ . السلك : المحيط . والتراب : محل القلادة من الصدر .

نَقَصَدَ أَنْ يَخْدَعَ ، بِإِذْخَالِي الْمَخْدَعَ ، وَلَا تَظَنِّتُ أَنَّهُ سَخِرَ مِنَ الرَّسُولِ ،
فِي اسْتِدْعَاءِ الْخِلَالَةِ وَالْعُسُولِ .

فَلَمَّا عُدْتُ بِالْمُلْتَمَسِ ، فِي أَقْرَبَ مِنْ رَجْعِ النَّفْسِ ، وَجَدْتُ
الْجَوْ قَدْ ذَلَا ، وَالشَّيْخَ وَالشَّيْخَةَ قَدْ أَجْفَلَا ، فَاسْتَشْطْتُ مِنْ مَكْرِهِ
غَضَبًا ، وَأَوْغَلْتُ فِي إِثْرِهِ طَلَبًا ، فَكَانَ كَمَنْ قُمِسَ فِي الْمَاءِ ، أَوْ
عُرِجَ بِهِ إِلَى عَنَانِ السَّمَاءِ .

* * *

قوله : «أدرا» ، أى أزيل . القمر : الودك . أظنّ : ويذهب وهمى .
تظنّيت : حسبت ، وأبدل إحدى نونى «ظنّ» بياء تحقيقاً للتضعيف . سخر : هزأ .
الملتَمَس : المطلوب . الجوّ هنا : داخل البيت . أجفلاً : هرباً وأسرعاً . قوله :
«استشطت» : اشتدّ غضبى . مكرّره : خداعه . أوغلت : بالفت وباعدت .
قُمِسَ : غمس . عُرج به : طلع به . عَنَانٌ بفتح العين : سحب ، والعنّانة :
السحابة ، وأعنت السماء : صار لها عنان ، والله الموفق للصواب .

المقالة الثامنة وهي المعرّة

[معرّة النعمان]

هي بلدة بالشام ، والنعمان : اسم جبل مطلق عليها ، والمعرّة اسم البلدة ، فأضيفت إليه ، ولها سبعة أبواب ، وعلى جبل منها دَيْرُ نَعْمَان ، فيه قبر عمر بن عبدالعزيز ، وقبر شيث بن آدم عند باب شيث منها ، وداخلها قبر يوشع بن نون ، وله يوم حَفِيل في كل عام ، وإلى المعرّة ينسب الشاعر المعرّي . قال شيخنا ابن جبير : إنه خرج من قنّسرين يريد حمص ، قال : فرأينا عن يمين طريقنا بمقدار فرسخين بلاد المعرّة ، وهي سواد كلها محاطة بشجر الزيتون والتين والفستق وأنواع النواكه ، ويتصل التفاف بساتينها وانتظام قراها مسيرة يومين ، وهي من أخصب البلاد ، وأكثرها أرزاقاً ، ووراءها جبل لبنان ، وهو ساهى الارتفاع ، تمتدّ الطول ، متصل من البحر إلى البحر ، وفي سفح الجبل حصون للملحدة الإسماعيلية ، فرقة مَرَقَت من الإسلام ، وادّعت الإلهية^(١) ، قُبِضَ لهم شيطان يعرف بسنان ، خدعهم بأباطيل وخيالات ، وموّه عليهم باستعمالها ، وسحرهم بمحالها ، فاتخذوه إلهاً يعبدونه ، ويبدلون الأنفس دونه ، وحصلوا من طاعته^(٢) بحيث يأمر أحدهم بالتردّي من شاهق جبل ، فيتردّي المأمور ، والله يضل من يشاء^(٣) .

أخبر الحارث بن همام قال : رأيتُ من أعاجيب الزّمان ، أن

(١) بعدها في ابن جبير « في أحد الأيام » .

(٢) بعدها في ابن جبير « وامتنال أمره » .

(٣) رحلة ابن جبير ٢٣٤

تَقَدَّمَ خَصْمَانِ ، إِلَى قَاضِي مَعْرِقَةِ النُّعْمَانِ ، أَحَدُهُمَا قَدْ ذَهَبَ مِنْهُ
الْأُطْيَانِ ، وَالْآخَرُ كَأَنَّهُ قَضِيبُ الْبَانَ .

• • •

قوله : « الأُطْيَان » ، أى الأكل والنكاح ، أى هوشىخ مسن ، وقيل :
الأطيان : النوم والنكاح ، وقيل : طيب النكاح ، وطيب النكحة .
أبو هريرة ، قال النبي صلى الله عليه وسلم : « الأُطْيَان التمر واللبن » .
وسئل شيخ مسن من العرب عن حله ، فقال : ذهب منى الأُطيان :
السَّيْر والأَيْر ، وبقى الأَرطبان : الضراط والسعال .
والبان : شجر تشبه بقضبانة القدود الناعمة .

• • •

فَقَالَ الشَّيْخُ : أَيَّدَ اللَّهُ الْقَاضِي ، كَمَا أَيَّدَ بِهِ الْمُتَقَاضِي ، إِنَّهُ
كَانَتْ لِي تَمْلُوكُهُ رَشِيقَةُ الْقَدِّ ، أَسِيلَةُ الْخَدِّ ، صَبُورٌ عَلَى الْكَدِّ ،
نَحْبٌ أَحْيَانًا كَالْتَّهْمِ ، وَتَرْقُدُ أَطْوَارًا فِي الْمَهْدِ ، وَتَجِدُ فِي تَمُوزَ
مَسَّ الْبَرْدِ ، ذَاتُ عَقْلٍ وَعَيْنٍ ، وَخَدَّ وَسِنَانٍ ، وَكَفَّ يَبْنَانٍ ، وَفَمٌ
بِلَا أَسْنَانٍ ؛ تَلْدَغُ بِلِسَانٍ نَضْنَاضٍ ، وَتَرْفُلُ فِي ذَيْلٍ فَضْفَاضٍ ،
وَتُجَلِي فِي سَوَادٍ وَيَْيَاضٍ ، وَتُسْقَى وَلَسِكِنْ مِنْ غَيْرِ حِيَاضٍ ، نَاصِحَةٌ
خُدْعَةٌ ، خُبْرَةٌ طُلْعَةٌ ، مَطْبُوعَةٌ عَلَى الْمَنْفَعَةِ ، وَمِطْوَاعَةٌ فِي الضُّيْقِ
وَالسَّعَةِ ، إِذَا قَطَعْتَ وَصَلْتَ ، وَمَتَى فَصَلْتَهَا عَنْكَ أَنْفَصَلْتَ ، وَطَالَمَا
خَدَمْتَكَ فَجَمَلْتَ ، وَرُمَا جَنَّتْ عَلَيْكَ فَأَلَمْتَ وَمَلَمْتَ ، وَإِنْ هَذَا

الْفَقَى اسْتَخْدَمَ مِنْهَا لِغَرَضٍ ، فَأَخَذَ مِنْهُ إِيَّاهَا بِلَا عِيَوضٍ ، عَلَى أَنْ
يَجْتَنِيَ نَفْعَهَا ، وَلَا يُكَلِّفَهَا إِلَّا وَسْمَهَا ، فَأَوَاجَ فِيهَا مَتَاعُهُ ، وَأَطَالَ
بِهَا أَسْتِمْتَاعُهُ ، ثُمَّ أَعَادَهَا إِلَيَّ وَقَدْ أَفْضَاهَا ، وَبَذَلَ عَنْهَا قِيَمَةً
لَا أَرْضَاهَا .

* * *

المتقاضى ، أى المتحاكم إليه الذى يطلب من الحاكم قضاءه ، وعونه على خصمه ؛
وهذا الغرض الذى ذكره ضرب من الألفاظ ، لأنه مشى كلامه فى وصف جارية
وغلام ، وقد ضمن الكلام وصف إبررة ومزود . مملوكة ، يعنى الإبرة جَعلها مملوكة
لأنها مما يُتَمَوَّل . رشيقه القَدّ : معتدلة القامة . أسيلة : ملساء . خَدَّ الإبرة : شَقٌّ فيه
ثقبها ، وأصل الخَدّ شَقٌّ مستطيل فى الأرض ، والأسالة : ملاسةٌ مع طول .

صبور على الكدّ ، أى صابرة على المشقة والتعب ، وفعل - بمعنى فاعل -
يُمْتَنَعُ من إلحاق الهاء به إذا وقع صفة لمؤنث ، قال عنتره :

إِنِّى أَمْرٌ سَهْلٌ الْخَلِيقَةُ مَاجِدٌ لَا تُتْبِعُ النَّفْسَ اللَّجْجُوجَ هَوَاهَا

ومنه : امرأة شكور وصبور ولجوج ولحن أبو محمد خواص العراق بقولهم :
شكورة ولجوجة وصبورة ، قال : إن هذه التاء إنما تدخل فى «فعل» إذا كانت
بمعنى «مفعول» ، نحو ناقة ركوبة وشاة حلوبة^(١) . قال : وذكر النحويون فى امتناع
الهاء من «فعل» بمعنى «فاعل» للمؤنث عِلْلاً ، أجودها أن الصفات الموضوعة
للمبالغة نُقلت عن بابها لتدل على المعنى الذى تخصصت به ، فأسقطت الهاء من صبور
وفتاة معطار ونظائره ؛ كما ألحقت بصفة المذكر فى رجل علامة ونسابة ، ليدل
على تحقيق المبالغة ، وتؤذن بحدوث معنى زائد فى الصفة . وامتناع الهاء المذكورة

(١) قال فى درة القوامس : «لأنها بمعنى مركوبة وعلوبة» .

أصل مطرد [لم يشذ منه إلا قولهم] ^(١) : عدوة، فإنهم أحقوه بصديقه، والشيء في أصول العربية [قد] يُحمل على ضده وتقيضه، كما يحمل على نظيره ورسيه ^(٢).
 تَحَبَّ: تثب في الثوب بسرعة. النهْد: الفرس الضخم. أطواراً: أحياناً، ومهدا: مثير الخائط الذي تُمسك به إبرته. تَمُوز: أحد الشهور، وهو يوليه. والبرد: أن يبردها الحداد بالمبرد ليقومها ويعدها، فالبرد هنا فعل صانعها. قال ابن خُفَر: ذهب بالبرد إلى ما طُبِع عليه الحديد من البرد في القبط. قوله: «ذات عقل وعنان»، أراد بالعنان الخيط لأنها ترسله في الخياطة، والعقل شدّها بالخيط حين تمسك في الثوب. سنان: طرفها المسنون، أى الحدد. كَفَّ بينان: الكفّ والتضريب شيثان معروفان في الخياطة، فيريد أن الخائط يقلب التضريب بأصابعه وهى البنان ويكفّه بالإبرة. فم، يريد ثقب الإبرة. تلدغ: تضرب الإصبع. واللسان النضناض للحية، والنضنضة، قيل: هى صوت الحية، وقيل: حركة لسانها، وإنما اختلف فيها لأن الحية إذا ضُيِقَ عليها فتجت فاها وصفرت وحركت لسانها، فيقال: نضنضت، وشبه طرف الإبرة بلسان الحية لكثرة حركته في الثوب؛ وما أحسن قول الشاعر في تشبيه لسان الأفعى بنور السراج:

وقنديل كأن الثور منه محيّا من أحب إذا تجلّى
 أشار على الدجى بلسان أفعى فشمّر ذيله فرقا وولّى

وقال ابن الصبّاغ الصقلّى فى شمعته:

يظعن صدر الدجى بمالية صنوبرى لسان كوكبها
 كحّية باللسان لاحسة ما أدركت من سواد غيها

وللبيتين الأولين حكاية مستظرفة، حدثنى بها غير واحد من الطلبة أردت ترك ذكرها لأمرين: شهرتها، ولأنى وجدت البيتين منبتين فى بعض النسخ من

القائد لأحد رجالها ، ثم عزم على بعض الأدباء أن أذكروها ، فذكرتها على اختصار لفائدها ؛ وذلك أن الشاعر المعروف بالبكي الهجاء ، دخل عليه في ليلة مطرة ذات رعد وبرق في بيت فندق دواب - شخص في الظلام لا يعرفه ، وعنى البكي بقية من سلهامة^(١) خلقة ، لا يواريه غيرها ، وعلى الثاني بقية من قيص قد اسود من طول البلى وكثرة الأوساخ ، حتى لا يعرف رائيه من أى ثوب هو ؛ وقد بلل كل واحد منهما المطر . وهما في بلاء من الفقر والجوع والبرد ، فرق لها خادم الفندق ، فدخل عليهما بتعديل ، فعندما نظر كل واحد منهما صاحبه تأمى به ، ورأى أنه قد وجد لنفسه نظيراً في الشقاء . فقال البكي لجليسه : أى شيء أنت ؟ فقال : شاعر ، وشؤم الأدب بلغ بى ماترى ، قال : فأجِزْ ، فقال :
* وقنديلٍ كانَ الثورَ منه *

قال الآخر :

* محيّا من أحبّ إذا تجلّى *

قال البكي :

* أشار على الدّجى بلسانٍ أفعى *

قال الآخر :

* فشمّر ذيله فرقا ووّلى *

قال له البكي - وقد أعجب به : بمن تعرّف ؟ فقال : بعنق البرة ، قال له : وأنا البكي ، فجعل يتناظران بقية ليلتهما في أيهما أكثر حرماناً ، حتى أصبحا وكانا يتلسان . فقال عنق البرة للبكي : هلم لنفترع ؛ أينما قيم هنا ، وأينما يرتحل ؟ فإننا إن بقينا في موضع واحد ، أدرك الناس من شؤمنا ما يؤدى بهم إلى الهلاك ، فافترعا فخرجت قرعة البكي بالرحيل ، فارتحل ونزل بفاس ، فخل بأهلها من بلائه ما قد شهّر .

(١) كذا في الأصول ، ولم ألق على معناها .

قوله : « ترفل في ذيل فضفاض » ، أى تمشى في خيط طويل . تجلّى في سواد وبياض ، أى تبرز في خيط أسود لخياطة السواد ، وأبيض لخياطة البياض . تسقى : أراد سقى الحدّاد لها إذا أخرجها من النار وألقاها في الماء لتصلّب . ناصحة : خائطة ، والنصاح : الخياط ، ونصحت الثوب : خطته . خُدعة : مخدع الخائط كثيراً ، فتخطيط وجه الثوب الأعلى ، وتترك الأسفل ، والماء في هذه الصفات للمبالغة . خُبأة طُلعة ؛ يصف حالها من الخياطة حين تختبئ في الثوب ، ثم تطلع في يد الخائط . مطبوعة ، أى مصنوعة لينتفع بها . مطوَاعة في الضيق والسّة ؛ يريد إذا دفعته في الثوب دخلت فيه ، سواء اتسع موضع دخولها أو ضاق . إذا قطعت وصلت ، يريد إذا قطعت الثوب وفصلته ألقته . فصّاتها عنك : نحيتها ، وجعلتها في مئبرها . خدمتك ، أى صرفتها فيما تحتاج من خياطة ثيابك . جَمَلَتْ : أَلَقَتْ قطع الثوب . جنت عليك فألمت ، أى ضربتك فأوجعتك وصيّرتك ذا ألم . ململت ، أى جعلتك متقلّباً لشدة الوجع . قوله : « استخدمنيها » ، أى طلب منى خدمتها . الغَرْض : الحاجة ، وأصل الغرض ما قصدته سهام الرامي ، ثم سميت الحاجة غرضاً ، لأنها قُصدت بالرغبة فيها . وسعها : طاقتها وقدر ما تحتل مما تكلف . أُولج فيها متاعه ، أى أدخل فيها خيطه . أفضاها : خرق عينها ، وفي المرأة خلط مسلكتها ، من أفضيت إلى الشيء ، وصلت إلى متّسعه ، ومنه : القوم فوضى ، أى متسعون مختلطون . بذل : أعطى .

فَمَالَ الْحَدَّثُ : أَمَّا الشَّيْخُ فَأَصْدَقُ مِنَ الْقَطَا ، وَأَمَّا الْإِفْضَاءُ فَفَرَطٌ عَنْ خَطَا ، وَقَدْ رَهْنَتْهُ ، عَنْ أَرْضٍ مَا أَوْهَنْتُهُ ، مَمْلُوكًا لِي مُمْتَنَسِبَ الطَّرَفَيْنِ ، مُنْتَسِبًا إِلَى الْقَيْنِ ، تَقِيًّا مِنَ الدَّرَنِ وَالشَّيْنِ ، يُقَارِنُ سَحْلَهُ سَوَادَ الْعَيْنِ . يُفْشِي الْإِحْسَانَ ، وَيُنْشِي الْاسْتِحْسَانَ ،

وَيُغْذِي الْإِنْسَانَ ، وَيَتَحَامَى اللِّسَانَ ، إِنَّ سُودَّ جَادَ ، أَوْ وَسَمَ
 أَجَادَ ، وَإِذَا زُودَ وَهَبَ الزَّادَ ، وَمَتَى اسْتَزِيدَ زَادَ ، لَا يَسْتَقِرُّ بِمَغْنَى ،
 وَقَلَمًا يَنْكِحُ إِلَّا مَثْنَى ، يَسْخُو بِمَوْجُودِهِ ، وَيَسْمُو عِنْدَ جُودِهِ ،
 وَيَنْقَادُ مَعَ قَرِينَتِهِ ، وَإِنْ لَمْ تَكُنْ مِنْ طِينَتِهِ ، وَيُسْتَمْتَعُ بِزِينَتِهِ ،
 وَإِنْ لَمْ يُطْمَعْ فِي لِينَتِهِ .

* * *

[القَطَا]

الْقَطَا: طَائِرٌ يَصِيحُ «قَطَا قَطَا» فَسَمِيَ بِصِيَاحِهِ ، وَبِمَا يُفْهَمُ مِنْ صَوْتِهِ ، وَلِذَلِكَ
 تَسْمِيَةُ الْعَرَبِ الصَّدُوقِ ، وَيُقَالُ : أَنْسَبَ مِنْ قَطَاةٍ ، لِأَنَّهَا إِذَا صَاحَتْ عَرِفَتْ ،
 وَقَالَ الشَّاعِرُ :

تَدْعُو الْقَطَا وَبِهِ تَدْعَى إِذَا انْتَسَبَتْ يَاصِدْقَهَا حِينَ تَدْعُوهَا فَتَنْتَسِبُ
 حِمَاهُ مَقْبِلَةً سَكَّاهُ مَدْبِرَةً لِمَاءٍ فِي الْبَحْرِ مِنْهَا نَوْطَةٌ عَجَبُ

وقال الكميّ :

لَا تَكْذِبِ الْقَوْلَ إِنْ قَالَتْ قَطَا صَدَقْتُ إِذْ كُلَّ ذِي نَسَبَةٍ لَا بُدَّ يَنْتَحِلُ^(١)
 وَقَالَ أَبُو وَجْزَةَ :

مَا زِلْنِ يَنْسُبُنِ وَهَذَا كُلُّ صَادِقَةٍ بَاتَتْ تَبَاشِرُ غُرْمًا غَيْرَ أَزْوَاجِ^(٢)

(١) الحيوان ٦ : ٥٧٨ .

(٢) الحيوان ٥ : ٥٧٣ ، وروايته : « وهن ينسبن » ، والوهن : نصف الليل

يريد ، أن الحمر وردت الماء ليلاً ، فأثارت القطا عن أفاحيصه ، فصاحت : « قطا قطا » ؛ فذلك انتسابه وجعلها صادقة لصياحها قطا . والعُرْم بيضها ، لأن فيه سواداً وبياضاً ، وبيّض القطا أفراد ثلاثة أو خمسة ، قال مزاحم العقيلي في القطا وفراخها : فلما دعت بالقطاة أجابها بمثل الذي قالت له لم يبدل^(١)

وقال المعري :

عُرفت جدودك إذ نطقت وطالما لفظ القطا فأبان عن أنسابها^(٢)
وقال الأصمعي : القطا لا تصيح إلا إذا أرادت الماء ، فإذا عدم الماء ، وسمعت العرب صياح القطا ، فرحوا به وعرفوا قُرب الماء من بعده .
وقيل : سُمي القطا لثقل مشيه ، يقال : قَطَا الرجل يَقْطُو ، إذا ثَقُلَ مشيه .

* * *

قوله : « فرط » أى سبق . عن خطأ ، أى عن غير تعمّد . رهنته : أعطيته . رهنًا ، وأرهنك : أعطيتك ما ترهنه . والأرض : قيمة العيب ، أى دية الجرح ، مأخوذ من أرش بين القوم لأن الأرض يُحتصم في قدره . أوْهنته : أفسدته . ووهن الشيء يَوْهَنُ ويَهِنُ : ضعف ، وأَوْهنته أنا ، إذا أضعفته . مملوكا ، يعنى المرود . متناسب الطرفين ، أى هذا الطرف مثل هذا الطرف ، تكتحل بأيّهما . شئت . القَيْن : الحدّاد الذى صنعه . الدَرَن : وسخ الحديد ، والشَّين : العيب . أى هو مصقول معتدل ليس فيه اعوجاج ولا عيب . يقارن محله سواد العين ، أى عند التكحل به . يفشى : يحدث ويظهر . وإحسان الكحل في العين لا ينحى . ينشئ استحسان ، أى ينشئ لناظر العين استحسان الكحل في العين .

(١) الحيوان ٥ : ٥٧٨ .

(٢) لم أجده في سقط الزند ولا في الازوميات .

والإنسان : إنسان التَّعِين يفذه بالكُحْل ، والإنسان : السَّوَاد الذى فى وسط العين ، إِذَا رَأَيْتَهُ رَأَيْتَ فِيهِ شَخْصًا ، والشَّخْص هو الإنسان ، فَسُمِّيَ السَّوَاد به . يتَحَامى : يبعد عنه ، يريد أَنه يكحل العين ولا يقرب من الفم . قوله : « سَوَد » ، أى جعل فيه الكحل . جاد : أعطاه العين . وَسَمَّ العَيْن بالكحل : أَجَاد عمله فيها . قلما ينكح إلا مثنى ، أى ينكح عينا واحدة فى الغالب . وقد نظم هذا النثر فى الثانية والأربعين .

جوده ، أى يجود بكحله للعين . ويسمُو : يطلع العين ، وجعل له الكحل غذاء يأخذ ويرتفع به للغير . قريته : مُكحَلته . من طينته : من جنسه . زينته : تزيينه للعين يُطمع فى لينته : أى لا يطمع أن يكون الحديد لينا . وكل لفظة فسر بها المروء والإبرة ، لها لفظ فى ظاهرها غير ما فسرت به .

* * *

فقال له ما القاضى : إِمَّا أَنْ تُبَيِّنَا ، وَلِإِلا فَبِتَدَر

الْفَلَامُ ، وَقَالَ :

أَعَارَنِي إِبْرَةَ لِأَرْفُو أَطْ	مَارًا عَفَاها الْبَلَى وَسَوَّدَهَا
فَانْخَرَمَتْ فِي يَدِي عَلَى خَطَا	مِنِّي لَمَّا جَذَبْتُ مِقْوَدَهَا
فَلَمْ يَرَ الشَّيْخُ أَنْ يُسَامِحَنِي	بَارُشَهَا إِذْ رَأَى تَأَوَّدَهَا
بَلْ قَالَ هَاتِ إِبْرَةَ تُعَاثِلُهَا	أَوْ قِيَمَةً بَعْدَ أَنْ تُجَوِّدَهَا
وَاعْتَاقَ مِثْلِي رَهْنًا لَدَيْهِ وَنَا	هَيْكَ بِهَا مِثْبَةً تَزَوَّدَهَا
فَالْعَيْنُ مَرَّهً لِرَهْنِهِ وَيَدِي	تَقْصُرُ عَنْ أَنْ تَفُكَّ مِرْوَدَهَا
خَاسِبٌ بَذَا الشَّرْحِ غَوْرَ مَسْكِنَتِي	وَارِثٍ لِمَنْ لَمْ يَكُنْ تَعَوَّدَهَا

* * *

تبينا : توضّحاً وتفسّراً حديثكما اللهم للفرز . فبيننا : أبعدا ، أو ارتفعاً .
قوله : «أرفو» أى أخط ، ويروى «لأرفأ» يقال : رفأت الثوب أرفؤه ورفوته
وأرفوه ، والرفو من أدق أنواع الخياطة ، وهو نسج الخرق في الثوب حتى يعود
كأنه لم يكن فيه خرق .

[مما قيل في رفو الثياب]

وقال ابن القابلة السبتي في غلام رفاء :

يارافياً قطع كل ثوبٍ ويارشاً حبةً اعتمادى
عسى بخيط الوصال ترفو ما قطع الهجر من وادى
وقال الحلواني في خياط :

ربّ خياطٍ فُتنت به فتنة أوهت قوى جلدى
لاعبٌ بالخيط يفتله أترأه ظنه جسدى !
ليت أنى كنته فأرى بين ذاك الدرّ والبرد
فعلت بالثوب إبرته فعل سهم الشوق فى خلدى
وجرى المقرّاض فى يده جرى عينيه على كبدي

ومن مجون أبى نواس ، أنه كان يؤكل إسماعيل بن أبى سهل ، فعرضت
له على مائدة رفاقة فى جانبها خُرق قد ضمّ ، فرفعها بإحدى يديه ونقرّها بالأخرى ،
فانفجرت ، وقال وهو يضحك : أخبز كم مرفوء ؟ فلما خرج قال :

خبز إسماعيل كالونشى إذا ما انشق يُرفأ
عجبا من أثر الصنعة فيه كيف يخفى
إن رفأك هذا أطف الأمة كفا
فإذا قابل بالنصف من الخبزة نصفاً

أَلْطَفَ الصَّنْعَةَ حَتَّى لَا تَرَى الْمَغْرَزَ أَشْفَى
مِثْلَ مَا جَاءَ مِنَ الْقُنُورِ مَا غَادَرَ حَرْفًا

والأطيار : الثياب الخَلَقَة ، واحدها طِمْر . عفاها البلى : غَيَّرَهَا الْقَدَمُ
ودرسها ، وسَوَّدَهَا بِالْأَوْسَاحِ حَتَّى صَارَتْ فِي طَبْعِ الثَّوبِ ، فَتَى غَسَلْتُ لَمْ تَزَلْ .

[مِمَّا قَالَتِ الشَّعْرَاءُ فِي الْأَطْيَارِ الْبَالِيَةِ]

ومِمَّا قَالَتِ الشَّعْرَاءُ فِي الْأَطْيَارِ الْبَالِيَةِ مِمَّا يَسْتَحْسِنُ قَوْلَ الْحَمْدُونِيِّ فِي
طَيْلَسَانَ^(١) وَهَبَهُ لَهُ أَحْمَدُ بْنُ حَرْبٍ الْمُهَلَّبِيُّ :

يَا بْنَ حَرْبٍ أَطْلَتِ هَمِّي بِرَفْوِي طَيْلَسَانًا قَدْ كُنْتُ عَنْهُ غَنِيًّا^(٢)
فَهَوُ فِي الرَّفْوِ آلَ فِرْعَوْنَ فِي الْعَرِي ضَ عَلَى النَّارِ بَكْرَةً وَعَشِيًّا
وَقَالَ أَيْضًا فِيهِ :

طَيْلَسَانُ لَابْنَ حَرْبٍ يَتَدَاعَى لَا مَسَاسًا
قَدْ طَوَى قَرْنًا قَرْنًا وَأَنَاسًا فَأَنَاسًا
لَبَسَ الْأَيَّامَ حَتَّى لَمْ تَدْعُ فِيهِ لِبَاسًا
غَابَ تَحْتَ الْحُسْنِ حَتَّى لَا يُرَى إِلَّا قِيَاسًا

(١) قَالَ النَّعَالِيُّ فِي الْمِصْبَاحِ وَالْمَنْشُورِ ٦٠٢ : كَانَ مُحَمَّدُ بْنُ حَرْبٍ أَهْدَى إِلَى الْحَمْدُونِيِّ طَيْلَسَانًا
خَلَقًا ، وَكَانَ الْحَمْدُونِيُّ يَحْفَظُ قَوْلَ ابْنِ حَرَّانِ السُّلَمِيِّ فِي طَيْلَسَانَ :

يَا طَيْلَسَانَ أَبَى حَرَّانٍ قَدْ بَرَمَتْ بِكَ الْحَيَاةُ فَمَا تَلْتَذُّ بِالْعُمُرِ
فِي كُلِّ يَوْمٍ لَهُ رَفَأٌ يَجِدُّهُ هِيَاهُ يَنْفَعُ تَجْدِيدُهُ مَعَ الْكِبَرِ
إِذَا ارْتَدَاهُ لَعِيدٌ أَوْ لَجَعَتُهُ تَنْكَبُ النَّاسَ لَا يَبْلَى مِنَ النَّظَرِ

وَاحْتَذَى حَذْوَهُ ، وَاشْتَكَى عَلَيْهِ الْمَعَانِي ، حَتَّى قَالَ فِي وَصْفِ الْعَايِلَسَانَ قِرَابَةَ مَائِي . مَقْطُوعَةٌ ،
وَلَا تَخْلُو وَاحِدَةً مِنْهَا مِنْ مَعْنَى يَدِيحُ

(٢) الْمِصْبَاحُ وَالْمَنْشُورُ لِلنَّعَالِيِّ ٦٠٢ ، وَفِيهِ : « أَطْلَتِ فَرَقِي » .

وقال فيه أيضاً :

قل لابن حرب مقالة العاتبُ
أما رأيت الترفاء يُحزِنني
أفناه جَوْرُ البليِّ عليه كما
ولستُ فيما أقولُ بالكاذِبُ
برفوه طيلسانك الذَّاهِبُ
أفنى الهوى عُمرَ خالدِ الكاتبِ

وقال فيه أيضاً :

إن ابن حربٍ جادلي كاسياً
انظر إلى كثرة تمزيقه
رفوى له وهو رميمٌ كمن
يصدعه اللحظُ بإيماضه
تفرق الناس عن الموسمِ
يذكُرني كثرة تمزيقه
بطيلسان هَرِمٍ قَشَعِمِ
كأنما مُزق في مائِمِ
يبنى بناء فوق مستهدِمِ
صدع فؤاد العاشق للغرمِ
تفرق الناس عن الموسمِ

وقال فيه أيضاً :

يا ابن حربٍ كسوتني طيلساناً
حلال تردادهُ إلى الرفو حتَّى
فَحَسِبْنَا نسج العناكب قد جِثِنَ
ملٌ من صحبة الزمان وصدّا^(١)
لو بعثناه وحدهُ لتهدى
إلى ضعف طيلسانك شداً

وقال أيضاً فيه :

يا قاتل الله ابن حربٍ لقد
بطيلسانٍ خلتُ أن البليِّ
أجد في رفوى له والبليِّ
أطال إتعابى على عَمْدِ
يطلبه بالوتر والحدِّ
بلهو به في الهزل والجدِّ

إِنْ أَتَاهُمُ الرَّافِي فِي رَفْوِهِ مَضَى بِهِ التَّمْزِيقُ فِي تَجْدِ

غَنِيَّتِهِ لِمَا مَضَى رَاحِلًا : تَرَكَتْنِي يَا وَاحِدِي وَحَدِي

والحمدونى هو اسماعيل بن ابراهيم حمدويه ، نُسب إلى جده ، وهو من أهل
مَيسان ، وكان حلو التصرف مليح الافتنان ، وهو القائل :

مَنْ كَانَ فِي الدُّنْيَا لَهُ شَارَةٌ فَتَحْنُ مِنْ نَظَارَةِ أَدْنَى

نَلَحْظُهَا مِنْ كَتَبٍ حَسْرَةٍ كَأَنَّا لَفْظٌ بِلَا مَعْنَى

وقال ابن الرومى فى طيلسانه :

وَلِي طَيْلَسَانَ نَاجِلٌ غَيْرُ أَنَّهُ ثَبُوتُ لَهْمَاتِ الرِّيحِ الزَّاعِرِ

وَمَا ذَاكَ إِلَّا أَنَّهُ مَتَهَتَكَ يَحْلَى سَبِيلَ الرِّيحِ غَيْرِ مُنَازِعِ

أَرَاهُ لَضَوْءَ الشَّمْسِ بِالْعَيْنِ رُؤْيَةً وَيَمْنَعُنِي مِنْ لَمْسِهِ بِالْأَصَابِعِ

شَكَاهُ اسْمَ الطَّيْلَسَانِ لَضَعْفِهِ فَسَمِيَتْهُ سَاجَا قَهْلَ ذَاكَ نَافِي !

وقال ابن سارة فى فروة :

أَوْدَتْ بِذَاتِ يَدَيَّ قُرْبُوءُ أَرْنبٍ كَفَوَادٍ عُروَةٍ فِي الضَّنَا وَالرَّقَّةِ

يَتَجَشَّمُ الرَّقَاءَ فِي تَرْقِيمِهَا بَعْدَ الْمَشَقَّةِ فِي قَرِيبِ الشُّقَّةِ

لَوْ أَنَّ مَا أَتَفَقْتُ فِي تَرْقِيمِهَا يَحْصَى لَزَادَ عَلَى رِمَالِ الرَّقَّةِ

إِنْ قُلْتُ : « بِاسْمِ اللَّهِ » عِنْدَ لِبَاسِهَا قَرَأْتُ عَلَى « إِذَا السَّمَاءُ انشَقَّتْ »

وله فيها أيضاً :

لِي فُرُوءٌ وَصَفَى لِحَائِثِي بِهَا يَأْتِيكَ بَيْنَ مَقَرِّطٍ وَمَشْتَفٍ

عَطَّلْتُ كَتَبَ أَبِي عَبِيدٍ بِالَّذِي أَلَقْتُ فِيهَا مِنْ غَرِيبِ مُصَنَّفٍ

يَسْطُو عَلَى الْفَرَمِ فِي تَرْقِيمِهَا سَطَوَ الْفَرَامَ عَلَى فَوَادٍ لِلدَّفِّ

فأنا وفروى خوف تمزيقي لهما أحكى معاويةً بجنب الأحنفِ
وله في طيلسانه :

وطيلسان هَرِمٍ يُحْتَمَى عليه أكلُ النعلِ والبقلِ
كأن كفى إذا انضمتا عليه خوف الرّيح في غُلِّ
ولبعض أصحابه فيه :

على منكب ابن علي سَمَلٌ تقطّعه لحظات المُقلِّ
إذا غيمُ الجوّ أبصرته رهين الذّبول بكف البَلَلِ
نسوا طيلسان ابن حرب به وصاروا به يضربون المثل
وله في غفّارته ^(١) :

لأحمد بن علي غفّارة كالسّرّاب
إن هبّ أدنى نسيم تمرّ مرّ السّحاب

والشعر في هذا الباب كثير .

قوله : « انخرمت » ، أى انكسرت . متودها : خيطها . تأوّدّها :
انكسارها ، وأصله الاعوجاج . اعتناق ميلى : أحبس مرودى . ناهيك :
كافيك ، ومعناه المبالغة ، كأنه بلغ النهاية في العيب الذي فعل . سُبّة : عيب
يُسبّ به . مرّهى : خالية من الكحل ، وقد مرّه الرجل مرّها إذا لم يتمهد
الكحل ، والمرّهى من النساء : البيضاء البينة الزرق التي يختص الكحل في
زرّقها . اسْبُر : قيس . غور : غاية وقدر . ارث : ارحم وتوجع .



(١) الغفارة ، ككتابة : زرد من الدرّ يلبس تحت القلنسوة .

(٢١ - شرح مقامات الحريري)

فَأَقْبَلَ الْقَاضِي عَلَى الشَّيْخِ ، وَقَالَ : إِيْهِ ، بِفَيْرِ تَمْوِيْهِ ،

فَقَالَ :

أَقْسَمْتُ بِالْمَشْعَرِ الْحَرَامِ وَمَنْ
لَوْ سَاعَفْتَنِي الْأَيَّامُ لَمْ يَرِنِي
وَلَا تَصَدِّتُ أَتْبَنِي بَدَلًا
لَكِنَّ قَوْسَ الْخُطُوبِ تَرَشُّقُنِي
وَوَخْبُرُ حَالِي كَخْبِرِ حَالَتِهِ
قَدْ عَدَلَ الدَّهْرُ يَتَنَنَا فَأَنَا
لَا هُوَ يَسْتَطِيعُ فَكَّ مِرْوَدِهِ
وَلَا مَجَالِي لِضَيْقِ ذَاتِ يَدِي
فِيهِدِهِ قِصَّتِي وَقِصَّتُهُ
ضَمَّ مِنَ النَّاسِكِينَ خَيْفَ مَنِي
مُرْتَهِنًا مِيلَهُ الَّذِي رَهَنًا
مِنْ إِبْرَةٍ غَالَهَا وَلَا ثَمَنًا
بِمُصْمِيَّاتٍ مِنْهَا هَنَا وَهَنًا
ضُرًّا وَبُؤْسًا وَغُرْبَةً وَضَنِي
نَظِيرُهُ فِي الشَّقَاءِ وَهُوَ أَنَا
لَمَّا غَدَا فِي يَدَيَّ مُرْتَهِنًا
فِيهِ اتَّسَاعٌ لِلْعَفْوِ حِينَ جَنَى
فَانْظُرْ إِلَيْنَا وَيَتَنَنَا وَلَنَا

إِيْهِ : كلمة يُستزاد بها الحديث . والتمويه : الكذب ، وهو في الحديث
كالتعمية ، وقد موّه عليه ، إذا خيل له أنه على شيء وهو على ضده ، وأصل
التمويه الصُّفْل ، كأنَّ على ألفاظه المموّهة صقالة ، وهو من لفظ الماء . المشعر :
المزدلفة ، وهو جمع ، سُمِّيَ مشعرًا لأنه من علامات الحج ، وكلّ علامات الحج
مشاعر ، والمشعر والنَّسك : موضع ذبح الهدى بمكة الفضل ، سُمِّيَ مشعرًا ، لأنه
شعر أنه حرام كالبيت . الناسكين : الحجاج الذين يُشعرون الهدى وما يُذبح ،
أَنَسَكَ وَأَنَسَكَ وَأَنَسَكَ وَأَنَسَكَ ، إذا ذبح الأَنَسَكَ ، وأصلها ذبائح

الجاهلية ثم سُميت الأضاحى، والناسك أيضاً : الزاهد . خَيف : موضع بمِني . قوله : « ساعفتى » : ساعدتنى . تصدّيت : تعرّضت . غالها : أهلكتها . الخطوب : الأمور الشداد . ترشفتى : تصبّيتى . بمصميات : بسهام قاتلة . بؤس : شدّة حال . ضنى : ضعف ومرض . وهو أنا ، أى هو مثلى فى ضيق الحال . مجالى : موضع تصرّفتى . ذات يدى : مالى ، وذات اليد ما يملك . العفو : الغفران . جنى : أذنب . قصّيتى : حديثى ، يقول : فانظر إلينا بعين الشفقة والرحمة ، وأصلح بيننا بما ننصرف به شاكرين لك ، وهب لنا ما تُثنى به عليك ، وجعل النظر عاملاً فى الجميع ، لأن من وجوه النظر الإصلاح بينهم والتكرّم عليهم .

* * *

فَلَمَّا وَعَى الْقَاضِي قَصَصَهُمَا ، وَتَبَيَّنَ خَصَاصَتَهُمَا وَتَخَصُّصَهُمَا ؛
أَبْرَزَ لَهُمَا دِينَارًا مِنْ تَحْتِ مُصْلَاهُ ، وَقَالَ لَهُمَا : اقْطَعَا بِهِ الْخِصَامَ
وَوَافِصِلَاهُ . فَتَلَقَّاهُ الشَّيْخُ دُونَ الْحَدَثِ ، وَاسْتَخْلَصَهُ عَلَى وَجْهِ
الْجِدِّ لَا الْعَبَثِ ، وَقَالَ لِلْحَدَثِ : نِصْفُهُ لِي بِسَنَمٍ مَبْرُتِي ،
وَسَنَمُكَ لِي عَنْ أَرْضِ إِبْرَتِي ، وَلَسْتُ عَنْ الْحَقِّ أَمِيلُ ، فَقَمِ
وَاخْذِ الْمِيلَ . فَقَرَأَ الْحَدَثُ لِمَا حَدَّثَ اكْتِتَابُ ، وَكَفَّهَرَّ عَلَى
سَمَائِهِ سَحَابُ ، وَجَمَّ لَهُ الْقَاضِي ، وَهَيَّجَ أَسْفَهُ عَلَى الدِّينَارِ الْمَاضِي ؛
إِلَّا أَنَّهُ جَبَرَ بِالْأَفْقَى وَبَلْبَالَهُ ، بِدُرَيْهَمَاتٍ رَضَخَ بِهَا لَهُ ، وَقَالَ
لَهُمَا : اجْتَنِبَا الْمَعَامَلَاتِ ، وَادْرَأَا الْمُخَاصِمَاتِ ، وَلَا تَحْضُرَانِي فِي
هَلْمَحَا كِمَاتٍ ، فَمَا عِنْدِي كَيْسُ الْفَرَامَاتِ .

فَمَهْضًا مِنْ عِنْدِهِ ، فَرَحِينَ بِرَفْدِهِ ، مُفَصِّحِينَ بِحَمْدِهِ ،
وَالْقَاضِيَ مَا يَخْبُو ضَجْرَهُ ، مُذْبَقًا حَجْرَهُ ، وَلَا يَنْصِلُ كَمْدَهُ ،
مُذْرَشَحَ جَلَمْدَهُ .

• • •

قصصهما ، أى حديثهما ، وهو جمع قصة . خصاصتهما : فقرهما . تخصصهما :
رفعتهما واتقياضهما ، وقد تخصص الرجل ، إذا انقبض عن العامة وتشبه بالخاصة .
أبرز : أخرج . مصلاه : بساطه الذى يصلى عليه . افصلاه : اقطاعه وأزيلاه .
استخلصه : حازه لنفسه خالصاً . الجِدَّة : التحقيق . العبث : الهزل . سهم : نصيب .
ميرتى : إكرامى الذى وصلنى به القاضى . أميل : أخرج وأعدل عنه . عرا :
قصد ونزل به . حدث : ظهر . اكتئاب : حزن وهم . وجم : غضب ، والوجوم :
السكوت على غضب . هييج : حرّك . أسفه : حزنه . باله : فكره . بلباله : حزنه
ووسواسه . رضح : كثر العطاء . اجتنبا : باعدا . المعاملات : المعاوذات
والموارى . ادركا : ادفعا . كيس : وعاء الدرام . رَفْدَه : عطاؤه . يخبو ضجره :
يسكن غضبه : بضّ حجره : رشحت كفه . قال الأخطل :

كَزَمَ الْيَدَيْنِ مِنَ الْعَطِيَّةِ مَمْسُكٌ مَا إِنْ تَبَضَّ صَفَاتُهُ بِلَالٌ^(١)

ينصل كمده : يزول حزنه . الجلد : الصخر الصّاب ، كنى به عن كفه ؛ وأنه
بخيل ، ويد البخيل تشبه بالحجر ، وقال جرير :

كَأَنَّمَا خَلَقْتُ كَفَاهُ مِنْ حَجَرٍ فَلَيْسَ بَيْنَ يَدَيْهِ وَالْزَيْدَى عَمَلٌ^(٢)
يرى التيمم فى برّ وفى بحرٍ غشافة أن يرى فى كفه بِلَالٌ

(١) ديوانه ١٥٩ .

(٢) لم يرد البيهقان فى ديوانه

وقال ابن عبد ربه :

يَرَاةٌ غَرَنِي مِنْهَا وَمِيزُ سَنًا حَتَّى مَدَدْتُ إِلَيْهِ الْكَفَّ مَقْتَبًا^(١)
فَصَادَفْتُ حَجْرًا لَوْ كُنْتُ تَضْرِبُهُ مِنْ لُؤْمِهِ بَعْضًا مَوْسَى لَمَا انْبَجَسَا
كَأَنَّمَا صَيِغَ مِنْ لُؤْمٍ وَمِنْ كَذِبٍ فَكَانَ هَذَا لَهُ رُوحًا وَذَا نَفْسًا

أين هذه الألف من التي ذكر حجة بن المضرّب، حين قال :

أَنَاسٌ إِذَا مَا الدَّهْرُ أَظْلَمَ وَجْهَهُ فَأَيْدِيهِمْ بِيضٌ وَأَوْجُهُمْ غُرٌّ
يَصُونُونَ أَحْسَابًا وَمَجْدًا مَوْثَلًا بِيْذِلُ الْكَفِّ دُونَهَا الْمَرْزُوقُ وَالْبَعْرُ
فَلَوْلَا مَسُّ الصَّخْرِ الْأَصْمُ أَكْفَهُمْ أَفَاضَ بِنَايِيعِ النَّدَى ذَلِكَ الصَّخْرُ

وقال أبو الشيص :

إِنَّ الْأَمَانَ مِنَ الزَّمَانِ وَرَيْبِهِ لَمْ عَقَبَ شَطَا بِمَحْرُكِ الْفَيَاضِ^(٢)
بِحَرٍّ يُلَوِّدُ الْمُعْتَفُونَ بِسَيْلِهِ قَمَّ الْجُدَاوِلُ مَتَرَعُ الْأَحْوَاضِ
لَأَبِي مُحَمَّدٍ الْمُؤَمِّلِ رَاحَتًا مَلَكٌ إِلَى أَعْلَى السَّمَاءِ نَهَاضِ
فِيْدٌ تَدْفُقُ بِالنَّفْسِ لَصْدِيْقِهِ وَيَدٌ عَلَى الْأَعْبَاءِ سَمَّ قَاضِ

وقال أبو تمام :

تَمُودٌ بَسَطَ الْكَفَّ حَتَّى لَوْ أَنَّهُ دَعَاها لَقَبَضَ لَمْ تَجْبَهُ أَنْامُهُ^(٣)

وقال البحتري :

قَدْ قَلَّتْ لِلنِّبْتِ الرَّكَامُ وَلَجَ فِي لِإِبْرَاهِيمَ ، وَأُلْحَ فِي إِرْعَادِهِ^(٤)

(٢) طبقات الشعراء لابن المعتز ٧٦

(٤) ديوانه ٧٠٣

(١) النقد ٦ : ٢٩٥ .

(٣) ديوانه ٢٢٢

لا تعرضن لجعفرٍ متشبهاً بندى يديه فلست من أنداده
الله شرفه ، وأعلى ذكره ورآه غيث بلادته وعباده

وقال ابن الرومي :

مُقبِلُ ظهر الكف وهاب بطنها له راحةٌ فيها الحطيمُ وزمزمُ
فظاهرها للناس ركنٌ مقبَلٌ وباطنها عينٌ من الجود عَظِيمُ

* * *

حَتَّى إِذَا أَفَاقَ مِنْ غَشِيَّتِهِ ، أَقْبَلَ عَلَى غَاشِيَّتِهِ وَقَالَ : قَدْ
أَشْرَبَ حِسِّي ، وَنَبَّأَنِي حَدِيثِي ؛ أَنَّهُمَا صَاحِبَا دَهَاءٍ ، لَاحِصَمَا ادِّقَاءٍ ،
فَكَيْفَ السَّبِيلُ إِلَى سَبْرِهِمَا ، وَاسْتِنْبَاطِ سِرِّهِمَا ! فَقَالَ لَهُ نُحْرِيرُ
زُمُرَتِهِ ، وَشَرَارَةَ جَمْرَتِهِ : إِنَّهُ لَمْ يَتِمَّ اسْتِخْرَاجُ خَبْنِهِمَا إِلَّا بِهِمَا ،
فَقَفَّاهُمَا عَوْنًا يُرْجِعُهُمَا إِلَيْهِ ، فَلَمَّا مَثَلَا بَيْنَ يَدَيْهِ ، قَالَ لَهُمَا : اصْدُقَانِي
سَنَ بَكَرِكُمَا ، وَكَكُمَا الْأَمَانُ مِنْ تَبِعَةِ مَكْرِكُمَا . فَأَحْجَمَ الْحَدِثُ
وَاسْتَقَالَ ، وَأَقْدَمَ الشَّيْخُ وَقَالَ :

* * *

قوله : « غشيتته » ، أى ذهاب عقله بأن يُفَعَى عليه . وغاشيته : زواره ومن
يفشى موضعه . أشرب : دُوخِلَ : حِسِّي : إدراكي وفهِي . نَبَّأَنِي : حَدَّثَنِي .
وأخبرني . حَدَسِي : ظَنِّي ، قال القراء رحمه الله : حَدَسْتُ أَحَدِسَ ، إِذَا قُلْتَ فِي
الشَّيْءِ بِرَأْيِكَ . غيره : حَدَسْتُ : ظَنَنْتُ ظَنًّا بَلَغَتْ مِنْهُ غَايَةُ الشَّيْءِ فِي عَدَدِهِ أَوْ

وزنه ، وأصله من قول العرب : بلغت الحدس ، أى الشيء الذى تطلب لحاقه .
والدهاء فى الرجل : الخدق والتبصر فى الأشياء . لاختصا ادعاء ، أى ليس بينهما
ادعاء على الحقيقة فيختصمان فيها . سبّرها : اختبارها . استنباط : استخراج .
نَجْرير : حاذق . زمرته : جماعته ، وجعله شرارة ؛ لنفوذ ذهنه واتقاده ، ولذلك
يسمى نَجْريراً ، أى ماهراً بالأشياء كلها ، كأنه لإدراكه وفهمه بالأشياء ينجرها بظنه
الصادق . خبئهما : خفى ما عندهما . قفاهما : أتبعهما . والعون : الشرطى ، لأنه
يعين من يتصرف له . مثلاً : وقفاً ، يقال : مثل الشيء ، فهو مائل ، إذا قام
وانتصب ، وإذا لطف بالأرض أو ذهب ، وهو من الأضداد . سنّ بكر كما :
حقيقة خبر كما . والبكر : الفتى من الإبل ، وسنه : مبلغ عمره ، لأنّ بالسّن يعرف كم
بلغ من العمر ، ونظّم المثل « صدقنى سنّ بكره » ، وروى البكرى عن ابن الأعرابى
أن رجلاً سأم رجلاً بَكراً على أن يشتريه مسنّاً ، فقال البائع : هذا جل ؛ لبكر
له ، وقال المشتري : هذا بكر ، فقال البائع : بل هو مسنّ ، فبينما هما يتنازعا
إذ نفر البكر ، فقال صاحبه : ليسكن نفاره : « هدع هدع » ، وهى كلمة من العرب
يسكن بها صغار الإبل عند نفارها ، ولا تقال للكبار ، فقال المشتري عند ذلك :
صدقنى سنّ بكرة . تبعة ؛ شُرِحت فى الصدر . أحجم : تأخر فزعاً . أقدم :
تقدم متشجماً . استقال : طلب الإقالة .

* * *

أنا السَّروَجِيُّ وَهَذَا وَلَدِي وَالشَّيْبَلُ فِي الْمَخْبَرِ مِثْلُ الْأَسَدِ
وَمَا تَعَدَّتْ يَدُهُ وَلَا يَدِي فِي إِبْرَةِ يَوْمًا وَلَا فِي مِرْوَدِ
وَأِنَّمَا الدَّهْرُ الْمُسِيُّ الْمُعْتَدِي مَالَنَا حَتَّى غَدَوْنَا نَجْتَدِي
كُلَّ نَدَى الرَّاحَةِ عَذْبِ الْمُرْدِ وَكُلَّ جَعْدِ الْكَفِّ مَغْلُولِ الْيَدِ

بِكُلِّ فَنِّ وَبِكُلِّ مَقْصِدٍ بِالْجِدِّ إِنْ أَجْدَى وَإِلَّا بِالْدَدِ
لِنَجْلِبَ الرِّشْحَ إِلَى الْحَفْظِ الصَّدَى وَتُنْفِدَ الْأَمْرَ بِعَيْشِ أَنْكَدِ
وَالْمَوْتُ مِنْ بَعْدِ لَنَا بِالْمَرْصَدِ إِنْ لَمْ يَفَاجِ الْيَوْمَ فَاجَى فِي غَدِ

* * *

الشبل : ولد الأسد . المخبر : التجربة والخبرة . تعدت : ظلمت ، والمتعدى :
الظالم المجاوز الحد في الظلم . مال بنا ، أى حطنا . نجتدى : نسأل الناس الجدا ، وهو
العطاء . ندى الراحة : كريم الكف . وجعد الكف ، ضده ، وأراد أن يسأل كل
كريم سهل العطاء ، وكل لثيم صعبه ، وأصل الجموعة اقتباس الشعر ، ثم استعيرت
لقبض الكف من اللؤم ، ومثله مقلول اليد ، أى كأن يده محبوسة بقل للؤمها ،
والسائل كأنه يحاول بسطها بالجود فيجدها محبوسة بقل اللؤم ، وفي الكتاب
العزيز : ﴿ وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ ﴾^(١)
فهذا نهى عن التبذير .

وقال حبيب في قصيدة يمدح بها حفص بن عمر الأزدي ويذكر الجموعة ، وهي :

يَرَى الْوَعْدَ أَخْرَى الْعَارِ إِنْ هُوَ لَمْ تَكُنْ مَوَاهِبُهُ تَأْتِي مَقْدَمَةَ الْوَعْدِ^(٢)
فَلَوْ كَانَ مَا يَطْلِيهِ غَيْثًا لَأَمْطَرَتْ سَحَابُهُ مِنْ غَيْرِ بَرَقٍ وَلَا رَعْدٍ
مَنْ الْقَوْمِ جَعْدٌ أَيْبَضُ الْوَجْهِ وَالنَّدَى وَلَيْسَ بَنَانٌ يَجْتَدِي مِنْهُ بِالْجَدِّ

(١) سورة الإسراء ٢٩

(٢) ديوانه ٣٠ :

وقال البحتري :

صَنَعْتَنِي عَنْ مَعَاشِرٍ لَا أُسَمِّي أَوَّلِيهِمْ إِلَّا غَدَاةَ سَيِّئَاتِي ^(١)
 مِنْ جِمَادٍ الْأَكْفَ غَيْرِ جِمَادٍ وَغَضَابِ الْوَجُوهِ غَيْرِ غَضَابِ
 خَطَرُوا خَطَرَةَ الْجَهَامِ وَسَارُوا فِي نَوَاحِي الظُّنُونِ سَيْرَ السَّحَابِ

وقال أيضاً في نحوه :

وَخَلَقَنِي الزَّمَانُ عَلَى أَنْاسٍ وَجُوهُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ حَدِيدٌ ^(٢)
 لَمْ حُلِّلْ حَسَنٌ فَهَنْ بَيَضٌ وَأَخْلَقَ قُبْحَنَ فَهَنْ سَوْدٌ
 أَنْاسٌ لَوْ تَأَمَّلْتَهُمْ لَبَيَدٌ بَكَى الْخَلْفَ الَّذِي يَشْكُو لَبِيدٌ

قوله « الدد » : ضد الجدة ، وهو اللهو واللعب ، وقال النبي صلى الله عليه وسلم : « لَسْتُ مَعَنَّ دَدٌ وَلَا دَدٌ مَنِي » ، أي لست من باطل ولا الباطل مني أجدى : نفع . الحظ : البخت والنصيب . والصدى : العطشان ، وأراد أن حظه في الدنيا قليل ، فهو سعى له ليجلب رزقاً يكثر به حظه . تنفذ : تتم . أنكد : مشغوم وكل ما جلب شراً فهو أنكد ونكد . والمرصد : الموضع الذي ترتقب فيه من تريد أخذه ، وقد رصدته رسداً ترقبته . يفاج : بات على غفلة ، وأصله فاجأ بالهمز ، فستله .

فَقَالَ لَهُ الْقَاضِي : اللَّهُ دَرَكٌ ، فَمَا أَغَذَّبَ نَفَثَاتِ فَيْكَ ، وَوَاهَا
 لَكَ لَوْلَا خِدَاعُ فَيْكَ ، وَإِنِّي لَكَ لِمِنَ الْمُنْذِرِينَ ، وَعَلَيْكَ مِنْ

(١) ديوانه ٨٦

(٢) ديوانه ٥٨١

الْحَذِرِينَ ، فَلَا تَمَّا كِرَ بَعْدَهَا الْحَاكِمِينَ ، وَاتَّقِ سَطْوَةَ الْمُتَحَكِّمِينَ ،
فَمَا كُلُّ مُسَيِّطَرٍ يُقِيلُ ، وَلَا كُلُّ أَوَانٍ يُسْمَعُ الْقِيلَ .

فَمَا هَذِهِ الشَّيْخَ عَلَى اتِّبَاعِ مَشُورَتِهِ ، وَالْارْتِدَاعِ عَنْ تَلْبِيسِ
صُورَتِهِ . وَفَصَلَ عَنْ جَهَّتِهِ ، وَالْخَلْتِ يَلْمَعُ مِنْ جَبْهَتِهِ .

قال الحارث بن همام: فلم أَرَّ أعجَبَ مِنْهَا فِي تَصَارِيفِ الْأَسْفَارِ ،
وَلَا قَرَأْتُ مِثْلَهَا فِي تَصَانِيفِ الْأَسْفَارِ .

* * *

قوله: «لله درك» ، أى ما أحسن كلامك ، والدَّرَّ أصله اللبَن ، وكأنه سَمَّى
بِحكاية صوته عند الحَلَب . والله ، أصله القسم ، ولا تدخل اللام في القسم إلا على
اسم الله تعالى ، والتعجب معها لازم ، فإذا قال الذى يسمع صوت الحلب لصاحب
الناقة: لله درك ! فكأنه قال: والله إن درك هذا لكثير ، ثم استعير للفصيح في
كلامه ، ولكل من أحسن فى شيء ، فكأنه قيل: ما أحسن ما جئت به ! وقيل:
معناه لله اللبن الذى شربته من أمك ، قال الفراء رحمه الله : ربما قالوا: درك ، ولم
يقولوا : لله درك ، وأنشد :

دَرَّ دَرَّ الشَّبَابِ وَالشَّعَرِ الْأَسْوَدِ وَالضَّامِرَاتِ تَحْتَ الرَّجَالِ

قوله: «نثأت» ، أى كلمات . واهأ: محبباً . والمنذر: العلم بما يخاف . تماكر:
تمخادع . سطوة: بطشة . المتحكم: الذى يتحكم بما شاء فيمثل حكمه . مسيطر:
أمير مسلط . يقيل: يغفر الزلة . أوان: وقت . عاهده: حاله . مشورته: أخذ
رأيه . الارتداع: الكف . تلبيس: تخليط . صورته: قصته . فصل: زال .

الختَر : الخداع . يلع : يضيء ، يريد أنه انفصل عنه وعلى وجهه علامة الفدر ،
وأن يمينه التي حلف له كاذبة ، وأوّل مَنْ نظم في هذا المعنى الشّماخ
حين قال :

أَتَنِي تَمِيمٌ قَضَاهُ بِقَضِيضِهَا تَمَسَّحَ حَوْلِي بِالْبَقِيعِ سِبَالَهَا
يَقُولُونَ لِي : أَحْلَفُ وَلَسْتُ بِحَالِفٍ أَخَادَعُهُمْ عَنْهَا لَكَيْمًا أَنَالَهَا
فَفَرَّجَتْ هَمَّ النَّفْسِ عَنِّي بِحُلْفَةٍ كَمَا شَقَّتْ الشُّقْرَاءُ عَنِّي جِلَاحَهَا

ومن الملح في اليمين الفاجرة ، قول ابن الرومي :

وَإِنِّي لَذُو حَلْفٍ كَاذِبٍ إِذَا مَا اسْتَمَحْتُ فِي الْمَالِ ضَيْقُ
وَهَلِي مِنْ جَنَاحٍ عَلَى مَعْسَرٍ يَدَافِعُ بِاللَّهِ مَا لَا يَطِيقُ
وَقَالَ فِيهِ أَيْضًا :

إِذَا حَلَّتْ عَلَى ضَيْقٍ دُونِي وَبَاكَرَنِي التَّجَارُ وَخَوْفُونِي
دَفَعْتُهُمْ بِمَنْ لَوْ شَاءَ أَدَّى حَقُوقَهُمْ إِلَيْهِمْ مِنْذَرِينِي

ولديعل :

سَأَلُونِي الْيَمِينَ فَارْتَعْتُ عَنْهَا كَيْ يَفْرُوا بِذَلِكَ الْإِرْتِياعُ^(١)
ثُمَّ أَرْسَلْتُهَا كَمُنْهَدَرِ السَّيْلِ تَدُلُّ مِنَ الْمَكَانِ الْيَفَاعِ
وَأُنْشَدُ أَبُو عَلِيٍّ :

لَا شَيْءَ يَدْفَعُ حَقَّ خَصْمٍ شَاغِبٍ إِلَّا كَلْفَ عَبِيدَةٍ بَنِ سَمَيْذَرِ
يَمْضِي الْيَمِينَ عَلَى الْيَمِينَ لِحَاجَةٍ عَضَّ الْجُوحُ عَلَى اللِّجَامِ الْمَقْدَرِ
فَإِذَا يَذْكُرُ حَلْفَةَ أَصْنَى لَهَا وَإِذَا يَذْكُرُ بِالتَّقَى لَمْ يَسْمَعِ

قوله: «تصاريف»، أراد التصريف بالجولان في البلدان. والأسفار: الأول :
جمع السفر في البلاد، والثاني : جمع سِفْر، وهو الكتاب، قال الفراء رحمه الله:
الأسفار: الكتب العظام. والتصانيف : التأليف المتنوعة، والمصنف الذي فيه
أنواع شتى .

المقامة الناصعة وهي الإبر الكندرائية

قال الحارث بن همام : طحاني مَرَحُ الشَّبَابِ ؛ وَهَوَى
الْاِكْتِسَابِ ، إِلَى أَنْ جُبْتُ مَا بَيْنَ فَرْغَانَةٍ وَغَانَةٍ ، أَخُوضُ النِّمَارَ ،
لِأَجْنَى النِّمَارِ ، وَأَقْتَحِمَ الْأَخْطَارَ ، لِكُنَى أَذْرِكَ الْأَوْطَارَ ،
وَكُنْتُ لَقِيفْتُ مِنْ أَفْوَاهِ الْعُلَمَاءِ ، وَتَقِفْتُ مِنْ وَصَايَا الْحُكَمَاءِ ،
أَنَّهُ يَلْزَمُ الْأَدِيبَ الْأَرِيبَ ، إِذَا دَخَلَ الْبَلَدَ الْغَرِيبَ ، أَنْ يَسْتَعْمِلَ
قَاضِيَهُ ، وَلَسْتَخْلَصَ مَرَاضِيَهُ ، لِيَسْتَدَّ ظَهْرَهُ عِنْدَ الْخِصَامِ ،
وَيَأْمَنَ فِي الْغُرْبَةِ جَوْرَ الْحُكَّامِ ؛ فَاتَّخَذْتُ هَذَا الْأَدَبَ إِمَامًا ،
وَجَعَلْتُهُ لِمَصَالِحِي زِمَامًا ، فَمَا دَخَلْتُ مَدِينَةً ، وَلَا وُلِجْتُ عَرِيقَةً ،
إِلَّا وَامْتَزَجْتُ بِحَاكِمِهَا امْتِزَاجَ الْمَاءِ بِالرَّاحِ ، وَتَقَوَّيْتُ بِعُنَايَتِهِ
تَقَوَّى الْأَجْسَادُ بِالْأَرْوَاحِ .

* * *

طحنا بك قلبك ووهبك طخوفاً وطحنياً : ذهب بك ، وطحا الله الأرض .
ودحاها : بسطها . ابن الأنباري : طحا قلبه في الهوى والهوى ، إذا تناول وتماذى ، قال .
علقمة :

* طَحْنَا بِكَ قَلْبِي فِي الْحِسَانِ طَرُوبُ *

مرح الشباب : نشاط الفتوة . جُبْتُ : قطعت ومشيت .

[ذكر فرغانة]

فرغانة : مدينة في أقصى خراسان ، وكان فيها بيتٌ يُسمَّى هيكَل الشمس ، بناه فارس الملك ، وخرَّبه المعتصم ، وبها قُتِل قتيبة بن مسلم الباهلي أمير خراسان سنة ثلاث وخمسين ، وبين سمرقند ثلاثة وخمسون فرسخاً . قال اليعقوبي : من سمرقند إلى أسروشنة خمس مراحل شرقاً ، ومن أسروشنة إلى فرغانة مرحلتان ، ومدينة فرغانة التي ينزلها الملك يقال لها كاسان ، وهي مدينة جليلة القدر ، عظيمة الأمر ، وكلُّ هذه المدن مضافة إلى عمل سمرقند . وكان أنوش . وان بني فرغانة ، ونقل إليها من كل بيت قومًا ، وسمّاها أزهرخان ، أي من كل بيت .

[ذكر غانة]

وغانة : بلد من بلاد السودان ، وإليها ينتهى التجار ، والمدخل إليها من سِجِلْمَاسَة رن سِجِلْمَاسَة إليها مسافة ثلاثة أشهر ، ومن غانة إلى سِجِلْمَاسَة شهر ونصف ، ودون ذلك ، وسبب ذلك أن الرِّفاق تتجهز إليها من سِجِلْمَاسَة بالأمّاتع والأثقال ، فتباع في غانة بالتَّبر ، فمن سافر إليها بثلاثين حِملاً يرجع منها بثلاثة أحمال ، أو بحملين : واحد لركوبه ، وثانٍ للماء بسبب المفازة التي في طريقها ، حدَّثني غيرٌ واحدٍ من تجارها أنهم يقطعون المفازة في ستة عشر يوماً ، لا يرون فيها ماء إلا على ظهور الإبل ، فأثمان أحمال الثلاثين حِملاً يجتمع فيها من التَّبر ما يجعل في مِرْوَد واحد ، فيطوون المراحل للخِفة . وغانة بلد مملكة السودان ، وانتشر الإسلام في أهلها ، وبها مدارس للعلم ، وبها من تجار المغرب كثير يدخلون للتجارة فيصيبون الخِصْب والأمن وكثرة المتاجر ، فيشترون بها خدماً للتَّسَرَّى ، ويقيمون بها عند أميرها في غاية الكرامة ، والخدم فيها قد جعل الله فيهن من

الخصال الكريمة في خلقهن وخلقهن فوق المراد، من ملاسة الأبدان، وتفتق السواد،
وحسن العينين، واعتدال الأنوف، وبياض الأسنان، وطيب الروائح.

[مما ورد من الشعر في وصف السواد والبياض]

وكان ابن الرومي وصف واحدة منهن بقوله :

تذكرك المسك والفوالى والنَّدْ ذواتُ النَّسيمِ والعَبَقِ
ليست من العُبَّسِ الأُكْفِ ولا الفُجَجِ الشَّفاءِ الخبائثِ العَرَقِ
أُكسبها الحبَّ أنها صُبِغَتْ صِبْغَةَ حَبِّ القُلُوبِ والحدَقِ
يفترِّذُكَ السَّوَادُ عن يَقِيٍّ من ثَغْرِها كاللَّيْلِ النَّسَقِ
كانَّها والمِزاجُ بضحكها ليلٌ تعرَّى دُجَاهُ عن فَاقِ
لها حِرٌّ يستعيرُ وقْدَهُ من قلبٍ صبَّ وصدر ذى حَنْقِ
يزداد ضيقاً على المراسِ كما تزداد ضيقاً أنشوطَةُ الوَهَقِ
غصن من الآبنوس رُكْبٌ في مؤزَّرٍ معجِبٍ ومبتطِقِ
وقال الشريف الرضي :

أحُبُّكَ يالونَ السَّوَادِ فَإِنِّي رأيتُكَ في العينين والقلبِ تَوَّأماً^(١)
وما كان سهمُ العينِ لولا سَوَادُها ليلِغَ حَبَّاتِ القُلُوبِ إِذَا رَمَى
إِذَا كُنْتَ تهوى الظُّبَى أَلَمَ فَلَ تَلَمْ جنونِي على الظُّبَى الذي كلَّه لَمَى
وقال ابن مسleme :

يكونُ الخَلالُ في خَدِّ قَبِيحٍ فيكسوه الملاحاةَ والجَمالاً

فكيف يُلامُّ مشغوفٌ على مَنْ يَرَاهَا كُلَّهَا فِي الْعَيْنِ خَالَا !
وله أيضا :

لام العواذلُ في سوداء فاحمةٍ كأنَّهَا فِي سَوَادِ الْقَلْبِ تَمَثَّلُ
وهام باخَالٍ أَقْوَامٌ وَمَا عَلِمُوا أَنِّي أَهْمُهُمْ بِشَخْصٍ كُلِّهِ خَالُ
ولابن رباح :

وسوداء الأديمِ إِذَا تَبَدَّتْ يَرَى مَاءَ النِّعَمِ جَرَى عَلَيْهِ
رَأَاهَا نَاطِرِي نَصَبًا إِلَيْهَا وَشِبْهُ الشَّيْءِ مُنْجَذِبٌ إِلَيْهِ
ولابن رشيقي :

دَعَا بِكَ الْحَسَنُ فَاسْتَجَبِي يَامَسْكُ فِي صَبْغَةٍ وَطِيبِ (١)
تِيهِي عَلَى الْبَيْضِ وَاسْتَطِيعِي تِيَّهَ شَبَابٍ عَلَى مَشِيبِ
وَلَا يَرَعُكَ اسْوَدَادُ لَوْنٍ كَمُقَلَّةِ الشَّادِنِ الرَّبِيبِ
فَإِنَّمَا التُّورُ عَنْ سَوَادٍ فِي أَعْيُنِ النَّاسِ وَالْقُلُوبِ
قال ابن رشيقي : أَخَذْتَهُ مِنْ قَوْلِ الْآخِرِ ، أَنَشَدَهُ الْجَاهِظُ :

مَشَبَهَاتُ الشَّبَابِ وَالْمَسْكُ تَفْدِيهِنَّ نَفْسِي مِنَ الرَّدَى وَالْخَطُوبِ
كَيْفَ يَرَوِي الْفَتَى اللَّيْبَ وَصَالَ الْبَيْضُ ، وَالْبَيْضُ مَشَبَهَاتُ الْمَشِيبِ
وَأَخَذَ بَيْنَهُ الْآخَرُ مِنْ قَوْلِ الْآخِرِ ، أَنَشَدَهُ الْجَاهِظُ :

وإِنَّ سَوَادَ الْعَيْنِ فِي الْعَيْنِ نَوْرُهَا وَمَا لِبَيَاضِ الْعَيْنِ نُورٌ فَيَعْلَمُ
فَأَخَذَهُ أَيْضًا أَبُو الطَّيِّبِ ، فَقَالَ فِي كَافُورٍ وَأَحْسَنَ :

(١) الفَيْتُ الْمُنْجَمُ ٢ : ١٦١ ، مَعَاهِدُ التَّنْصِيسِ ٢ : ٢٣ ، دِيْوَانُ الْعَبَابَةِ (عَلَى هَامِشِهِ تَرْجِيمُ الْأَسْوَاتِ) ٦٨ .

فجاءت بنا إنسانَ عينِ زمانه وخلتْ بياضاً خلفها وماقياً^(١)
ولا بن الجهنم :

وعائب للشمير من جهله مفعلاً للبيض ذى نمك^(٢)
قولوا له عني : أما تستحي ! من يجعل الكافور كالمسك !
والسابق لهذا المعنى أبو حفص الشَّطرنجى ، والناس تبع له حيث قال :
أشبهك المسك وأشبهته قائمة في لونه قلادة
لا شك - إذ لونكما واحدٌ أنكما من طينة واحدة
على أن العباس^(٣) بن الأحنف معاصره ، قال :

أحب النساء السود من أجل تكتم
ومن أجلها أحببت ما كان أسوداً
فجئني بمثل المسك أطيب نكمة وجئني بمثل الليل أطيب مرقد
أخذ بيته الأول من قول ابن الأعرابي :

أحبُّ لحبها السودان حتى أحبُّ لحبها سود الكلاب
وقال ابن الرومي في تفضيل السواد على البياض :

وبعض ما فضل السواد به والحق ذو سلم وذو نفق
ألا يعيب السواد خلته وقد يُعاب البياض بالبهق

وهذه الأقوال كلها على استحسانها اعتذارات واقتدارات من الشعراء على
تحسين التبيح ، والأمر المجموع عليه تفضيل البياض .

(١) ديوانه ٤ : ٢٨٧

(٢) ديوانه ١٦٢ (عن الشريفي)

(٣) كذا في ب ، وفي ط ، ا : د على بن العباس ، ، تصحيف ، ولم أجد الأبيات في
ديوان عباس بن الأحنف .

(٢٢ - شرح مقامات الحريري ١)

قال الجاحظ : العرب تمدح بالبياض ، وتهجو بالسواد ، وربما مدحوا بالسواد ، ولكن أصل ما ينون عليه أمرهم ذمه ، وأنشد :

لهم ديباجةٌ عُرِفَتْ قديماً بياضٌ في الوجوه وفي الجلودِ
وأحسن كشاجم فيما قصد إليه بقوله :

يامشيهما في فعله لونه لم تعد ما أوجبت القسمة^(١)
خالفك من خلقك مستخرج والظلم مشتق من الظلمة^(٢)

قوله : « جبت ما بين فرغانة وغانة » ، ماها هنا بمعنى الذي ، كأنه قال : جبت الذي بين فرغانة التي هي أقصى المشرق ، وغانة التي هي أقصى المغرب من البلاد والقفار والبحار لكسب المال ، فاهى التي أوجبت لما بين البلدين ما ذكر أن يعمّ بالشيء ، ولوسقطت لم يلزم العموم ، وكأنه يشير بهذا التعبير إلى قول حبيب :

سلي هل عمرت القفر وهو سباسبٌ وغادرت رباعي من ركابي سباسباً^(٣)
وغرّبت حتى لم أجد ذكر مشرقٍ وشرقت حتى قد نسيت المغرباً

قوله : « أخوض الغمار » ، أى أدخل المياه الغزيرة فأجوزها . أفتحم الأخطار ، أى أترامى في المخاوف . والخطر : الفرار . والأوطار : الحاجات . وقال أبو عمر القسطلي^(٤) فيما يتعلق بهذا :

تخوفني طول السفر وإني لتقيل كفّ العامري سفيرٍ
دعيني أردد ماءً المفاوز أجناً إلى حيث ماء الكرمات تميز

(١) ديوانه ١٧ ، وفيه : « في لونه فله » .

(٢) في الديوان : « فالفك من خلقك » .

(٣) ديوانه ١٧ ، والسباسب : القفار الفسيحة .

(٤) هو أبو عمر أحمد بن محمد بن العاص بن أحمد بن طاهر بن عيسى بن دار ، المعروف بابن دراج القسطلي ، في ط : « أبو عمرو » ، خطأ يذكر في بعض تراجمه ؛ وقد نبه إليه الدكتور محمود مكى في حواشيه على ديوان ابن دراج ص ٢١ ، والأيات في ديوانه ٢٩٨ .

ألم تعلی أنَّ الثَّوَاءَ هو النَّوَى وأنَّ بیوتَ العَاجِزِینَ قُبُورُ
وأنَّ خَطِیرَاتِ المِهَالِکِ ضُمَّنُ لَرَاکِبِهَا أَنَّ الجَزَاءَ خَطِیرُ
وقال النابغة الجعدي :

إذا المرء لم يطلبْ معاشاً لنفسه
شكا الفقر أو لام الصديق فأكثراً^(١)
فَسِرْ في بلاد الله والتمسِ الغنى تَمْشِ ذا یسار أو تموت فتُغْذَرَا
وقال ابن سارة :

سَافِرٌ فَإِنَّ الفَتَى من بات مَفْتَحاً قُفْلَ الفَحاحِ بِمَفْتاحٍ من السَّفَرِ
إن شئت خضرتها يا ابن الرِّخاءِ فكنْ
في طيِّ عمر الفَيَافِي نَائِي الحَضَرِ
ولا یصدِّنْكَ عن أمرٍ تصعُّبه قد ینبع الكوثر السلسال من حَجَرِ
الابْدَةِ أن يقع المطلوب في شَرَكِ ولو بنى وكره في دَارَةِ القَمَرِ
[باب في الحَضَّ على السفر وترك العجز]

ومما ينتظم في باب الحَضَّ على السفر وترك العجز قولهم : لا ينبغي للعاقل
أن يكون إلا في إحدى المنزلتين ، إما في الغاية من طلب الدنيا ، وإما في الغاية
من تركها ، ولا ينبغي للعاقل أن يرى إلا في أحدمكانين ، إما مع الملوك مكرماً ،
وإما مع العباد متبتلاً ، ولا يعدّ الغرم غرماً إلا إذا ساق غنماً ، ولا النِّمَّ غنماً إلا
إذا ساق غُرماً ؛ ونظم هذا المعنى فقال :

ذَرِ الدُّنْيَا إِذَا لَمْ تَحْظَ فِيهَا وَكُنْ فِيهَا كَثِيرًا أَوْ قَلِيلًا^(١)
وَأَصْبِحْ وَاحِدَ الرَّاجِلِينَ إِمَّا مَا يَكَا فِي الْعِشَائِرِ أَوْ أَيْلًا

الأبيل : الراهب .

وفي كتاب الهند : من لم يركب الأهوال لم ينل الرغائب .
وفي التوراة : ابن آدم ، خُلِقَ مِنَ الْحَرَكَةِ إِلَى الْحَرَكَةِ ، فَتَحَرَّكَ وَأَنَا مَعَكَ .
وفي بعض الكتب : امدد يدك إلى بابٍ من العمل ؛ أفتح لك باباً من
الرزق .

وقالوا : مَنْ ضَعُفَ عَنْ عَمَلِهِ أَتَكَلَّ عَلَى رِزْقٍ غَيْرِهِ .

وقال عليّ رضي الله عنه : الحرص مقدّمة الكون .

وقال النبي صلى الله عليه وسلم لوفد عبد القيس : ما المروءة فيكم ؟ قالوا :
العفة والحِرْفَة .

ورثي عكرمة وراء نهر بُلُخ ، فقيل له : ما جاء بك هاهنا ؟ فقال : بناتي .

وقال رجل لمعروف الكرخي : يا أبا محفوظ أتحرك لطلب الرزق أم أجلس ؟
قال : لا بل تحرك ، فإنه أصلح لك ، فقال : أتقول هذا ؟ قال : وما أنا قلته
ولكن الله عز وجل أمر به ، قال لمريم عليها السلام : ﴿ وَهْزِي إِلَيْكَ الْجِذْعَ
النَّخْلَةِ نَسَاقِطٍ عَلَيْكَ رُطْبًا غَنِيًّا ﴾^(٢) ولو شاء لأنزله عليها .

وأنشد التّعالِيّ :

أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَوْحَى لِمَرْيَمَ وَهْزَى إِلَيْكَ الْجِذْعَ يَسَاقِطُ الرُّطْبُ

(١) سقط الزند ١٣٧١ .

(٢) سورة مريم ٢٥

ولو شاء أن تجنيه من غير هزّها جنته ، ولكن كلّ شيء له سبب
وقال موسى بن عمران عليه السلام : لا تلوموا السّفر ؛ فإنّي أدركت فيه ما لم
يدركه أحد ؛ يريد أن الله كلّّه فيه .

ونظم هذا المعنى حبيب فقال :

إِن موسى صَلَّى على روجه الله صلاةً كثيرةً القدُسُ^(١)
صار نبياً وعُظُم بُغيته في جذوة للصّلاء والقَبَسِ^(٢)

قال المأمون : لأشياء ألدُّ من السفر في كفاية ؛ لأنك تحمل كل يوم في محلّة
لم تحملها ، وتعاشر قوماً لم تعاشرهم .

الثعالبي : من فضائل السفر أن صاحبه يرى من عجائب الأمصار ، وبدائع
الآقطار ، ومحاسن الآثار ، ما يزيد علمه بقدرة الله ، ويدعوه إلى شكر نعمته .

وفي الأثر الصحيح : سافروا تصحّوا وتغنموا .

آخر : السفر يشدّ الأبدان ، وينشط الكسلان ، ويشهّي إلى الطعام .

آخر : ليس بينك وبين بلد نسب ، فخير البلاد ما حملك .

قال ابن رشيّق : كتبتُ إلى بعض إخواني : مثل الرجل القاعد - أعزّك الله -
كمثل الماء الراكد ، إن ترك تغيّر ، وإن تحرّك تكدر ، ومثل المسافر كالسحاب
الماطر ، هؤلاء يدعونه رحمة ، وهؤلاء يدعونه نقمة ، فإذا اتصلت أيامه ، ثقل
مقامه ، وكثر لوائمه ، فاجمع لنفسك فرجة الغيبة ، وفرحة الأوبة ، والسلام .

وقال ابن رشيّق :

غِبْ عن بلادك وارْجُ حسن مقبلةٍ إن كنت حقا تشكى الإقلا^(٣)

(١) ديوانه ١٧٠ . والقدس : الطهارة

(٢) البنية : المطالب . الجذوة : الحفرة ، والصلاء ، التدفؤ .

(٣) نقله في التنف ٥٩

فالبدر لم يُجَحِّفْ به إدباره ألا يسافر يطلب الإقبالا
وقال أبو الطيب :

وما بلد الإنسان غير الموافق ولا أهله الأدنون غير الأصادق^(١)
وقال البحتري :

وإذا ما تنكرت لي بلادٌ أو صديق فإني بالخيار^(٢)
وقال أبو الطيب :

إذا لم أجد في بلدة ما أريده فعندي لأخرى عزمة وركابُ
وقال إبراهيم بن العباس الصولي :

لا يمتنعك خفض العيش في دعة نزوع نفسي إلى أهل وأوطان^(٣)
تلقى بكل بلاد إن حلت بها أهلاً بأهلٍ وجيراناً بجيرانٍ

أى لا يمتنعك الشوق إلى الوطن في الغربة من الاستمتاع بلذة العيش ،
فالأرض واحدة ، والناس جنس واحد . وفي غير الحماسة :

لا يمتنعك خفض العيش في دعة من أن تبدل أوطاناً بأوطانٍ
برفع « خفض » ، أى لا يمتنعك عيشك الهنيء في بلدك أن تجول في البلدان ،
وترى الناس ، تستفيد النزهة والتجربة .

وقالوا : المسافر يسمع العجائب ، ويكشف التجارب ، ويحبب المكاسب .
أو حش أهلك إذا كان أنسك في إيماشهم ، واهجر وطنك إذا نبت نفسك عنه .
قيل لأعشى بكر : إلى كم ذا الاغتراب ؟ أما ترضى بالدعة ! قال : لودامت .
الشمس عليكم يومين للتموها .

(١) ديوانه ٢ : ٣٢٠ .

(٢) ديوانه ٩٨٧ .

(٣) ديوانه ١٥١ ، ديوان الماني ١ : ٩٩٢ .

أخذه حبيب فقال :

وطولُ مقامِ المرءِ في الحَيِّ مُخْلِقٌ لِدِيَابِجَتِيهِ فَاغْتَرَبُ تَتَجَدَّدُ^(١)
فإِنِّي رَأَيْتُ الشَّمْسَ زِيدَتْ مَحَبَّةً إِلَى النَّاسِ أَنْ لَيْسَتْ عَلَيْهِمْ بِسَرْمَدٍ
وقال الحكماء : لا تُنال الراحة إلا بالتعب ، ولا تدرك الدعة إلا بالنصب .

وقال حبيب :

على أَنتَى لَمْ أَحْوِ وَفَرَا مَجْمَعاً فَفَزَتْ بِهِ إِلَّا بِشَمْلٍ مَبْدَدٍ^(٢)
وَلَمْ تُعْطِنِي الْأَيَّامُ يَوْمًا مَسْكَنًا أَلَدَّ بِهِ إِلَّا بَنُومٍ مُشَرَّدٍ
وقال ابن عبد ربه : هل يجوز في عقل ، أو يمثل في وهم ، أو يصح في قياس ، أن يُحصَد زرعٌ بغير بذر ، أو يتمر مالٌ بغير طلب ، أو تُجَنَى ثمرة بغير غرس ، أو يُورَى زندٌ بغير قدح ! وقد يكون الإكداء مع الكد ، والخينة مع الغيبة .

وقال الشاعر :

وما زلت أقطعُ عَرْضَ البلادِ من المشرقين إلى المغربين
وأدّرع الخوفَ تحت الدُّجَى وأستصحب الجُدَى والفرقدَيْنِ
وأطوى وأنشرُ ثوبَ الهمومِ إلى أن رجعتُ بخُفَى حُنَيْنِ
وقال ابن رشيقي :

بُعْطَى الْفَتَى فِينَالُ فِي دَعَةٍ مَا لَمْ يَنْلِ بِالْكَدِّ وَالتَّعَبِ^(٣)
فَاظْلُبْ لِنَفْسِكَ فَضْلَ رَاحَتِهَا إِذْ لَيْسَتْ الْأَشْيَاءُ بِالطَّلَبِ
إِنْ كَانَ لَا رِزْقَ بِلَا سَبَبٍ فَرَجَاهُ رَبُّكَ أَعْظَمُ السَّبَبِ

وقال محمد بن يسير :

(١) ديوانه ١٠٠ ، ١٠١

(٢) ديوانه ١٠٠ ، وفيه : « ولكنني لم أحو » .

(٣) نقله في التنف ١١

قد يُرزَق الخافضُ المقيمُ وما شدَّ لِعُنْسٍ رَحْلاً ولا قَتَباً^(١)
ويحرّم المال ذو المطية والرّحل ومن لا يزال مُغْتَرِباً
وقال آخر :

قد يُرزَق المرء لم تتعب رواحله ويحرّم الرزقَ بالأسفار والتَّعبِ
إني وعمرك ما أحصى ذوى حق الرزق أعدى بهم من لاصق الجرب
ولآخر :

ألا ربّ باغى حاجة لا ينالها وآخر قد تُقضى له وهو جالس
آخر :

قد يُرزَق المرء، لا من حسنِ حيلته ويصرف الرزق عن ذى الحيلة الداهية
مامسى من غنى يومٍ ولا عدَم مامسى من غنى يومٍ ولا عدَم
آخر :

لو كان باللبّ يزداد اللبيب غنى لكان كلّ لبيب مثل كافور
لكنه الرزق بالقسطاس من حكم يُقضى اللبيب، ويعطى كلّ ما خور
ومثل هذا قليل في كثير وإنما يحكم بالأغلب ، والنّجح مع الطلب أكثر ،
والحرمان للعاجز أصعب ، وشرح حبيب هذا المعنى فقال :

همّ الفتى في الأرض أغصانُ المنى غُرِسَتْ وليست كلّ حين تُورِق
أوصى بعضُ الحكماء ابنه وأراد سفراً ، فقال : إنك تدخل بلدًا لا تعرفه ،
ولا يعرفك أهله ، فتَمَسَّكْ بوصيتي تنفّق بها ؛ عليك بحسن الشّاتل ؛ فإنها تدلّ على
الحرية ، وبقاء الأطراف فإنها تشهد بالملوكية ، ونظافة البزّة فإنها تشهد بالنشء في
النعمة ، وطيب الرائحة فإنها تظهر المروءة ، والأدب الجليل فإنه يُكسب المحبة ،
وليكن عقلك دون دينك ، وقولك دون فعلك ، ولباسك دون قدرك ، والزم

«الحياء والأئمة فإنك إن استحييت من الفظاظ اجتنبت الخساسة ، وإن أنفت من الغلبة لم يتقدمك نظير في مرتبة .

قوله : «لَقِفْتُ» ، أخذت ، والألف : أخذ ما يرمى إليك بيدك . ثَقِفَتْ : قيدت ، ويُمدح الرجل الحازم به فيقال : فلان ثَقِفْ لَقِفْ . والأريب : العاقل ، وقد أَرَبَ أَرابةً وأَرَبًا ، صار أريبًا ، والأريب من أربت العقدة أَرَبًا ، شدتها . يستميل : يستنزل ويدعوه أن يميل إليه . يستخلص مرضيه ، أى يحوزها لنفسه . ومراضيه : ما يُرضى القاضى ويوافقه ، وهو جمع مَرْضَاة ، ويقال : صلة الرحم مَرْضَاة للرب ، أى يرضيه برّها ، يقول : العاقل إذا دخل بلدة استعطف قاضيا لنفسه ، بحسن خلقه حتى يخفّ عليه أمره . ليشتدّ : ليتقوى . جَوْر : ظلم ، إمامًا : قُدوة ، زمامًا : حبلًا أقودها به . ولجت : دخلت . عرينة : بلدة ، وأصلها بيت الأسد . الراح : اسم الخمر ، وأبهم على ابن الرومى ممّ اشتق اسمها حين قال :

والله ما أدري لأية عِلَّةٍ يدعوها فى الراح باسم الراح
ألريحها أم رُوحها تحت الحشا أم لارتياح نديمها للرتاح !

وانظر الامتزاج الذى ذكر فى الخامسة والأربعين .

عنايته : اعتناؤه به واهتمامه .

* * *

فبينما أنا عند حاكم الإسكندرية ، فى عَشِيَّةٍ عَرِيَّةٍ ، وقد أخضرَ مال الصدقات ، ليُفضَّه على ذوى الفاقات ، إذ حلَّ شخصٌ عَفْرِيَّةٌ ، تعتله امرأةٌ مُصْبِيَّةٌ ، فقالت : أيد الله القاضى ، وأدام به التراضى ، إني امرأةٌ من أكرم جرثومةٍ ، وأطهر أرومةٍ ،

وَأَشْرَفِ خُثُولَةٍ وَعُمُومَةٍ ، مِيسَمِي الصَّوْنِ ، وَشَيْعَتِي الْهَوْنِ ،
وَخُلِقْتُ نِعَمَ الْعَوْنِ ، وَبَيْنِي وَبَيْنَ جَارَاتِي بَوْنٌ ، وَكَانَ أَبِي إِذَا خَطَبَنِي
بُنَاةَ الْمَجْدِ ، وَأَرْبَابُ الْجَدِّ ، سَكَتَهُمْ وَبَكَتَهُمْ ، وَعَافَ
وُضَلَّتَهُمْ وَصَلَّتَهُمْ ، وَاحْتَجَّ بِأَنَّهُ عَاهَدَ اللَّهُ بِحِلْفَةٍ ، أَلَّا يُصَاهِرَ
غَيْرَ ذِي حِرْفَةٍ .

◊ ◊ ◊

[ذكر الإسكندرية]

مدينة عظيمة من بلاد مصر ، بناها الإسكندر ذو القرنين ، وهو الذي
مشى مشارق الأرض ومغاربها . قال السديّ : لما سأل أهل الكتاب النبي
صلى الله عليه وسلم عن ذى القرنين ، قال : سأخبركم كما تجدونه مكتوباً عندكم :
إنَّ أول أمره أنه غلام من الروم ، أُعْطِيَ مُلْكًا ، فسار حتى أتى ساحل البحر
من أرض مصر ، فابتنى عندها مدينة يقال لها الإسكندرية .

وقال الهذاني : ذو القرنين ينسب إليه التاريخ قبل الإسلام ، ومؤدبه
أرسطاطاليس الحكيم ، وكان مُلْكُهُ الَّذِي بَلَغَ فِيهِ أَقْصَى الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ خَمْسَةَ عَشَرَ
عَامًا ، وَالْإِسْكََنْدَرِيَّةُ لَمَّا بَنَاهَا رَحَّمَهَا بِالرَّخَامِ الْأَبْيَضِ جُدُّهَا وَأَرْضَهَا ، فَكَانَ
لِبَاسِهِمْ فِيهَا السَّوَادُ مِنْ نَصُوعِ بَيَاضِ الرَّخَامِ ، وَإِذَا كَانَتْ لَيْلَةٌ مَقْمَرَةٌ يُدْخِلُ
الْخِيَاطُ الْخِيطَ فِي خَرَقِ الْإِبْرَةِ مِنْ بَيَاضِ رَخَامِهَا .

وقيل : إنها مكنت سبعين عامًا لا يدخلها أحد إلا وعلى بصره خرقة سوداء
من بياض جِصِّهَا وَرُخَامِهَا ، وَلَمْ يَحْتَجْ لَهَا فِي تِلْكَ الْمُدَّةِ إِلَى سَرَاجٍ بِاللَّيْلِ مِنْ
ضِيَائِهَا . وقيل : كانت ثلاث مدن يحيط بجميعها سور .

قال ابن جبير: ما شهدنا^(١) بلداً أوسع مسالك ، ولا أعلى بناء ، ولا أعتق ولا أحفل من الإسكندرية ، وأسواقها في نهاية الاحتفال ومن أعجب ما في وصفها أن بناءها تحت الأرض كبنائها فوقها وأعتق ، لأن الماء إذا جاء من النيل يخرق جميع آبارها وأزقتها تحت الأرض ، فتتصل الآبار بعضها ببعض ، ويمد بعضها بعضاً ، وعابناً فيها من سوارى الرخام وألواح كبراً وغلواً واتساقاً وحسناً مالا يتخيل إلا بالوهم ؛ حتى إنك تلقى بعض سوارىها يفصّ بها الجو صعوداً لا يدري معناها ، ولا لأى شيء وضعت إلا ما يتحدث به أنه كان عليها من قديم الزمان مبانٍ للفلاسفة وأهل الرئاسة ومن أعظم عجائبها المنار ، آية للمتوسمين وهداية للمسافرين ، لولاه ما اهتدوا في البحر إلى برّ الاسكندرية ، ويظهر على أزيد من سبعين ميلاً ، ومبناه في نهاية العتاقة والوثاقة طويلاً وعرضاً ، يزاحم الجوّ سموّاً وارتفاعاً ينحصر عنه الوصف ، وينحسر دونه الطّرف ، الخبر عنه يصيق ، والمشاهدة له تنسع ، ذرعنا أحد جوانبه الأربع ، فألفينا فيه ثيفاً وخسين باعاً ، ويذكر أن في طوله أزيد من مائة وخمسين قامة

وأما داخله فرأى هائل ، اتساع معارج ، ومداخل^(٢) وكثرة مساكن . حتى إن الوالج في مسالكه ربّما ضلّ . وفي أعلاه مسجد موصوف بالبركة ، يبرزك الناس بالصلاة فيه ، طلعنا إليه ، وشهدنا من شأن مبناه عجباً لا يستوفيه وصف واصل ، والله تعالى لا يخليه من عزة الإسلام .

* * *

قوله «عشية عربية» ، أى باردة . يفصّه : يفرقه . ذوى الفاقات : أهل الفقر والحاجات . عِفْرِيّة : يقال رجل عِفْرِيّة وعِفْرِيّ وعِفْرِيّ ، إذا كان صحيحاً شديداً موثق

(١) رحلة ابن جبير ٩ ، ١٠ . بتصرف .

(٢) ط : «دواخل» ، وما أثبتته من أ ، ب وابن جبير .

«الخلق» ، أَخَذَ مِنْ عَفَرِ الْأَرْضِ ، وهو التراب ، أَيْ مِنْ عَلَقَ بِهِ عَفْرَهُ بِالْأَرْضِ وَمِنْهُ لَيْثٌ عَفْرِينَ ، أَيْ لَيْثُ لَيْوْثٍ ، مُعَفَّرٌ لِفَرِيصَتِهِ . قَالَ الْخَلِيلُ : رَجُلٌ عَفَرٌ بَيْنَ الْعَفَارَةِ ، إِذَا وَصِفَ بِالشَّيْطَانَةِ ، وَالْعَفِيرُ أَيْضاً : الظَّرِيفُ الْكَيْسُ ، وَيُقَالُ لِلشَّيْطَانِ : عَفْرِيتٌ وَعَفْرِيةٌ ، وَهُمْ عَفَارِيَةٌ . وَقُرِئَ : ﴿ قَالَ عَفْرِيةٌ مِنَ الْجِنَّ ﴾ ^(١) ، وَفِي الْحَدِيثِ : « إِنْ اللَّهُ لَيُبَغِّضُ الْعَفْرِيتَ النَّفَرِيَّةَ » ، قِيلَ هُوَ الْجُمُوعُ الْمُنَوَّعُ .

وَقَالَ أَبُو عُمَانَ التَّهْدِي : دَخَلَ رَجُلٌ عَظِيمُ الْجِسْمِ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ لَهُ : مَتَى عَهْدُكَ بِالْحَيِّ . قَالَ : مَا أَعْرِفُهَا ، قَالَ : فَبِالصُّدَّاعِ ؟ قَالَ : مَا أَدْرِي مَا هُوَ ! قَالَ : أَفَأَصِيبُ بِمَالِكَ ؟ قَالَ : لَا ، قَالَ : أَفَرُزْتُ بِوَلَدِكَ ؟ قَالَ : لَا ، فَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « إِنْ اللَّهُ يُبَغِّضُ الْعَفْرِيتَ النَّفَرِيَّةَ » ، وَهُوَ الَّذِي لَا يَرِزُ فِي بَدَنِهِ وَلَا يَصَابُ فِي مَالِهِ .

وَقَوْلُهُ : « تَعْتَلَهُ » ، أَيْ تَسْوِقُهُ بِعَنْفٍ ، وَكَذَلِكَ تَدْعُهُ . مُصْبِيَةٌ : لَهَا صَبِيٌّ . جَرَثُومَةٌ : أَصْلٌ ، وَكَذَلِكَ أَرُومَةٌ . مَيْسَمِيٌّ : عَلَامَتِي . الصَّوْنُ : الصِّيَانَةُ وَالِاتِّقْبَاضُ . شَيْمَتِي : طَبِيعَتِي . الْهُوْنُ : الرِّفْقُ . بُونٌ : بُعْدٌ . بَنَاءٌ : جَمْعُ بَانٍ ، وَالْجِدُّ : الشَّرَفُ الضَّخْمُ ، وَأَصْلُهُ مِنَ الْإِبِلِ الْمَوَاجِدِ ، وَهِيَ الَّتِي امْتَلَأَتْ بِطَوْنِهَا مِنَ الرَّعْيِ وَعَظُمَتْ . وَأَمَجَدَ هَارَاعِيهَا ، إِذَا رَعَاهَا بِحَيْثُ تَمَجَّدُ ، وَتَمَجَّدَتْ وَهِيَ تَمَجَّدُ : رَعَتْ فَامْتَلَأَتْ . وَحَكَى الْأَصْمَعِيُّ قَالَ : أَتَيْتُ شُعْبَةَ يَوْمًا ؛ وَعِنْدَهُ حَمَادُ بْنُ سَلَمَةَ ، وَهَمَا يَتَكَلَّمَانِ فِي حَدِيثٍ فَقَالَ شُعْبَةُ : يَا أَبَا سَلَمَةَ ، هَذَا الْفَتَى الَّذِي ذَكَرْتَ لَكَ ، فَقَالَ حَمَادُ : يَا بَنِيَّ كَيْفَ تَنْشُدُ بَيْتَ الْحَطِيطَةِ : « أَوْلَيْكَ قَوْمٌ . . » ؟ فَابْتَدَأَتْ الْقَصِيدَةَ مِنْ أَوَّلِهَا :

أَلَا طَرَقْتَنِي بَعْدَ مَا هَجَمْتُ هِنْدُ وَقَدَسِرْنَ خَمْسًا وَاثَلَاتِ بِهَا الْجِدَّ ^(٢)

(١) هِيَ قِرَاءَةُ عَيْسَى الثَّقَفِيِّ ، وَانْظُرْ تَفْسِيرَ الْقُرْطُبِيِّ ١٣ : ٢٠٣ .

(٢) دِيوَانُهُ ١٩ ، ٢٠ .

إلى أن بلغت قوله :

أولئك قومٌ إن بنوا أحسنوا البنى وإن عاهدوا أوفوا وإن عَقَدُوا شَدُوا^(١)
فقال لى حماد : يا بني إن العرب تقول : بنى يبنى بناءً فى العمران ، ويقولون
فى الشرف : نبا يَنْبُو نَبَوًا ، فأنشد هذا البيت « أحسنوا البنى » ، فعرفت قدّر
حماد من ذلك فما كنت أنشد إلا كما لقننى .

قوله : « أرباب الجدِّ » . أى أصحاب السعد والمال ، والعرب تقول : لفلان
جدٌّ فى الدنيا ، أى حظ وبخت ، قال امرؤ القيس :

* وقام جدُّهم ببنى أبيهم^(١) *

وقال آخر :

عش بجدِّ ولا يضرُّك نوْكُ إنما عيشُ من ترى بالجدودِ
وجدَّ الرجل : صار له جدٌّ ، وأجدّه الله : جعل له جدًّا ، وما كنت
ذا جدٍّ ، ولقد جدِّدت جدِّي ، ورجل جديد : حَظِيظ من الجدِّ والحظِّ .
أبو عبيد قوله : « ولا ينفع ذا الجدِّ منك الجدُّ »^(٢) ، أى ولا ينفع ذا الغنى .
منك غناه إنما تنفعه طاعته . يعقوب : أى من كان له حظ فى الدنيا لم ينفعه
ذلك فى الآخرة .

بكتهم : قطع كلامهم وأهانهم . عاف : كره . وصلتهم : اتصلهم به ،
والوصلَّة : سبب التواصل ، وهى فى آدميين ما يصل واحدًا بآخر من حُبٍّ وغيره ،
والوصلَّة بالفتح : ما جعلته بين عود وعود ، أو حبل وحبل ، فوصلتهما به . وصلتهم :
عطيتهم . حلقة : يمين . يصاهر : يخاتن . حِرْقة : صنعة ومكسب ، وهى فِعلَةٌ
من الحرف وهو الحرمان ، والمحارف : المحروم ، كأنَّ صاحبها منع الرزق ، فصار
يعالج كسبه .

(١) ديوانه ١٣٨ و بقيقته :

* وبالأشقين ما كان العِقَابُ *

(٢) اللسان - جدد ، وفى رواية : الجد ، بكسر الجيم ، أى الاجتهاد والعمل -

أبو هريرة رضى الله عنه ، قال صلى الله عليه وسلم : « خير الكسب كسب يد العامل إذا نصح » .

سهل بن سعد رضى الله عنه : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « عمل الأبرار من الرجال الخياطة ، ومن النساء الغزل »

* * *

فَقِيَّضَ الْقَدْرُ لِنَصَبِي وَوَصِي ، أَنْ حَضَرَ هَذَا الْخُدَاعُ
 نَادَى أَبِي ، فَأَقْسَمَ بَيْنَ رَهْطِهِ ، أَنَّهُ وَفَى شَرْطِهِ ، وَادَّعَى أَنَّهُ طَالَمَا
 نَظَمَ دُرَّةً إِلَى دُرَّةٍ ، فَبَاءَهُمَا بَيْدَرَةً ؛ فَاغْتَرَّ أَبِي بِزُخْرُفِ مُحَالِهِ ؛
 وَزَوَّجَنِيهِ قَبْلَ اخْتِبَارِ حَالِهِ ، فَلَمَّا اسْتَخْرَجَنِي مِنْ كِنَاسِي ، وَرَحَّلَنِي
 عَنْ أَنَاسِي ، وَتَقَلَّنِي إِلَى كَسْرِهِ ، وَحَصَّلَنِي تَحْتَ أُسْرِهِ ، وَجَدْتُهُ
 قَعْدَةً جُبْمَةً ، وَالْفَيْئَةُ ضُجْمَةٌ نُومَةٌ . وَكُنْتُ صَحْبَتُهُ بِرِيَاشٍ
 وَزِيٍّ ، وَأَمَاتِ وَرِيٍّ ، فَمَا بَرِحَ يَبِيعُهُ فِي سُوقِ الْهَضْمِ ،
 وَيُتْلِفُ نَمَتَهُ فِي الْخَضْمِ وَالْقَضْمِ ، إِلَى أَنْ مَزَّقَ حَالِي بِأُسْرِهِ ، وَأَنْفَقَ
 مَالِي فِي عُسْرِهِ .

° ° °

قوله : « قِيَّضَ » ، أى قَدَّرَ وساق . نَصَبِي : تعبى . وَوَصِي : مرضى ،
 وَنَصَبَ الرجل نَصَبًا . أَعْيَا من التعب ، وَوَصَبَ وَصَبًا : أتعبه المرض ، فهو نَصَبٌ
 وَوَصَبٌ . الْخُدَاعُ : الكثير الخداع لغيره ، وَبَسْكَون الدال الذى يخدعه غيره
 كثيرًا ؛ التحريك للفاعل والسكون للمفعول فيما يأتى على « فَعَلَهُ » من الصفات .
 نادى : مجلس . رهطه : قومه ، وهو اسم للجماعة من ثلاثة إلى عشرة ، ويجمع

أَرْهَطَ وَأَرَاهَطَ . وفق شرطه : أى موافق ما اشترط . نَظَّمُ دُرَّةً ، يريد أنه جوهرى ينظم سلوك اللؤلؤ . بَدْرَةٌ : عشرة آلاف درهم ، وأراد بالدَّرَّةِ هنا الكلمة ، ويعبر بها عن الحكمة ، قال النبي صلى الله عليه وسلم « لَا تَدْعُوا الدَّرَّةَ فِي أَفْوَاهِ الْكِلَابِ » ، يعنى العلم . اغترّ : انخدع ، وهو افتعل من الغرور . زخرف محاله : تزيين باطله ، وأصل زخرف : زين الشيء بالزخرف وهو الذهب . كِنَاسَى : بيتى وأصله للظبي ، وهو من قوله تعالى : ﴿ الْجَوَارِ الْكُنَّسِ ﴾ ^(١) تشبيهاً لها بالظباء على ما ذكره ابن قتيبة ؛ ويقال له : كُنَّاسٌ وَمِكنَسٌ من الكنس ، كَانَتِ الظبية قد كنست مرقدتها ووطناته . رَحَلَنِي : ثقلني وحناني على الرَّحْلِ . كِسْرُهُ : بيته ، وأصله جانب بيت الشعر أو الخباء ، لأنَّ جانب الخباء قد انكسر عن يمينه . أَسْرُهُ : حبسه . قُعْدَةٌ : كثير القعود . جُثْمَةٌ : كثير الجثوم ، وهو ملازمة الموضع . ضُجْعَةٌ : كثير الاضطجاع ، وهو الامتداد على الأرض للنوم . نُومَةٌ : كثير النوم ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ثَلَاثَةٌ لَهمُ الْمَقْتُ مِنْ اللَّهِ » ، وذكر الذى يكثر النوم بالنهار ، ولم يأخذ من الليل شيئاً ، وفي حديث آخر : « خَيْرُ أَهْلِ شَرِّ الزَّمَانِ مُؤْمِنٌ نُومَةٌ » . أَبُو عبيدة : هو الخامل الذَّكْر الذى لا يعرف الشرَّ وأهله ، فتريد أنه عاجز قد لَزِمَ بيتها ، فإن تصرفته فيه اعترضها ممتداً ، فلا تجد معراحة . رِيَاشٌ : ثياب ، « فِعَالٌ » من الرِّيش ، لأنها تكسو البدن كما يكسو الرِّيش الطائر . زِيٌّ : هيئة حسنة من اللباس . أُنْثَا : متاع . رِيٌّ : حالة حسنة ، وأصله الهمز ، فَسْهَلٌ وَأُدْغَمٌ لِيُوَافِقَ « زِيّاً » . قال ابنُ الأَثير : الأُنْثَا : المتاع . والرَّوْى والرَّوْءَا : المنظر ، وما له رِوَاءٌ أى ماله منظر ولا لسان . والحَرْفَانِ ، من رأيتُ أرى . ما برح : ما زال . الهَضْمُ : النقصان . الْخَضْمُ : الأكل بالضم كـ . والقَضْمُ : الأكل بأطراف الأسنان . مَزَقَ : قطع وأفسد . حَالِي : غناى ، ويروى « مَالِي » مكان « حَالِي » ، ومافيه بمعنى الذى كأنه قال : فرقى

الذى لى، ورواية ابن ظفر «بالي» بالباء، وقال: البال: الخاطر، وما لهذا الشيء .
بال، إذا حَقَّرْتَهُ ، والبال كالخلد ، تقول خَطَرَ يَبَالِي ، كما تقول : خَطَرَ بِخَلْدِي
ونفسى ، وكأنَّ هذا هو الأصل. والبال : الحال أيضاً ، ومنه قوله :

* وخالف بالَ أهل الدار بالي *

عسره ، أى فقره .

* * *

فَلَمَّا أُنْسَانِي طَمَمَ الرَّاحَةِ ، وَغَادَرَ يَتِيئِي أَنْتَقَى مِنَ الرَّاحَةِ ،
قُلْتُ لَهُ : يَا هَذَا ، إِنَّهُ لَا نَحْبَأَ بَعْدَ بُؤْسٍ ، وَلَا عِطْرَ بَعْدَ عُرُوسٍ ،
فَانْهَضْ لِلْكِتَابِ بِصِنَاعَتِكَ ، وَأَجْنِبْنِي ثَمَرَةَ بَرَاءَتِكَ ؛ فَرَعَمَ أَنَّ
صِنَاعَتَهُ قَدْ رُمِيَتْ بِالْكَسَادِ ، لَمَّا ظَهَرَ فِي الْأَرْضِ مِنَ الْفَسَادِ ،
وَلَى مِنْهُ سُلَالَةٌ ، كَأَنَّهُ خِلَالَةٌ ، وَكِلَانًا مَا يَنَالُ مَعَهُ
شِبَعَةٌ ، وَلَا تَرَقَّا لَهُ مِنَ الطَّوِيِّ دَمْعَةٌ ، وَقَدْ قُدَّتُهُ
إِلَيْكَ ، وَأَخْضَرَّتُهُ لَدَيْكَ ، لِنَعْجَمِ عُودِ دَعْوَاهُ ، وَتَحْكَمِ يَتْنِنَا
بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ .

فَأَقْبَلَ الْقَاضِي عَلَيْهِ ، وَقَالَ لَهُ : قَدْ وَعَيْتُ قَصَصَ عِزِّكَ ،
فَبَرِهِنِ الْآنَ عَنْ نَفْسِكَ ، وَالْأَكْشَفْتُ عَنْ لَبْسِكَ ،
وَأَمَرْتُ بِجَبْسِكَ ؛ فَأَطْرَقَ إِطْرَاقَ الْأَنْعُمَانِ ، ثُمَّ شَمَرَ لِلْحَرْبِ
الْعَوَانِ ، وَقَالَ :

* * *

الراحة : التّراو والميش المنى ، وأراد بأنقى من الراحة خلوا الكف
من الشعر . مخبأ : ستر . بؤس : شدّة وفقر . عطر : طيب .

[أصل المثل : لا عطر بعد عروس]

ولا عطرَ بعد عروس ، مثل يضرب لتأخير الشيء عن وقت الحاجة إليه ،
وأصله أن رجلاً تزوّج امرأة فوجدها تنفلة^(١) ، فقال لها : أين عطرِك ؟ قالت :
خبأته لغير هذا الوقت ، فقال لها : لا مخبأ لعطر بعد عروس ؛ وبهذا اللفظ روى
أبو زيد الأنصاريّ للمثل^(٢) .

البكرى : عروس رجل كانت عنده ابنة عمّ له ، فمات عنها ، فترّوجها
بعده ابن عمّ لها آخر ، وهى كارهة ، وانطلق بها إلى أهلها وقد زوّدها طيباً في
سَفَط ، فمرّ بها بقبر عروس ، فأقبلت تبكيه وترفع صوتها ، وتقول : يا عروس الأعراس ،
ويا شديد الباس ؛ مع أشياء لا يعلمها الناس . فانهرها زوجها ، وقال : ما تلك
الأشياء ؟ فقالت : كان عن السكارم غير نَعّاس ، يُعمل السيف صبيحة الباس .
ثم قالت : يا عروس الأعراس الأزهر ، الكريم المحضر ، مع أشياء كانت
تذكر ؛ فازداد زوجها غضباً ، وقال : ما تلك الأشياء ؟ فقالت : كان عيوقاً
للخنا والذّكر ، طيب النكهة غير أبخر ، ثم أخذت السَفَط وكسرتة على قبر
عروس ، ثم قالت : لا عطر بعد عروس ، فذهب مثلاً . فقال زوجها : ارجعى
إلى أهلِكَ ، أنت طالق ، فقالت : إذا أنصرف مغتبطة^(٣) .

وعن ابن عباس رضى الله عنهما ، أن عروساً هذا رجل من هُذيل ، وامرأته
هُذليّة اسمها أسماء .

قوله : « براعتك » ، أى جودة تدبيرك . سلالة : ولد صغير كما سُئل من بطن

(١) نقل الشيء : تغيرت رائحته ، وامرأة تنفلة ومتفالة .

(٢) اللسان - حرس ، جهرة الأمثال ٢ : ٣٩٥ ، الفاخر ١ : ٢١١ .

(٣) فصل المقال ٣٣٨

أُمه ؛ ولهذا سُمِّيَ ولد الناقة عند النَّتَاج قبل أن يعلم أذكر هو أم أنثى : سليل ، ثم اتسعوا في السُّلَالَةِ فقالوا : فلان كريم السُّلَالَةِ . والخِلَالَةُ : عود تُنَقَّى به الأضراس من الطعام ، شَبَّهَتْ ولدها به في رِقَّتِهِ . تَرَقَّأ : تنقطع . الطَّوَى : الجوع ، وقال النبي صلى الله عليه وسلم : « كفى بالمرء إثماً أن يضيع من يقوت » . تعجُّم : تخنجر . دَعَوَاه : ما أدعاه من الصَّنْعَةِ ، وعجمت العود : عضضته بأسنانك لتعلم قوته من ضعفه . وعيت : حَفِظْتَ . قِصَص عرسك : حديث زوجك . بَرِهِنْ : أظهر حُجَّتَكَ ، والبرهان : الحجة . لَبَسَكَ : تخليطك والتباس أمرك . أطرق : أمال رأسه إلى الأرض ساكناً . الأفُؤان : ذَكَر الأفاعي ، وهذا منقول من قول المتلمس :

فأطرقَ إطراقَ الشَّجاع ولو رأى مساعاً لناينه الشَّجاعُ لصمًّا^(١)
ووقع لنا في رواية « لناباه »^(٢) ، وهي لغة . شمر : احتزم . العوان : التي قوتل فيها مرة بعد أخرى ، وهي أشد ، والمرأة العوان : التي علت في السن ولم تهرم . والعوان : الثيب ، كانت ذات زوج أو لم تكن ، وعوت المرأة تمويهاً ، والجمع عُون .

اسْمَعْ حَدِيثِي فَإِنَّهُ عَجَبٌ * * * يُضْحَكُ مِنْ شَرِّهِ وَيُنْتَحَبُ
أَنَا امْرُؤٌ لَيْسَ فِي خَصَائِصِهِ عَيْبٌ وَلَا فِي فَخَائِرِهِ رَيْبٌ
سَرُوجٌ دَارِي الَّتِي وُلِدْتُ بِهَا وَالْأَصْلُ غَسَّانٌ حِينَ أَنْتَسِبُ
وَشَغْلَى الدَّرْسِ ، وَالتَّبَحُّرُ فِي الْعِلْمِ طِلَابِي ، وَحَبَّذَا الطَّلَبُ
وَرَأْسُ مَا لِي سِحْرُ الْكَلَامِ الَّذِي مِنْهُ يُصَاغُ الْقَرِيفُ وَالْخَطَبُ

(١) من الأصعية ٩٢ من ٢٥٦ : الشجاع : الحية الذكر ، ومساع ، مفعل من ساغ يسوغ ، وأصل معناه سهولة مدخل الشراب في الحلق .
(٢) يحملونه شاهداً على إلزام المثني الألف في إعرابه .

أُغْوَصُ فِي لُجَّةِ الْبَيَانِ فَأُخْـتَارُ اللَّالِي مِنْهَا وَأُنتَخِبُ
وَأُجْتَنَى الْيَانِعِ الْجَنِيِّ مِنَ السَّقُولِ ، وَغَيْرِي لِلْعُودِ يَحْتَطِبُ
وَأَخْذُ اللَّفْظِ فِضَّةً فَإِذَا مَا صُنِّعَتْهُ قِيلَ إِنَّهُ ذَهَبُ
وَكُنْتُ مِنْ قَبْلِ أُمْتَرِي نَشَبًا بِالْأَدَبِ الْمُتَقَى وَأُخْتَلِبُ
وَيَمْتَلِي أُنْخَمِي لِحْزَمَتِهِ مَرَاتِبًا لَيْسَ فَوْقَهَا رُتَبُ
وَطَالَمَا زُفَّتِ الصَّلَاتُ إِلَى رَبِّي فَلَمْ أَرْضَ كُلَّ مَنْ يَهَبُ

* * *

قوله : « يُنْتَخِبُ » ، أى يُبْكِى ، ونحب نحياً : أعلن بالبراءة . خصائصه : فضائله وما يختص به من الأفعال الحمودة . ريب : شكوك . التبخر : التوسع . طلابى : أى طلبى ، وإنما هو للعلم ، وذكر التبخر واللالى والغوص وغير ذلك مجازاً ؛ وقال النبى صلى الله عليه وسلم : « ما اتعل رجل قط ولا تخفف ولا لبس ثوباً ليفدوفى طلب علم يتعلمه إلا غفر الله له حيث يخطو عتبة بيته » . روى عن عائشة رضى الله عنها أنها قالت : سمعت رسول الله صلى الله عليه روى عن عائشة رضى الله عنها أنها قالت : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « من اتعل ليتعلم خيراً غفر الله له قبل أن يخطو » .

ابن عباس رضى الله عنهما ، قال النبى صلى الله عليه وسلم : « الغدو والرواح فى تعليم العلم خير عند الله من الجهاد فى سبيله » .

ابن مسعود رضى الله عنه ، قال النبى صلى الله عليه وسلم : « مَنْ خَرَجَ بِطَلَبِ بَابَا مِنَ الْعِلْمِ لِيَرُدَّ بِهِ ضَلَالًا إِلَى هَدًى ، أَوْ بَاطِلًا إِلَى حَقٍّ ، كَانَ كَعِبَادَةِ مُتَعَبِدٍ أَرْبَعِينَ سَنَةً » .

قوله : « يصاغ » ، أى يصنع . الفريض : الشعر . أغوص : أغيب فى الماء إلى قعره . واللجة : معظم الماء ، جعله للبيان مجازاً . اللالى : جمع لؤلؤة . أنتخب :

أختار . وقال المسيب بن علس^(١) في وصف الفائض وانتخابه الدرّة وتشبيه المرأة بها :

كَجُحْمَانَةِ الْبَحْرِىِّ جَاءَ بِهَا غَوَاصُّهَا مِنْ لُجَّةِ الْبَحْرِ^(٢)
 نصف النهار الماء غامرُه وشريكه بالنيب ما يدري
 فأصاب مُنْيَتَهُ فجاء بِهَا صَدَقِيَّةٌ كَمُضِيَّةِ الْجُمْرِ
 يُعْطَى بِهَا ثَمْنَا فَيَمْنَعُهَا وَيَقُولُ صَاحِبُهُ : أَلَا تَشْرِي !^(٣)
 وترى الصّرارى يسجدون لها ويضمُّها بيديه للنحر
 وقال عبد الرحمن بن حسان :

وهى بيضاء مثل جوهرة الفواصِ مُيِّرَتْ مِنْ جَوْهَرٍ مَكْنُونِ .
 وقال النابغة :

أَوْ دَرَّةٌ صَدَقِيَّةٌ غَوَاصُّهَا بِهِجْ مَتَى يَرَاهَا يُهْلَ وَيَسْجُدُ .
 قوله : « اليانع » أى الناعم . الجنى : الطرى . أمتري نشباً ، أى أستخرج
 مالا ، ومريتُ ضرع الناقة : مسحته وحككته ليدِرَ اللبن . والنَّشَبُ ، قيل : هو
 العقار وما لا ينقل ، وكأنَّ مالكة قد نشب إليه حيث لا ينتقل به ، كالذى ماله الماشية
 أو الذهب والفضة . المنتقى : المختار ، ويروى « المقتنى » ، وهو المكتسب . ويقال :
 احتلب وحلب حلباً ، والحليب : اللبن ، وهو الحلاب ، والحلاب أيضاً : الإماء تحلب .
 فيه ، وأصله السَّيْلَانُ . وتحلب الضرع : سال ، وانحلبت عينه : سال دمعها . يمتطى :
 يركب . أخصى : باطن قدمي ، وهو ماضر منها - وارتفع عن الأرض . الحُرْمَتُهُ :
 أى لرفقته وشرفه . مراتباً : منازل : والمرتبة منزلة الشرف ، من الرتب وهو

(١) ط : « على » تحريف .

(٢) الأبيات في شعراء النصرانية ٣٥٦ ، وخزانة الأدب ١ : ٥٤٥ .

(٣) ألا تشرى ، أى ألا تبيع ، كما ذكره ابن الأثير في الأضداد ٧٤

حما أشرف من الأرض . والرُّتَب : جمع رُتْبَة ، وهى بمعنى المرتبة ، وأصل الرُّتَب الدَّرَج تُقَطَع فى الحجر ليصعد بها إلى أعلى الجبل ، ومنه رتب كلامه ، إذا أتبع بعضه بعضا على نظام واعتدال . زُفَّت : مُحِلَت ، من زَفَّت العروس إلى زوجها ، إذا أهديتها له . الصَّلَات : العطايا . رَبَّيْ : منزلى . لم أرض كلَّ مَنْ يَهَبُ ، أى لا أرضى أن أكون تحت مِنَّة كل أحد .

* * *

فَالْيَوْمَ مَنْ يَمْلِكُ الرَّجَاءَ بِهِ أَسَدُ شَيْءٍ فِي سَوْقِهِ الْأَدَبُ
لَا عِرْضُ أُنْبَاءٍ يُصَانُ وَلَا يُرْقَبُ فِيهِمْ إِلَّا وَلَا نَسَبُ
كَأَنَّهُمْ فِي عِرَاصِهِمْ جَيْفٌ يُبْعَدُ مِنْ نَنْهًا وَيُجْتَنَّبُ
فَخَارَ لُبِّي لِمَا مُنِنْتُ بِهِ مِنْ اللَّيَالِي وَمَرْفَهَا عَجَبُ
وَصَاقَ ذَرْعِي لَضِيقِ ذَاتِ يَدِي وَمَا وَرَتَنِي الْهُمُومُ وَالْكَرْبُ
وَقَادَنِي دَهْرِي الْمَلِيمُ إِلَى سُلُوكٍ مَا يَسْدُشِينُهُ الْحَسَبُ
فَبِغْتُ حَتَّى لَمْ يَبْقَ لِي سَبْدٌ وَلَا بَيَاتٌ إِلَيْهِ أَتْقَابُ
وَادَنْتُ حَتَّى أَثْقَلْتُ سَالِفَتِي بِحَمَلِ دَيْنٍ مِنْ دُونِهِ الْمَطْبُ
ثُمَّ طَوَيْتُ الْحَشَى عَلَى سَغَبٍ نَحْسًا فَلَمَّا أَمَضْنِي السَّغَبُ
لَمْ أَرَ إِلَّا جِهَازَهَا عَرَضًا أَجُولُ فِي يَبْعِهِ وَأَضْطَرِبُ

* * *

مَنْ يَمْلِكُ : معنى من استفهام ^(١) . يَرْقُبُ : يَرعى . إِلَ : قرابة ، وإلَ : بقاء .

(١) حاشية ط : قوله : من استفهام ، الظاهر أن من موصولة وعبارة غيره ؛ أى أن من يطلق به الأمل ، ويرجى منه النوال لا يستعمل الأدب والعارف ، حتى صار ذلك كالسلمة كالسكة عنده . انتهى بالحرف . مصححه .

عهد . وسبب : مفرقة وصحبه ، والسبب : العلم ، ومنه : ﴿وَأَتَيْنَاهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا﴾^(١) ؛ وأصله الحبل ؛ ثم يُستعمل في كل ما يربط شيئاً بشيء ، من كلام أو غيره . عِرَاصِهِمْ : مواضعهم ، وأصل العِرَاصَةُ ، فناء الدار . يقال : لَبَّ الرَّجُلُ يُلَبُّ لَبَابَةً ، ورجل ملبُوب : موصوف باللبابة ، ولُبَّ كل شيء من الثمار ولبابه : داخله ، ولبَّ كل شيء : خالسه . مُنِيت : ابتليت وقُدِّر لي . صَرَفُهَا : تقلبها وتصرفها بما يكره . ذَرَعِي : كناية عن صدرى وخُلُقِي ، وأصل الذَّرْع كِيل الشيء بالذَّرَاع ؛ ثم صار مثلاً ، يقال : ضاق ذَرَعِي بكذا إذا لم تحمله وضاق تصرُّؤك فيه . ذات يدي ، أى مالى . ساورتَنِي : واثبتَنِي . الكَرْب : الهموم ، وكررها لاختلاف اللفظ . الْمَلِيم : الذى أتى بما يُبْلَم عليه . سُلُوك : دخول . يستشِينه : يستعيبه ، والشَّيْن : العيب . لَبَد : شيء لا قليل ولا كثير ، وأصله الصَّوْف ، وأكثر ما يستعمل مُزْدَوِجاً مع سَبَد ؛ يقال : ما عنده سَبَد ولا لَبَد ، أى لا شعر ولا صوف ، ويراد بها نقي الإبل والغنم ، ثم صار نفعاً لكل شيء من المال . بَتَات : زاد . أَثْقَل : أرجع .

أَدَّت : أخذت بالدين ، وفي حديث عمر : «فَأَذَانٌ مُعَرِّضًا»^(٢) . والسالفة : صفة العنق ، يريد أن هذا الدين لثقله ومقاساة همومه فوق العَطَب ، والعطاب : الذى هو الهلاك دونه في الشدة . عائشة رضی الله عنها : قال النبي صلى الله عليه وسلم : «إِذَا أَرَادَ اللَّهُ أَنْ يَذِلَّ عَبْدُهُ ابْتِلَاهُ بِالَّذِينَ وَجَعَلَهُ فِي عُنْقِهِ» ، وقال أنس رضي الله عنه : قال النبي صلى الله عليه وسلم : «إِيَّاكُمْ وَالَّذِينَ فَإِنَّهُمْ بِاللَّيْلِ وَمَذَلَّةٌ بِالنَّهَارِ» ، وروى جابر رضي الله عنه ، قال النبي صلى الله عليه وسلم : «لَا هُمْ إِلَّا هُمُ الَّذِينَ وَلَا وَجَعَ إِلَّا وَجَعَ الْعَيْنِ» .

الحشَى : أسقاط الجوف . سَفَب : جوع . أَمْضَى : أحرقتى . جهازها :

(١) سورة الكهف ٨٤ .

(٢) في حديثه عن أسبغ جهنمة ، أى استدان معرضاً . النهاية لابن الأثير ٢ : ١٤٩ .

متاعها الذى جاءتني به ، والجهاز ، متاع البيت ، يريد شوارها . عَرْضًا ، أراد « عَرْضًا » فحركة ضرورة ، والعرض الأمتعة هنا ، أخبرني بهذا مَنْ يوثق به في اللغة : والعرض خلاف النقد مشهور في اللغة . وفي العين : العرض ، بفتح الراء : كثرة المال ، فيقول : لما لم يبقَ لى مالٍ لم أر مالاَ إلا جهازها ، فيكون على هذا أتم معنى ، ويخرج عن الضرورة التى ألزمت ذلك التحريك . أحول : أنصرف . اضطرب : أكثر الترداد والتصرف .



فَجَلْتُ فِيهِ وَالنَّفْسُ كَارِهَةٌ	وَالْعَيْنُ عَبْرَى وَالْقَلْبُ مَكْتَبٌ
وَمَا تَجَاوَزْتُ إِذْ عَبَّيْتُ بِهِ	حَدَّ التَّرَاضِي فَيَحْدُثُ الْغَضَبُ
فَإِنْ يَكُنْ غَاظَهَا تَوْهَمَهَا	أَنْ بَنَانِي بِالنَّظْمِ تَكْتَسِبُ
أَوْ أَنِّي إِذْ عَزَمْتُ خِطْبَتَهَا	زَخَرْتُ قَوْلِي لِيَنْجَحَ الْأَرْبُ
فَوَالَّذِي سَارَتْ الرَّفَاقُ إِلَى	كَمَبْتِهِ تَسْتَحِثُّهَا النُّجُبُ
مَا الْمَكْرُ بِالْمُحَصَّنَاتِ مِنْ شَيْمَى	وَلَا شِعَارَى التَّمْوِيهِ وَالْكَذِبُ
وَلَا يَدِي مَذْ نَشَأْتُ نِيطَ بِهَا	إِلَّا مَوَاضِي الْيَرَاعِ وَالْكَثْبُ
بَلْ فَمَكْرَتِي تَنْظِمُ الْقَلَائِدَ لَا	كُنِّي ، وَشِعْرِي الْمَنْظُومُ لَا السُّخْبُ
فَهَذِي الْحِرْفَةُ الْمُشَارُ إِلَى	مَا كُنْتُ أَخْوِي بِهَا وَاجْتَلِبُ
فَأَذْنُ لَشَرْحِي كَمَا أَذْنَتْ لَهَا	وَلَا تَرَاقِبْ وَاحْكُمْ بَمَا يَجِبُ



عَبْرَى : باكية . مكتتب : حزين . عَبَّيْتُ : لعبت وتحكمت فيه ، يقول :
ما تصرف في بيعه إلا برضا منها ومنى^(١) . قوله : « تَوْهَمَهَا » ، أى ظننها . خطبتها :

(١) حاشية ط : « قوله : ومنى ، لاحاجة إليه » .

مراسلتها في النكاح . لينجح الأرب : لتقضى الحاجة . تستحبها : تستعجلها .
 الثَّجُب : الإبل الكرام . السكر : الخداع ، المحصنات : العفاف . شيمى :
 طبائعى . شعارى : علامتى : التمويه ، تقدّم فى الثامنة . نيط : علق ، وناط الشيء
 نوطاً : علقه . اليراع : الأقدام . والمواضى : السرعة فى الكتابة ؛ يريد أنه فصيح
 لا يتوقف قلمه . السَّخْب : جمع سخاب ، وهى قلادة قرنفل ليس فيها جوهر
 ولا لؤلؤ . قال ابن ظفر : السَّخْب : العقود من اللؤلؤ وغيره ، ومن الطَّيب
 أيضا . أخوى : أخوز وأجمع .

فأذن : اسمع . لا تراقب : لا تراع متناً أحداً ولا تؤثره على صاحبه
 واحكم بيننا بما يجب ؛ وأخذ معنى الأبيات المتقدمة من قول ابن هرمة :
 إني امرؤ لأصوغ الحلىَ تعله كفاً لكن لسانى صائغُ الكلمِ
 وقال آخر :

وإني لنظامُ القلائد للعلماء ولستُ بنظامُ القلائد للمُحَرِّ

قال : فلما أحكم ما شأده ، وأكمل إنشأده ، عطفَ القاضى إلى
 الفتاة ، بعد أن شرف بالأبيات ، وقال : أما إنه قد ثبت عند جميع
 الحكماء ، وولاة الأحكام ، انقراضُ جيل الكرام ، وميلُ الأيام
 إلى اللثام ، وإني لإخالُ بملك صدوقا فى الكلام ، برىا من الملام ،
 وهامو قد اعترف لك بالقرض ، وصرّح عن المحض ، وبين مصداق
 النظم ، وتبين أنه معروىُ العظم ؛ وإغناةُ المَعْدِرِ ملامةٌ ، وحسنُ
 المُعْسِرِ ملامةٌ ، وكيتمانُ الفقرِ زهادةٌ ، وانتظارُ الفرجِ بالصبرِ

عِبَادَةَ ، فَارْجِعِي إِلَى خِدْرِكَ ، وَاعْذُرِي أَبَا عُذْرِكَ ، وَهَنْهِي
مِنْ غَزْبِكَ ، وَسَلِّمِي لِقَضَاءِ رَبِّكَ . ثُمَّ إِنَّهُ فَرَضَ لَهُمَا فِي
الصَّدَقَاتِ حِصَّةً ، وَنَاوَلَهُمَا مِنْ دَرَاهِمِهِمَا قَبْصَةً ، وَقَالَ لهُمَا :
تَمَلَّلَا بِهَذِهِ الْعُمَلَةِ ، وَتَنَدَّيَا بِهَذِهِ الْبُلَالَةِ ، وَاصْبِرَا
عَلَى كَيْدِ الزَّمَانِ وَكُدِّهِ ، فَمَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ أَوْ
أَمْرٍ مِنْ عِنْدِهِ . فَهَضَا وَلِلشَيْخِ فَرَحَةً الْمَطْلَقِ مِنَ الْإِسَارِ ،
وَهَزَّةَ الْمَوْسِرِ بَعْدَ الْإِعْسَارِ .

* * *

قوله : « أَحْكَمْ » ، أَيُ أَتَقَن . شاده : بَنَاهُ وَزَيَّنَهُ ، وَشَادَ الْبِنَاءُ : أَطَالَهُ وَعَمِلَهُ
بِالشَّدِيدِ ، وَهُوَ الْجِصَّ ، وَيُقَالُ فِيهِ : أَشَادَ ، وَيُقَالُ : شَادَ عَمَلُهُ بِالشَّدِيدِ وَأَشَادَهُ : أَطَالَهُ ،
هُوَ الْأَوَّلُ ، وَأَشَادَ الْحَدِيثَ : رَفَعَهُ ، وَعَظَفَ : ثَنَى عُنُقَهُ وَرَدَّهَا ، وَكُلُّ مَا تَثْنِيهِ
مَنْ عُنُقٍ أَوْ جَارِحَةٍ أَوْ عُودٍ فَقَدْ عَظَفَتْهُ . شُعِفَ : أُعْجِبَ . انْقِرَاضُ : انْقِطَاعُ
وَهَلَاكُ . جِيلٌ : صِنْفٌ ، وَجِيلُكَ : أَهْلُ عَمْرِكَ بَعْلُكَ : زَوْجُكَ ، وَبَلَّ الرَّجُلُ
بُعُولَةً : تَزَوَّجَ . وَالْقَرَضُ : السَّلْفُ ، أَرَادَ بِهِ مَا أَعْطَتْهُ مِنْ ثَمَنِ جَهَازِهَا سَلْفًا .
صَرَخَ : يَتَن . وَصَرَخَ عَنِ الْمَخْضِ ، مِثْلُ يَضْرِبُ لِسَرِّ الْأَمْرِ ، إِذَا انْكَشَفَ ،
وَقَالُوا : أَمْرٌ صُرَّاحٌ ، أَيُ مَنْكَشَفٌ ظَاهِرٌ ، وَالصَّرِيحُ مِنَ اللَّبَنِ : الْمَخْضُ الْخَالِصُ
الَّذِي لَا رَغْوَةَ فِيهِ ، قَالَ الشَّاعِرُ :

* وَتَحْتَ الرَّغْوَةِ اللَّبَنِ الصَّرِيحُ ^(١) *

ثُمَّ قَالُوا : لِكُلِّ شَيْءٍ خَالِصٌ : صَرِيحٌ . وَقَوْلُهُ : « بَيْنَ مُصْدَاقِ النِّظَمِ » ، يُرِيدُ
أَنْ نِظْمَهُ إِنَّمَا هُوَ لِلشَّعْرِ لَا لِلْجَوْهَرِ . مَعْرُوقٌ : لَا لَحْمَ عَلَى عَظْمِهِ ، أَيُ هُوَ قَفِيرٌ
(١) أَمْلُ الْمَثَلِ : « تَحْتَ الرَّغْوَةِ الصَّرِيحُ » ، وَأَوَّلُ مَنْ قَالَهُ هَامِرُ بْنُ الظَّرْبِ . وَانْظُرْ
جَهْرَةَ الْأَمْثَالِ ١ : ٢٧٠ .

إِعتَات : مشقة . العذر : الذى يجهد نفسه فى الشئ ثم لا يستطيعه ، يقال : قد أعذر ، أى قد بين عذره أنه لا يقدر عليه ، وعذر فهو معذر ، إذا قصر فى طلب الشئ . قال تعالى : ﴿ وَجَاءَ الْمُعَذَّرُونَ مِنَ الْأَعْرَابِ لِيُؤْذَنَ لَهُمْ ﴾ ^(١) ، وقال ابن دريد :
 * حكم المعذر غير حكم للمعذر *

الملائمة والمأئمة : اللؤم والإثم . والمعسر : الفقير : والزهادة : قلة الرغبة ، قال أبو هريرة رضى الله عنه : قال : رسول الله صلى الله عليه وسلم : « مَنْ جَاعَ وَاحْتِاجَ فَكُتِمَ النَّاسُ وَأُنْزِلَ بِاللَّهِ ، كَانَ حَقًّا عَلَى اللَّهِ أَنْ يَفْتَحَ عَلَيْهِ رِزْقَ سَنَةٍ مِنْ حِلَالٍ » .

وعن ابن عمر رضى الله عنهما ، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « انتظار الفرج بالصبر عبادة » .

وقال ابن عمر : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ما صبر أهل بيت على جهد ثلاثاً إلا أتاهم الله عز وجل برزق » .

خدرك : بيتك ، وأصله السّتر يكون خلفه الجارية المحجوبة . أبا عذر : زوجك المقتض لك . نهى : كفى . غربك : حدة لسانك . وقيل : معنى « نهى » من غربك ، أى غيضى من دموعك ، والغرب : فيض الدمع ، والأوّل أشبه . سلمى : اتقأدى . فرّض ، أى أوجب . حصّة : نصيب . ناولها : أعطاهما . قبضة : ما أخذت بأطراف أصابعك . العلالة : الشئ القليل . تعللاً : خذاً منه شيئاً بعد شئ ، وكذلك تندّياً ، وأصل العلالة بقية الماء فى الإناء ، وبقية اللبن فى الصّرع بعد الحلب ، قال الراجز :

* يرضعها الدّرة والعلالة * ^(٢)

(١) سورة التوبة ٩٠ (٢) اللسان - علل ، وروايته : « ترضى » ، وقوله :

* أَحْمِلُ أُمِّي وَهِيَ الْحَمْلَةُ *

والبُلاة : الندى القليل بيل وجه الأرض . كيد : مكر . كدته : جهده .
وأنشد أبو نوحٍ النقفى :

عسى فرجٌ يأتى به الله إنه له كل يومٍ فى خليقته أمرُ
عسى ما ترى ألا يدوم وأن ترى له فرجاً مما ألح به الدهرُ
إذا اشتدَّ عسرٌ فارجُ يسراً فإنه قضى الله أن العسر يتبعه اليسرُ

الإسار : الحبل يشد به الأسير . هزّة : طرب . الموسر : الغنى . الإعسار :
الفقر ، وسئل حكيم : أى الأشياء أحلى ؟ قال : النصرّة على العدو بعد الهزيمة ،
والاستغناء بعد الحاجة ، والغلبة للمتكلم .

* * *

قال الراوى : وكنتُ عرفتُ أنه أبو زيدٍ ساءة بزغت
شمسه ، ونزغت عزمه ، وكدتُ أفصحُ عن افتنانه ؛ وإثمارِ
أفئانه ؛ ثمّ أشفقتُ من عُثورِ القاضى على بهتانِهِ ، وتزويقِ
لسانه ، فلا يرى عند عِرفانه ، أن يُرشحه لإخسانِهِ ، فأحجمتُ
عن القولِ إجمامِ المرتابِ ، وطوّيتُ ذكره كطى السّجلِ للكتابِ ؛
إلاّ أنى قلتُ بعد ما فصل ، ووصل إلى ما وصل : لو أن لنا
من ينطلقُ فى أثرِهِ ، لآتانا بفصّ خبرِهِ ، وبما يُنشر من خبرِهِ ؛
فأتبعهُ القاضى أحدُ أمتائه ، وأمرهُ بالتجسسِ عن أنبائه ،
فما لبث أن رجع مُتدهِداً ، ومهقراً مُقْبِهاً ، فقال له القاضى : منهم ،
يا أبا مريم ، فقال : لقد عاينتُ عجباً ، وسمعتُ ما أنشأ لى طرباً ،

هَقَالَ لَهُ : مَاذَا رَأَيْتُ ، وَالَّذِي وَعَيْتُ !

* * *

قوله : « بزغت » ، أى طلعت . ونزغت : نشزت وقابلته بالشر والذِّكر القبيح ، وأراد أنه عرفه حين ساقته زوجته إلى القاضي. أَفْصَح : أبين . افتنانه : تنوعه . إثمار : إخراج الثمر ، وهو حمل كل شجرة . أفنانه : أغصانه . أشفقت : خافت . عثور : ظهور ، وعثر على الأمر : أطلع عليه . بهتانه : باطله وكذبه . تزويق : تزيين ، وهو من الزَّوْوق الذى يعرفه العامة بالزَّواق ، أى أنه تزيين فى الظاهر ، وليس له ثبات . عرفانه : تقدّم معرفته . يرشحه : يهيئه ، وفلان يرشح لكذا ، أى يؤهل له ، من رشحت الأم ولدها باللبن ، إذا جعلته فى فيه شيئاً بعد شيء حتى يقوى ، وقيل : الترشيح : التربية ، وقيل : هو تحنن الأم على ولدها من الشدة . أحجمت : تأخرت . المرتاب : صاحب الرية . طويت : سترت . السَّجَل : الورق . والكتاب : المكتوب فيها ، وقوله تعالى : ﴿ كُتِبَ السَّجَلُ لِلْكِتَابِ ﴾ ^(١) ، قيل : السَّجَل : اسم كاتب النبي صلى الله عليه وسلم ، وقيل : ملك من السماء الثالثة ترفع إليه الحفظة أعمال العباد كل خميس واثنين . فَصَّل : زال وانفصل . بفصّ خبره : بحقيقة أمره . ينشر : يظهر . خبره : حسن كلامه ، وأصله ثياب يمانية مزينة ، ونشرها : حابها من طيها . التجشّس : البحث . أتبائه : أخباره . ما لبث ، أى ما أقام ، والمعنى ما أبطأ شيئاً حتى رجع . متدهداً : متحرّكاً ، والتدهده : قَذَفَكَ الحجر من أعلى إلى أسفل . قهقر : رجع إلى خلف . مقهقهاً : مبالغاً فى الضحك ، والقهقهة : حكاية صوت الضاحك . مهمم : كلمة استفهام ، معناها : ما الأمر ؟ عاينت : رأيت . أنشأ : أحدث ، وتقديره : سمعت شيئاً أحدث لى ذلك الشيء .

المسموع الطَّرب ، ولا يكون « أنشأ » فعلاً لأبي زيد ، إنما هو فعل « ما » من قوله : « ما أنشأ » . وعيت : حفظت .

* * *

قال : ولم يزل الشيخُ مُذْ خَرَجَ يُصَفِّقُ يَدَيْهِ ، وَيُخَالِفُ بَيْنَ رِجْلَيْهِ ، وَيُعَرِّدُ بِلَءٍ شِدْقِيهِ ، وَيَقُولُ :

كَذْتُ أَصْلَى بَيْلِيهِ مِنْ وَقَاحِ شَمَرِيهِ
وَأَزُورُ السَّجْنَ لَوْلَا حَاكِمُ الْإِسْكَندَرِيهِ
فَضَحَكَ الْقَاضِي حَتَّى هَوَتْ دَنِينَتُهُ ، وَذَوَتْ سَكِينَتُهُ ،
فَلَمَّا فَاءَ إِلَى الْوَقَارِ ، وَعَقَّبَ الْاسْتِغْرَابَ بِالْاسْتِغْفَارِ ، قَالَ : اللَّهُمَّ
بِحُرْمَةِ عِبَادِكَ الْمُقَرَّبِينَ ، حَرِّمْ حَبْسِي عَلَى الْمُتَادِّينَ . ثُمَّ قَالَ
لِذَلِكَ الْأَمِينِ : عَلَىَّ بِهِ ، فَاَنْطَلِقْ مُجِدًّا فِي طَلَبِهِ . ثُمَّ مَادَّ بَعْدَ
لَايِهِ ، مُخْبِرًا بِنَأْيِهِ ، فَقَالَ لَهُ الْقَاضِي : أَمَا إِنَّهُ لَوْ حَضَرَ ، لَكُنِّي
الْحَذَرَ ، ثُمَّ لَأَوْكَيْتُهُ مَا هُوَ بِهِ أَوْلَى ، وَلَأَرَيْتُهُ أَنَّ الْآخِرَةَ خَيْرُ
لَهُ مِنَ الْأُولَى .

قال الحارث بن همام : فَلَمَّا رَأَيْتُ صَفْوَ الْقَاضِي إِلَيْهِ ، وَفَوَتْ
ثَمَرَةَ التَّنْبِيهِ عَلَيْهِ ، غَشِيَتْنِي نَدَامَةُ الْفِرْزَدِقِ حِينَ أَبَانَ النُّوَارَ ،
وَالْكُسْمَى لَمَّا اسْتَبَانَ النَّهَارَ .

* * *

يُصَفِّقُ يَدَيْهِ : يضرب بكفيه . يَخَالِفُ بَيْنَ رِجْلَيْهِ : يعبث بهما في مشيه .

فيمض كلَّ رَجُلٍ موضعَ الأخرى ، وهى من أنواع الرقص ؛ أراد أنه يضرب بكَيِّيه ويرقص . يغرّد : يغنى . بملء شذقيه ، أى بضوت شديد تمتلئ به أشداقه .

وملء القدح : قدر ما يملؤه . أبو يعقوب : يقال : أعطنى ملء القدح ماء ، وأعطنى مِلَّائِيه ، وأعطنى ثلاثة أملائه .

أصلى ببلية ، أى قربتُ أن أحترق بها وأتصلّى بها ، والبلية : المصيبة يبتلى بها ، وقَاح ، جمع وقاحة ، وهى صلابة الوجه ، وأصلها من الحافر الصُّلب ، وقال بعضهم فى صلابة الوجه :

لا يعملُ المِبْرَدُ فى وَجْهِهِ بل وجهه يعمل فى المِبْرَدِ

فجعل وجهه لصلابته يؤثّر فى الحديد . شَمَرِيَّة ، أى شديدة القِحَّة ، قال الأصمعى : سألت أعرابياً ، وقد خرج من الصَّلَاة : ما قرأ الإمام ؟ قال : ما أدرى إلا أنه وقع بين موسى وفرعون شَمَرِيَّة . هوت : سقطت . دَنِينَتَه : قلنسوته ، وهذه اللفظة إنما وقعت فى المقامات بفتح الدال وكسر النون ، ودنينته بنونين لتوافق «سكينته» ، والصحيح حذف نونها الثانية وكسر الأولى ، وهى قلنسوة محدّدة الطرف يلبسها القضاة والأكابر ، وليست من كلام العرب ، إنما هى من الألفاظ المستعملة فى العراق ، وقد استعملها شعراؤهم ، قال ابن لَنَسْكَك :

نفسى تقيك أبا الهندامِ يا أُمْلِي إِنِّى بكلِّ الذى ترضاه لى راضٍ^(١)
ما كان أيرى فقيهاً إذ ظفرت به فكيف ألبسته دِنيَّةَ القاضى
وقال الصابى :

وفوقه دِنيَّةٌ تذهبُ طَوْرًا وتجي

(١) يتيمة الدهر .

(١) يتيمة الدهر ٢ : ٣٢٦ ، وهناك : « تقيك أبا الهندام كل أذى » ، وأبو الهندام شاعرا اسمه كلاب بن حمزة ؛ كان ابن لَنَسْكَك مولعا بهجائه .

ذَوْتَ : زَالَتْ وَخَفِيتْ . سَكِينَتُهُ : وَقَارُهُ ، وَأَصْلُ ذَوَى ، فِي الشَّيْءِ الَّذِي فِيهِ جَلَلٌ وَنَدْوَةٌ ، فَيَجْفُ بِلَهُ ، فَاسْتَعَارَهُ لِلْسَّكِينَةِ . فَاءٌ : رَجَعَ . وَعَقَّبَ : أَتْبَعَ . الْاسْتِغْفَارُ : كَثْرَةُ الضَّحْكَ ، حَتَّى تَدْمَعَ الْعَيْنَانِ ؛ أَرَادَ أَنَّهُ أَتْبَعَ ضَحْكَهُ الْاسْتِغْفَارَ لِيَكُونَ كَفَّارَةً لَهُ ، وَهَذَا الَّذِي حُكِيَ عَنِ الْقَاضِي يُحْكِي مِثْلَهُ عَنِ الْحِجَابِ ، يُقَالُ : إِنَّهُ كَانَ إِذَا اسْتَغْفَرَ ضَحَكَ يُوَالِي مِنَ الْاسْتِغْفَارِ .

وَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْعُودٍ : فِي كِتَابِ اللَّهِ آيَتَانِ مَا أَصَابَ عَبْدٌ ذَنْبًا فَقَرَأَهَا ثُمَّ اسْتَغْفَرَ اللَّهَ إِلَّا غُفِرَ لَهُ الْأُولَى : قَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿ وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً ... ﴾ ^(١) . الْآيَةُ ، وَالثَّانِيَةُ قَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿ وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ... ﴾ ^(٢) . الْآيَةُ .

قَالَ أَبُو سَعِيدٍ الْخُدْرِيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : مَنْ قَالَ : « أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ وَأَتُوبُ إِلَيْهِ » خَمْسَ مَرَّاتٍ ، غُفِرَ لَهُ وَلَوْ فَرَّ مِنَ الزَّحْفِ . شَدَّادُ بْنُ أَوْسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ : « سَيِّدُ مَا لَا اسْتَغْفَارُ أَنْ تَقُولَ : اللَّهُمَّ أَنْتَ رَبِّي لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ وَأَنَا عَبْدُكَ أَصْبَحْتُ عَلَى عَهْدِكَ ^(٣) وَوَعْدِكَ مَا اسْتَطَعْتُ . أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا صَنَعْتُ ، أُوْبُؤُ بِنِعْمَتِكَ عَلَيَّ ، وَأُبُوءُ بِكَ بِذَنْبِي فَاغْفِرْ لِي إِنَّهُ لَا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ » .

وَأَصْلُ غَفَرَ وَاسْتَغْفَرَ غَطَّى . قَالَ قَطْرِبَ : اللَّهُمَّ اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا ، أَيْ غَطِّهَا ، مِنْ قَوْلِ الْعَرَبِ : غَفَرْتُ الْمَتَاعَ فِي الْوَعَاءِ أَغْفِرُهُ غَفْرًا ، أَيْ غَطَّيْتُهُ . ثَعْلَبُ : غَفَّرَ الرَّجُلُ فِي مَرَضِهِ يَغْفِرُ غَفْرًا ، أَيْ نَكَسَ ، فَكَأَنَّ الْمَرَضَ غَطَّى عَلَيْهِ . وَقَالَ الْأَصْمَعِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ : اللَّهُمَّ اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا ، أَيْ اسْتَرِهَا عَلَيْنَا ، وَمِنْهُ : اصْبِغْ ثَوْبَكَ ، فَإِنَّهُ أَغْفَرَ لِلْوَسْخِ ، أَيْ أَسْتَرَهُ ، وَهَذِهِ مَعَانٍ مُتَقَارِبَةٌ .

(١) آل عمران ١٣٥

(٢) النساء ١١٠ .

(٣) الجامع الصغير ١ : ٥٧ ، وفيه : « وَأَنَا عَبْدُكَ ، وَأَنَا عَلَى عَهْدِكَ وَوَعْدِكَ » ، وَفِي آخِرِ الْحَدِيثِ : « وَمَنْ قَالَهَا مِنَ اللَّيْلِ وَهُوَ مُوقِنٌ بِهَا فَاتَّ قَبْلَ أَنْ يَصْبِحَ كَانَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ » .

قوله: «عَلَىَّ بِهِ»، أى جئني به. مجداً: مجتهداً في طلبه. لأَيِّهِ: لإبطائه. نَأْيِهِ: بعده. الحَذَرُ: الخوف. أوليته، بمعنى وليته وأعطيته. أَوْلَى: أحق، يريد أنه لو رجع إليه كان يصله في المرة الثانية بما هو خير مما وصله به أوّل مرة. قوله: «صغو»، أى ميل. فَوَتْ: ذهاب. التنبيه: الإعلام. غَشِيتُنِي: غطّيتني. ولحقتني. أبان: طلق. النّوار: بنت عم الفرزدق وزوجه. استبان: تبين. وقال الشاعر:

لو أنْ صدور الأمر تبرز للفتى كأعقابه لم تُلفه يتندّم

[ذكر الفرزدق وبعض أخباره]

والفرزدق اسمه هام بن غالب بن صعصعة، دارمى من أشراف تميم، والفرزدق لقّب به لجهومة وجهه وغلظه، والفرزدق: قطعة العجين، وقيل: الرغيف الضخم.

وخبره مع النّوار بنت أعين المجاشعي، أنه خطبها رجل من قريش أو من دارم، فبعثت إلى الفرزدق أن يكون وليّها إذا كان ابن عمها، فقال: إن بالشّام مَنْ هو أقرب إليك منى ولواء، وأنا حذر من أن يقدم منهم قادم، فينكر ذلك علىّ، فاشهدى أنك جعلت أمرك إلىّ. فجعلت له أمرها أن يزوجه من يرى، وأشهدت له بذلك، فقال لها: أرسلني إلى القوم أزوّجك ممن خطبتك. فلما غصّ مسجداً بنى مجاشع بني تميم جاء الفرزدق، فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: قد علمت أن النّوار ولّنتي أمرها، وأشهدكم أنّي قد زوّجتها من نفسي، فنشزت عليه ونافرته من البصرة إلى عبد الله بن الزبير بمكة حين أعيّاها أمراء البصرة، أن يطلقوها منه. وأعيّاها الشهود أن يشهدوا لها اتقاء من شرّه، فلم يقدر أحد على

حملها ، حتى تَحْمِلَهَا قومٌ من بني عدى ، يقال لهم بنو نُسَير إلى مكة ، فصحبهم
النَّوار ، فقال الفرزدق :

وقد سَخِطَتْ مِنِّي النَّوَارُ الَّذِي ارْتَضَى به قباها الأزواجُ ، خاب رَحِيلُهَا ^(١)
أطاعت بني أُمِّ النَّسِيرِ فَأَصْبَحَتْ على شارقٍ ورقاء صعب ذُلُومُهَا ^(٢)
وإن امرأً يسعى ليفسد زوجتي ^(٣) كساعٍ إلى أسدِ الشَّري يسدِّبِياها ^(٤)
ومن دون أبوال الأسود بسالةٌ وبسطة أيدٍ يمنع الضَّيمَ طُولُهَا
وإنَّ أمير المؤمنين لعالم بتأويل ما وصَّى العبادَ رسولُهَا

ثم ارتحل في أثرها حتى وصلا مكة ، فنزلت النَّوار على بنت منظور بن
زبان زوجة عبد الله بن الزبير رضي الله عنه ، ونزل الفرزدق على ابنة حمزة ، وقال :

أصبحتُ قد نزلتُ بحمزة حاجتي إن المنوّه باسمه الموثوقُ ^(٥)
بأبي عماره خير من وطئ الحصى وجرت له في الصالحين عروقُ
بين الحوارى الأغرّ وهاشمٍ ثم الخليفةُ بعدُ والصديقُ

فكان كلُّ ما أصلح حمزة بن عبد الله من شأن الفرزدق نهراً أفسده
بنت منظور ليلاً ، حتى غلبت النَّوار ، وقضى ابن الزبير عليه ، فقال :

أما البنون فلم تُقبلْ شفاعتُهُمْ وشُفِّعَتْ بنتُ منظور بن زبانا ^(٥)
ليس الشفيع الذي يأتيك مؤزراً مثل الشفيع الذي يأتيك عريانا

فلما سمع ابن الزبير شعره ، توقّف في أمره ، فلقبه يوماً بباب المسجد ، فضمه
إلى الحائط ، حتى كادت تُزهِق نفس الفرزدق . وكان الزبير في غاية من القوّة ، ثم

(١) ديوانه ٦٠٤ ، ٥ ، ٦ النقاظ ٨٠٤ ، طبقات الشعراء ٢٨١ (٢) الشارف : الناقاة المسنة .

(٣) يستبسلها : يأخذ بولها يده . (٤) ديوانه ٥٧٠ .

(٥) ديوانه ٨٧٤ ، النقاظ ٨٠٥ ، طبقات الشعراء ٢٨٢ .

(٢٤ - شرح مقامات الحريري ١)

هزّه وتركه خائفاً، ثم دخل على النّوار، فقال لها: إمّا أن تُتِمّي زواج ابن عمّك وإلا قتلته، وأرحت المسلمين من شرّ لسانه، فقالت له: ولا بدّ أن تقتله؟ قال: ولا بدّ، فعطفها عليه رَحِم القرابه، وقالت: لا والله لا أدعُه للقتل، قدرضيته. فتزوَّجها، فحكم عليه ابن الزبير بمهر مثلها عشرة آلاف درهم، فسأل: هل بمكة أحد يعينه؟ فُدِّل على سلم بن زياد، وكان ابن الزبير قد حبَّسه، فقال:

دَعِيَ مُعَلِّقِي الأبواب دون فعالهم ومُرِّي بِمَسْرِي لِي هُبْلَتِ إِلَى سَلَمٍ^(١)
إلى مَنْ يَرى المعروف سهلاً سبيله ويفعل أفعال الكرام التي تَنْمِي

ثم دخل على سلم؛ وأنشده القصيدة، فقال: هي لك ومثلها لنفقتك، فقبض عشرين ألفاً، فدفع مهرها، فدخل بها، وأحبها قبل أن تخرج من مكة، ثم خرج بها، وها عديلان في محل، وكانت أبداً تخالفه وتسبّه، لأنها كانت صالحة الدين، وكان هو رديء الدين، زانياً قاذفاً للمحضنات، فكانت تكرهه.

ومن ملح أخبارها أنه راود امرأة شريفة على نفسها، فامتنعت عليه، فتهدّدها بالهجاء، فاستعانت بالنّوار، فقالت: واعدّيه ليلة؛ ثم أعلميني. ففعلت، وجاءت النّوار، ودخلت الحُجْلة مع المرأة، فلما دخل الفرزدق البيت، أمرت الجارية فأطفت السراج، وبادر الحُجْلة والنّوار فيها، وهو لا يشك أنها صاحبة الدار، فواقعها. فلما فرغ قالت: يا عدوّ الله، يا فاسق! فعرفها، وعلم أنه قد خُدِع، فقال لها: وأنت هي! يا سبحان الله! ما أطيبك حراماً، وأبردك حلالاً! فلم تزل تؤذيه بلسانها حتى أبغضها.

فحدّث أبو معقل راويته، قال: قال لي الفرزدق يوماً: امض بنا إلى حلقة الحسن، فإنّي أريد أن أطلق النّوار، فقلت: إنّي أخاف أن تتبعها نفسك، ويشهد

عليك الحسن وأصحابه ، قال : امض بنا ، فجننا حتى وقفنا على الحسن فقال :
كيف أصبحت يا أبا سعيد ؟ قال : بخير ، كيف أصبحت يا أبا فراس ؟ قال :
لعل من أن النوار طالق مني ثلاثاً ، فقال الحسن وأصحابه : قد سمعنا ، قال :
فانطلقنا ، فقال الفرزدق : يا هذا ، إن في قلبي من النوار شيئاً ، فقلت : قد
حذرتك ، فقال :

ندمتُ ندامةَ الكسَمَى لَمَّا غدت مِنِّي مطلقَةً نَوَارُ^(١)
وكانتُ جَنَّتِي فخرَجْتُ منها كآدم حين أخرجهُ الضَّرَّارُ
ولو أني ملكت يدي ونفسي لأصبح لي على القَدَرِ اختيارُ
وكنت كفاقي عينيهِ عمداً فأصبح ما يُضِيءُ له نَهَارُ

وتوفي سنة عشر ومائة. وفيها مات جرير وابن سيرين والحسن ، فقالت
امرأة بصرية : كيف يفلح بلد مات فقيهاه وشاعراه ، وأضافت جريراً إلى البصرة
لكثرة قدومه إليها ، ومسكنه باليمامة . وأخباره تطول ، وإنما ذكرنا منها ما تعلق
بالنوار معه .

[ذكر خبر الكسَمَى وقوسه]

وأما الكسَمَى فرجل منسوب إلى كُسع ، قبيلة باليمن ، واسمه محارب
ابن قيس ، وبندامته يُضرب المثل ؛ يقال : أندم من الكسَمَى^(٢) ، وقيل : إنه من بني
سعد بن ذبيان ، وقيل : اسمه عامر بن الحارث .

ومن حديثه أنه كان يرعى إبلاً بوادي كثير العشب والخلط ؛ فبينما هو يرعاها
بُصِرَ بذبابة على صخرة ، فقال : ينبغي أن تكون هذه قوساً ، فجعل يتعمدها
ويقومها حتى أدركت ، فقطعها ، فلما جئت اتخذ منها قوساً ، وأنشأ يقول :

(١) ديوانه ٣٦٣ .

(٢) ثمار القلوب ١٣٤ ، المبداني ٢ : ٣٤٨ .

يَا رَبِّ وَفَّقْنِي لِنَجَاتِ قَوْسِي فَإِنَّهَا مِنْ لَدُنِّي لِنَفْسِي
وَأَنْفَعُ بِقَوْسِي وَلَدِي وَعِرْسِي أَنْحَتَهَا صَفْرَاءُ مِثْلَ الْوَرْسِ
* صَلْدَاءُ لَيْسَتْ كَقَيْسَى النَّكْسِ *

ثم دهنها وخطمها بوتر ، واتخذ من بُرايتها خمسة أسهم ، وجعل يقلبها في
كفه ، ويُنشد :

هَنْ وَرَبِّي أَسْهَمُ حِسَانُ يَلْدُ لِلرَّامِي بِهَا التَّنَانُ
كَأَنَّمَا قَوْمُهَا مِيزَانُ فَأَبْشُرُوا بِالْخَصْبِ يَا صَبِيانُ
* إِنْ لَمْ يَعْقِنِ الشُّؤْمُ وَالْحِرْمَانُ *

ثم أتى فُتْرَةَ^(١) على موارد حُرٍّ ، فمكن فيها ، فرَّ به قطعاً ، فرمى غيراً
منها بسهم ، فأخطه - أي أنفذه - وجازه ، وأصاب الجبل ، فأورى نارا ، فظن أنه
أخطاه ، فأنشأ يقول :

أَعُوذُ بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الرَّحْمَنِ مِنْ نَسْكَدِ الْجَدِّ مَعًا وَالْحَرَمَانِ
مَالِي رَأَيْتُ السَّهْمَ بَيْنَ الصَّوَّانِ يُورِي شَرَارًا مِثْلَ لَوْنِ الْعَقِيَانِ
* فَأَخْلَفَ الْيَوْمَ رَجَاءَ الصَّبِيَانِ *

ثم مرَّ به قطع آخر ، فرمى غيراً فأخطه السهم ، فصنع صنيعه الأول ،
فأنشأ يقول :

لَا بَارَكَ الرَّحْمَنُ فِي رَمْيِ الْقَتَرِ أَعُوذُ بِالْخَالِقِ مِنْ شَرِّ الْقَدَرِ
أَأَخْطُ السَّهْمَ لِإِرْهَاقِ الضَّرَرِ أَمْ ذَاكَ مِنْ سُوءِ احْتِيَالٍ وَنَظَرِ
* أَمْ لَيْسَ يَفْنَى حَدَرٌ عَنْهُ قَدَرُ *

(١) الفتره : ناموس الصائد .

ثم مرّ به قطع آخر فرمى غيراً ، فأخطه السهم ، فصنع صنيعه الأول ، فأنشأ يقول :

ما بال سهمي يوقد الحُبّاحِبَا قد كنت أرجو أن يكون صائبَا
فأخطأ العير وولّى جانبَا فصار رأيي فيه رأياً خائبَا
ثم مرّ به قطع آخر ، فرمى غيراً بسهم فأخطه السهم ، وصنع ما صنع أولاً ،
فأنشأ يقول :

يا أسفًا للشؤم والجدّة النكدُ في قوسٍ صدق لم تزيّن بأودُ
أخلف ما أرجو لأهلٍ وولّد فيها ولم يبنِ الحِذار والجلدُ
* نخاب ظنّ الأهلِ جمعاً والولّد *
ثم مرّ به قطع آخر ، فرمى غيراً بسهم ، فأخطه السهم ، وصنع كما صنع أولاً ،
فأنشأ يقول :

أبعد خمس قد حفظتُ عدّها أحمل قوسي وأريدُ ردّها
أخزي الإله لينها وشدّها والله لا تسلم مني بعدّها
* ولا أرجى ما حييت رفدّها *

ثم أخذ القوس ، فكسرها على حجر وبات ، فلما أصبح أبصر الأعيار
الخمسة مطروحة حوله ، فأسف وندم على كسر القوس ، وعضّ على إبهامه
فقطعها تلهفاً ، وأنشأ يقول :

ندمت ندامةً لو أنف نفسي تطاوّعني إذاً لقطعتُ خمسي
تبين لي سفاهُ الرأي مِنّي لعمري أبئك حين كسرت قومي

المقامة العاشرة وتعرف بالرحبية

حكى الحارث بن همام قال : هتف بي داعي الشوق ، إلى رغبة
مالك بن طوق ؛ فليئته تمتطياً شملة ، وممتضياً عزمة مشمعة . فلمّا
ألقيتُ بها الراسي ، وشدّتُ أمراسي ، وبرزتُ من الحمام بعد
سبتِ راسي ، رأيتُ غلاماً أفرغ في قالب الجمال ، وألبس من الحسن
حلة الكمال .

هتف بي ، أي دعاني ، يقال : هتف بي هتفاً وهتافاً : دعاه ، وهتفت الحمامة :
مدت صوتها . والشوق : تحرك الحب ، يريد أن شوقه إلى الرغبة يهيج عليه
حتى سار إليها ، وجعل له داعياً مجازاً . والرغبة : مدينة شهيرة من عمالة الفرات ،
بناها مالك بن طوق ، ووليها فنُسبت إليه ، وإليها تنسب الثياب الرحبية ، وتعرف
برحبة الشام ، وهي على يسار الطريق هي والرقّة في استقبالك الفرات جائياً من
حمران ، وهي في آخر ديار ربيعة ، وأول بلاد الشام والفرات ، بين ديار ربيعة
والشام ، فإذا عبرته صرت في حدّ الشام .

[ذكر مالك بن طوق]

ومالك - كنيته أبو كلثوم - بن مالك بن عتاب بن سعيد بن زهير بن جُشم
ابن بكر بن حبيب بن عمرو بن غنم بن ثعلب . وقال حبيب يمدحُه ويذكر
الرغبة :

يأمالِ قد علمت ربيعةً أنه طالت يدي لما رأيتك سالماً
 ما كان مثلك في الأراقم أرقم^(١) وأنخ عن خدي ذاك العظم^(٢)
 وشممت ترب الرحبة العبق الثرى وشفى صدأى البحر منها الخضر^(٣)
 كم حلّ في أكنافها من معدم أمسى بها يأوى إليه المعدم

وقال فيه:

رأته في النوم عتابٌ فقال لها ذوو الفراسة : هذا صفوة الكرم^(٤)
 فجاء والنسب الواضح جاء به كأنه بهمةٌ فيهم من البهم^(٥)
 طعان عمرو بن كلثوم وناثله إن السيور التي قدت من الأدم^(٦)
 لو كان يأمل عمرو مثله خلفاً^(٧) من صلبه لم يجد للموت من ألم

يقول هذا في اتصاله ينسب عمرو بن كلثوم ، وأين هذا من قول دعبل
 بهجوه :

الناس كلهم يعدو لحاجته ما بين ذى فرج منهم ومهموم^(٨)
 ومالك ظل مشغولاً بنسبته يرؤوم منها بناء غير مهدوم^(٩)
 يبنى بيوتاً خراباً لا أنيس بها ما بين طوقٍ إلى عمرو بن كلثوم

(١) ديوانه ٢٧٥ ، والأراقم بنو تغلب .

(٢) الديوان : « وأنحت عن خدي » . والعظم ، كزبرج : نبت يصنع به .

(٣) الخضر : الماء الكثير .

(٤) ديوانه ٢٦٨ .

(٥) البهمة : الشجاع .

(٦) النائل : الطاء . والأدم : الجلد .

(٧) الديوان : « ولنا » .

(٨) ديوانه ١٤٤ ، ديوان الطائي ١ : ١٨١ .

(٩) الديوان « خراباً غير مهوم » .

وكان ملكاً شجاعاً ، جواداً ممدوحاً أميراً على الجزيرة مسكن قومه
بنى ثعلب .

* * *

قوله « لبَيْتِه » ، أى أجبتَه . ممتطياً : راكباً . شِمْلَةٌ : ناقة سريعة . منتضياً :
مجرداً . عزمةٌ مشمعةٌ ، أى عزمة سريعة لاتوانى فيها . المراسى : هى محابس
السفينة . أمراسى : حبالى ، يريد أنه استعد للإقامة وترك السفر ، وضرب لذلك
المثل بإلقاء المراسى وشدّ الأمراس . برزت : خرجت وظهرت . سَبَّتْ : حَلَقَتْ ،
ومتى دخل أهل المشرق الحمام حلقوا رؤوسهم . أفرغ : وُضِعَ ليصنع . والقالب :
الذى تطبع فيه الدراهم ، ودرهم مفرغ ، إذا أذيت فضته وصُبَّتْ فى قالبه ، فيريد
أن هذا الغلام لإفراط حسنه أفرغ فى قالب الجمال .

[نبذ وحكايات وأشعار مما ورد فى الحسن والجمال]

ونذكر فى هذه المقامة من أوصاف الحسن والجمال ما أمكن ، ونضيف إلى
ذلك ما قيل فى العلمان من الأشعار الحسان مما يليق بهذا المكان ندعها من كل
مقامة يقع فيها ذكر العلمان . قال ابن عبد ربه : الحسن أحمر ، وقد تضرب فيه
الصّفرة مع طول المكث فى السكن والتضمخ بالطيب كما تضرب فى بيضة الأدحى .
وقال أعرابى :

وما تطيّبت من صفراء خالية كالمعاج صفّرها الأكنان والطيبُ
وقال آخر :

كأنّ لون البيض فى الأدحى لونك لولا صفرة الجادى
يريد أنها تضمخ بالجادى ، وهو الزعفران ، وصفرة النعمة لا تبلغ صفّره .
وقالوا : إن الجارية الحسنة تتلون بلون الشمس ، فهى بالضحى بيضاء ،
وبالعشى صفراء ، قال الأعشى :

بيضاء ضحوتها وصفراء العشية كالعرارة^(١)

العرار : البهار .

وقال الحريري في الدرّة : فأما^(٢) قولهم في الحسن : أحمر ، فمعناه أنه لا يكتسب ما فيه من الجمال إلا بتحمّل مشقة يحمر^(٣) منها الوجه ، كما قالوا : السّنة الحمراء للمجدبة^(٤) ، وكنّوا عن الأمر المستصعب بالموت الأحمر ، وأما قوله :

هجانٌ عليها حمرة في بياضها تروق لها العينان والحسنُ أحمرُ
فإنه عني به الحسن في حمرة اللون مع البياض ، دون غيره من الألوان .

وقالوا في الجارية : جميلة من بعيد ، مليحة من قريب ، فالجميلة التي تأخذ بصرك جملة ، فإذا دنت منك لم تكن كذلك ، والمليحة التي كلما كرّرت بصرك فيها زادتك حسناً .

وقيل : الجميلة السمينة ؛ من الجميل ، وهو الشحم^(٥) ، والمليحة البيضاء من الملحة^(٦) ؛ وهي البياض ، والصبيحة كذلك من الصبح لبياضه .
وقالوا : إن الوجه الرقيق البشرة الصافي الأديم إذا خجل يحمر ، وإذا فرق يصفر ، ومنه قولهم : ديباج الوجه ، يريدون تلونه من رقيقته .

وقال عدئ بن زيد في تلون الوجه :

حمرة خلط صفرة في بياضٍ مثل ما حاك حائكٌ ديباجاً

(١) ديوانه ١٥٣ ، والعرارة : شجر لها نور أصفر .

(٢) درة الفواس ١٠٤ .

(٣) النرة : « يحمار » .

(٤) الدرّة : « للسنة المجدبة حمراء » .

(٥) في القاموس : « الجميل : الشحم النائب » .

(٦) في القاموس : « الملحة : بياض يخالط سواد » .

وقال ابن عبد ربه في ذلك :

يَا لَوْلَوْ أَيْسَى الْعُقُولِ أُنِيقًا وَرَشًا بِتَقْطِيعِ الْقُلُوبِ رَفِيقًا^(١)
 مَا إِنْ رَأَيْتُ وَلَا سَمِعْتُ بِمِثْلِهِ دُرًّا يَعُودُ مِنَ الْحَيَاءِ عَقِيقًا
 وَإِذَا نَظَرْتَ إِلَى مُحَاسِنِ وَجْهِهِ أَلْفَيْتَ وَجْهَكَ فِي سَنَاءِ غَرِيقًا
 يَأْمَنُ تَقْطَعُ خَصْرُهُ مِنْ رِقَّةٍ مَا بَالُ قَلْبِكَ لَا يَكُونُ رَقِيقًا !

وأعاد معنى : « دُرًّا يَعُودُ مِنَ الْحَيَاءِ عَقِيقًا » ، في بيت آخر فقال وأحسن :

كَمْ سَوَّسَنِ لَطْفَ الْحَيَاءِ بِلُونِهِ فَأَصَارُهُ وَرَدًّا عَلَى وَجَنَاتِهِ
 قَالَتْ امْرَأَةُ خَالِدِ بْنِ صَفْوَانَ لَخَالِدٍ : لَقَدْ أَصْبَحْتَ جَمِيلًا ، قَالَ : وَكَيْفَ ذَاكَ
 وَمَا فِي رَدَاءِ الْحُسْنِ وَلَا عُمُودِهِ وَلَا بُرْنَسِهِ ! قَالَتْ : وَمَا ذَاكَ ؟ قَالَ : عُمُودُهُ
 الشَّطَّاطُ^(٢) ، وَرَدَاؤُهُ الْبَيَاضُ ، وَبُرْنَسُهُ سَوَادُ الشَّعْرِ .

وقالوا : الْحَلَاوَةُ فِي الْعَيْنَيْنِ ، وَالْجَمَالُ فِي الْأَنْفِ ، وَالْحَسَنُ فِي الْوَجْهِ ، وَالْمَلَا حَةُ
 فِي الْفَمِ .

وقال بعضهم : الظَّارِفُ فِي الْقَدِّ ، وَالْبَرَا عَةُ فِي الْحَجِيدِ ، وَالرَّقَّةُ فِي الْأَطْرَافِ
 وَالْخُضْرُ ، وَالشَّأْنُ كُلُّهُ فِي الْكَلَامِ ، وَلِلدَّارِ عَلَى الْعَقْلِ .

وقال علي بن عبيد الرِّيحَانِيُّ : الْحَسَنُ تَنَاسُبُ الصُّورَةِ ، وَزِينَتُهُ اعْتِدَالُ
 الْحَرَكَةِ ؛ ثُمَّ مَا لَا يَحْسُنُ اللِّسَانُ التَّرْجُمَةَ عَنْهُ مِنْ خَفَّةِ الرُّوحِ وَالْقَبُولِ .

وسئل عن اختياره من الحُسْنِ ، فقال : أَمَّا مَا يُمْكِنُ نَعْتُهُ فَخَلَّتْكَانَ

(١) مطمح الأنفس ٥٢

(٢) الشطاط : الطول وحسن القوام .

وثلاثة بينهما ، ليست من صفة اللسان تعجبنى صورة أكثر نعتها الملاحه ،
وبراعة بفصاحة ، والخلّة الثالثة نسميها مَراح الروح وشكل النَّفس وملهبة الشوق ،
وبمقدار تمكّن الثالثة من القلب يستحكم سلطان الهوى على العقل ، فهذه زبدة
هذا الباب .

وأحسن الحسن ، ما لم يُجَلِّب بتزيين وتضييق ، وتحلية وتزويق ، وأطيب
الطيب أنفاس عَبيقة من كبدايمة ، ومزاج معتدل ، وثمر نقي ، قال امرؤ القيس :
ألم ترَ أَنِي كُلَّمَا جِئْتُ طَارِقًا وَجَدْتُ بِهَا طَيِّبًا وَإِن لَّمْ تَطَيِّبْ^(١)
ويحكى أن سيبويه كان يقرأ على الخليل بن أحمد منتقياً ، لثلاث يشغله بحسنه
عن تعليمه . ومعنى «سبويه» بالفارسية رائحة التفاح ، وكان يقال : إنه أطيّبُ
الناس رائحة ومع تحفظ الخليل وورعه ، فكان إذا استأذن عليه سيبويه
يقول : مرحباً بزائرٍ لا يملّ .

وكان أبو حاتم السجستاني يحتم القرآن في كل أسبوع ، ويتصدق كل يوم
بدينار ، ومع هذا الفضل كان يميل بحبه إلى أبي العباس المبرّد ، وكان أبو العباس
يلزم حلقته وهو غلام وسيم ، فقال فيه :

ماذا لقيتُ اليومَ من مُتَمَجِّنٍ خَفِثَ الكلامِ^(٢)
وقفَ الجمالَ بوجهه فسمتُ له حدقُ الأنامِ
حركاته وسكوته يُجَنِّي بها ثمرَ الأنامِ
فإذا خلوتُ بمثله وعزمت فيه على اغترامِ^(٣)
لم أعدُ أفعالَ العفا ف ، وذاك آكدُ للغرامِ
نفسى فداؤك يا أبا العباس يا جلَّ اعتصامي

(١) ديوانه ٤١ .

(٢) الشعر والخبر في ابن خلكان ١ : ٢١٨ ، والآيات الثلاثة الأخيرة في نزهة الألباء ١٩٠ .

(٣) ابن خلكان : « اغترام » .

فَارْحَمْ أَخَاكَ فَإِنَّهُ نَزَرَ الْكَرَى بِأَدَى السَّقَامِ
وَأَنَّ لَهُ مَادُونَ الْحَرَامِ مَ فَلَيْسَ يَرْغَبُ فِي الْحَرَامِ

وَالْوُلُوعُ فِي الْجَمَالِ سَجِيَّةٌ رَكِبَهَا اللَّهُ فِي الْأَوْلِيَاءِ وَأَكْبَرُ الْعُلَمَاءِ ، فَمِنْ دُونِهِمْ
مِنَ الشُّوقِ وَالنَّوْغَاءِ . وَعَلَى قَدَرِ ذِكَاةِ الْأَرْضِ يَطْيِبُ زَرْعُهَا ، وَعَلَى قَدَرِ طَيِّبِ
الْتُّرْبَةِ يَطْيِبُ تَبْعُهَا ، فَهِيَ الْعَذْبُ وَالْأَجَاجُ وَمَا بَيْنَهُمَا ، وَعَلَى قَدَرِ شَرَفِ النَّفْسِ يَكُونُ
حَبُّهَا ، فَهِيَ الْمُسْتَحْسَنُ وَمِنْهُ الْمُسْتَقْبَحُ .

* وَكُلَّ إِنَاءٍ بِالَّذِي فِيهِ يَنْضَحُ *

فِي كِتَابِ الْوَشَاحِ : الْعَشْقُ إِذَا تَزَيَّنَ بِالْعَفَافِ فَهُوَ مَعْنَى شَرِيفٍ ، وَيَتَلَوَّ
قَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿ الْأَخِلَّاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ ﴾ ^(١) : فَمَنْ اتَّقَى
اللَّهَ فَهُوَ خَلِيلٌ .

وَذَهَبَتْ طَائِفَةٌ مِنَ الْمُتَكَلِّمِينَ الْبَغْدَادِيِّينَ إِلَى أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى إِنَّمَا امْتَحَنَ النَّاسَ
بِالْهُوَى ، لِیَأْخُذُوا أَنْفُسَهُمْ بِطَاعَةِ مَنْ يَهُوُّونَهُ ، وَلِيَشَقَّ عَلَيْهِمْ سَخَطُهُ ، وَيَسِرَّ هَرَمُ رِضَاهُ ؛
فَيَسْتَدَلُّوْا بِذَلِكَ عَلَى قَدَرِ طَاعَةِ اللَّهِ تَعَالَى . لِأَنَّهُ لَا مِثْلَ لَهُ وَلَا نَظِيرَ ، وَهُوَ خَالِقُهُمْ
غَيْرُ مُحْتَاجٍ إِلَيْهِمْ ، وَرَازِقُهُمْ مُبْتَدِئُ الْمُنِّ عَلَيْهِمْ ، فَإِذَا أَوْجَبُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ طَاعَةَ
لِسِوَاهُ كَانَ هُوَ تَعَالَى أَوْلَى أَنْ يُتَّبَعَ رِضَاهُ .

قَالُوا : وَلَا يَنْبَغِي لِلْعَاقِلِ وَلَا لِلْجَاهِلِ أَنْ يَنْكِرَ عِلَاقَةَ شَخْصٍ بِشَخْصٍ ،
وَحَنِينَ شَكْلٍ إِلَى شَكْلٍ ، وَمُؤَافَقَةَ إِمْلَفٍ إِلَى إِمْلَفٍ ، فَالْقُلُوبُ صَافِيَةٌ قَابِلَةٌ ، وَالْعَيُونَ
إِلَيْهَا نَاقِلَةٌ .

وَقَالُوا : لَا عَاشِقَ عَلَى الْأَغْلَبِ إِلَّا مَوْفُورَ النَّعْمَاءِ ، مَكْنَفَى كَدِّ الْمَعِيشَةِ ؛ لِأَنَّهُ مِنْ
فِرَاقِ نَفْسِهِ وَرَقَّةِ حَاشِيَتِهِ .

وقد قيل : إن جليلاً وُبينة لوقعدا ليلتين دون غداء وعشاء لبزق كل واحد منهما في وجه صاحبه .

ومن شرط المعشوق أن يكون ممن يؤيس ويُطعم ، ويستتر ويلع ، ويبدو ويُجَبِّب ، ويبين ويصعب ، ويرضى ويُسخط ، ويقرب ويشحط ، كما قال أبو الطيب :

وأحلى الهوى ما شكَّ في الوصل ربُّه
في الهجر فهو الدهرَ يَرْجُو ويتَّقَى^(١)
وبين الرضا والسخط والقرب والنوى

بحالٍ لدمعِ القلّةِ المترقِّقِ
والحسن أول سعادة المرء ، ورائد اليُمنِ ، وسائق النُجحِ ؛ لأن الله تعالى بلطف الحكمة ، وبشرف الإبداع والصنعة ، لم يخلق الصورة مختارة الصفات ، سليمة من الآفات ، إلّا عن فضل الاحتفاء ، ولم يطابقها من الأخلاق إلّا بما يناسب جمالها من العقل والصفاء . وقلما تجد الخلق إلّا تبعاً للخلقة ، تناسباً يطرده ، وأصلاً لا ينعكس ، وإجماعاً لا ينفرد ، وما خلق الله نبياً قطّ إلّا وقد بهر أهل زمانه بحسنه وإحسانه ؛ فإذا نظرته لأوّل وهلة رأيت أحسنهم صورة ، وأتقنهم بنيةً ، فهو أوّل مرتبة ، وأعلى منقبة .

وقال النبي صلى الله عليه وسلم : «إن الله لا يعذب حسان الوجوه ، سُود الحَدَقِ» .
وورد عليه وفد عبد القيس ، وفيه غلام وضى الوجه ، فأقعدته وراء ظهره ، وقال : إنما أتى أخى داود من النظر .
وقد أكثر الشعراء في وصف الحسن ؛ فمن أحسن ذلك ما قال علي بن بسّام ؛ وكأنه يصف الفتى الذى ذكره الحريرى :

(١) ديوانه ٢ : ٣٠٤ ، وفيه البيت الأول بعد الثانى .

يَا مَنْ تَسْرَبَلُ بِالْمَلَاةِ وَارْتَدَى فَعَلِيهِ تَعْتَكِفُ الْعَيُونُ إِذَا بَدَا
فَيَرَى هِلَالاً زَاهِراً وَيَرَى قَضِيْباً نَاضِراً وَيُرَى كَثِيباً أَمْلَداً
فَإِذَا نَهَضَتْ تَرْجُرجاً وَإِذَا سَفَرَتْ تَبَاجُجاً وَإِذَا مَشَتْ تَلَوَّداً
فَتَرَى الْجَبِينَ كَتَاجَ مَلِكٍ زَانَهُ دَرَّ تَرَاهُ مَهَرَّقا وَمَنْصَداً
وَيَجُولُ ذَاكَ الرَّشْحُ فِي أَقْطَارِهِ كَالْيَاسْمِينِ جَرَى بِهِ قَطْرُ النَّدى
الْوَجْهَ قَضَى أَحَاطَ بِوَجْنَتِيْ ذَهَبٌ ، فَأَنْبَتَ عَارِضِينَ زَبَرَجَدَا
وَفَمَّ عَقِيْمَتِيْ تَضَمَّنَ لَوْلُوا رَطْباً وَنَظَمَ فَوْقَ ذَاكَ زُمْردَا
وَلَأَبَى إِسْحَاقُ الْخَفَاجِيَّ (١) :

وَأُعِيدَ أَهْدَى نَزْجِساَ مِنْ مَحَاجِرٍ وَتَنَى فَأَبْدَى سَوْسَنًا مِنْ سَوَالِفِ
وَقَدْ مَاجَ مِنْ عِطْفِيْهِ مَاءُ شَبِيْبَةٍ تَعَبٌ وَلَا أَمْوَاجَ غَيْرُ الرِّوَادِفِ
تَطْلَعُ مِثْلَ الرِّمَحِ بِسَطْلَةٍ قَامَةٍ وَفَتَكَّةَ الْحَاطِ وَلَيْنَ مَعَاطِفِ
وَلَا بَنَ وَكَيْعَ :

يَا مَنْ إِذَا لَاحَتْ مُحَاسِنُ وَجْهِهِ غَفَرْتَ بِدَائِنِهَا جَمِيْعَ ذُنُوْبِيْ (٢)
إِذَا كَانَ فِي تَعَذِّبِ قَلْبِي رَاحَةً لَكَ فَاجْتَهِدْ بِاللَّهِ فِي تَعْذِيْبِيْ
وَلَأَبَى إِسْحَاقُ الْخَفَاجِيَّ :

يَا رَبِّ وَضَّاحَ الْجَبِينَ كَأَنَّمَا رَسَمُ الْعِذَارِ بِصَفْحَتِيْهِ كِتَابُ (٣)
تُغَرِّى بِطَلْعَتِهِ الْعَيُونُ مَلَاةً وَتَبِيْتُ تَعَشَّقُ عَقْلَهُ الْأَلْبَابُ
خَلِمَتْ (٣) عَلَيْهِ مِنَ الصَّبَاحِ غِلَالَةٌ تَنْدَى وَمِنْ شَفَقِ السَّحَابِ نَقَابُ

(١) هو أبو إسحاق بن إبراهيم بن أبي الفتح بن خفاجة ، والأميات في ديوانه ٣٣٦ .

(٢) بتيمة الدهر ٢ : ٣٤٠ ، وبعده هناك :

النَّجْمُ يَعْلَمُ أَنَّ عَيْنِيْ فِي الدُّجَى مَعْمُودَةٌ بِطُلُوعِهِ وَغُرُوبِهِ

(٣) ديوانه ٣٣٧ .

ولأبي نواس :

أَسَاءَ فِزَادَتِهِ الْإِسَاءَةَ حُظُوءَةً حَبِيبٌ عَلَى مَا كَانَ فَهُوَ حَبِيبٌ
يَعْدُّ عَلَى الْوَاشِيَانِ ذُنُوبَهُ وَمَنْ أَيْنَ لِلْوَجْهِ الْجَمِيلِ ذُنُوبُ !
ولأبي إسحاق الخفاجي :

تَعَلَّقْتُهٖ نَشْوَانَ مِنْ خَمْرِ رِيْقَةٍ لَهُ رَشْفُهُادُونِي ، وَلِي دُونَهَا الشُّكْرُ (١)
تَرْقُقُ مَاءَ مُقْلَتَايَ وَوَجْهَهُ وَيَذْكُنِي عَلَى قَلْبِي وَوَجْنَتِهِ الْجُرُ
أَرْقُ نَسِيبِي فِيهِ رِقَّةً حَسَنَةً فَلَمْ أَدْرِ أَيُّ قَبْلِهَا مِنْهُمَا السَّخَرُ
وَطَبْنَا مَعًا ثَغْرًا وَشَعْرًا ، كَأَنَّمَا لَهُ مِنْطَقِي ثَغْرٌ ، وَلِي ثَغْرُهُ شَعْرٌ

وَقَدْ اعْتَلَقَ شَيْخُ بُرْدْنِهِ ، يَدْعِي أَنَّهُ فَتَكَ بَابْنِهِ ، وَالْعَلَامُ
مُنْكَرُ عِرْفَتِهِ ، وَيُكْذِبُ قِرْفَتَهُ ، وَالْخِصَامُ يَنْهَمُا مُتَطَايِرُ الشَّرَارِ ،
وَالزَّحَامُ عَلَيْهِمَا يَجْمَعُ بَيْنَ الْأَخْيَارِ وَالْأَشْرَارِ ، إِلَى أَنَّ تَرَاضِيَا بَعْدَ
اشْتِطَاطِ اللَّدَدِ ، بِاتْتِنَافُورٍ إِلَى وَالِي الْبَلَدِ ، وَكَانَ مِمَّنْ يُزَنُّ بِالْهَنَاتِ ،
وَيَغْلِبُ حُبُّ الْبَنِينَ عَلَى الْبَنَاتِ ، فَأَسْرَقَا إِلَى نَدْوَتِهِ ، كَالسَّامِيكِ فِي
عَدْوَتِهِ .

قوله : « وقد اعتلق شيخ بُردنه » ، أى تعلق بكه وأطراف ثوبه . فتك :
قتل ، والفتك : أن تأتي رجلاً آمناً منك وتقتله ، أو تكمن له في موضع لا يعرف
بك ، فإذا أتاكَ قتلته ، ثم سُميَ من هجم على الأمور العظام فاتكاً ، فإذا أدخلت

رجلاً منزلاً أو موضعاً لا مغيث له فيه ، فقتلته فذلك الغيلة ، فإن كان رجلاً يخافك فأمنته وآنسته حتى آمنك ، ثم قتلته فذلك الغدر . عزرفته : معرفته . يُكبر : يراه امرأً كبيراً قرفته : تهمة ، وقد قرفته بذنب ، إذا حملته عليه واثمته به ، وشبه ما يلحق كل واحد منهما من أذى صاحبه بشرر النار اشتطاط اللد : اشتد الخصاص . التنافر : التحاكم . يزن بالهنات : يثمن بالقبائح ، والهنات : الدواهي والهن والهنّة من الكنايات العامّة التي يكنى بها عن كل شيء ولا يقتصر بها على شيء دون شيء .

[فصل في ذكر بعض أخبار الولاية]

قوله « ويغلب حبّ البنين على البنات » نذكر هنا من الولاية التهمين بهذه الهنات ما يليق بالموضع . قال أهل الأخبار : إن القاضي يحيى بن أكرم^(١) ، كان مشتهراً بحبّ العلمان ، وإن أهل البصرة رفعوا أمره إلى المأمون قبل اتصاله به ، وقالوا فيه : إنه قد أفسد أولادهم ، وظهرت منه الفواحش ، وأنه القاتل في صفة العلمان :

أربعة تُعشّقُ	ألحاظهم	فعين من يعشقهم	ساهرة
فواحد دنياه	في وجبه	مناقٍ	ليست له آخرة
وآخر دنياه	منقوصة	من خلفه	آخرة وأفرة
وثالث فاز	بكاتيهم	قد جمع الدنيا	مع الآخرة
ورابعٌ قد ضاع	ما بينهم	ليست له	دنيا ولا آخرة

فاستعظمها المأمون وعزله عنهم .

ثم اتصل بعد ذلك يحيى بالمأمون ، وناداه ، فخرج معه في يوم عيد ، وقد ركب الجند أمامه ، ويحيى يحاذيه ويضاحكه ، فنظرت إلى غلام أمرّد من أولاد

(١) انظر أخبار يحيى بن أكرم في ابن خلكان ٢ : ٢١٧ - ٢٢٤ وأخبار القضاة لوكيع ٢ : ١٦١ - ١٦٧ ، وتاريخ بغداد ١٤ : ٢٩١ - ٢٠٤ ، وثمار القلوب ١٠٦ ، ١٠٧

الجند في غاية الفَراة ، عليه ثوب حرير أخضر ، ودرع موشاة مزررة بالذهب .
فالتفت إلى يحيى ، وقال له : ما تقول في هذه البضاعة ؟ فقال : يا أمير المؤمنين ،
إن هذا لقبيح من إمام مثلك مع فقيه مثلى ، قال : فمن الذى يقول :

قاض يرى الحدفى الزناة ولا يرى على من يلوط من باس

قال : من عليه لعنة الله وغضبه ، ابن أبي نعيم ^(١) ، الذى يقول :

أميرنا يرئسى وحاكمنا يلوط والشر بيننا راسى

قاض يرى الحد . . البيت ، وبعده :

لا أحسب الموت ينقضى وعلى أمة وال لآل عباس ^(٢)
قال : أو صحيح هذا ؟ قال : نعم ، قال : يُنفى إلى السند ، وإنما ما زحناك ، ثم
قال للمأمون فى الغلام :

أيها الراكب ثوباً هـ حريراً وحديد

جئت للعيد وفى وجهك للأعين عيد

أنت جندى ولكن فىك للحسن جنود

وفى يحيى يقول ابن أبي نعيم :

يا ليت يحيى لم يلبده أكنمه ولم تظأ أرض العراق قدمه ^(٣)

ألوط قاض فى البلاد نعلمه أى دواة لم يلقها قلمه

* وأى جحر لم يلجه أرقمه ^(٤) *

(١) ديوانه ٢ : ٣٠٢ .

(٢) ديوانه ٩٨٧ .

(٣) المضاف والمنسوب ١٥٨ .

(٤) ذكر فى المضاف والمنسوب بعد الأيات : « فقال يحيى : دواتك أيها الأمير » .

(٢٥ - شرح مقامات الحريرى ١)

وهذا كقول الآخر :

* يُدْخِلُ الْأَفْعَى إِلَى خَيْسِ الْأَسَدِ *

ويمحي خراساني من مَرُو . وبلغ من تحكّمه على المأمون أن فرض لأربعائة غلامٍ مُرد ، واختارهم حسان الوجوه يركبون لركوبه ، فقال راشد بن إسحاق :

خَلِيلِيْ أَنْظُرَا مُتَعَجِّبَيْنِ	لَأُظْرِفَ مَنْظَرِ تَقْلَاهُ عَيْنِيْ
لِفَرْضٍ لَيْسَ يُقْبَلُ فِيهِ إِلَّا	أُسَيْلُ الْخُلْدِ حُلُوُ الْمَقْلَتَيْنِ
يَقُودُهُنَّ إِلَى الْهَيْجَاءِ قَاضٍ	شَدِيدُ الطَّمَنِ بِالرَّمْحِ الرَّدَائِي
إِذَا شَهِدَ الْوَعْيُ مِنْهُمْ غَلَامٌ	تَجَدَّلُ لِلْجَبِينِ وَلِلْيَدَيْنِ
وَبَاتَ الشَّيْخُ مُنْحَنِيًّا عَلَيْهِ	وَصُدْغَاهُ تَحَاذِي الرُّكْبَتَيْنِ

وقال فيه :

وَكُنَّا نَرْجِي أَنْ نَرَى الْعَدْلَ يَدِنُنَا فَأَعْقَبَنَاهُ بَعْدَ الرَّجَاءِ قَنُوطُ
مَتَى تَصْلُحَ الدُّنْيَا وَيَصْلُحَ أَهْلُهَا إِذَا كَانَ قَاضِي الْمُسْلِمِينَ يُلُوطُ

وكان القاضي أبو القاسم علي بن محمد التنوخي^(١) مولعاً بالعلمان ، وكان له غلام اسمه نسيم ، في نهاية من الحسن ، وكان يُؤثره على سائر غلماناه ، ويخصّه بتقريبه واستخذائه ، فكتب إليه بعض من يأنس به :

هَلْ عَلَى مَنْ لَامَهُ مَدْعَةٌ لَا ضَرَارَ الشَّعْرِ فِي مِمْ نَسِيمٍ

فوقع تحت البيت : نعم ، ولم لا !^(٢)

وسنذكر من شعره في هذه المقامة ما يستلح .

(١) انظر أخبار تاريخ بغداد ١٢ : ٧٧ ، وابن خلكان ١ : ٣٥٣ .

(٢) الخبر في معجم الأدباء ١٤ : ١٦٦ .

ومن كان يميل إلى الغلمان من الأمراء أبو العشائر الحمداني^(١) الذي يقول
فيه المتنبي :

فيا بحرَ البحُور ولا أوْرَى وياملكَ الملوك ولا أحاشي^(٢)
كأنَّكَ ناظِرٌ في كلِّ قلبٍ فما يخفى عليك محلُّ غَاشٍ

وقال بعض الرواة : دخلت على أبي العشائر أعوده من علة ، فقلت : ما
يُحَدِّثُ الأمير ؟ فأشار إلى غلام قائم بين يديه ، كأنَّ رضوان قد غفل عنه فأبى من
الجنة ، ثم أنشأ يقول :

أَسَقَمُ هذا الغلامُ جسمي بما بعينيه من سَقَامٍ^(٣)
فتورُ عينيه من دَلَالٍ أهدي فتوراً إلى عظامي
وامتزجت روحه بروحي تمازجَ الماء بالدم
ولأبي العشائر :

سطا علينا ومنَ حاز الجلال سَطاً - ظبيٌّ من الجنة الفردوس قد هَبَطاً
له عذاران قد خَطَا بوجنتيه فاستوقفا فوق خديهِ وما انبَسَطَا
وخلَّ يخطو فكلُّ قال من شَغَفٍ : يا ليتَه في سواد الناظرين خَطَا !

ومع هذا الميل ، كان نزبه النفس ، رفيع الهمة ، سليم الناحية ، وكان في
الجلود غاية ، وفي الشجاعة نهاية ، وفي الشعر آية . وإذا كان المتنبي الذي هو
أشعرُ الناس عند الأَكْثَرِيَّةِ ، يقول حين عوتب في آخر أيامه على فتور شعره :
قد تجوزت في شعري ، وأعفيت طبعي ، واغتنمت الراحة ، مذ فارقت آل
حمدان ، ومنهم الذي يقول - يعني أبا العشائر :

(١) انظر أخبار أبي العشائر في يتيمة الدهر ١ : ٧١ - ٧٥ .

(٢) ديوانه : ٢١١ .

(٣) يتيمة الدهر ١ : ٧٢ :

أَخَا الْفَوَارِسِ لَوْ رَأَيْتَ مَوَاقِفِي وَالْخَيْلَ مِنْ تَحْتَ الْأُسْنَةِ تَنْحَطُ^(١)
 لَقَرَأْتَ مِنْهَا مَا تَخْطُ يَدُ الْوَعَى وَالْبَيْضُ تَشْكُلُ وَالْأُسْنَةُ تَنْقَطُ
 فَهَكَذَا تَسْتَعَارُ الْمَعَانِي الْبَدِيعَةَ فِي الْأَلْفَاظِ الرَّفِيعَةَ ؛ فَمَا ظَنُّكَ بِمَنْ يُبْنَى عَلَيْهِ
 الْمُتَنَبِّي هَذَا الثَّنَاء !

* * *

وَمَنْ وَصَفَ غَلَامًا فَأَحْسَنَ ، الْأَمِيرُ تَمِيمُ بْنُ الْعِزِّ صَاحِبُ مِصْرَ ، حَيْثُ يَقُولُ :
 وَبَاتَ ضَجِيعِي مِنْهُ أَهْيَفُ نَاعِمٍ وَأُدْعِجُ وَسْنَانُ وَالْعَسُ أَشْنَبُ^(٢)
 كَأَنَّ الدَّجَى مِنْ لَوْنِ صُدُغِيهِ طَالِعٍ
 وَشَمْسُ الضُّحَى فِي صَحْنِ خَدَّيْهِ تَغْرُبُ
 وَقَالَ أَيْضًا :

يَا لَيْلَةً بَاتَ فِيهَا الْبَدْرُ مَعْتَقِي وَكَانَتِ الشَّمْسُ فِيهَا بَعْضُ جَلَّاسِي^(٣)
 وَبَتْ مُسْتَعْنِيًا بِالشَّعْرِ عَنْ قَدَحِي وَبِالْخُدُودِ عَنِ الثَّفَاحِ وَالْأَسِ
 وَقَالَ أَيْضًا :

وَرَدُّ الْخُدُودِ أَرْقُ مِنْ وَرَدِّ الرِّيَاضِ وَأَنْعَمُ^(٤)
 هَذَا تَنْشَقُّهُ الْأَنْوُ فُ وَذَا يَقْبَلُهُ الْقَمُ
 فَإِذَا عَدَلْتُ فَأَفْضَلُ الْـ وَرَدِّينَ وَرَدِّ يُلِمْ
 قَوْلُهُ : « نَدْوَتُهُ » ، أَيْ مَجْلِسُهُ .

[ذِكْرُ الشَّلَيْكِ بْنِ الشُّلُوكَةِ]

وَالشَّلَيْكُ ، هُوَ ابْنُ الشُّلُوكَةِ ، مَعْرُوفٌ بِأُمِّهِ ، وَكَانَتْ أُمُّهُ سَوْدَاءَ شَدِيدَةً .

(١) يَتِيمَةُ الدَّهْرِ ١ : ٧١

(٢) دِيْوَانُهُ ٤٠٤ ، ٤١٠ . الْعَسُ : سَوَادٌ مُسْتَحْسَنٌ فِي الشَّفَةِ . وَالشَّنْبُ : رَقَّةٌ وَعَذُوبَةٌ وَبَرْدٌ فِي الْأَسْنَانِ .

(٣) دِيْوَانُهُ ٢٥٠ .

(٤) دِيْوَانُهُ ٣٨٦ .

السواد ، وكان هو أسود ، وأبوه عمرو بن سنان بن الحارث بن عمرو بن كعب بن سعد بن زيد مناة بن تميم السعدى التميمى .
 وكان يسبق الخيل على رجله ، وكان من العدائين ومن رجلى العرب -
 وهم الذين يسمون على أقدامهم ، ويسبقون الخيل ، فيستغنون بأرجلهم عنها -
 وكان من أشجع الناس ، وكان لا يُغيرُ إلاَّ وحده ، وكان يقال له : الرئبال :

وسأل عمر بن الخطاب رضى الله عنه عمرو بن معد يكرب ، فقال : أى العرب كان أبغض لك أن تلقاه ؟ فقال : أمّا من معدّ فعديّ بن فزارة ومرة بن ذبيان وكلاب بن عامر وشيبان بن بكر وشقّ بن عبد القيس والأراقم من تغلب ، ثم لو جئت بفرسى على مياه سعد ما خفت هَيْجَ أحدٍ ؛ ما لم يلتقى حرّاهَا أو عبداهَا ، قال : أمّا حرّاهَا فعامر بن الطفيل وعُتَيْبَةُ بن الحارث بن شهاب ، وأمّا عبداهَا فعنزة الفوارس وسُليكَ المقاتب .

وأما عدوّته المذكورة ، فيقال : إنه أحاط به عدوّه فنزا نزوة عدّ فيها أربعاً وعشرون خطوة ، وعدّ أيضاً فى نزوة للشنْفَرى إحدى وعشرون خطوة .
 ويقال فى المثل : أعدى من الشنْفَرى ، وأعدى من السليكَ .

فأما الشنْفَرى فإنه أغار على بجيلة مع تأبّط شرّاً وعمرو بن براق : فرصدتهم بجيلة على الماء ، فقال تأبّط شرّاً : إنّ بالماء رصداً ، فقالا : ليس عليه أحد ، ولا بدّ من وروده ، فورد الشنْفَرى ثم عمرو ، فقال تأبّط شرّاً : القوم إنما يريدوننى ، فلذلك لم يعرضوا لكما ، وإذا وردتُ أنا الماء فيسشدّون علىّ ، ويأسروننى ، فاذهب يا شنْفَرى ، كأنك تهرب ، وكن فى أصل ذلك القرن ، فإذا سمعتنى أقول : خذوا خذوا ، فتمال فأطقتى ، وقال امرو : إني سأمرك أن تستأسر لهم ، فلا تبعد ، ولا تمكّنهم من نفسك . ثم ورد الماء ، فشدّوا عليه ، وكتنوه ، وفعلوا

ما أمرهما ، فقال : تأبّط شرّاً : يامعشر بحيلة ، هل لكم في أن تيسّروا فداءنا ، ونستأسر لكم ابن براق ؟ قالوا : نعم . فقال ياعمرو : هل لك في أن تستأثروا بيأسرونا في الفداء ؟ قال : حتى أروّض نفسي شوطاً أو شوطين ، فجرى الأول كالريح ، والثاني كالخيل ، ثم أراد أن يجرى ثالثاً ، فجعل يقع ويقوم فشلاً ؛ يُطعمهم بذلك ، فقال لهم تأبّط شرّاً : خذوا خذوا ، فأسرعوا إليه بأجمعهم ، وهوى الشنفري كالريح قطع وثاقه ، ثم أحضروا ثلاثتهم ، فنجوا ، فقال تأبّط شرّاً من قصيدة :

ليلةً صاحوا وأغرّوا بي سراعهم^(١) بالعيكتين لدى عمرو بن براق^(٢)
لا شيء أسرع مني غير ذي عنذر^(٣) أودى جناح بجنب الرّيد خفاق^(٤)
فالثلاثة عدّاءون ، والمثل مقصور على الشنفري .

وأما السليك ، فرأته طلائع جيش لبكر بن وائل ، جاءوا مجردين ليغيروا على تميم ، فقالوا : إن علم السليك بنا أنذر قومه ، فبعثوا إليه فارسين على جوادين ، فلما صاحوا خرج يحمص^(٥) كأنه ظبي ، فطارده يوماً أجمع ، ثم قالا : إذا كان الليل أعيأ فأنأخذه ، ووجد أثر بوله قد خد^(٦) في الأرض ، فقالا : قاتله الله ! ما أشدّ متنه ! فتبعاه ليلتهما : فلما أصبحتا وجداه قد عثر بأصل شجرة ، فندر^(٧) منها مكان قدمه ، وسقطت قوسه في جريه فانحطمت ، فوجدوا قطعه منها قد ارتزت^(٨) بالأرض ، فقالا : ما بعد هذا شيء ، والله لا تبعناه بعد هذا . ومّر السليك إلى أهله ، فأنذرهم ، فكذبوه لبعده الغاية ، فقال :

(١) من قصيدة مفضلية ٢٧ - ٣١ ، مطلعها :

ياعيدُ مالك من شوقي وإيراق^(١) ومّرّ طيفٍ على الأهوال طراق^(٢)

والعيكتان : موضع ، ورواية المفضليات : «معدى ابن براق» ، ومعدى مصدر ميمي من . عدا يعدو .

(٢) العذر : جمع عنزة ، وهي ما أقبل من شعر الناصية على وجه الفرس . والرّيد : الشمراخ الأعلى من الجبل ، يقول : لا شيء أسرع مني إلا الفرس ، وإلا الطائر الجارح الذي يأوى إلى الجبل .

(٤) خد في الأرض : شقها .

(٣) يحمص : يسرع

(٦) ارتزت : أثبتت .

(٥) ندرت : سقطت .

يَكْذِبُ بَنِي الْعَمْرَانِ: عمرو بن جندب وعمر بن سعد والمكذَّبُ أ كَذِبٌ^(١)
 تَكَلَّتْ كَمَا إِنْ لَمْ أَكُنْ قَدْ رَأَيْتُهَا كَرَادِيسٍ يَهْدِيهَا إِلَى الْحَيِّ مَوْكِبُ
 كَرَادِيسٍ فِيهَا الْخَوْفُ زَانٌ وَحَوْلَهُ فَوَارِسٌ هَمَامٍ مَتَى يَدْعُ بَرَكْبُوا
 فَصَدَّقَهُ قَوْمٌ ، فَنَجَّوْا ، وَكَذَّبَهُ آخَرُونَ ، فَوَرَدَ عَلَيْهِمُ الْجَيْشُ فَانْتَحَسَحَمُوا .
 وَمِنْ شَعْرِ السَّلِيكِ يَرْتِي فَرْسَهُ — وَكَانَ يُقَالُ لَهَا النَّحَامُ — وَأَنْشَدَهَا
 الْمُبَرَّدُ فِي بَابِ التَّشْبِيهِ مِنَ الْكَامِلِ :

كَأَنَّ قَوَائِمَ النَّحَامِ كَلَّا تَحْمَلُ صُحْبَتِي أَصْلًا مَحَارُ^(٢)
 عَلَى قَرَمَاءَ عَالِيَةٍ شَوَاهُ كَأَنَّ بَيَاضَ غَرَّتِهِ خِمَارُ^(٣)
 وَمَا يُدْرِيكَ مَا قَرِي إِلَيْهِ إِذَا مَا الْقَوْمُ وَلَّوْا أَوْ أَغَارُوا^(٤)
 وَيُحْضِرُ فَوْقَ جُهْدِ الْخَضِرِ نَصًّا يَصِيدُكَ نَافِلًا وَالْمَخْرَارُ^(٥)

أَيُّ يَصِيدُكَ . وَنَافِلًا : ثَانِيًا ، وَرَارَ : ذَائِبٌ مِنَ الْهَزَالِ ؛ وَحِكَايَةُ السَّلِيكِ ،
 عَنْ أَبِي عَمِيْدَةَ ، وَحِكَايَةُ الشَّنْفَرِيِّ عَنْهُ وَعَنِ الشَّيْبَانِيِّ ؛ وَكَلَّتَاهُمَا عَلَى اخْتِصَارٍ .
 وَنَزَلَ عَلَى جَمَاعَةٍ مِنْ كِنَانَةَ ضَيْفًا ، فَأَكْرَمُوهُ ، وَجَمَعُوا لَهُ إِبْلًا كَثِيرَةً ،
 وَأَعْطَوْهُ إِيَّاهَا ، وَكَانَ قَدْ كَبِرَ وَشَاخَ ، وَذَهَبَتْ قُوَّتُهُ ، وَانْتَقَصَ عَدُوُّهُ ، فَقَالُوا
 لَهُ : إِنْ رَأَيْتَ أَنْ تَرَيْنَا مَا بَقِيَ مِنْ عَدُوِّكَ ! قَالَ : نَعَمْ ، ابْغُوا لِي أَرْبَعِينَ شَابًا ،

(١) الْأَغَانِي ٢٠ : ٣٥٣ (طَبْعَةُ بَيْرُوت)

(٢) الْكَامِلُ ٣ : ٦٩ ، قَالَ فِي شَرْحِ هَذَا الْبَيْتِ : الْحَارُ : الصَّدْفَةُ ، يُرِيدُ الْمَلَأَةَ
 وَأَنَّهُ قَدْ ارْتَفَعَتْ قَوَائِمُهُ لِلْمَوْتِ . وَالْأَصْلُ : جَمْعُ أَصِيلٍ ، وَالْأَصِيلُ : الْعَشِي .

(٣) قَالَ أَبُو الْعَبَّاسِ : قَرَمَاءُ ، مَمْدُودَةٌ : اسْمُ مَوْضِعٍ : وَشَوَاهُ : قَوَائِمُهُ .

(٤) قَالَ أَبُو الْعَبَّاسِ : وَلَوْ أَوْ أَغَارُوا ؛ إِذَا طَلَبُوا أَوْ هَرَبُوا .

(٥) قَوْلُهُ . « يَصِيدُكَ » ، أَيُّ يَصِيدُكَ ، يُقَالُ : صَدَّتْكَ طَبِيئًا ، قَالَ ابْنُ عَزَّ وَجَلَّ :

﴿ وَإِذَا كَانُوا مِنْ أَهْلِ الْبَلَدِ يُخْسِرُونَ ﴾ .

وأتوني بدرع ثقيلة عظيمة ، فأتوا بها واختاروا من شبانهم أربعين أقوياء
عدائين ، فلبس سليلك الدرع ، ثم قال للشبان : الحقوني ، ثم عدا عدواً وسطاً ،
وعدا الشبان وراءه جهدهم ، فلم ياحتموه حتى غاب عنهم ، ثم كرّ راجعاً حتى عاد
إلى القوم وحده يخطر ، والدرع عليه ، وسبق الشبان .

وخرج في ليلة مقمرة يطلب الإغارة ، فقلب عليه النوم آخر الليل ، فبينما هو
ملتف بكساء ، جثم عليه رجل مثله ، شديد البأس ، عظيم القوة ، وأمسك على
يديه ، ومنعه التحرك ، وجعل يلزمه ويؤذيه ، ويقول له : استأسر يا خبيث ،
فاجتهد سليلك حتى خلص إحدى يديه ، فضمّ الرجل إليه ضمة ، وعصره عصرة ،
فصرط ، فقال له : أضرطاً وأنت الأعلى^(١) ! فأرسلها مثلاً ، فلما تخلص منه ،
قال له : من أنت ؟ قال : أنا رجل افتقرت فقلت : لأخرجنّ ولا أرجع إلى
أهلي حتى آتيهم وأنا غني . فقال له السليلك : انطلق معي ، فانطلقا فوجدوا ثالثاً ،
قصته قصتهما ، فاصطحبوا حتى أتوا وادياً لمُراد ، فلما أشرفوا عليه إذا فيه نَعَم ،
قد ملأ نواحيه من كثرته ، فقال لهما السليلك : كونا قريباً مني حتى آتي الرّعاء ،
فألم علم الحى : أهو قريب أم بعيد ؟ فإن كان قريباً رجعت ، وإن كان بعيداً
أوحيت إليكما بقولى فأغيرا . فأتى الرّعاء فاستخبرهم عن الحى ، فأخبروه
ببعد الحى ، وأنهم إن طلبوا لم يدركوا ، فقال للرّعاء : ألا أغنيكم ؟ قالوا :
بلى ، فرفع صوته فغنى :

يا صاحبي ألا لا حى في الوادى سوى عبيد وآم بين أذواد^(٢)

أتظنران قريباً ريث غفلتِهم أم تغدوان فإن الريح للعادى !
فلما سمعا ذلك أتياه ، وطردهوا الإبل فذهبوا بها ، ولم يبلغ الصريح الحى ،
حتى فاتوا بالإبل^(٣) .

(١) الميداني ١ : ٤٢٠ ، ٣ : ١٣٠ هـ الأمثال ١ : ١٣٠

(٢) الريح هنا : القوة

(٣) الشعر والشعراء ٣٢٥ ، ٣٢٦ .

قال ابن الأعرابي : آم مقلوب آيم ، وهم العزَاب ، جمع أمة^(١) .
 وكان السليلك من أدل الناس بالأرض وأعلمهم بمسالكتها ، وكان يستودع
 الماء بيض النعام في الشتاء ، ويدفنه في المفاوز العظيمة ، فإذا كان الصيف
 وانقطعت إغارة الخيل أغار على ربيعة ، وشرب من ذلك الماء . وكان يقول :
 اللهم إني أعوذ بك من الخيبة ، وأما الهيبة فلا هيبة .

* * *

قوله : «عِدْوَتُهُ» ، العِدْوَةُ بالكسر : الحالة ، وبالفتح المرة الواحدة ، فيريد
 الحريري أن يسراعهما إلى الوالي كان كعدوة السليلك .

* * *

فَلَمَّا حَضَرَاهُ ، جَدَّدَ الشَّيْخُ دَعْوَاهُ ، وَاسْتَدْعَى عَدْوَاهُ . فَاسْتَنْطَقَ
 الْغَلَامَ وَقَدْ فَتَنَّهُ بِمَحَامِسِنِ غُرَّتِهِ ، وَطَرَّ عَقْلَهُ بِتَصْفِيفِ طُرَّتِهِ ، فَقَالَ :
 إِنَّهَا أَفِيكَةُ أَفَّاكَ ، عَلَى غَيْرِ سَفَّاكَ ؛ وَعَاضِيَةُ مُحْتَالٍ ، عَلَى مَنْ لَيْسَ
 بِمُغْتَالٍ . فَقَالَ الْوَالِي لِلشَّيْخِ : إِنْ شَهِدَ لَكَ عَدْلَانِ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ،
 وَإِلَّا فَاسْتَوْفِ مِنْهُ الْيَمِينَ . فَقَالَ الشَّيْخُ : إِنَّهُ جَدَّلُهُ خَاسِيًا ،
 وَأَفَّاخَ دَمَهُ خَالِيًا ، فَأَتَيْتَنِي لِشَهِيدٍ ، وَلَمْ يَكُنْ ثُمَّ مُشَاهِدًا وَلَكِنْ
 وَلَّيْتَنِي تَلْقِينَهُ الْيَمِينَ ، لِيَبَيِّنَ لَكَ : أَيُصَدِّقُ أَمْ يَمِينُ ؟ فَقَالَ لَهُ : أَنْتَ
 الْمَالِكُ لِدَلِّكَ ؛ مَعَ وَجْدِكَ الْمَتَّهَالِكِ ، عَلَى ابْنِكَ الْهَالِكِ !

* * *

واستدعى عدواه ، أى طلب إغاثته وأعداه الحاكم : أغاثته . استنطق :
 أمره أن ينطق ، وقد بين سر هذا الاستنطاق في الرابعة والثلاثين عند شراء الغلام

(١) نقله في اللسان ١٨ : ٤٧ .

قال : « ثم استنطقته عن اسمه ، لا لرغبة في علمه ، بل لأنظر أين فصاحته من صباحته ، وكيف لهجته من بهجته ^(١) » . وكذلك لم يُردِ الوالى أن يستنطقه ليقول . حجته ؛ بل ليعلم حلاوته من صورته التى فتنته . وقد ذكرنا أن فائدة الحسن إنما تدور على اللسان .

[إبراهيم النظام وبعض أخباره وشعره]

وهذا الاستنطاق هو الذى ذهب إبراهيم بن سيار النظام ، الذى هو إمام فى علم الكلام إلى علاقة غلام ؛ وذلك أنه لَقِيَ غلاماً جميلَ الوجه ، مقبول الصورة ، فاستحسنه ، وتصوّر فيه الصورة الباطنة المناسبة لخلقته الظاهرة ، فقال له : يا غلام ، إنه لولا ما سبق من قول الحكماء ، لما جعلوا السبيل لمثلى إلى مثلك بقولهم : لا ينبغي لأحد أن يصغر عن أن يقول ، ولا أن يكبر عن أن يقال له ، كما أنستُ إلى مخاطبتك ، ولا انشرح صدرى إلى محادثتك ، لكنه سبب الإخاء وعقد المودة ، ومحلك من قلبى محل الروح من جسد الجبان ، فقال له الغلام : وهو لا يعرفه : لئن قلت ذلك أيُّها الرجل ، لقد قال أستاذنا إبراهيم بن سيار النظام : الطباع تجاذب ما شاكلها بالمجانسة ، وتميل إلى ما قارنها بالموافقة ، وكيانى مائل إلى كيائك بكليتي ؛ ولو كان الذى انطوى عليه لك عَرَضاً لم أعتد به ودّاً ، ولكنه جوهر جسمى ، فبقاؤه ببقاء النفس ، وعدمه بعدمها ، وأقول كما قال الهذلى :

فَتَبَيَّنَى أَنِّى بِكُمْ كَلِفٌ ثُمَّ اصْنَعْنِى مَا شِئْتَ عَنْ عِلْمٍ ^(٢)

فقال له النظام : إنما كلمتك بما سمعت ، وأنت عندى حسن الصورة غلام ، ولولا أن محلك محلٌ مقيم ما تعرّضت لك ، ثم اعتلقه النظام بعد ، وقال فيه جرياً على علمه :

(١) متن المقامات ص ٣٧٣ (طبع الحسينية) .

(٢) ديوان الهذليين ٩٧٣ ، ونسبه إلى أبى صخر (طبعة مدني) .

توقمه طرفى فآلم خدّه فصار مكان الوهم من نظرى أثر^(١)
 وصاحفه كفى فآلم كفّه فمن لمس كفى فى أنامله عقر^(٢)
 ومرو بفكرى خاطراً فجرحته ولم أر خلقاً قطّ يجرحه الفكر^(٣)
 وقال فيه أيضا :

وإذ تأمل فى الزّجاجة ظلّه جرحته لحظة مقلة الظلّ
 وقال فيه أيضا :

أفرغ من نور سماوى مصوّر فى جسم إنسى
 وافتقر الحسن إلى حسنه فجلّ عن تحديد كفى
 وقال فيه :

يا مشرقاً ملأ العيو ن فلحظها ما يستقل^(٤)
 أوفى على شمس الضحى حتى كأنّ الشمس ظلّ
 أتريد قتلى عامداً ولقتل مثلى ما يحلّ !

فصرت فى شعره من صناعته ، وأبدع فى تخيله براعته .

* * *

قوله : « غرته » ، أى وجهه . طرّ ، أى قطع وأذهب . تصنيف طرّته : شعره
 المعتدل على جبهته . أفيكة أفاك : كذبة كذاب . سفاك : قتال . عضيه : بهتان
 وباطل . مغتال : قاتل الغيلة . استوف : استكمل . جدله : صرعه وألقاه على

(١) أمالى المرتضى ١ : ١٨٨

(٢) بعده فى أمالى المرتضى :

يمرّ فمن لين وحسن تعطف يقال به سكر ولايس به سكر

(٣) ديوان المعاني ١ : ٢٣١

الجدالة . وهى الأرض : خاسياً : متباعداً ممنوع الكلام ، كأنه قهره ومنعه أن يصيح عند قتله ، ولذلك لم يجد عليه شاهداً ، وأصله الهمزة فسَّهله ليوافق « خاليا » إن أخذته من خسأت السكلب ، وإن أخذته من خَسِيَ البصرُ إذا كلَّ ، فلا تسهيل فيه ، ومعناه قريب من الأول ، أى أنه أضعفه بالضرب حتى لم يستطع الكلام ثم قتله . أفاح دمه ، بجاء مهملة : أراقه . قال أبو يزيد فى نوادره : أفتحت دمه فقاح فيحاً وفيحانا ، وأنشد :

نحن قتلنا الملك الجحججاًحا ولم ندع لسارحٍ مُراحا
* إلا دياراً أو دما مُفأحا *

وقال أبو حاتم : أراد : ودما مفأحا أى مُهراقا . خاليا : بمعنى « منفردا » . أنى ، بمعنى كيف . مُشاهد : من شاهد حاله وحضر عليها . وَلَنى : مَسَكْنى . تلقينه : تفهيمه وإلقاءه عليه . يمين : يكذب . وجدك : حزنك . التهاالك : الكثير التفاوت ، وتهالكت المرأة عليه : تراخت عليه ، وتكاسلت ، قال الأعشى ^(١) :
تهالك حتى ينكر المرء عقله وتُسبى الحكيم ذا الحجبى بالتقتل ^(٢)

فَقَالَ الشَّيْخُ لِلْعَلَامِ : قُلْ : وَالَّذِى زَيْنَ الْجَبَاةِ بِالطُّورِ ،
وَالْعِيُونِ بِالْحَوَرِ ، وَالْحَوَاجِبِ بِالْبَلَجِ ، وَالْمَبَاسِمِ بِالْفَلَجِ ،
وَالْجُفُونِ بِالسَّقَمِ ، وَالْأَنُوفِ بِالشَّمَمِ ، وَالْخُدُودَ بِاللَّهَبِ ، وَالشُّعُورَ
بِالشَّنَبِ ، وَالْبَنَانَ بِالَّتَرْفِ ، وَالْخُصُورَ بِالْهَيْفِ ، إِنِّى مَا قَتَلْتُ ابْنَكَ

(١) الحسن - فيح ، ونسبه إلى أبى حرب بن عقيل .

(٢) ديوان الأعشى ٣٥٣

(٣) الديوان : « حتى ينكر المرء عقله » . وتهالكت المرأة فى مشيها : تمايلت .

سَهْوًا وَلَا عَمْدًا، وَلَا جَعَلْتُ هَامَتَهُ لِسِنِّي عِمْدًا، وَإِلَّا فَرَمَى اللَّهُ
جَفَنِي بِالْعَمَشِ، وَخَدَّيْ بِالنَّمَشِ، وَطُرَّتِي بِالْجُلْحِ، وَطَلَعِي بِالْبَلَحِ،
وَوَرَدَتِي بِالْبَهَارِ، وَمِسْكَنِي بِالْبُخَارِ، وَيَذَرِي بِالْحَقِ، وَفِضَّتِي
بِالْاِحْتِرَاقِ، وَشُعَائِي بِالْإِظْلَامِ، وَدَوَاتِي بِالْأَقْلَامِ.

◊ ◊ ◊

قوله : « الذي زين الجباه بالطرر . . » ، إلى آخر يمينه ، إنما ذكر صفات
الحسن شيئاً بعد شيء ، يُرى هذا الوالى كمال الغلام ، فيشتد حبه فيه ، فإذا ذكر صفةً
من صفاته تبه الوالى بذكرها على النظر إليها ، فوجدها كما يصف ، فهو الآن في
هذه اليمين يحلو محاسن الغلام عليه .

الطرر : جمع طُرّة ، وهى اعتدال الشعر على الجبهة ، والطُرّة عندهم أن يقطع
للجارية من مقدم ناصيتها حتى لا يبلغ الشعر حاجبيها ، فيبقى ما بين شعر
ناصيتها وحاجبيها من جبهتها نقياً ، والشعر عليها معتدل ، كطُرّة الثوب ثم تسمى
الشعور الحسان طُرراً .

أنس رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم : « ثلاث فائتات : الشعر
الحسن ، والوجه الحسن ، والصوت الحسن » .

عائشة رضى الله عنها ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ملائكة السماء
يسبحون بذوائب النساء وبلحى الرجال ، فيقولون : سبحان الذى زين الرجال
باللحى ، والنساء بالدوائب » .

قال صلى الله عليه وسلم : « إذا أراد أحدكم أن يتزوج المرأة فليسأل عن
شعرها كما يسأل عن وجهها » .

قالوا : الشعر الحسن يزيد الوجه حسناً وجالاً ، وقال ابن صارة^(١) - وكأنه وصف طرة هذا الغلام - يصف بها أبا الفضل بن الأعلم ، وكان من أجمل الناس وأذكركم^(٢) في علم النحو والأدب ، وقرأ النحو قبل أن يلتحق ، فقال فيه :

أكرم بمحفر اللبيب فإنه مازال يوضح مُشْكِلَ «الإيضاح»^(٣)
 ماء الجمال بخدّه متفرقاً فالعين منه تجول في ضَحَضَاح^(٤)
 ما خدّه جرحته عيني ، إنما صَبَغَتْ غِلَالَتَهُ دِمَاءُ جِرَاحِي
 لله زاي زبرجد في عسجدٍ في جوهرٍ في كَوْنٍ في رَاحِ
 ذى طُرّة سَبَجِيّة ذى غُرّة عاجيّة كالليل والإضباح
 رشاً له خدّ البرى ولحظه أبداً شريك الموت في الأرواح

* * *

[مما قيل في أنواع الحسن والجمال]

ونذكر بعد هذا الجور في العينين ، وهو شدة بياض البياض وسواد الكحل ، وكل ذلك عندهم ممدوح . وقد أذكر الشعراء من وصف ذلك حتى لو تركنا ذكره لشهرته لكان لنا فيه عذر ، على أننا نلّم ببعض ما قيل في ذلك ، وأما ما يزهّد فيه من ذلك ، ويقلّ ذكره في أشعارهم فالزرق ؛ على أنه قد جاء في حديث عائشة رضي الله عنها عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : «الزرق في العينين يُمن» .

(١) ط : « صارمة » ، تصحيف . (٢) فتح الطيب : « وأذكاهم » .

(٣) فتح الطيب ٥ : ٢١٣ ، ٢١٤ ، وكتاب الإيضاح في النحو لأبي علي الفارسي .

(٤) الضحَضَاح : الماء القليل .

وقال معاوية لضحار العبدي : إنك أحمر ، قال : والذهب أحمر ، قال :
إنك لأزرق ، قال : والبازي أزرق .

ولبعض أصحابنا :

أحبك أن قالوا بعينيك زُرْقَهُ كذاك عِتاق الطير زُرُقَ عيونها

وقال الصنوبري :

قالوا به زُرْقَةٌ ، فقلت لهم بذاك تمت خصاله البَهْجَةُ^(١)
ما كحل العين مثل زُرْقَتِها كم بين ياقوتة إلى سَبْجِه !

وقال آخر :

ما مثلُ ذا الظبي في الظباء الأزرق الأزرق القباء
يجول في مقلتيه طرفي في زُرْقَةِ المِماءِ والسماءِ
يا بأبي الشمر ما عليهم من ذلك النور والبهاءِ
شُقرَةُ شعرٍ على بياضٍ شعاع شمس على هواءِ

وكلّ هذا اعتذار جاء على وفق مدح سواد الألوان ، ولسواد الألوان في
التاسعة فصل مستطرف قف عليه .

واختلفوا في الحور ، فقال أبو عبيدة : الحوراء : الشديدة بياض بياض العين
في شدة سواد سوادها .

وقال أبو عمرو : الظبية الحوراء : السوداء العين التي ليس في عينها بياض ،
ولا يكون هذا في الإنس إنما يكون في الوحوش .

وقال يعقوب : الحور سعة العين وكبر المقلة وكثرة البياض .

وقال قطرب : الحوراء : الحسنه المحاجر ، صفرت العين أم كبرت .

واشتقاق « ح و ر » يدل على صحة قول يعقوب وأبي عبيدة ؛ لأنهم إنما يوقعونه في الغالب على البياض مثل الدقيق الحوراء للدرمك الشديد البياض ونحوه ، وقلما يتفق شدة بياض العين إلا مع شدة سوادها ، ألا ترى أن بياضها مع الزرق ليس هناك في النقاء ، وقال القاضى التنوخى في أحور :

حَوْرٌ بعينه أطال تحيّرِي ترك الدموع بخدّي المتعصِفِر^(١)
غصنٌ تأوّد فوق غُصْنٍ من ثَقَا ليل تبلّح عن نهارٍ مُسْفِرٍ
كالشمس إلا أنه متنفس عن مسكّة متبسّم عن جوهر

والبَلَج : أن يكون ما بين الحاجبين نقيًا من الشعر ، وهو من علامات السيادة عند العرب ، ويُمدّح به ويُتَمَنّى بصاحبه ، ويُتَطَيّر بمقرون الحاجبين ؛ ويقال : أبلج وأبلد ، وهى البلجة والبلدة ، قال كثير :

جميلُ الحَيّا أبلجُ الوجه واضحٌ حلِيم إذا ما زلزلته الزّلازلُ
الفَاج : أن يكون بين منابت الأسنان تباعد ، وقد فاج ثفره فلَجًا ، وهو مستحبٌ في الثغر . قال وجيه الدولة : وهو مما يليق بهذا الموضع لذكره أوصافه ذكرها الحريري رحمه الله هنا :

إذا عدم الرّوضَ المنوّرَ ناظري أرائيه ظبيٌّ فاطر الطّرف أدعجُ
فصدّغاه ريماني وعيناة ترّجسي ومن ثفره لى أقحوان مفلّجُ
وواحرَ بآ من حسن وردٍ بخدّه بَطِيف به من عارضيه بنفسجُ

(١) الأبيات في ياقية الدهر ٢ : ٣١٨ .

(٢) بعده في اليتيمة :

وأطالَ مِنْ ليلي وقصر ليله أُنَى سهرت وأنه لم يسهر

الجنون : أعطية العيون ، ثم تسمى العين جنةً مجازاً .

والسقم : فتور العين ، ومن حسن التشبيه في ذلك قول أبي نواس :

فطبَّ بمحدث من نديم مساعدٍ وساقية بين المراهق والحلم^(١)
ضعيفة كَرَّ الطرف تحسبُ أنها قريبة عهد بالإفاقة من سُقمِ
وقال أيضاً :

وشادنٍ قال لي أنا رأى سَقَمِي

وضعف جسمي والدَّمع الذي انسَجَمَا

أخذت دمعك من لفظي ، وجسمك من

خَصْرِي ، وسُقْمَكَ من طرفي الذي سَقَمَا

وقال ابن الرومي :

قلبي من الطرف السقيم سقيمُ لو أن من أشكو إليه رحيمُ

وقال ابن الزقاق :

ومقلَّة شادنٍ أوْدَتْ بجسمي كأنَّ السُّقْمَ لي ولها لباسُ^(٢)

يسلَّ اللحظ منها مشرفيًّا لقتلي ثم يفني — دُهُ النَّعَاسُ

ولأبي العلاء بن زهر في مثل ذلك :

يا راشقي بسهامٍ مالها غرضُ إلا فؤادي وما منها له عِوضُ

(١) ديوانه ٣٢ ، حساسة ابن الشجرى ١٩٥ ، وذكر البيت الثاني وبعده :

تفوق مالي من طريف وتالد تفوق الصَّهْبَاء من حلب الكَرَمِ

قال : قوله « تفوق مالي » هو من الفَوَاق ؛ وهو ما بين الحلبتين .

(٢) ديوانه ١٩٢

ومرضى بجفونٍ كلها سقمٌ صحت وفي طبعها التريض والمرض
 امنن ولو بخيالٍ منك يؤنسني قد يسد مسدّ الجواهر العرض
 الشمم : ارتفاع في لين الأنف ، وهو من علامات الجمال والسودد ،
 قال الفرزدق :

بكَفِّهِ خَيْرُ رَأْيٍ رِيحُهُ عَبَقٌ من كَفَّ أَرْوَعَ عِرْنَيْنِهِ شَمٌّ^(١)
 يُغْضِي حَيَاءً وَيُغْضِي مِنْ مَهَابَتِهِ فلا يَكْلُمُ إِلَّا حِينَ يَنْفَسُ
 وقال آخر :

في باعه طولٌ وفي وجهه نورٌ وفي العينين منه شَمٌّ
 وقال النابغة^(٢) :

* شَمَّ العرائن ضَرَّابُونَ لِلْهَامِ *

اللهب : اشتعال النار بغير دخان ، فشبه الحمرة في الخلد وضياؤه بحمرة النار ،
 وكُنِيَ به أبو لهب لجلاله .

وقال ابن وكيع : جمع الشَّمم واللهب :

واحزني من جفون ظبي أقام عُذْرِي بها عِذارُهُ^(٣)
 أَسَقَمَ جِسْمِي بِسَقَمِ طَرْفِ حَيَّرَنِي فِي الْهَوَى اخْوَارُهُ
 عَجِبْتُ مِنْ جَهْرِ وَجَنَّتِيهِ يَحْرِقُنِي دُونَهُ اسْتِعَارُهُ
 هو اختياري فأبصروه^(٤) شاهدُ عَقْلِ الْفَتَى اخْتِيَارُهُ

(١) ديوان الحماسة - بهرح المرزوق ١ ، ١٦ .

(٢) ديوانه ٧٣ ، صدره :

* مستحقِّي حَلَقِ الْمَآذِي يَقْدُمُهُمْ *

(٣) يتيمة الدهر ١ : ٣٤٢ ، وفيه : « واحزني » .

(٤) اليتيمة : « هذا اختياري » .

وله قريب منه :

كَأَنَّ صَدْعًا لَهُ تَرَاهُ وهو على خدّه مُدَارٌ^(١)
يَبْتَ من الحسن لى إليه حجٌ مَدَى الدَّهْرِ واعتَارُ

ولابن الزقاق :

بَابِي مَنْ لَمْ يَدْعُ لى لِحْظِهِ فى الهوى من رمقٍ منذُ رَمَقٍ^(٢)
جَعَلَتْ نَكَبَتُهُ فى ثَفَرِهِ عَبَقًا فى نَسَقِ يَسْبَى الحَدَقِ
وَبَدَتْ خَجَلَتُهُ فى خَدِهِ شَفَقًا فى فَنَقٍ تَحْتَ غَسَقِ

وقال الخفاجى^(٣) :

يَابَانَةٌ تَهْتَزُّ قَيْنَانَةً وروضةٌ تنفحُ مِعْطَارًا
كَمِ دَمْعِ عَيْنٍ فَيْكٍ قَدْ أَجْرِبَتْهُ وقلبٌ صَبَّ فَيْكٍ قَدْ طَارَا
كَتَى فَسَمَى قَوْسَهُ حَاجِبًا رَمَزًا وَسَمَى النَّبْلَ أَشْفَارًا
فَإِنْ رَمَى يَجْرَحُ طَرْفُهُ لَحَظَتُهُ أَجْرَحَهُ ثَارَا
فِيصْبِغُ الدَّرَّ عَقِيقًا بِهِ وَأَصْبِغُ الْأَلْوَانِ أَزْهَارًا^(٤)
يُدِيرُ لِلْأَعْيُنِ مِنْ وَجْهِهِ كَعَبَّةَ حُسْنٍ حِينَمَا دَارَا
قَدْ طَبَعَ الْحَسَنُ بِهِ دَرَاهِمًا تَسْبِكُ مِنْهُ الْعَيْنُ دِيْبَارًا
فَلِى بِهِ عَيْنٌ مَجْوسِيَّةٌ تَعْبُدُ مِنْ وَجَنَّتِهِ نَارَا

غيره :

وَأُعِيدُ تَذْمِي وَجَنَّتَاهُ مِنَ اللَّمَحِ تَخْلُقُ إِلَّا مِنْ صَدُودِيَّ بِالشَّحِ
غَدَا قَاتِلِي أَنْ ظَلْتُ أَجْرَحُ خَدَهُ مَتَى صَارَ بِالْقَتْلِ الْقَصَابُ مِنَ الْجُرْحِ

(١) يتيمة الدهر ١ : ٣٣٣ .

(٢) ديوانه ٢٠٨ .

(٣) هو أبو إسحاق إبراهيم بن خناجة ، ويعرف بالخفاجى أيضا ، والأبيات فى ديوانه ١٢٥ م .

(٤) الديوان « وأصبغ النوار » .

الثغور : جمع ثغر وهو السن . وتقدم الشنب في الثانية .

وقال العباس بن الأحنف في طيب النعم :

ذكرتكِ بالتفاح لسا شمتُهُ وبالراح لما قابلتِ أوجه الشرب^(١)
وتذكرتِ بالتفاح منكِ سوافنا وبالراح طعماً من مقبلِك العذب

وقال ديك الجن ، واسمه عبد السلام :

بأبي فم شهد الضميرُ له قبل للذاق بأنه عذبُ
كشهادة لله خالصة قبل العيان بأنه الربُّ

وقال أحمد بن محمد الفسائي :

له مبسمٌ برقهُ خاطفٌ عقول الرجال إذا ما ابتسم
أقول له إذ بدا دُرّه شهدنا لصانعه بالحكم
أرى الدر تنقبه الناظمون وما تقبوا إذا فكيف انتظام!

وقال أبو بكر البلوى :

تقطِفُ من نَعْرِهِ ووجنتِهِ أناملُ الطُرفِ زهرة عَجَبًا
شقيقها مُذهَّباً يرى خجلاً وأحواناً مفضضاً شنباً

وقال ابن بشر الكاتب :^(٢)

ولم نزل ، والظلام حارسنا جسمين مستودعين في جسم
ألمهُ في الدجى وبرق ثنا ياهُ يريني مواقعَ اللثم

(١) ديوانه ٤٤

(٢) هو الحسن بن علي بن بشر الكاتب ، والأبيات في نهاية الأرب ٢ : ٩٠٤

ثم افترقنا عند الصّباح وقد أثر فيه كهشة الختم

وقال الشريف الرضى :

بتناً ضجيعين في ثوبى هوى وتقى يلفنا الشوق من فرقى إلى قدم^(١)
وبات بارق ذاك الثغر يوضح لى مواقع اللثم في داج من الظلم

وقال المتنبي :

حسان التثني ينقش الوشى مثله إذا مسن في أثوابهن النواعم^(٢)
وييسمن عن درّ تقلدن مثله كأن التراقى وشحت بالباسم
فهذه معانٍ مختلفة في أوصاف الثغر كلها حسان .

* * *

قوله : « والبنان بالترف » ، أى الأصابع باللين والنعمة ، وأحسن ما قيل في ذلك قول النابغة :

بمخضّب رخص كان بنانه غم يكاد من اللطافة يعقد^(٣)
فلذا تشبيهه بدبع .

وقال امرؤ القيس :

وتعطو برخص غير شئ كأنه أسارع طي أو مساويك إسجل^(٤)
وقال غيره :

يا قرأ أبصرت في ماتم يندب شجواً بين أتراب^(٥)

(١) ديوانه ٧٢٣

(٢) ديوانه ٢ : ١١١ ، وفيه : « في أجسامهن » .

(٣) ديوانه ٣٠

(٤) ديوانه ١٧

(٥) لأبي نواس ، ديوانه ٣٦١ ، مختار الأغاني ٣ : ١٣٠

أبرزه الماتم لي كارهًا من بين راياتٍ وحُجَّابِ
بيكي فيذري الدَّرَّ من نرجس ويلطُمُ الورْدَ بعُنَّابِ
وقال عكاشة^(١) :

سقىا لمنزلنا الذي كا به يوم الخميس عشيَّةً أصْحَابَا
إذ نحنُ نسْقَاهَا شَمُولًا قَرَقَمًا تدعُ الصَّحِيحَ بعقله مُرْتَابَا
من كنفٍ جاريةٍ كأنَّ بنانها من فضةٍ قد قُمَّتْ عُنَابَا
وكانَ يَمْنَاهَا إِذا ضربت بها تُتْلَى على يدها الشَّمالَ حِسَابَا
وقال آخر :

وحوراء اللواظِ بين قلمي وبين جُفونها حَرْبُ البُسُوسِ
ترى ماء النِّعَمِ يحولُ فيها كمثل الخرفِ صافي الكُثُوسِ
كأنَّ بنانها أقلام عاجٍ مرصعة الرأسِ بآبنوسِ

ووصف الخصور بالهيف ، وهو الضمر والرقعة ، وسندكر معها ما يستظرف ،
وقد تقدّم قول ابن عبد ربه :

يا مَنْ تَقَطَّعَ خَصْرُهُ مِنْ رِقَّةٍ ما بال قَلْبِكَ لا يَكُونُ رَقِيقًا^(٢)
وقال ابن الرومي :

وَهَبْتُ لَهُ عَيْنِي الْهَجُوعَا فَأَتَانِيَا مِنْهُ الدُّمُوعَا
ظَلَمْتُ كَأَنِّي بَخَصْرِهِ مِنْ ضَمْرِهِ ظَلَمًا وَجُوعَا

(١) هو عكاشة بن عبد الصمد العمي ، منسوب إلى بني العم ، من شعراء الأغاني ،
والأبيات في مختار الأغاني ٤ : ٥٠٨ .

(٢) مطبوع الأنفس ٥٢ .

وقال عبيد^(١) الله بن عبد الله :

سَلَمَى وما سَلَمَى تَفُوقُ الْمُنَى والحُسْنَ أوصافاً وألواناً
وِشاحها يحسد خَلْخالها كجائع يحسد شَبَعاناً
وقال كشاجم في مقلوبه :

مَسْأَلَةُ الْكَلِّ غَيْرُ بَطْنٍ مَثَلٍ فِيهِ عَنْكَ بَوْتٌ
حَبُّوْهَا الدَّهْرَ فِي اضْطِرَابٍ وَوَشَحُّهَا كَاطِمٌ صَمُوتٌ
وقال حبيب :

مَمَّا الْوَحْشِ إِلَّا أَنْ هَاتَا أَوَانِسُ قَنَا الْخَطَا إِلَّا أَنْ تَلَكْ ذَوَابِلُ^(٢)
مَنْ الْهَيْفَ لَوْ أَنْ الْخَلَاخِيلَ صُيِّرَتْ لَهَا وَشُجَا جَالَتْ عَلَيْهَا الْخَلَاخِيلُ
أَخَذَهُ الْقَاضِي ابْنُ ثَبَالٍ فَقَالَ :

جَلُوتٍ لَنَا شَيْئًا مِنَ الدَّرِّ عَاطِلًا بَعِيشِكَ لِمَنْ جَنَّبَتْهُ الْجِدَّ وَالنَّجْرَا
فَقَالَتْ وَلَمْ تَكْذِبْ خَشِيتُ سُقُوطَهُ وَأَوَمْتُ إِلَيْهِ فِيهَا فَنَظَّمْتُهُ تَغْرَا
كَذَلِكَ إِنْ عَصَّ السَّوَارُ بِمَعْصِي وَحَازَرْتُ أَنْ يَدْمِيهِ حَمَلَتُهُ الْخَضْرَا
وَأَكْثَرُ مَا يَذْكُرُونَ الْخَضِرَ بِالرَّقَّةِ مَعَ ذِكْرِ الْكَفَلِ بِالْعِظَمِ ، كَمَا قَالَ
هَيْكُ الْجَنِّ :

وَتَمَايَلْتُ فَضَحَكْتُ مِنْ أَرْدَاقِهَا عَجَبًا ، وَلَيْكِنِّي بَكَيْتُ لَخَضْرَاهَا^(٣)
تَسْيِيقُ كَأْسِ مُدَامَةٍ مِنْ كَفِّهَا وَرَدِيْقَةٍ ، وَمُدَامَةٍ مِنْ تَغْرِهَا
وقال القاضي أبو حفص بن عمر :

(١) ط : « عبد الله » ، وهو عبيد الله بن عبد الله بن طاهر ، وأخباره وشعره في
ابن خلكان ١ : ٢٧٣ ، والبيتان في ديوان الماعاني ١ : ٢٥٠ .
(٢) ديوانه ٢٥٦
(٣) الأغاني ١٤ : ٥٥ .

مشت كالنفس يثنيه النسيم ويمدّوه النسيم فيستقيم
لها ردّ فُتعلق من ضعيف وذاك الردّ فلي ولها ظلوم
يمدّني إذا فكّرت فيه ويتعبها إذا رآمت تقوم
وما حُيّي لها إلا عذاب عليه من نضارتها نعيم

قوله: «سهوًا» . أى خطأ. والهامة: الرأس. وإلا فرمى الله جفنى بالعمش،
إنما ذكر العمش والنمش وما بعده لأنها أضداد لما تقدم، وعند الإشارة لها يتبين
من الغلام عند الوالى أضدادها، فيزداد حسنًا .

* وبضدّها تبيّن الأشياء * (١)

والعمش : انتشار شعر العينين . والنمش : أخفى من البرش . الجلح : الصلح ،
وهو انحسار الشعر من النزعتين ، وفعله جلّح الرجل واجلّح ، كاسودّ . والطلع :
قد تقدّم في الثانية ، وإذا علتّه خضرة سُمّي بلحاً . والبهار : نرجس المغرب ،
وهو أصفر ، والورد أحمر ، فدعا له بعلّة تذهب جمال وجهه وتصفّر حمرة خده .
والبخار : كالبخير : التّن . والمسكة : أطيب العطر ، فدعا له بتغيير الرائحة . وتقدّم
أن أطيب الطيب أنفاس عبقة من كبد سليمة . وتقدّم في الثانية معنى قوله :
« ووردنى بالبهار » منظومًا ، وقال الصّابي في أبجر :

نطق ابن نصر فاستطارت جيفة في العالمين لنتن فيه الفاسد (٢)
فكان أهل الأرض كلّهم فسوا متواطئين على اتفاق واحد
وقالت جنان في أبي نواس :

فإذا ما أردت أن تحمد الاله على ما أعطى وأولاك شكرا
فليكن ذلك بالضمير فن سبيح بالفسو نال إنما ووزرا

(١) للعتبي ديوانه ١ : ٢٢ ، وصدرة :

* ونذيمهم وبهم عرفنا فضله *

(٢) بتيبة البحر ٢ : ٢٦٣ .

وقال آخر :

أهدى زريق قطه لقمه قد لا كهافي فيه الأبخر
فبادر القط إلى دفنها يحسبها من بعض ما قد خرى

قوله: «وبدرى بالمحاق» ، المحاق: أن ينمحق ضوء القمر فلا يبقى منه شيء .
واحترق الفضة: اسودادها . وشُعاعى بالظلام ، أى صباحة وجهه ووضاءته
بسواد اللحية ، أى عاجلنى لله بالالتحاء ، ويريد بهذا كله أن يكسو بياض
وجهه سواد الشعر ، فيه كسد ولا يُلتفتُ إليه .

وقال ابن المعتز في مثل هذا الدعاء :

يارب إن لم يكن في وصلي طمع وليس لي فرج من طول هجرتي^(١)
فأشف السقام الذى في طرف مقتلته واستر ملاحه خدي بهلجتيه
وقل لفظ احترق الفضة من قول أبي الحسين النعماني^(٢) ، وهو من شعراء البيتية:

لى حبيب يزهى بحسن عجب وبقد مثل القضيبي الرطيب
أحدث بالسواد فضة خدي فقد أحرقت سواد القلوب

[ذكر العذار والالتحاء]

ونذكر هنا ما يليق بهذا الموضع مما قيل في العذار وفي الالتحاء مما مدح
به وذم ، قال ابن عبدربه :

ومعذر نقش الجمال بمسكه خذأ له بدم القلوب مضرجا^(٣)
لما تيقن أن سيف جفونه من ترجس جعل النجاد بنفسجا

وقال ابن صارة^(٤) :

(١) ديوانه ١ : ٧١
(٢) هو أبو الحسين محمد بن عمر النعماني الكاتب ، من شعراء المراق ، والبيتان في
البيتية ٢ : ٣٤٦ .
(٣) المقدم ١ : ٣٣
(٤) ط : « صارمة » ، تصحيف ، والبيتان في نهاية الأرب ٢ : ٨٦٩ .

ومعذّر رقت حواشي حسنه
لم يكس عارضه السواد وإنما
وقال عبد المحسن الصوري :

ومعذّر العذار إلى فؤادي
وكم أعرضت عنه فأعرضت بي
ولما قلت إن الشعر يسعى
وقال أبو القاسم الزاهي :

لولا عذارك ما خلعت عذارى
ما كنت أحسب أن أعين أو أرى
حتى نظرت إلى عذارك فاغتدى
وللمعتمد بن عباد :

تم له الحسنُ بالعذارِ
أخضر في أبيض تبدى
لقد حوى مجلسي تماماً
واختلط الليل بالنهار (١)

وقال ابن حمدون :

ظلّ على خده العذار
وأبيض هذا واسود هذا
أغض عيني عنه لأنني
فافتضح الأس والنهار
 واجتمع الليل والنهار
 عليه من مقلتي أغار

(١) والبيتان أيضاً في النخبة ١ : ١ : ١٢٣ .

(٢) يتيمة الدهر ١ : ٢٥٧ .

(٣) يتيمة الدهر ١ : ١٩٩ .

(٤) النخبة ١ - نشيد ٢ : ١٥١ ، ١ - في ٢ : ١٤ .

فهذا كله حسن في مدح العذار ؛ وإن كان التذير بموت الجمال ، فإذا تقوى
العذار واسود ؛ صاروا إلى نعيه ، كما قال أبو بكر البلوي :

انظر إلى ميتٍ ولكنه خلو من الألفان والغاسل
قد كتب الدهر على خده بالشعر : هذا آخر الباطل

وله في ضده :

لما التحى من قد هويت وقلت رسمٌ قد دُرُ
عاينت من طلّابه زُمراً مواصلة زُمُر
وكذاك أصحاب الحديث نفاقهم عند الكِبَر

وكما قال أبو الحسن بن الحاج :

أبا جعفر مات فيك الجمالُ فأظهر خدك لبسَ الحدادِ
وقد كان ينبت زهر الربايعِ فأصبح يُنبِتُ شوكَ القتادِ
أين لي متى كان بدرُ السما يُدرك بالكون أو بالفسادِ !
وهل كنت في الملك من عبد شمسٍ فأخنى عليك ظهورُ الفسادِ
وقال سعيد بن حميد في غلام التحى :

هلاً وأنت بماء وجهك يُستقى روضُ الشباب قليل شعر العارضِ
فالآن حين بدت بخدك لحيةً ذهبت بحسنك ملء كف القابضِ
مثل السلافة عاد خمر عصيرها بعد اللذّاذة مثل خلّ الحامضِ
وقال علي بن بسام في أخيه جعفر^(١) :

يا مَنْ نَقَتُهُ إِلَى الإخوان لحيته أدبرت والدهر إقبالاً وإدباراً
قد كنت ممن يهش الناظرون له تُفَضُّ دونك أسمعاً وأبصاراً
أيامُ وجهك مصقولٌ عوارضه وللربايع على خديك أنوارُ

(١) هو علي محمد بن نصر بن بسام البغدادي ، والأبيات في القحيرة ١ - ق ١ : ١١٩ .

فيا لدهرٍ مضى ما كان أحسنه
حانت منيته فاسودَّ عارضه
إذ أنت ممتنعٌ، والشرط دِينَارُ
كما تُسَوِّدُ بعد الميِّت الدَّارُ
وفيه يقول أيضاً :

حانت وفاتك يا أبا العباس
ما بال وجهك بعد كثرة نُورِهِ
أين الدَّنانيرُ التي عودنها
كانت بخدَّ ثيابه ديباجةً
فدع المكاس فلات حين مكاسٍ
قد سوِّدَّوه بحالك الأنفاس !
هيهات جاء الشعر بالإنفاس
فاستبدلت حلساً من الأحلاس
وكذا البناء فغير مرتفع إذا

وقال مُصعب الماجن :

قد ضاغت أقطار خدك لحيةً
فكان خط الشعر في جنباته
تركته وهو مسودُّ الأقطار
ليل أقام على نجومٍ أو نهَّارٍ

وكان لحمد بن بشر بابان يُدخل من الأَكْبَر أصحابه ، ومن الأصغر أحبابه
فجاء يوماً غلامٌ مليح ، وأراد الدخول من الأصغر على عادته ، فَنِع ، فجعل يخاصم
البواب لإدلاله ، فبلغ ذلك ابنِ بشرٍ ، فكتب إليه :

قل لمن رامَ بجَهْلٍ . مدخلَ الطَّيِّرِ الفَرِيرِ
بعد أن علق في خديـ
لَيْتَهُ يَدْخُلُ إن جا . من البابِ الكبيرِ

وقال ابن الأَبَر :

لست بصابٍ إلى معذَر
لا أعشق الظبي ذا لجامٍ
بل أنا في حَبِّهِ معذَر
لأنه في الظباء منكَرٍ

أحسنُ ما فيه أن تراه بين مهارة وبين جودز

نظر قوله : «لأنه في الطلب منكر» إلى قول حبيب:

تعشُّقك الكبارَ يدلُّ عِنْدِي على أَنَّ الرحي قَلِبْتَ نِفَالاً^(١)
وقال آخر :

لى فى أبى يحى وممشوقه شغل على ذى شغل شاغل
يا ليت شعري قول ذى حيرة مَنْ منهما المفعولُ والفاعِلُ!
وقال ابن حصين في محبوب صغير :

بأبي ظلي صغير السن حازت ثلث سِنِّي
سَرَّني أن ليس يدري مذهبي فيه وفني
فهو يدعوني عَمَّا وأنا أدعوه بابني
وللخبز أرزى :

قالوا عشقت صغيراً قلت أرتع في روض الحاسن حتى يدرك الثمر^(٢)
ريبع حسن دعاني لاتباع هوى
وقال التَّنُوخي في جسيم :
من أين أستر وجدى وهو منتهك ما للمتيم في نيل الهوى دَرَكَ^(٣)
قالوا عشقت عظيم الجسم قلت لهم
والفقيه ابن حزم :
وذى عذَلٍ فيمن سباني حسنه يطيل ملاهى في الهوى ويقول^(٤) :

(١) ديوانه ٤ : ٤٢٠ (طبع المعارف)

(٢) يتيمة الدهر : ٣٣٨ .

(٣) يتيمة الدهر ٢ : ٣١٨ .

(٤) الذخيرة ، القدم الأول ١ : ١٤٧

أَفِي حَسَنٍ وَجْهِ لَاحٍ لَمْ تَرِ غَيْرَهُ وَلَمْ تَدْرِ كَيْفَ الْجَسَمِ، أَنْتِ قَتِيلُ !
فَقُلْتُ لَهُ: أَسْرَفْتَ فِي اللَّوْمِ ظَاهِرًا وَعِنْدِي رَدٌّ لَوَأْرَدْتَ طَوِيلُ
أَلَمْ تَرِ أَنَّ ظَاهِرِي وَأَنْتِي عَلَى مَا بَدَأَ حَتَّى يَقُومَ دَلِيلُ !

وَأَحْسَنَ حَبِيبٌ حِينَ قَالَ :

قَالَ الْوِشَاءُ بَدَأَ فِي الْخَدِّ عَارِضُهُ فَكُلْتَ لَا تَنْكُرُوا وَمَا ذَاكَ عَائِبُهُ^(١)
الْحَسَنُ مِنْهُ عَلَى مَا كُنْتُ أَعْهَدُهُ وَالشَّعْرَ حِرْزٌ لَهُ مَنِّ يَطَالِبُهُ
أَحْلَى وَأَعَذِبَ مَا كَانَتْ شِمَائِلُهُ إِذْ لَاحَ عَارِضُهُ وَاخْضَرَّ شَارِبُهُ
وَصَارَ مَنْ كَانَ يَلْحَقِي فِي مَوَدَّتِهِ إِنْ سِيلَ عَنِّي وَعَنهُ قَالَ صَاحِبُهُ

وَقَالَ الْخُلَوَانِيُّ :

قَالُوا التَّحَى فَاتَحَتْ بِالشَّعْرِ بَهْجَتَهُ فَكُلْتُ : لَوْلَا الدُّجَى لَمْ يَحْسَنِ الْقَمَرُ^(٢)
خَطَّتْ يَدُ الْحَسَنِ فِيهِ فَوْقَ وَجْنَتِهِ هَذِي مُحَاسِنٌ - يَا أَهْلَ الْهَوَى - أُخْرُ

وَلَهُ أَيْضًا :

لِي حَبِيبٌ إِذَا شَكُوتُ إِلَيْهِ سَامَنِي بِالْهَوَى عَذَابًا شَدِيدًا^(٣)
لَسْتُ أَدْعُو بِالشَّعْرِ غِيظًا عَلَيْهِ خِيفَةً أَنْ يَكُونَ حَسَنًا جَدِيدًا
غَيْرَ أَنِّي أَدْعُو بِقَلْبٍ تَسْرِجُ أَنْ أَرَاهُ مِثْلِي مُحِبًّا عَمِيدًا

وَقَالَ غَيْرُهُ :

قَدْ دَخَلَ فِي سَوَاقِ الْكَسَادِ مَذْ لَاحٍ فِي خَدِّكَ السَّوَادُ^(٤)
كَأَنَّمَا الشَّعْرُ فِيهِ زَرْعٌ وَالنَّفْتُ مِنْهُ لَهُ حَصَادُ

(١) ديوانه ٤٣٢ ، وفيه : « لَا تَنْكُرُوا » .

(٢) نهاية الأرب ٨٥ : ٢ ، من غير نسبة الذخيرة ٤ - ١ : ٢٢٠ .

(٣) الذخيرة ٤ - ١ : ٢٠٠ (٤) الذخيرة ٤ - ١ : ٢٢٢ ونسبها إلى الخُلَوَانِيِّ أَيْضًا .

وقوله : « ودواتي بالأقلام » ، أى ابتلاه الله أن يُلاطبه ، قال الفنجديهي :
 أنشدني بعضُ الشعراء بمرورِ رُوز لبعضهم :
 دوادار الأمير له دواةٌ كمثل الياسمين بغير صُوفٍ
 بُرَى قلم الأمير يفوصُ فيها مفاص عَصِيدَةٍ في حَلَقِ صُوفِي
 ونقل لفظ الدواة والأقلام من قول ديك الجن ؛ وكان يهوى غلاماً من
 حِمْص ، اسمه بكر ، فجلس معه ليلة يتحدث بها حتى غاب القمر ، فقام بكر
 ليمشي ، فقال :

دع البدر فليغرُبْ فأنْتَ لنا بدرٌ إذا ما تجلَّى عن محاسنك الشَّعرُ^(١)
 إذا ما انقضَى سحر الذين يبابلُ فأنْتَ لنا سحرٌ وريقك لي خمرٌ
 ولو قيل لي قُمْ فادع أحسنَ مَنْ ترى

لصِحت بأعلى الصَّوت : يا بَكْرُ يا بَكْرُ !

وكان هذا الغلام شديد التصاون والتمنع ، فاحتال عليه قومٌ من حِمْص ،
 فأخرجوه إلى متنزّه ، فأسكروه وفسقوا به ، فبلغ ذلك ديك الجن فقال :
 يا بَكْرُ ما فعلت بك الأَرْطَامُ يا دارُ ما فعلت بِك الأَيَّامُ^(٢)
 في الدار بعدُ بَقِيَّةُ نَسْتَامِها أم ليس فيك بَقِيَّةُ نُسْتَامُ
 شغلَ الظَّلامُ كَرَّ الشَّقَى أبوابهم^(٣) فتفرَّغَتْ لدواتك الأقلامُ
 وله فيه أيضاً :

قولا لبكر بن مهدي إذا اعتكرت

عسا كرُّ اللَّيْلِ بين الطَّاسِ والجِلامِ^(٤)

(١) الأغاني ١٤ : ٦٠ ، وفيه : « من محاسنك الشعر » .

(٢) الأغاني ١٤ : ٦٢ ، وفيه : « ما فعلت بك الأبطال » .

(٣) الأغاني : « في ديوانه » .

(٤) الأغاني ١٤ : ٦٢ ، وفيه : « قولا لبكر بن دهمرد » .

ألم أقل لك إنَّ الكبر مهلكةٌ والبنى والمعجب إفسادٌ لأقوام
قد كنت تفرق من سهم تعابيه^(١) فصرت غيرَ رميم رقة الرأى
وكنت تفرع من لمسٍ ومن قبلٍ فقد ذلت لإسراجٍ وإلجام
إن تدم نخداك من ركض فربتما أمسى وقلبي منك الموجد الدامى

قال أبو علي بن رشيقي : كنت أوصى غلاماً وضيئاً ، كان يختلف إلى ،
وأحذره من كثرة التخليط ، فخرج يوماً في جماعة من أصحابه ، فأوقع به ،
فأخبرت بذلك ، فقلت :

ياسوء ما جاءت به الحالُ إن كان ما قالوا كما قالوا
مأخذق الناس بصوغ الخنا صيغ من الخاتم خلخالُ
وهذا من قول ابن المعتز :

مضى خالدٌ والمال تسعون درهماً وآب ورأس المال ثلث الدراهم^(٢)

وهذا المعنى الخبيث يتبين بمقد التسعين والثلاثين في اليد .

وقال ابن رشيقي :

سقطت نيتته فأوجع قلبه لسقوطها وجرى عليه عظيم^(٣)
فإذا مررت به فسل فؤاده عنها وقل صبراً كذاك الريمُ
عجبا للؤلؤة هوت من سلكها والسلك لا واه ولا مفصومُ
أعدياً يا خطبُ وهو مصون أبداً بخاتم ربه مختومُ

(١) الأغاني : « لغانية »

(٢) نقله في التنف ٨٠ .

(٣) نقله في التنف ٦٥ .

ويستحب لمن وُسم بوشمة الجمل ، أن يكون شديد التصاؤن ، قليل التبدل ، فذلك أدعى للسلامة ، وقد قال ابن وكيع في ذلك :

قالوا عشقت كثير البخل ممتنماً فقلت : هيهات عنكم أطيبه^(١)
لو جادهان ، وقلت الجود عادته وإنما عزّ لنا عزّ مطلبه

فإذا تبدّل وأجاب كل من دعاه صار عرضة للظنون ، ونبت عن محاسنه العيون ، لأن النفس الحرّة لا تنفك من غيرة ، وقد قال العباس بن الأحنف :

يا قوم لم أهجركم لملالة مني ولا لقال واش حاسد^(٢)
لكنني جرّبتكم فوجدتكم لا تصبرون على طعام واحد

وقال أبو الوليد بن حزم :

لما استمالك معشر لم أرضهم والقول فيك كما علمت كثير
داويت دونك مهجتي فماسكت من بعد ما كادت إليك تطير
فاذهب فغير جوانحي لك منزل واسمع فغير وفائك المشكور
وله أيضاً :

يقول وقد لمت في الهوى فلان، وعرضت شيئاً قليلاً :
أتحسدني؟ قلت : لا ، والذي أحلك في الحب برعى وبيلا
وكيف وقد حلّ ذاك الإزار وقد سلك الناس تلك السبيلاً

(١) بقيمة الدهر ١ : ٣٣٧

(٢) ديوانه ١٠٦ ، الزهرة ١٥٠ ، الأغانى ١٥ : ١٣٧ (ساسي) ، الشعر والشعراء

وقال محمد بن السري :

قَابِسْتُ بَيْنَ جَمَالِهِ وَفَعَالِهِ فَإِذَا الْمَلَاخَةُ بِالْحَيَانَةِ لَا تَنِي^(١)
وَاللَّهُ لَا كَلَمَتَهُ وَلَوْ أَنَّهُ كَالْبَدْرِ أَوْ كَالشَّمْسِ أَوْ كَالْمَكْتَنِي

وقال آخر :

أَيَا حَسَنًا أَزَرْتُ قُبَاخَ فَعَلِهِ عَلَيْهِ كَمَا أَزْرَى الْكُسُوفَ عَلَى الْبَدْرِ
لَقَدْ فُقَّتْ كُلُّ النَّاسِ حَسَنًا وَزِينَةً وَلَكِنَّمَا قَبَّحَتْ ذَلِكَ بِالْفَدْرِ

وقال ابن عيينة :

ضَمِيتْ عَهْدَ فَتَى لِمَهْدِكِ حَافِظُ فِي حَفْظِهِ عَجَبٌ وَفِي تَضْيِيعِكَ
إِنْ تَقْتَلِيهِ وَتَذْهَبِي بِفَوَادِهِ فَجَحْسَنَ وَجْهَكَ لِابْحَسَنِ صَنِيعِكَ

* * *

فَقَالَ الْغُلَامُ : الْإِصْطِلَاءُ بِالْبَلِيَّةِ ، وَلَا الْإِيْلَاءُ بِهِذِهِ الْأَلِيَّةِ ،
وَالْإِنْقِيَادَ لِلْقَوْدِ ؛ وَلَا الْحَلْفَ بِمَا لَمْ يَخَافْ بِهِ أَحَدٌ . وَأَبَى الشَّيْخُ
إِلَّا تَجَرِيَمَهُ الْيَمِينَ الَّتِي اخْتَرَعَهَا ، وَأَمَرَ لَهُ جُرْعَهَا . وَلَمْ يَزَلْ
التَّلَاحِي يَدْنُهُمَا يَسْتَعِيرُ ، وَحَجَّةُ التَّرَاضِي تَعْرِ ، وَالْقَلَامُ فِي ضَمْنِ
تَأْيِيهِ ، يَخْلُبُ قَلْبَ الْوَالِي بِتَلَوِيهِ ، وَيُطْمِئِنُّ فِي أَنْ
مُيَلَّبِيهِ ، إِلَى أَنْ رَانَ هَوَاهُ عَلَى قَلْبِهِ ، وَأَلَبَّ بِلُبِّيهِ ،
فَسَوَّلَ لَهُ الْوَجْدُ الَّذِي تَيَّمَهُ ، وَالطَّمَعُ الَّذِي تَوَهَّمَهُ ، أَنْ

(١) لبناء الرواة ٣ : ١٣٧ ، ابن خلكان ١ : ٥٠٣ ، وبعده هناك :

حلفت لنا ألا نَخُونُ عَهْدَنَا فكأنما حلفت لنا ألا تني

يُخَلِّصُ الْفُلَامَ وَيَسْتَخْلِصُهُ ، وَأَنْ يُنْقِذَهُ مِنْ حِبَالَةِ الشَّيْخِ
ثُمَّ يَقْتَصِّصَهُ .

قوله : « الاصطلاح » ، أى الاتصال والتلبس . والبلية ، أراد دعوة الباطل
التي ادعى عليه الشيخ . والإيلاء : الحلف . والألئية : اليمين . والقود : قتل النفس
بالنفس ، فيقول : الصبر على الضرب أو القتل أهون من هذه اليمين التي لم يحلف
بها أحد اخترعها : استنبطها . أمقر : أمر ، من المقر ؛ وهو الصبر .

[من ألوان من الحلف]

وهذه اليمين المخرعة ، حكى الأصمعيّ شبهها ، فقال : اختصم أعرابيان عند
بعض الولاة في دين ، فجعل المدعى عليه يحلف بالطلاق والعتاق ، فقال المدعى :
دعنى من هذه الأيمان ، واحلف بما أقول لك ، فقال : ما قولك ؟ قال : قل : لا ترك
الله لك خفًا يتبع خفًا ، ولا ظلفًا يتبع ظلفًا ، وحتك من أهلك وولدك ، كما
يُحات الورق من الشجر ؛ إن كان بقي لى هذا الحق قبلك . فأعطاه حقه ولم
يحلف له .

وحكى المسعودى أن الفضل بن الربيع قال : صار ^(١) إلى عبد الله بن مصعب
ابن ثابت بن عبد الله بن الزبير رضى الله عنهما ، فقال : إن موسى بن عبد الله
ابن الحسن بن الحسن بن على بن أبى طالب قد أرادنى على بيعته ، فأخبرت
الرشد بذلك ، فجمع بينهما ، فقال الزبير لموسى : سعيتم علينا ، وأردتم نقض
بيعتنا ودولتنا ، فقال له موسى : ومن أنتم ! فغلب الرشد الضحك حتى رفع
رأسه إلى السقف لثلا يظهر منه الضحك ، ثم قال موسى : يا أمير المؤمنين ، هذا
المشتع على ، خرج مع أخى محمد على جدك المنصور ، وهو القائل [من أبيات] ^(٢) :
قوموا ببيعكم نهض بطاعتنا إن الخلافة فيكم يا بنى الحسن

(١) ط : « سار » ، وما أثبتته من ١ ، ب . (٢) من المسعودى .

ولست سعايته حباً لك ، ولا مراعاةً لدولتك ؛ ولكن بغضاً لنا جميعاً أهل البيت^(١) ، وأنا أستحلفه بيمين ، فإن حلف بها أتت قات ذلك ، فدمي حلال لأمر المؤمنين . فقال له الرشيد : احلف له يا عبد الله ، فامتنع ، فقال له الفضل : لِمَ تمتنع وقد زعمت أنه قال ما ذكرته ؟ قال : فإنى أحلف له ، قال موسى : قل : تقلدت الحول والقوة دون حول الله وقوته إلى حولى وقوتى ، إن لم يكن ماقلته حقاً . تخلف له ، فقال موسى : الله أكبر ! حدثني أبى عن أبيه ، عن جده ، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « ما حلف أحد بهذه اليمين وهو كاذب إلا عجل الله العقوبة قبل ثلاث » ، وهأنذا بين يدي أمير المؤمنين فى قبضته ، فإن مضت ثلاث ولم يحدث له حادث ، فدمي حلال لأمر المؤمنين .

قال الفضل : فوالله ما صليت العصر فى ذلك اليوم ، حتى سمعت الصراخ من داره^(٢) . فدخلت عليه ، فوالله ما كدت أعرفه : لأنه صار كالزق العظيم ، ثم اسود حتى صار كاللحم ، فعرفت الرشيد فى الحين ، فما انقضى كلامنا حتى عرفنا أنه قد مات ، فبادرت بتعجيله ، وتوليت الصلاة عليه . فلما وُورى فى قبره انخسف به ، وخرجت رائحة مفرطة الذن ، ومررت أحمال شوك على الطريق ، فأمرت بها فطرحتها فى قبره ، فأنخسف ثانية ، فأمرت بالواح ساج ، فطرحتها على قبره وألقى التراب عليها ، وانصرفت ، وأعلمت الرشيد . فأكثر التعجب ، وأحضر موسى ؛ فأعطاه ألف دينار ، وقال له : لِمَ عدلت عن اليمين المتعارفة عند الناس ؟ فقال : أخبرت بالسند المتقدم عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « من خلف بيمين كاذبة مجّد الله فيها ، استحق الله من تعجيل عقوبته ، ومن حلف بيمين كاذبة نازع الله فيه حوله وقوته إلا عجل الله له العقوبة قبل ثلاث^(٣) » .

* * *

قوله : « التلاحى » ، السباب والتشاتم . على رضى الله عنه ، قال النبي صلى الله

(١) بعدها فى المسعودى : « ولو وجد من ينتصر علينا جميعاً لكان معه ، وقد قال باطلا :

(٢) ب والمسعودى : « من دار عبادة » .

(٣) الخبر فى المسعودى ٣ : ٣٥١ - ٣٥٣ .

عليه وسلم : « من لاحى الرجال سقطت مروءته وذهبت كرامته ، وما زال جبريل ينهاني عن ملاحة الرجال كما ينهاني من عبادة الأوثان » . وفي المثل : من لاحاك فقد عاداك .

يستمر : يتقد . محجة التراضي : أى طريق الرضا . تعرُّ : تصب . وفي ضمن تأبّيه ، أى فى أثناء كلامه وامتناعه . يخلب : يخدع ويأخذ قلبه . تلويّه : انعطافه . يطعمه : يدعوه للطعم . يلبّيه : يحبيه لمراده . وران : غلب وغطى . أبو هريرة رضى الله عنه ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إذا أذنب العبد نُكْتُت فى قلبه نكتة سوداء ، فإن تاب صقلت ، وإن عاد زادت حتى تعظم فى قلبه ، فذلك الران » ، قال الله تعالى : ﴿ كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ ﴾ (١) .

ألب : أقام . لبّه : عقله . سوّل : زيّن . الوجّد : حرقة القلب . تيّمه : عبّده وذلكّه ، والمتيمّ : المستعبد لهواه . توهمه : ظنه . يستخلصه : يختصه لنفسه . حباله : آلة الصيد . يقتنصه : يصيده ؛ يقول : إنّ هذا الغلام فى أئاء كلامه بالتمنع وترك الانقياد للشيخ يُطعم الوالى فى الانقياد له ، وإنه إذا دعاه لما يريد منه أجابه ، وإنما فعل هذا حين رأى إدامة نظر الوالى فى وجهه ، واستحسانه كلامه ، ولو فسّر الوالى حال الغلام بمنظومٍ لأنشد :

يهدى لك الدرّ من لفظٍ ومبتسمٍ	ضربان : منتشر منه ومنظومٌ
يحنى الذنوب ، وأحنو أن أوأخذه	من أجل ذلك قيل الحسن مرخومٌ
ولأنشد إذا غلب عليه هواه :	
مرآك مرآك لا شمسٌ ولا قمرٌ	وورد خديك لاوردٌ ولا زهرٌ (٢)
فى ذمة الله قلبٌ أنت ساكنه	إن بنت بان فلا عينٌ ولا أثرٌ
لولا محلك من قلبى لما أسفت	نفسى عليك ، فرقاً أيها القمرُ
هذه الأبيات لأبى الوليد بن حزم ؛ وقد كرر معنى البيت الأخير فقال :	

أذكيت من قلبي بنأيك لوعةً حتى خشيت على محلك فيه
ومما يتعلق بهذا المعنى قول الآخر :

وإلّا رماني بالسهم نعداً وفيها نصال الحجر حتى امتلا صدري
قلت له لا ترمِ قلبي فإنه مكانك والرمي أنت ولا تدري
وقال آخر :

حملتك في قلبي فهل أنت عالم بأنك محمول وأنت مُقيم !
ألا إن شخصاً في فؤادي محله وأشتاقه ، شخصٌ على كريم
وقال التهامي :

قلبي فداؤك وهو قلبٌ لم يزل تذكي شهاب الشوق في أثنائه^(١)
جاورته شرّ الجوار وزرته لما حلت فناءه بفنائيه
حرق سوى قلبي ودعه فإنني أخشى عليك وأنت في سودائه
وقال آخر :

أودع فؤادي حرّقا أودع نفسك تؤذي أنت في أضلعي
أمسك سهم اللّحظ أو فارمها أنت بما ترى مصابّ معي
موقعها القلبُ وأنت الذي مسكنه في ذلك الموضع

* * *

فقال للشّيع : هل لك فيما هو أليق بالأقوى ، وأقرب
للتّقوى ! فقال : إلّام تُشير لأتقّيه ، ولا أوف لك فيه ؟ فقال :
أرى أن تُقصر عن القيل والقال ، وتقتصر منه على مائة مثقال ،

لَا تَحْمِلَ مِنْهَا بَعْضًا ، وَأَجْتَبِ الْبَاقِيَ لَكَ عَرْضًا ، فَقَالَ الشَّيْخُ :
 مَا مَنَى خِلَافَ ، فَلَا يَكُنْ لَوْعَدِكَ إِخْلَافٌ ، فَنَقَدَهُ الْوَالِي عِشْرِينَ ،
 وَوَزَعَ عَلَى وَزَعَتِهِ تَكْمَلَةً خَمْسِينَ . وَرَقَّ ثَوْبُ الْأَصِيلِ ، وَانْقَطَعَ
 لِأَجْلِهِ صَوْبُ التَّحْصِيلِ ، فَقَالَ لَهُ : خُذْ مَا رَاجَ ، وَدَعْ عَنْكَ اللَّجَاجَ ،
 وَعَلَى فِي غَدٍ أَنْ أَتَوْصَلَ ، إِلَى أَنْ يَنْضَ لَكَ الْبَاقِي وَيَتَحَصَّلَ ،
 فَقَالَ الشَّيْخُ : أَقْبَلُ مِنْكَ عَلَى أَنْ أَلْأَزِمَهُ لَيْلَتِي ، وَيَرْعَاهُ إِنْسَانٌ
 مُقْلَقٌ ، حَتَّى إِذَا أَعْنَى بَعْدَ إِسْفَارِ الصُّبْحِ ، بِمَا بَقِيَ مِنْ مَالِ
 الصُّلْحِ ، تَخَلَّصْتُ قَائِبَةً مِنْ قُوبٍ ، وَبَرِيٌّ بِرَاءَةِ الذُّبِّ مِنْ
 دَمِ ابْنِ يَعْقُوبَ ، فَقَالَ لَهُ الْوَالِي : مَا أَرَاكَ سُمْتَ شَطَطًا ، وَلَا
 رُمْتَ فَرَطًا .

قال الحارث بن همام : فَلَمَّا رَأَيْتُ حُجَجَ الشَّيْخِ كَالْحُجَجِ
 السَّرِيحَةِ ، عَلِمْتُ أَنَّهُ عَلمُ السَّرُوجِيَّةِ

* * *

قوله : « أليق » أى أشكل وأصقل . بالأقوى : بصاحب القوة . والذي
 هو أقرب للتقوى ، هو العفو لقوله تعالى : ﴿ وَأَنْ تَعْفُوا أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى ﴾ ^(١) .
 أفتنيه : أتبعه . لا أفق لك فيه ، أى لا أتوقف فيما تشير به . تُقصر : تكف . عن
 القيل والقال ، أى عن كل كلام . أجتبي : أجمع . عَرْضًا : كل ما ليس فيه
 روح من الأمتعة غير العين ؛ وهو ليس بنقد من السَّاعِ التي يُتَجَرُّ فيها من متاع
 ورقيق وغير ذلك . أضمن : أضمن ، وفلان حميل بكذا ، أى ضامن له . إخلاف :
 كذب وعد . نقده : أعطاه نقدًا . وزع : فرق . وزعته : شرطته الذين يكفون

عنه الناس ، واحدهم وازع مثل كافر وكفرة ، وقد وزعته وَزَعًا كَفَفْتَهُ ، وأيضاً دفعته . وقال الحسن البصري رحمه الله : لا بدّ للسلطان من وَزَعَةٍ . الأصيل العشي . وثوبه : ضوء الشمس ، وهو في ذلك الوقت رقيق . صَوْب : وقع ، وصاب السهم صوباً وصيّباً : وقع بالرماية ، وصاب السحاب الموضع : أمطر . والتحصيل : أن يحصل بقية المال . راج : حضر وتيسر ، ويقال : راج الشيء رَوْجًا فهو رائج إذا جاء جاء سريعاً . قوله : « إنسان مقلتي » ، أي سواد عيني . يرعاه : يحفظه وينظره . أعنى : أتى بالبقية ، والمفاوة : بقية المرق في القدر . تخلّصت : انفصلت . والقائبة : البيضة . والقوب : الفرخ ، وهذا مثل يضرب للرجلين يفترقان بعد الصّحبة ، وجاء مقلوباً لأن الذي ينفصل ويخرج إنما هو الفرخ من البَيْضَة ، والقوب ، من تقوّب الشيء إذا انتشر ، ومنه القوباء لداء الحِزاز^(١) . وابن يعقوب هو يوسف عليهما السلام ، وبراءة الذئب من دمه ، هو ما يحكى أن إخوته لما جاءوا إلى أبيهم يبيكون على يوسف ، علموا أنه لا يصدقهم ، فاصطادوا ذئباً فلطّخوه بدم ، وأتوه يبيكون ، وقالوا له : هذا الذئب قد ضريّ ، أكل أغنامنا وأكل يوسف أخانا ، قال لهم : أطلقوه ، ودعا الله يعقوب أن ينطقه له ، فقال للذئب : ادنْ مُنِّي ، فجعل يبصبص بذنبه ويدنو منه ، حتى وضع خذّه على نخذ يعقوب ، فقال له : لم أكلت ابني ، وجعّني فيه ؟ فقال : لا والله يا نبي الله ، ما رأيته ولا أكلته ، وإني لغريب في أرضكم اليوم ، وصلت من مصر في طلب أخ لي فقدته ، فأوثقني هؤلاء وساقوني إليك ، فقال لهم يعقوب عليه السلام : الذئب مع أخيه أوثى منكم مع أخيك .

قوله : « مُنَّت » : أي كَلَفَتْ . شَطَطاً : شيئاً بعيداً ، والشَّطَط : مجاوزة القدر . ورمت فَرَطًا : طلبت شيئاً متفاوتاً ، وكيف لم يسمّه شططا ، وقد حرّمه لذة ليلة مع هذا الغلام أحسن من ليلة الخفاجي^(٢) حيث يقول :

(١) في القاموس : الحِزاز ؛ ككتاب : وجع في القلب من غيظ أو نحوه .

(٢) هو أبو إسحاق إبراهيم بن خناجة الأندلسي ، صاحب الديوان المنسوب إليه .

وليلة طَلَقَةٍ قَضَيْتُ من موعدٍ للحبيب دِينًا^(١)
 بَنَّا نَجْرَ الذُّيُولِ فِيهَا والحر تمشي بنا الهويَينِ
 أُرْسِلَ فِي رَوْضِ وَجَنَّتِهِ لحظة عين تفيض عينا
 كَأَنَّمَا الْحِظُّ كَيْمِيَاءُ تذهب من وجهه لُجَيْنًا
 وما تَوَهَّتْ أَنَّ طَرَفَا يقرب عين اللجين عينا

أو ليلة الآخر حين يقول :

لَمَّا رَأَى مَنْ ظَلَّتْ فِيهِ مَتِيًّا جسمي ضئيلا والفؤاد مولها
 جادت شمائله على بليلة أهدت إلى الصب المعنى ما شتهى
 عانقت فيها البدر ليلة تيمم يا من رأى بدرًا يعاقه الشها !

[ذكر أحمد بن سريح أحد أئمة الشافعية]

قوله: «الحجج الشريحية» منسوبة إلى أحمد بن سريح، وهو من كبار أصحاب الشافعي، وكان حسن الاحتجاج، مليح المناظرة .

وقال الفنجديهي: الشريحية منسوبة إلى الإمام أبي العباس أحمد بن عمر ابن سريح إمام أصحاب الشافعي على الإطلاق، ومن لانفس ذات درّ بمثله في الآفاق، حججه في أحكام الشرع أوضح الحجج، وأقواها وأمتنها على مرور الأيام والحجج، وكان يلقب بالبازي الأشهب، وبالشافعي الثاني، لتبحره في استنباط المعاني، من غوامض الأخبار والثاني، دلالة في فنون العلم متينة، وبراهينه مبينة. وقال: رأيت في المنام كأننا أمطرنا كبريتاً أحمر، فلات كمي وحجري وجيبي منه، فعبّر لي أني أرزق علماً غزيراً كعزة الكبريت الأحمر .
 وسمع يتمثل بهذه الأبيات :

فلا تحسد الكلب أكلَ العظامِ فعند المرأة ما ترحمه
تراه وشيكاً شِكساً إسته كلوما جناها عليه فمه
إذا ما أهان امرؤ نفسه فلا أكرم الله من يكرمه

وكان يناظر محمد بن داود ، فقال له ابن داود يوما وقد أكره عليه
السؤال : أبلغني ربي ، فقال له : قد أبلعتك الدجلة والفُرات ^(١) .

وقال له مرة : أمهلني ساعة ، فقال : قد أمهلتك من الساعة إلى أن تقوم
الساعة ^(٢) .

وقال له ابن داود يوما : أكلك من الرجل وتجبيني من الرأس ! فقال له :
كذلك البقر إذا حفيت أظلافها ، وهنت قرونها .

واجتمع أبو العباس بن سريج وأبو بكر بن داود الأصهباني في مجلس
عيسى بن الجراح الوزير ، فتناظرا في الإيلاء ، فقال ابن سريج : أنت بقولك : من
كثرت لحظاته ، دامت حسراته ، أبصر منك في الكلام في الإيلاء ، فقال له
ابن داود : لئن قلت ذلك ، فإني أقول :

أنزه في روض الحاسن مقلتي وأمنع نفسي أن تنال محرمًا ^(٣)
وأحمل من ثقل الهوى ما لو أنه يُصبُّ على الصخر الأصم تهديماً
ويَنطقُ طرفي عن مترجم خاطري فلولا اختلاسي ردّه لتكلماً
رأيتُ الهوى دعوى من الناس كلهم فلست أرى حباً صحيحاً مسلماً

وقال له ابن سريج : بم تفتخر ؟ ولو شئت قلت :

(١) طبقات الشافعية ٣ : ٢٤ (طبع الحلبي) .

(٢) طبقات الشافعية ٣ : ٢٤ .

(٣) طبقات الشافعية ٣ : ٢٧ .

وَمُسَاهِرٍ بِالْفُتُوحِ مِنْ لَحَظَاتِهِ قَدْ بَتَّ أَمْنُهُ لَذِيذِ سِنَاتِهِ^(١)
 أَصْبُو لَحْنِ كَلَامِهِ وَحَدِيثِهِ وَأُكْرِرَ اللَّحَظَاتِ فِي وَجَنَاتِهِ
 حَتَّى إِذَا مَا الصَّبْحُ لَاحَ عَمُودِهِ وَلَّى بِخَاتَمِ رَبِّهِ وَبَرَاتِهِ
 فَقَالَ لَهُ أَبُو بَكْرٍ : أَصْلَحَ اللَّهُ الْوَزِيرَ ! يَحْفَظُ عَلَيْهِ مَا قَالَ ، حَتَّى يَقِيمَ عَلَيْهِ
 شَاهِدِينَ عَدْلَيْنِ ، أَنَّهُ وَلَّى بِخَاتَمِ رَبِّهِ وَبَرَاتِهِ ، فَقَالَ لَهُ ابْنُ سَرِيحٍ : فَيَلْزَمُنِي فِي
 هَذَا مَا يَلْزَمُكَ فِي قَوْلِكَ :

* وَأَمْنَعُ نَفْسِي أَنْ تَنَالَ مُحَرَّمًا *

فَضَحِكَ الْوَزِيرُ ، وَقَالَ : لَقَدْ جِئْتُكُمْ ظَرْفًا وَلُطْفًا وَعِلْمًا وَفَهْمًا .
 اشْتَمَلَتْ هَذِهِ الْحِكَايَةُ عَلَى أَنَّ هَذَيْنِ الرَّجُلَيْنِ الْعَالَمَيْنِ عَلَى اشْتِهَارِهِمَا بِالْعِلْمِ
 وَالْفَضْلِ وَالدِّينِ كَانَا يَرْتَاخَانِ إِلَى التَّعَشُّقِ عَلَى سَبِيلِ التَّظَرُّفِ وَالتَّزَامِ التَّعَقُّفِ
 عَلَى مَا يَلِيقُ وَيَشْكُلُ بِمَنْصِبِهِمَا ؛ وَإِذَا كَانَ التَّعَشُّقُ بِشَرَطِ الْعِفَافِ ، فَإِنَّمَا يَزِيدُ
 الرَّجُلَ الْفَاضِلَ رَقَّةً طَبِيعَ ، وَحِلَاوَةً شِمَائِلَ .

وَقَالَ ابْنُ سَرِيحٍ فِي مَرَضِهِ الَّذِي مَاتَ فِيهِ : أُرِيتُ فِي الْمَنَامِ الْبَارِحَةِ كَأَنَّ
 قَائِلًا يَقُولُ : هَذَا رَبُّكَ يَخَاطِبُكَ ، فَسَمِعْتَهُ يَقُولُ : مَاذَا أُجِبْتُمُ الْمُرْسَلِينَ ؟ فَقُلْتُ :
 بِالْإِيمَانِ وَالتَّصَدِيقِ ، قَالَ : قَقِيلُ : مَاذَا أُجِبْتُمُ الْمُرْسَلِينَ ؟ فَوَقَعَ فِي نَفْسِي أَنَّهُ
 يُرَادُ مِنِّي زِيَادَةُ الْجَوَابِ ، فَقُلْتُ : بِالْإِيمَانِ وَالتَّصَدِيقِ ، غَيْرَ أَنَا قَدْ أَصْبَبْنَا مِنْ
 هَذِهِ الذُّنُوبِ ، فَقَالَ : أَمَّا إِنِّي سَأَغْفِرُهَا لَكَ .

وَتَوَفَّى لِحْصَ مَضِيِّهِ مِنْ جُمَادَى الْأُولَى سَنَةَ سِتٍّ وَثَلَاثِينَ ، وَبَلَغَ سَنَهُ
 سَبْعًا وَخَمْسِينَ سَنَةً وَسِتَّةَ أَشْهُرَ ، وَدُفِنَ فِي حَجَرَةٍ بِسُورَةِ غَالِبٍ بِبَغْدَادَ رَحِمَهُ
 اللَّهُ عَلَيْهِ .

[طَائِفَةٌ مِنْ شَعْرِ النَّسِيبِ]

وَنَذَكَرُ الْآنَ مِنْ نَفِيسِ الشَّعْرِ الْمَضْمَنِ « مَنْ ظَفَرَ مِنْ مَحْبُوبِهِ بِرَأْدِهِ مِنْ .

الوصال ، ثم عف عما يخلّ بأهل الجلال » ، قال إدريس بن اليمان :

لم تدر ما خلّدت عيناك في خلدي
أفديك من زائر رام الدنوّ فلم
خاف العيون ، فوافاني على عجل
عاطيته الكأس فاستحييت مدامها
حتى إذا غازلت أجفانه سنة
أردت توسيده خدي وقل له
فبات في حرم ، لا غدر يُرّعه
بدر ألم وبدر التّم منمحق
تخيّر الليل فيه ، أين مطالعه

من الغرام ولا ما كابدت كبدى
يسطعه من حرق في الدّمع متقد
معطّلا جيده إلا من الغيد
من ذلك الشّنب المعسول والبرد
وصيّرته يد الصّهباء طوع يدي
فقال : كفك عندي أفضل الوسد
وبت ظمان لم أضدّر ولم أريد
والأفق محالوك الأرجاء من حسد
أما درى الليل أن البدر في عضدي !

وقال الرمادى : (١)

وليلة راقبت فيها الهوى
والراح ما تنزل عن راحتي
وربّ يوم قيظه منضج
أبرز من خدي لي رشحه
وكان في تحليل أزواره
فتحت الجنة من جيبه
مروءة في الحب تنهى بأن

على رقيب غير وسنان
وقتاً ومن راحة ندّمان
كأنّه أحشاء ظمان
طلاً على ورد وسوسان (٢)
أقود لي من ألف شيطان
فبت في جنّة رضوان
يُجاهر الله بعصيان

وقال سعيد بن حميد :

زائر زارنا على غير وعد
أهيف الكشح ، مُنقّل الأرداف

(١) هو يوسف بن هارون الرمادى ؛ والأبيات في المطرب لابن دحية ؛

(٢) الرشح : العرق ؛ والطل : قطرات الندى .

غالب الخوف حين غالبه الشوق ق فأخفى الهوى وليس بخافي
 غض طرفي عنه تقي الله واختر ت على بذله بقاء التصافي
 ثم ولي والخوف قد هز عطفه ه ولم تخل من لباس العفاف
 وقال بعض الطالبين :

رموني وإياها بشنعاء هم بها أحق ، أدال الله منهم وعجلاً
 بأمر تركناه ورب محمد جميعا ، فلما عفا أو تجملاً

وسنزيد ما يستحسن في العفاف وضده في الثانية عشر .

قوله : « علم السروجية » ، أى مشهورها . والعلم : الجبل .

* * *

فليت إلى أن زهرت نجوم الظلام ، وانتشرت عقود الزحام ،
 ثم قصدت فناء الوالى ، فإذا الشيخ لفتى كالى ، فشدته الله : أهو
 أبو زيد ؟ فقال : إى ومحل الصيد ! فقلت : من هذا الغلام ،
 الذى هفت له الأحلام ، نال : هو فى النسب فرخى ، وفى
 المكتسب فحى ، قلت : فهلا كفيت بحاسن فطرته ، وكفيت
 الوالى الافتنان بطرته ! فقال : لو لم تبرز جبهته السنين ، لما
 كففت الخمسين ، ثم قال : بت الليلة عندي انطفي نار الجوى ،
 ونديل الهوى من النوى ، فقد أجمعت على أن أنسل بسحرة ،
 وأصلى قباب الوالى نار حسرة .

* * *

لبثت : أقمت. عقود : جمع عقد ، أراد ما يعقد من جموع الناس في الزحام .
انتثرت : افترقت . زهرت : أضاءت. الفناء : ما حول الدار . ناشدته : سأله .
هفت ، أى طارت. الأحلام : العقول. فطرته : خلقتة. تبرز : تظهر. والطرّة :
قد تقدمت ، وشبه اعتدال الشَّمَر على الجبهة بشكل السين على السّطر ، وأخذه
من قول التهامي :

يارُبّ معنّى بعيد الشأن نَسْلُكُهُ فى سلك لفظٍ قريب الفهم مُخْتَصِرٌ^(١)
لفظٌ يكون لِعَقْدِ القول واسطةً ما بين منزلة الإسهاب والخصرِ
إن الكتابة صارت تحت أُمْلِهِ^(٢) والجود فالتقيا منه على قَدَرِ^(٣)
تردّ أعلامه الأرماح صاغرةً عكسًا ، كعكس شعاع الشمس للقمرِ^(٤)
وفى كتابك فاعذُرْ مَنْ يهيم به من المحاسن ما فى أحسن الصُورِ
الطُّرس كالحَدِّ والنونات دائرة^(٥) مثل الحواجبِ والسَّيْنات كالطُّرَرِ
ومن ملح الخبز أرزى :

وبنفسى من إذا خَشَّته نثر الوردُ عليه وَرَقَه
وإذا مَسَّتْ يَدَى طَرَّتَه أفلتت منه فعادت حَاقَه

أخذها من حكاية لعمر بن أبى ربيعة ؛ حدث المفيرة بن عبد الرحمن ، قال :

(١) ديوانه ٤٥ هـ ، وفيه : « أسلكه » .

(٢) الديوان : « سارت » .

(٣) الديوان : « فالتقيا فيه » .

(٤) بعمده فى الديوان :

يُحَلُّو بِيَاضَ المعانى سودُ أحرِفِها إنَّ الظَّلَامَ ليجلُورُونُق السَّحَرِ

(٥) الديوان « الطرس كالوجه » .

حجبت مع أبي وأنا غلام ، عَلَى جُمَّة^(١) ، فحُتَّ عَمْرٍ فسلمت عليه ، فجلست عنده ، فجعل يمدُّ الْخُصْلَةَ من شعري ثم يرسلها ، فترجع على ما كانت عليه ، ويقول : واشباباه ! حتى فعل ذلك مرارا ، ثم قال لي : يا بن أخي ، قد سمعتني أقول في شعري : قالت وقلت ... وكلِّ مَمْلُوكٍ لي حرٌّ إن كنتُ كُشِفْتَ عن فَرْجِ امرأةٍ حرامٍ قطَّ ، فسألت عن رقيقه ، فقيل لي : أما في الحوَّك فسبعون سوى غيرهم^(٢) .

وساير عَمْرٍ عُرُوهُ بن الزبير يحدِّثه ، فقال : وأين زين الموابك؟ - يعني ابنه محمداً ، وكان يُعرف بذلك الجمال - فقال عروة : هو أمامك ، فركد يطلبه ، فقال له عروة : يا أبا الخطَّاب ، أولسنا أ كفاء كراماً لحادثتك ! قال : بلى ، بأبي أنت وأمي ، ولكنني مفرى بهذا الجمال حيث كان ، ثم التفت إليه ، وقال :

إِنِّي امْرُؤٌ مُوَلِّعٌ بِالْحَسَنِ أَتْبَعُهُ لَأَحْظَّ لِي فِيهِ إِلَّا لَذَّةَ النَّظَرِ^(٣)

أخذه العباس بن الأحنف ، فقال :

أَتَأْذَنُونَ لَصَبٍّ فِي زِيَارَتِكُمْ فعندكم شهواتُ السَّمْعِ والبَصَرِ
لَا يَضُرُّ السُّوءَ إِنْ طَالَتْ إِقَامَتُهُ عَفُّ الضَّمِيرِ وَلَكِنْ فَاسَقَ النَّظَرُ

[مما قيل في حلق الشعر]

ومما يتعلق بذكر الشعرِ حِلَاقِهِ ، والشعر فيه كثير ؛ فنلّم منه باليسير .

وأول من قرّع هذا الباب - فيما يذكر - القائل :

حَلَقُوا رَأْسَهُ لِيَكْسُوهُ قُبْحًا خيفة منهم عليه وَشَحًا

(١) الجمة : شعر الرأس .

(٢) الخبر في الأغاني ١ : ٧٧ .

(٣) الأغاني ٣ : ١٤٦ ، ١٤٧ .

كان من قبل ذاك ليلاً وصُبحاً فحوا لَيْلَهُ وأبقوه صُبحاً
وقال أبو العباس القرَبيّ :

كان إلّا قَمَرًا تحت دُجَى فانجلى اللَّيْلُ ولاح القَمَرُ
أو كزهرٍ في كَمامٍ كامنٍ شققتُ عنه قَمَّ الزَّهَرُ
وقال أبو العباس بن حَيّون :

حلقوك في تغيّرِ حَسَنِكَ رَغْبَةً فازداد حَسُنكَ بِهِجَةً وِضِيَاءُ
كالخمرِ فُضَّ خَتامه فَنَشَعَشَعَتْ والشَّمْعُ قُطَّ ذُبَالُهُ فَأَضَاءُ

* * *

قوله: «قَنَفَشْتُ» ، أى أخذت بسرعة ، تقول : قَفَشْتُ الشَّيْءَ ، قَفَشًا إِذَا
جَمَعْتَ عَلَيْهِ كَفْكَ بِسُرْعَةٍ ، وقد انقَفَشَتِ العَنَكِبُوتُ ، إِذَا دَخَلَتْ حُجُرَهَا .

قوله: «الجوى» ، أى مرض القلب . نُدِيلُ : نَعْوَضُ ، والإِدَالَةُ : أَنْ يَكُونَ الشَّيْءُ
لَكَ مَرَّةً وَلِفَيْرِكَ أُخْرَى وَهِيَ مِنَ الدَّوْلَةِ . النَوَى : الْبَعْدُ أَوْ يَرِيدُ : هَلَمْ تَجِدْ الدَّوْلَةَ
فِي هَذِهِ اللَّيْلَةِ ، وَيَكُونُ ذَلِكَ عِوَضًا مِنْ طَوْلِ الْفِرَاقِ ، فَقَدْ عَزَمْتَ عَلَى أَنْ أَنْسَلَ
بِالسَّحَرِ وَأَفْرَ ، وَالْإِنْسَالُ : الْخُرُوجُ مُسْتَخْفِيًا . أَصْلَى قَلْبِ الْوَالِي : أَجْعَلْهُ مَتَّعِرًا
بِالتَّحَسُّرِ وَالتَّنَجُّعِ .

* * *

قال : فَقَضَيْتُ اللَّيْلَةَ مَعَهُ فِي سَمَرٍ ، آتَقَ مِنْ حَدِيثَةِ زَهْرٍ ،
وَحَمِيلَةِ شَجَرٍ ، حَتَّى إِذَا لَا أَلْفُ ذَنْبِ السُّرْحَانِ ، وَأَنْ
انْبِلَاجُ الْفَجْرِ وَحَانَ ، رَكِبَ مَثْنِ الطَّرِيقِ ، وَأَذَاقَ الْوَالِي عَذَابَ
الْحَرِيقِ ، وَسَلَّمْ إِلَى سَاعَةِ الْفِرَاقِ ، رُقْمَةً مُحْكَمَةً الْإِلْصَاقِ ،

وقال : اذفنها إلى الوالى إذا سلب القرار ، وتحقق منّا
الفرار ؛ ففضضها ففعل المتلمس ، من مثل صحيفة المتلمس .

* * *

قَصَّيت : أتممت . سَمَر : حديث بالليل يُسَمَر عليه . آ نَق : أحسن . حديقة :
بستان ، ولا تكون إلا تحت حائط أو زَرْب . زَهْر : تور . خميلة : روضة فيها
شجر . لألأ : لعل وأضاء . الأفق : جهات السماء . ذَنَب السُّرْحان ، هو الفجر
الكاذب ، وهو ضوء يظهر قبل الفجر دقيق متصعد إلى السماء . والسُّرْحان : الذئب ،
شبه ضوءه بذنبه . آن : حان وقرب . انبلاج الفجر : ظهور ضوئه . متن : ظهر .
الحريق : النار . سلم : ترك . محكة الإلصاق : متقنة الطي . القرار : السكينة ، يريد
أنَّ الوالى إذا أخبر بهر بنا ذهب عقله ، فجعل يتملل ولا يقر . فضضتها : كسرت
ختامها .

[ذكر المتلمس وصحيفته]

والمتلمس ، شاعر مشهور ، اسمه جرير بن عبد المسيح ، وسمى المتلمس بقوله :

فهذا أوانُ العِرضِ جُنَّ ذبابُهُ زنايِرُهُ والأزرقُ للتلْمَسِ^(١)

وهو مأخوذ من تلمس الرجل الحاجة ، إذا طلبها سرّاً من غيره ، وأصل ذلك
من التمس باليد ، كالذى يلمس بيده فى الظلام مواضع خفية يطلب منها شيئاً ضاع
منه ، أو كلس الأعمى شيئاً بيده .

(١) العمر والعمراء ١٢٢ ، قال فى شرحه : العِرض : الوادى ، ويروى : « حى ذبابه » .

(٢٨ — شرح مقامات الحريرى ١١)

ومن كلام عامتنا: فلان يتلمس، بسكون التاء، أى يدخل بين الناس باستخفاء ولا يُشعر به.

والتلمس أحد الثلاثة الذين اتفق العلماء على أنهم أشعر المقلين في الجاهلية، وهم: التلمس والمسيب بن علس وحُصين بن الحُمام.

والتلمس، بالميم قبل اللام، هو المتخلص الذى يطلب السلامة والخلاص بسهولة، وقد أُمس إذا خرج من بين القوم هارباً وهم لا يشعرون، وقد أُمس الشيء، إذا سقط من يدك ولم تشعر به لملاسته.

والصحيفة: الكتاب. وقصتها^(١) أن التلمس وطرفة كانا يتنادمان مع عمرو ابن هند ملك الحيرة - وكان سيء الخلق شديد، وهو الذى حرق من تميم مائة رجل، فهجوه، فقال فيه التلمس - وكان طرده لشيء بلغه عنه:

أطردتنى حَذَرَ الهجاء ولا واللَّات والأَنْصاب لا تَنْتَلِ^(٢)
أى لا تنجو.

وقال فيه أيضاً:

إن الخيانة والمُغَالاة واتَّخِنا والقَدْرَ نتركه ببلدة مفسد^(٣)
ملك يلاعب أمه وقطينها رخو المفاصل أيزرُهُ كالْمَبْرَدِ
فإذا حلت ودون بيتي غَاوَةٌ^(٤) فابريق بأرضك ما بدالك وارعدِ
وقال طرفة:

فليت لنا مكان الملك عمرو رَغُوْنَا حول قَبْتِنَا تَخُورُ^(٥)

(١) جمهرة الأمثال ١: ٥٧٩ - ٥٨٢، للميداني ١: ٣٩٩.

(٢) الأغاني ٢٣: ٥١٦ (طبع الثقافة ببيروت).

(٣) شعراء النصرانية.

(٤) غاوة: قرية من قرى حلب.

(٥) ديوانه ٩٠ - ٩٦، والرغوث: النعجة المرضع.

لعمرك إن قابوس بن هند ليخط ملكه نوك كثير^(١)

في أبيات شهرتها تنبى وتغنى عن ذكرها ؛ فاستحيا أن يقتلها بمحضرتها ،
ويدينها إدلال المنادمة ، فكتب لهما بصحيفتين ، وختمهما لئلا يعلما ما فيهما -
هو أول من ختم الكتاب - وقال لهما : اذهبا إلى عاملى بالبحرين ، فقد أمرته
أن يصلكما بجواز . فذهبا فمرا بطريقه . بشيخ يحدث ويأكل من خبز بيده ،
ويتناول القمل من ثيابه ويقصعه ، فقال المتلمس : ما رأيت شيئا كالיום أحق
من هذا ! فقال الشيخ : ما رأيت من مُحَقِّق ! أخرج الداء ، وآكل الدواء ،
وأقتل الأعداء . وروى : أقتل عدوا ، وأدخل طيبا ، وأخرج خبيثا ، أحق والله
مئى من يحمل حتفه بيده .

فاستراب المتلمس بقوله ، وطلع عليهما غلام من أهل الحيرة من كتاب
العرب ، فقال له المتلمس : أتقرأ يا غلام ؟ قال : نعم ، فقلت الصحيفة فإذا فيها : فإذا
أتاك المتلمس فاقطع يديه ورجليه وادفنه حيا : فقال لطرفة : ادفع إليه صحيفتك ،
فإن فيها مثل هذا ، فقال طرفة : كلا لم يكن لي جترى على - وكان غرا صغير السن -
فخذف المتلمس بصحيفته في نهر الحيرة ، وقال :

قدفتُ بها في الثُّنى من جنب كافرٍ كذلك أقنُو كل فظ مضال^(٢)
رضيت لها بالماء كفا رأيتها يحولُ بها الديار في كل جدولٍ
وأخذ نحو الشام وقال :

ألقى الصحيفة كي يخفِّبَ رَحْلَه والزَّاد حتى نَعَلَه ألقاها
أراد : أنه تخفف للفرار ، فألقى مالا يُثْقِل ، وما لا بدَّ للسفر منه .

(١) النوك : الحماة

(٢) الشعر والشعراء ١ : ١٣١ . الثنى : منطقت النهر . كافر : اسم علم لنهر الحيرة ،
وأقنُو ، أى أجزى .

وقال حينئذ :

مَنْ مَبْلَغُ الشَّعْرَاءِ عَنْ أَخْوِيهِمْ خَبْرًا فَتَصَدَّقْهُمْ بِذَلِكَ الْآنَسِ^(١)
 أَوْ ذَى الَّذِي عَلِقَ الصَّحِيفَةُ مِنْهُمَا وَنَجَا - حِذَارَ حَبَائِهِ - الْمَتَلَسُّ
 أَلْقَى الصَّحِيفَةَ ، لَا أَبَالِكَ إِنَّمَا يُخَشَى عَلَيْكَ مِنَ الْحَبَاءِ الدُّقْرِسِ^(٢)
 وَأَمَّا طَرَفَةٌ فَوَصَلَ إِلَى الْبَحْرَيْنِ ، فَلَمَّا قَرَأَ الْعَامِلُ صَحِيفَتَهُ ، وَسَأَلَهُ عَنِ الْمَتَلَسِّ
 فَأَخْبَرَهُ بِفِرَارِهِ ، عَفَا عَنْهُ لَصَدَقَهُ وَرَعَايَتَهُ لَطَائِعِ الْمَلِكِ حَيْثُ لَمْ يَفْكِهِ .
 وَقِيلَ : إِنَّهُ سَجَنَهُ ، وَبَعَثَ إِلَى عَمْرِو بْنِ هَنْدٍ ، وَقَالَ لَهُ : مَا كُنْتَ لِأَقْتُلَ طَرَفَةً ،
 وَأَعَادَى قَبِيلَتَهُ ، فَإِذَا أُرِدْتَ قَتْلَهُ ، فَأَبْعَثْ إِلَيْهِ مَنْ يَقْتُلُهُ . فَفَعَلَ وَخَيْرٌ فِي قَتْلِهِ ؛
 فَإِذَا رَأَى يُسْقَى الْخَمْرَ ، وَيُفْصَدُ أَكْحَلُهُ^(٣) ؛ فَفَعَلَ بِهِ ذَلِكَ حَتَّى مَاتَ نَزَقًا ، وَدُفِنَ
 بِهَجَرَ . وَقِيلَ فِي قَتْلِهِ غَيْرَ ذَلِكَ .

وقال البعترى يصدق ما تقدم :

ولقد سكنت إلى الصدود من الدوى

والشرى أرى عند طعم الخنظل^(٤)

وكذلك طرفة حين أوجس ضربة في الرأس هان عاياه فعند الأكل

وقال ، وهو في السجن يخاطب قومه :

أسلمنى قومي ولم يفضبوا لسوء حات بهم فادحة^(٥)

كل خليل كنت خالنه لا ترك الله له واضحه

كلهم أروغ من ثعلب ما أشبه الليلة بالبارحة

(١) الشعر والشعراء ١ : ١٣١ ، ١٣٢ .

(٢) النقريس : داء معروف في الرجلين ، وفسره في اللسان ٨ : ١٢٧ بالدهامية .

(٣) الأكل : عرق في اليد ، ويسمى عرق الحياة .

(٤) ديوانه ١٧٤٣ .

(٥) المقدّمين ٥٤ .

وقال يخاطب عمرو بن هند في السجن :

أبا منذرٍ كانت غروراً صحيفتي ولم أعطكم بالطَّوعِ مَالِي ولا عِزِّي^(١)
أبا منذرٍ أفيتَ فاستبقِ بعضنا حنَّاتِك بعضُ الشرَّاهونُ من بعضِ
وقتل وهو ابن عشرين سنة ، والعرب تقول : أشعر الناس ابنُ العشرين
وتعنيه ، إلا أنَّ أبا العباس أنشد لأخته تراثه :

عَدَدْنَا لَهُ سِتًّا وَعَشْرِينَ حِجَّةً فلما توفى واستوى سيِّداً ضَخْماً^(٢)
فُجِفْنَا بِهِ لَمَّا رَجَوْنَا إِيَّاهُ على خَيْرِ حَالٍ ، لا وليداً ولا قَحْماً^(٣)
وهلك اللئس في الجاهلية ببصري.

فَإِذَا فِيهَا مَكْتُوبٌ :

قُلْ لِيَا لِي غَادَرْتُهُ بَعْدَ يَدَيَّ سَادِمًا نَادِمًا بَعْضُ الْيَدَيْنِ
سَكَبَ الشَّيْخُ مَالَهُ ، وَفَنَاهُ لُبَّهُ ، فَاصْطَلَى لَطَى حَسْرَتَيْنِ
جَادَ بِالْمَيْنِ حِينَ أَعْمَى هَوَاهُ عَيْنُهُ فَانْتَنَى بِلَا عَيْنَيْنِ
خَفَضَ الْحُزْنَ يَامَعْنَى فَا يُجِ دِي طِلَابُ الْآثَارِ مِنْ بَعْدِ عَيْنِ
وَلَكِنْ نَجَلٌ مَاعِرَاكَ كَمَا جَلَّ لَدَى الْمُسْلِمِينَ رِزْوَانُ الْحَسَنِ
فَقَدَرْتُ اعْتَضْتُ مِنْهُ فِيمَا وَحَزَمًا وَاللَّيْبُ الْأَرِيبُ يَبْنِي ذَيْنِ
فَاعْصِ مِنْ بَعْدِهَا الْمَطَامِعَ وَاعْلَمْ أَنَّ صَيْدَ الطَّبَاؤِ كَيْسَ بِهِ يَمِينِ

(١) ديوانه ٢٠٩ ، ٢١٠ .

(٢) الكامل للمبرد ١ : ٢٥٨ . ورواية : « فلما توفاه » :

(٣) القم : الرجل المتأني سنا .

لَا وَلَا كُلُّ طَائِرٍ يَلْبِجُ الْفَسْخَ وَلَوْ كَانَ مُتَدَقًّا بِاللَّجَيْنِ
وَلَكُمْ مَنْ سَعَى لِيَصْطَادَ فَاصْطِدْ يَدٌ وَلَمْ يَلْقَ غَيْرَ خُفٍّ حُنَيْنٍ

قوله : « غادرته » ، أى تركته . بعض الـيدين : تنديماً . سادماً : متغيراً ،
والسادم : المتغير العقل من الغم ، من قولهم : ماء سديم ، ومياه سديم وأسدام ،
أى متغيرة ، وقيل : السديم : الحزين الذى لا يطيق ذهاباً ولا مجيئاً ، من قولهم :
بعير مسدّم ، إذا منع من الضراب ، فكان الحزين منع من الذهاب والجيء ، فيقول :
تركته بعض يديه تنديماً وتلثفاً . اللظى : لهب النار ، وقد لظت النار : علأ لهبها ؛
فيريد أن الشيخ أخذ ماله والفتى عقله ، فاحترق بنار فجعتين جاد : سمح .
العين : الذهب . هواه : تعشقه وميله : اثنى . رجع . بلا عينين ، أى بغير مال
ولا بصر . خفض : سكن . معنى : معذب . يجدى : ينفع ، والعين ها هنا :
الشخص .

[أصل المثل : طلب أثراً بعد عين]

وقولهم : طلب أثراً بعد عين ، كأن رجلاً تمكن من عدوه أو من صيد
ليرميّه ، فتراخى عنه حتى فاتته ، ثم شدّ في طلبه بعد الفوت ؛ وأوّل من قال ذلك
مالك بن عمرو العامريّ ؛ وكان بعض ملوك غسان أخذه وأخاه سماكاً بسبب
قتيل كان له فى عمالته ، فحبسهما زماناً ، ثم قال لهما : إني قاتلُ أحدكما ، فجعل كل
واحد منهما يقول : اقتلني مسكناً أخى ، فقتل سماكاً وخلى مالكاً ، فقال سماك
حين ظن أنه مقتول :

وأقسم لو قتلوا مالكا لكدتُ لهم حَيَّةً راصِدةً
برأس سبيل على مرقبٍ ويوما على طُرُقٍ وَاِردَ،
أُمَّ سَمَّاكِ فلا تجزعي فللموتِ مَا تَلِدُ الْوَالِدَةَ

وانصرف مالك إلى قومه ، فلبث فيهم زمانا . ثم إن ركبا مرؤوا بهم / وأحدهم
يعني بهذا البيت :

* وأقسم لو قتلوا مالكا *

فسمعتُ بذلك أمَّ سَمَّاكِ ، فقالت : يا مالكا ، قَبِّحَ اللهُ الحَيَاةَ بعد سَمَّاكِ ! اخرج
في طلب ثأر أخيك ، فخرجَ فَلَقِيَ قَاتِلَ أَخِيهِ فِي نَاسٍ مِنْ قَوْمِهِ ، فقال : مَنْ أَحْسَنَ
لِي الْجَلِ الْأَحْمَرُ ! فعرَّفوه ، فقالوا له : لك مائة من الإبل ، وكفَّ عنه ، فقال :
لا أطلب أثراً بعد عين ، فذهبت مثلاً ، ثم حَمَلَ عَلَى قَاتِلِ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ ^(١) .

* * *

قوله : « جَلَّ » ، أى عظم . عراك : قصدك . رزء الحسين : المصاب بقتله حين
قتل بكر بلاء .

[رزء الحسين *]

وحديثه أن معاوية لما مات أرسل إليه أهل الكوفة أن قد حبسنا أنفسنا
على بَيْعَتِكَ . وطُوبِ بالمدينة أن يبيع يزيد ، فخرج إلى مكة ، وأرسل ابن عمه مسلم
ابن عَقِيل إلى الكوفة وقال له : إن كان حقاً ما كتبوا به ، فعرَّفني ألحق بك .
فخرج من مكةَ لِلنَّصَفِ مِنْ رَمَضَانَ ، وَقَدِمَ [الكوفة] لِحُسْرِ خَلَوْنِ

(١) جمهرة الأمثال ٢ : ٣٨٩ ، ٣٩٠ ، وأورد في معنى الأثر قول حبيب :

قَالُوا أَتَبْكِي عَلَى رَسْمٍ قَتَلْتُ لَهُمْ مِنْ فَاتِهِ الْعَيْنُ هَدَى شَوْقَهُ الْأَثَرُ

(*) انظر خبر مقتل الحسين في تاريخ الطبرى حوادث سنو ٦٠ ، ٦١ .

من سؤال ، وأميرها النعمان بن بشير ، فدخل مستتراً ، فبايعه من أهلها ثمانية عشر ألفاً . فكتبه^(١) بذلك . فلما هم بالخروج لقيه ابن عباس رضى الله عنهما ، فقال له : يا بن عم ، أهل العراق أهل غدر ، وإنما يدعونك للحرب ، فقال له : يا بن عم ، كتب إلى مسلم باجتماع أهل الكوفة على ، فقال له : قد جرت بهم ، وهم أصحاب أبيك وأخيك ، وقتلتك غداً مع أميرهم ، إذا بلغ ابن زياد خبرك استفرزم ، فكان الذين كتبوا إليك أشد عليك عن عدوك ، فإن أبيت إلا الخروج فلا تخرجن بنسائك وولدك معك ، فإنى لخائف أن تقتل كما قتل عثمان ، ونساؤه وولده ينظرون إليه . فرد عليه : لأن أقتل بموضع كذا^(٢) ، أحب إلى من أن أستحل بمكة .

واتصل الخبر بيزيد ، فكتب إلى عبيد الله بن زياد بتوليته الكوفة . فخرج مسرعاً ، فدخلها في حشمه وهو ملثم ، والناس يتوقعون قدوم الحسين ، فجعل عبيد الله بن زياد يسلم على الناس ، والناس يقولون : وعليك السلام يا بن رسول الله ، قدمت خير مقدم ، حتى انتهى إلى القصر .

فحسر اللثام ، ففتح له النعمان الباب ، وتنادى الناس : ابن مرجانة ، فخصبوه بالحصباء ، فقاتهم . ووضع الرصد في طلب مسلم ، فصاح مسلم : يا منصور — وكان شعارهم — فاجتمع له في ساعة واحدة ثمانية عشر ألفاً . فأحاطوا بالقصر فقاتلوا ابن زياد ، فلم يمس النساء ومعه مائة رجل . فلما رأى تفرقهم سار نحو أبواب كنفة ، فبلغ الباب ومعه ثلاثة ، فخرج وليس معه أحد ، فبقى حائراً لا يدرى أين يتوجه ، فنزل من على فرسه ، ودخل أحد أزقة الكوفة ، فأنهى إلى باب مولاة لحمد بن الأشعث ، فاستسقاها فسقته ، وأعلمها حاله ،

(١) أى كاتب الحسين .

(٢) تاريخ الطبرى « فقال له حسين : إني أسعير الله وأظفر ما يكون » .

خَرَّقَتْ لَهُ ، فَأَوْتَهُ وَأَعْلَتَ مُحَمَّدُ بْنُ الْأَشْعَثِ بِمَكَانِهِ ، فَشَى إِلَى ابْنِ زِيَادٍ ، فَأَعْلَمَهُ ، فَوَجَّهَ مَعَهُ سَبْعِينَ رَجُلًا ، فَأَتَتْهُمْ عَلَيْهِ ، فَقَاتَلَهُمْ مُسْلِمٌ ، وَأَمَّنَهُ مُحَمَّدُ بْنُ الْأَشْعَثِ ، وَوَسَّحَهُ إِلَى ابْنِ زِيَادٍ فَضْرَبَ عُنُقَهُ ، وَبَعَثَ بِرَأْسِهِ إِلَى يَزِيدَ بْنِ مُعَاوِيَةَ ، فَصَلَّبَ جُثَّتَهُ .

وَأَنْتَهَى الْأَمْرُ إِلَى الْحُسَيْنِ ، وَقَدْ بَلَغَ الْقَادِسِيَّةَ ، فَهَمَّ بِالرَّجُوعِ ، فَقَالَ لَهُ إِخْوَةُ مُسْلِمٍ : لَا تَرْجِعْ أَوْ تُقْتَلَ ، أَوْ نَأْخُذْ بِثَأْرِنَا ، فَقَالَ الْحُسَيْنُ : لَا خَيْرَ فِي الْعِيْشِ بَعْدَكُمْ ، فَسَارَ حَتَّى لَقِيَ خِيَلًا لِبْنِ زِيَادٍ ، وَعَلَيْهَا عُمَرُ بْنُ سَعْدٍ بْنُ أَبِي وَقَّاصٍ ، فَعَدَلَ إِلَى كَرْبَلَاءَ ، وَهُوَ فِي نَحْوِ خَمْسِمِائَةِ فَارَسٍ ، فَلَمَّا كَثُرَتِ الْعَسَاكِرُ أَقْبَنَ أَنَّهُ لَا مَحْيَصَ لَهُ ، فَقَالَ : اللَّهُمَّ احْكُمْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمٍ دَعَوْنَا لِنُصْرَوْنَا ، ثُمَّ هُمْ يَقَاتِلُونَنَا ! ثُمَّ خَاطَبَ قَوْمَهُ فَقَالَ : يَا عِبَادَ اللَّهِ ، اتَّقُوا اللَّهَ ، وَكُونُوا مِنَ الدُّنْيَا عَلَى حَذَرٍ ، فَإِنَّ الدُّنْيَا لَوُ بَقِيَتْ عَلَى أَحَدٍ ، أَوْ بَقِيَ عَلَيْهَا أَحَدٌ ، لَكَانَتِ الْأَنْبِيَاءُ أَحَقَّ بِهَا وَبِالْبَقَاءِ ، غَيْرَ أَنَّ اللَّهَ خَلَقَهَا لِلْفَنَاءِ ، فَجَدِّدُهَا بَالٍ ، وَنَعِيمُهَا مَضْمُحِلٌ ، وَسُرُورُهَا مَكْفَهَرٌ ، وَالدَّائِرُ قَلْعَةٌ ، وَالنَّزْلُ تَلْعَةٌ ^(١) ؛ فَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى ، وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ . ثُمَّ قَاتَلَ حَتَّى قُتِلَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ . وَفِيهِ ثَلَاثٌ وَثَلَاثُونَ طُعْنَةً وَأَرْبَعٌ وَثَلَاثُونَ خُزْبَةً ؛ وَتَوَلَّى قَتْلَهُ سِنَانُ بْنُ أَنَسٍ النَّخَعِيُّ ، وَاحْتَزَّ رَأْسَهُ ، وَانْطَلَقَ بِهِ مُسْرِعًا إِلَى ابْنِ زِيَادٍ ، وَهُوَ يَقُولُ :

أَوْقَرُ رِكَابِي فَضَّةً وَذَهَبًا إِنِّي قَتَلْتُ الْمَلِكَ الْحَجَّابَا

• قَتَلْتُ خَيْرَ النَّاسِ أُمًّا وَأَبَا • ^(٢)

وَبَعَثَ مَعَهُ الرَّأْسَ إِلَى يَزِيدَ بْنِ مُعَاوِيَةَ ، وَعِنْدَهُ أَبُو بَرْزَةَ ، فَجَعَلَ يَنْكُتُ بِالْقَضِيبِ عَلَى فِيهِ ، وَهُوَ يَقُولُ :

نَفَلْتُ هَامًا مِنْ رِجَالٍ أَعَزَّةٍ عَلَيْنَا ، وَهُمْ كَانُوا أَعَقَّ وَأَظْلَمًا ^(٣)

(١) يُقَالُ : هُوَ عَلَى قَلْعَةٍ ، أَيْ عَلَى رَحْلَةٍ ، وَالتَّلْعَةُ : مَجْرَى الْمَاءِ مِنْ أَعْلَى جِلْوَنٍ بِالْأَرْضِ وَالنَّزُولُ عَلَيْهِ مَخُوفٌ .

(٢) بِدَهْ فِي الطَّبَرِيِّ :

• وَخَوَّزَهُمْ إِذْ يُنْسَبُونَ نِسْبًا •

(٣) عَصَيْنَ بْنِ الْحَمَامِ الرُّمِي ، مِنَ الْمُفَضِّلَةِ ١٢

فقال له أبو برزّة : ارفع قضيبك عن فمه ، فلقد رأيتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم يلمّهُ .

وقتل يوم عاشوراء سنة إحدى وستين ، وقتل معه سبعة وثمانون ، منهم على ابنه الأكبر ، ومن ولد أخيه الحسن عبد الله والقاسم وأبو بكر ، ومن إخوته العباس وعبد الله وجعفر ومحمد وعثمان بنو عليّ ، ومن بنى عمه جعفر ومحمّد وعون أبناء عبد الله بن جعفر . ومن ولد عقيل عبد الله وعبد الرحمن وجعفر ، ودفعهم أهل القادسية بعد قتلهم بيوم ، وقتلوا هم من أصحاب عمر بن سعد ثمانية وثمانين .

* * *

قوله : «اعتضت» : اقتلعت من العوض . يبنى ذين : يطلب هذين . الأطباء : الغزلان . يلمج : يدخل . محذّقا باللجين ، أى محذّقا بالفضة ، والصائد يفرق حول الفخ حبّ القمح وشبهه ، فيلقطه الطائر حتى يتوصّل إلى ما نصب له فيقع ، فقال : ما كلُّ طائر يُخدع ، ولو حُلّق له الفخ بحبّ اللجين بدلا من القمح ، وإني من هذا الصنف .

قوله : «ولكم من سعى ليصطاد فاصطيد» ، من قول الصابي :
يا قمرأ كالتخشف في نظرتي وكالتضيب اللدن في نضرتي
خلتلك صيدا كان في قبضتي ففرت من صيدى في قبضتي
والسابق له كعب زهير بن في قوله :

طاف الرّماة بصيدٍ راعهم فإذا بعض الرّماة بنبل الصيد مقتول^(١)

* * *

(١) لم يرد هذا البيت في ديوانه ، وأورده الميمنى في ملحق الديوان ٢٥٩ ، تلا من المصطفى .

[أصل المثل : رجع بخني حنين]

وخَفَا حُنَيْنٌ ، يضرب بهما المثل للخائب الخاسر ، واختلف في حُنَيْنٍ ، فقال يعقوب : إنه كان رجلاً مُدْعِيًّا ، فجاء إلى عبد المطلب ، وعليه خُفَّانٌ ، فقال : يا عم إني من ولد هاشم ، فَأَنتمَ النَّظَرُ فيه ، وقال : لا وعظام هاشم ، ما أرى فيك شِمالًا - هاشم ، فأرجع خائبًا خاسرًا .

وقيل : كان رجلاً مغنيًا ، فدعاه قوم من أهل الكوفة . ليطربهم في نزهة ، فخرجوا به إلى الصحراء ، فضر به وسلبوا ثيابه ، وتركوا عليه خُفَّيْنِ ؛ فلما رجع إلى زوجته - وكانت تنتظر رجوعه على عادته بما يفضل من أطعمة النزهة - ورأته على تلك الحالة قالت لكل من سألها : رجَعَ حُنَيْنٌ بخُفَّيه .

وقيل : إنه كان صانعًا ، فساومه أعرابي بخُفَّينِ ، وما كسه حتى أخرج به . فلما ارتحل الأعرابي ، أخذ حنين إحدى الخفين فوضعهما على الطريق ، ثم مشى وألقى . الأخرى في موضع آخر على الطريق ، وكن له ، فلما مرَّ الأعرابي بالخلف قال : ما أشبه هذه بخف حُنَيْنٍ ؛ ولو كان معها الأخرى لأخذتها . فلما انتهى إلى الأخرى ، ندِمَ على ترك الأولى ، فأناخ راحلته ، وأخذها ورجع إلى الأولى ؛ فلما غاب عمّد حنين إلى راحلته بما عليها فركبها ، ومضى بها ، ورجع الأعرابي إلى قومه الخُفَّينِ ، فكان إذا سئل عن حاله قال : رجعت بخُفِّي حُنَيْنٍ . فصار مثلاً .

وقيل : كان حنين لَجًّا حقيرًا فأخذَ وُصْلَبَ ، فجاءته أمه وعليه خُفَّانٌ . فانزعما ورجعت ، فقيل : رجعت بخُفِّي حُنَيْنٍ ، أي رضيت منه بذلك .

فَتَبَصَّرَ وَلَا تَشْمُ كُلَّ بَرْقٍ رَبِّ بَرْقٍ فِيهِ صَوَاعِقُ حَيْنٍ
 وَاغْضُضِ الطَّرْفَ تَسْتَرِخْ مِنْ غَرَامٍ تَسْكُنِي فِيهِ ثَوْبٌ ذَلِ وَشَيْنٍ
 فَبَلَاءُ الْفَتَى اتِّبَاعُ هَوَى النَّفْسِ وَبَذْرُ الْهَوَى طُمُوحُ عَيْنٍ
 قال الراوى : فمزقت رُفْعَتَهُ شَذَرَ مَذَرَ ، وَلَمْ أُبَلِّ أَعْدَلَ
 أُمَ عَذَرَ .

* * *

قوله «تبصر» : أى أحسن النظر . حَيْن : هلاك . والصاعقة : نار ترسل مع
 الرعد والبرق ، وجمعها صواعق ، وصعق الرجل إذا أصابته ، وصعق إذا مات ،
 وقيس تقول : صاعقة ، وبنو تميم صاقعة ؛ وقد صعق . غرام : عذاب الحب . شَيْن :
 عيب . والبذر : زرع الحب فى الأرض .

طموح : ارتفاع يريد أن أصل العشق مداومة النظر ، ألم فيه بقول عيسى
 عليه السلام : « لا يزنى فرجك ما غضضت بصرك » ؛ وقد تقدّم : من كثرت
 لحظاته دامت حسراته .

وقال سابق البربرى فى اتباع الهوى :

وهجر الهوى للمرء فاعلم سعادة

وطول الهوى رَيْنٌ عَلَى الْقَلْبِ رَائِنٌ

فكنا دافئاً للشرِّ بالخير تسترخ من الشرِّ إن الخير للشرِّ دافِنٌ

وقال آخر :

إذا أنت لم تمصِ الهوى قاذك الهوى

إلى كلِّ ما فيه عليك مقالٌ

وقال المتنبي :

عريزٌ أَسَى مَنْ دَاوَاهُ الْأَعْيُنُ النَّجْلُ عناء به مات المحبون من قَبْلِ^(١)
 فمن شاء فليَنظر إلى فَمَنظَرِي نذيرٌ إلى مَنْ ظَنَّ أَنَّ الهوى سَهْلُ
 وما هي إلا لحظةٌ بعد لحظةٍ إذا نزلت في قلبه رَحَلَ الْعَقْلُ

وقال ابن زيدون :

مَنْ يَسْأَلُ النَّاسَ عَنْ حَالِي فَشَاهِدُهُ محضُ العيانِ الَّذِي يُغْنِي عَنِ الْخَبَرِ^(٢)
 أما الضَّيِّقُ فُجِنَتْهُ نَظْرَةٌ عَنِّي كَأَنَّهَا وَالرَّدى جَاءَ عَلَى قَدَرِ
 فهمتُ معنى الهوى من وَخِي طرفك لى
 إن الحوار لفهم — ومِنْ الْحَوَرِ

وقال العباس بن الأحنف :

الْحَبِّ أَوَّلُ مَا يَكُونُ لِمَا جِئْتُ تَأْتِي بِهِ وَتَسْوِقُهُ الْأَقْدَارُ^(٣)
 حتى إذا اقْتَحَمْتُ الْفَتَى لَجِجَ الْهَوَى جَاءَتْ أُمُورٌ لَا تُطَاقُ كِبَارُ
 فهذا كله يبين بيت الحريري .

قوله : « مزقت » : قطعت . شذَر مَذَر : قِطَعًا متفرقة في كل جهة .
 وأصل الشذر قطع الذهب ، ومذَر اتباع لها .
 لم أبل : أى لم أهال . عذل : لام . عذر : قَبِلَ العذر .

(١) ديوانه ٣ : ١٨٠ .

(٢) ديوانه ٢٠١ .

(٣) ديوانه ١٥٦ .

فهرس المقامات

صفحة	صدر المقامات
٤٦ - ١٢	المقامة الأولى ، وتعرف بالصنعانية ؛ تتضمن ظهور أبي زيد في مظهر الواعظ ثم كشف حاله بعد ذلك
٧٤ - ٤٨	المقامة الثانية ، وتعرف بالحلوانية ، تتضمن محاسن من التشبيهات الرائقة في الشعر .
١٢٧ - ٧٦	المقامة الثالثة ، وتعرف بالدينارية ، تتضمن أشعاراً في مدح الدينار وذمه .
١٥٧ - ١٣١	المقامة الرابعة ، وتعرف بالدمياطية ، تتضمن محاوره أبي زيد مع ابنه في المواصلة والقطيعة .
١٨٦ - ١٥٨	المقامة الخامسة ، وتعرف بالكوفية ، تتضمن وقوف أبي زيد إلى باب دار ابنه ، يطلب منه القري ومجاوبته له
٢١٩ - ١٨٩	المقامة السادسة ، وتعرف بالمراغية ، تتضمن الرسالة التي فيها كلمات معجزة ، وكلمات غير معجزة
٢٦٨ - ٢٢٤	المقامة السابعة ، وتعرف بالبرقعيدية ، تتضمن تعامى أبي زيد ، وقيام امرأته بقيادته ، وهو يبيع الرقاع المكتوبة
٣٠٧ - ٢٧٢	المقامة الثامنة ، وتعرف بالمعرية ، تتضمن مخاصمه أبي زيد وابنة في الليل والإبرة
٣٣٠ - ٣٠٨	المقامة التاسعة ، وتعرف بالإسكندرانية ، تتضمن مخاصمة أبي زيد لامرأته ، وقيامه يبيع أثاثها ومتاعها .
٣٦٥ - ٣٣٣	المقامة العاشرة ، وتعرف الرخبية ، تتضمن دعوى أبي زيد على شخص أنه اعتدى على ابنه
٤٤٤ - ٣٧٥	

فهرس الموضوعات^(*)

صفحة	
٦١ - ٣	مقدمة الشارح
٢٤ - ٢٢	بديع الزمان الهمذاني
٢٥ - ٢٤	ذكر همدان
٢٨ - ٢٦	السبب في إنشاء الحريري للمقامات
٣٣	ذكر قدامة بن جعفر
٣٤	عدى بن الرناع
٣٦ - ٣٥	التقديم والحديث في الأدب
٤٠ - ٣٦	القول في الحمام
٤٢ - ٤١	من أقوالهم في الحقد ذمًا وحمداً
٤٥ - ٤٤	مما ورد من الحكم على السنة البهائم وغيرها
٥١ - ٥٠	مدينة صنعاء
٥٧٤ ٥٦	نبذ من أقوال الشعراء في ذم الكبر
٦٤ - ٦٣	من لطائف التجنيس
٦٨ - ٦٦	نبذ من الأشعار في ذم الدنيا
٧١ - ٧٠	أبونواس في مجالس الوعظ
٧٨	ذكر مدينة حلوان

(*) وهي الموضوعات التي وردت في أثناء الفرح .

صفحة	شعار السكدية
٧٨ - ٧٩	مما قيل في اللحي من الشعر
٨٤ - ٨٩	البحترى وبعض أخباره وشعره
٩٠ - ٩٦	وصية أبي تمام للبحترى
٩٧	ذكر النرجس ومقال الشعراء في تشبيه العيون به
١٠٣ - ١١٠	ذكر الوأواء الدمشقي وبعض شعره
١١٠ - ١١٤	من قولهم في الامتحان
١١٦	يديهة السلامي
١١٧ ، ١١٨	من نوادر صاعد بن الحسن الربيعي
١٢٢ ، ٢٢٣	مما قيل في البديهة الحاضرة
١١٨ - ١٢١	نقد شعر الحريري
١٢٣ - ١٢٥	من أقوالهم في الفراق
١٢٥ ، ١٢٦	فصل في الحسد وما قيل فيه
١٣٥ - ١٣٨	قصة المثل : أنجز حرّ ما وعد
١٤٣ - ١٤٤	مما قيل في وصف الدينار من الشعر
١٤٤	فصل في الوعد ومذاهب الناس فيه
١٤٥ - ١٤٧	فصل في مدح الشيء وذمّه في وقت واحد
١٥٤ - ١٥٦	مما قيل في سواد الليل
١٦٠ - ١٦٢	مذاهب الشعراء في الغفول أو الاتصاف
١٧٠ - ١٧٢	مما ورد في الصبح من الشعر
١٧٣	نهد مما قيل في الحمام شعراً ونثراً
١٧٧ - ١٨٠	قولهم : حديث خرافة
١٨٦ - ١٨٨	

صفحة

١٨٩ - ١٩١	الكوفة
١٩١ - ١٩٣	بما ورد في وصف الهلال من الشعر
٢٠٣ - ٢٠٥	قصة موسى عليه السلام قبل بيعته
٢٠٧	إبراهيم عليه السلام
٢٠٧ - ٢٠٨	بما قيل في القرى والأضياف
٢٠٩ - ٢١١	نبذ وحكايات في البؤس والحرمان
٢١١ - ٢١٣	ذكر مدينة فيد
٢١٩ - ٢٢٣	ذكر الكميت في بعض أخباره وشعره
٢٣٢ - ٢٣٦	ذكر قطري بن النجاء
٢٣٩ ، ٢٤٠	الحطيئة وسعيد بن القاص
٢٤١ - ٢٥١	فصل في الدواة والقلم والمداد
٢٦٢ ، ٢٦٣	الضباع وما قيل فيها
٢٦٣ - ٢٦٥	نبذ مما قيل في أحوال الدهر
٢٦٥ - ٢٦٧	نبذ وأقوال في ذم الزمان
٢٨٦ - ٢٨٩	ذكر ابن عباس وبعض أخباره
٢٨٩ - ٢٩٢	ذكر إياس القاضي وبعض نوادره
٢٩٦ - ٣٠٠	ذكر العمى وما ورد فيه من الشعر
٣٠٣ - ٣٠٦	استطراد بذكر أشعار في التشبيه رائقة
٣٠٨	ذكر معرة النعمان
٣١٤ ، ٣١٥	القطا
٣٧٦ ، ٣١٨	بما قيل في رفو الثياب من الشعر

صفحة	
٣٢١ - ٣١٨	مما قالت الشعراء في الأطوار البالية
٣٢٩ - ٣٣٥	مما ورد من الشعر في السواد والبياض
٣٣٤	ذكر فرغانة
٣٣٥ ، ٣٣٤	ذكر غانة
٣٤٥ - ٣٣٩	باب في الخض على السفر وترك المعجز
٣٤٧ ، ٣٤٦	ذكر الإسكندرية
٣٥٤ ، ٣٥٣	أصل المثل : لا عطر بعد عروس
٣٧١ - ٣٦٨	ذكر الفرزدق وبعض أخباره
٣٧٣ - ٣٧١	ذكر خبى الكسعى وقوسه
٣٨٣ - ٣٧٦	نبذ وحكايات مما ورد في الحسن والجمال
٣٨٨ - ٣٨٤	فصل في ذكر بعض أخبار الولاة
٣٩٣ - ٣٨٨	ذكر السليك بن السلكة
٣٩٥ - ٣٩٤	إبراهيم النظام وبعض أخباره وشعره
٦١٨ - ٤٠٩	مما قيل في أنواع الحسن والجمال أيضا
٤٠٩ - ٣٩٨	ذكر العذراء الانحاء
٤٢٠ - ٤١٩	من أنواع الخلف
٤٢٧ - ٤٢٥	ذكر أحمد بن سريج أحد أئمة الشافعية
٤٢٩ - ٤٢٧	طائفة من شعر النسيب
٤٣٢ - ٤٣١	مما قيل في خلق الشعر
٤٣٧ - ٤٣٣	ذكر المتلمس وصحيفته
٤٣٩ - ٤٣٨	أصل المثل : طلب أترأ بعد عين
٤٤٢ - ٤٣٩	رزاء الحسين بن على رضى الله عنه
- ٤٤٣	أصل المثل : رجع نخفى حنين

* استدراك وتعليق

صفحة	سطر	
٦	٢٠	أبو الحجاج الأبدى خطأ ، وصوابه : « الأندى » ، منسوب إلى أئده ، مدينة من كورة بلنسية بالأندلس . وانظر الروض للعطار ٣١ ، وبغية الملتبس للضي ٤٧٧ .
١٠	١٣	أبو عبد الله بن إمام الأئمة الراشدين ، هو محمد ابن يعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن بن علي ، أحد ملوك دولة الموحدين بالمغرب ، بويح بالخلافة سنة ٥٩٥ هـ وتوفي في سنة ٦١٠ هـ ، وابنه يوسف ولى عهده . وانظر المعجب في أحوال المغرب ٣٨٦ ، ٣٨٧ .
٢٥	٩	هو أبو بكر بن اللبابة الداني .
٥٦	٨	الصواب أن اسمه أبو حفص بن عمر السلمي قاضى قرطبة . من أهل أغمات ، وولى أيضاً فضاء فاس وتلماس وإشبيلية ، وله شعر كثير مطبوع . توفي سنة ٦٠٤ هـ . وانظر نفع الطيب ١ : ٢٧٣ وصلة الصلة لابن الزبير رقم ٣٠ ، والنكحلة لابن أبار برقم ١٨٣١ .

(١) ومعظم هذه الاستدراكات مما أفدته من الصديق العلامة الدكتور محمود
مكى عند قراءته لهذا الجزء بعد طبعه .

- ص ٦٣ ٢ صواب كتاب البيت :
 فاحذر هدايا الناس تأمن من المنّ
 بها أو قول واش يشى
- ص ٦٣ ١٧ الخبير والأبيات في زهر الآداب ٧٧ ، ٧٨
- ص ٦٦ ٢٢ (حاشية ٤) في ترجمة أبي عمران بن موسى بن عمران : توفي
 سنة ٦٠٤ ، وله تراجم أخرى في التكملة لابن
 أبار برقم ٢١٤٧ والمصون اليانعة ١٣٥ ، وألف
 باء للبلوى ١ : ٢٣ ، ٣٥٦ ، ١٥٣ ، ١٥٥ ، ٣٨٩ .
- ١٠٧ ١ أبو جعفر بن برد ، خطأ والصواب أن اسمه
 أبو حفص بن برد ، والبيتان في الذخيرة ق ١
 ج ٢ : ٤٨ ، ٤٩ ، وله ترجمة في جذوة المقتبس
 للحميدى ١٩٢ والذخيرة لابن بسام ق ١ ج ٢ :
 ١٨ - ٥٢ ، ومطمح الأنفس ٢٧ ، ٢٨ .
- ١٠٨ ٢ أبو بكر الأبيض ، وهو أحد بن محمد الأنصارى
 الإشبلى ، وانظر ترجمته في المطرب لابن دحية
 . ٧٠٦
- ١٢٨ ٢١ الحلوانى القيروانى ، هو عبد الكريم بن فضال
 الحلوانى القيروانى ، وله ترجمة في المطرب
 ٥٩ ، ٧٥ ، والذخيرة لابن بسام ٤ : ٢١٩ ،
 والآيات لابن سعيد ١٠٧
- ١٣٩ ٣ هو أبو بكر بن الجد

هو موسى بن عمران المارتلى	١٦	١٧٧
الصواب أن الأبيات لأبى عامر بن شهيد ، وانظر الذخيرة لابن بسام ق ١ ج ١ : ٢٥٧	١٧ ، ١٦	١٧٧
هذه الأبيات تنسب للمنفعل ، وانظر الذخيرة لابن بسام ق ١ ج ١ : ٢٥٧ .	٦ - ٣	١٧٨
البيتان في الذخيرة لابن بسام ق ١ ج ١ : ٢٥٨	٨ ، ٧	١٧٨
البيتان في الذخيرة ق ١ ج ١ ص ٢٥٨	١٢ ، ١١	١٧٨
نسبة البيتين لأبى بكر بن بقی ، وهما بهذه النسبة فى الذخيرة ق ١ ج ١ ص ٢٥٨	١٣	١٧٨ ص
البيتان فى الذخيرة ق ١ ج ١ ص ٢٥٨	٢٨ ، ١٧	١٧٨
هو وهب بن سلمة القرطبي ، من أهل النسك والورع بالأندلس ، ذكره الرازى فى كتاب أعيان الموالى برقم ٢٧٢٨ .	١٢	٢٠٩
الصواب : « الليكى » ، بالياء ، واسمه أبو بكر ابن يحيى بن سهل ، وانظر ترجمته فى المغرب لابن سعيد ٢ : ٢٦٦	٢	٣١٣
الحلوانى ، هو عبد الكريم بن فضال القيروانى ، والأبيات فى الذخيرة ٤ : ٢٢٠	٩	٣١٧
الأبيات فى قلائد العقيان ٣٠٠	١٣	٣٢٠
الفقارة فى الاصطلاح الأندلسى ضرب من العبادة أو الطيلسان .	٢٢ (الحاشية ١)	٣٢١

- كذا في جميع الأصول بنسبة هذا البيت ، ٦ ٣٤٢
 إذا لم أجد في بلدة ما أريده
 فعندى لأخرى عزمة وركاب
 إلى أبي الطيب ، والصواب أن البيت لأبي فراس
 من قصيدته البائية الرومية ، ديوانه ٣٨
 يكتب هكذا : مما قيل في أنواع الحسن والجمال ٩ (العنوان) ٣٩٨
 أيضاً .